

المجلد الرابع

ألف ليلة وليلة

وإعداد:

الحسيني الحسيني معدى

الإشراف العام

وائل سمير

الناشــــر

دار الخلود
للنشـر والتـوزيـع

تليفون: 01281607185

dar_alkholoud@yahoo.com

الإخراج والتنفيذ الفنيّ



01065086008

رقم الإيداع: 2012/19988

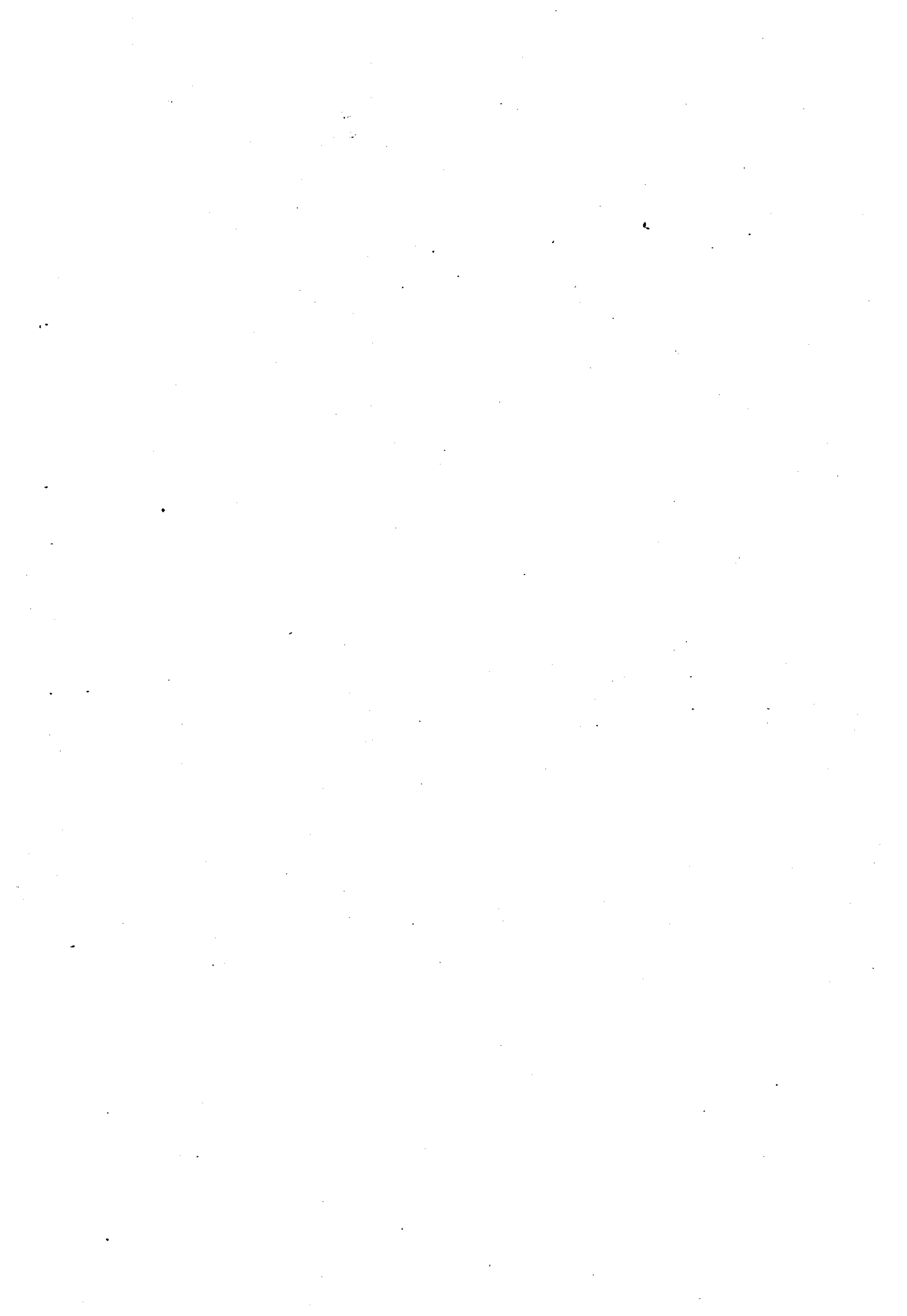
الترقيم الدولي:978-977-5313-21-8



ذات الحوادث العجيبة.. والقصص المطربة الغريبة لياليها غرام فى غرام وتفاصيل حب وعشق وهيام وحكايات ونوادر فكاهية.. ولطائف وظرائف أدبية بالصور المدهشة البديعة من أبدع ما كان ومناظر أعجوبة من عجائب الزمان

المجلد الرابع





الليلة (٧٤٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن البنات لما نزلن كلهن فى البحيرة واغتسلن وصرن يلعبن ويتمازحن وصارت الطيرة الفائقة عليهن ترميهن وتغطسهن فيهربن منها ولا يقدرون أن يمددن أيديهن إليها فلما نظرها حسن غاب عن صوابه وانسلب عقله وعرف أن البنات ما نهينه عن فتح هذا الباب إلا لهذا السبب فبكى حسن شوقًا لحسنها وجمالها وانطلقت فى قلبه النيران من أجلها وزاد به لهيب لا يطفأ شرره وغرام لا يخفى أثره ثم بعد ذلك طلعت البنات من تلك البحيرة وحسن واقف ينظر إليهن وهن لا ينظرنه وهو يتعجب من حسنهن وجمالهن ولطف معانيهن وظرف شمائلهن فلما خرجن من الماء لبست كل واحدة ثيابها وحليها وأما الجارية الكبيرة فإنها لبست حلة خضراء ففاقت بجمالها ملاح الآفاق وزهت ببهجة وجهها على بدور الإشراق وفاقت على الغصون بحسن التثنى وذهلت العقول بوهم التمنى وهى كما قال الشاعر:

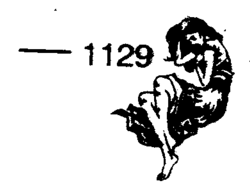
وجارية فى نشاط بدت	ترى الشمس من خدها مستعاره
أتت فى قميص لها أخضر	كخضر الغصون على جلناره
فقلت لها ما اسم هذا اللباس	فقالت كلام مليح العبارة
شققنا مرائر أحبابنا	فصاح نسيم يشق المرارة

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٤٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما رأى البنات قد خرجن من البحيرة والكبيرة فيهن أخذت عقله بحسنها وجمالها أنشد تلك الأبيات ثم إن البنات لم يزلن فى ضحك ولعب وهو واقف على قدميه ينظر إليهن ونسى الأكل والشرب إلى أن قرب العصر فقالت الصبية لصواحبها يا بنات الملوك إن الوقت أمسى علينا وبلادنا بعيدة ونحن قد سئمنا من المقام هنا فقمن لنروح محلنا فقامت كل واحدة منهن ولبست ثوبها الريش فلما اندرجن فى ثيابهن صرن طيورًا كما كن أولاً



وطرن كلهن سوية وتلك الصبية فى وسطهن فيئس حسن منهن وأراد أن يقوم وينزل فلم يقدر أن يقوم وصار دمعه يجرى على خده ثم اشتد به الغرام فأنشد هذه الأبيات :

حرمت وفاء العهد أن كنت بعدكم عرفت لذيذ النوم كيف يكون
ولا أغمضت عيناى بعد فراقكم ولا لذلى بعد الرحيل سكون
يخيل لى فى النوم أنى أراكم فياليت أحلام المنام يقين
وأنى لأهوى النوم من غير حاجة لعل لقاكم فى المنام يكون

ثم إن حسن مشى قليلاً وهو لا يهتدى إلى الطريق حتى نزل إلى أسفل القصر ولم يزل يزحف إلى أن وصل إلى باب المخدع فدخل وأغلقه عليه واضطجع عليلاً لا يأكل ولا يشرب وهو غريق فى بحر أفكاره فبكى وناح على نفسه إلى الصباح فلما طلعت الشمس فتح باب المخدع وطلع إلى المكان الذى كان فيه أولا وجلس فى مكان قبال المنظر إلى أن أقبل الليل فلم يحضر أحد من الطيور وهو جالس فى انتظارهم فبكى بكاء شديداً ومازال يبكى وينوح على نفسه طول ليله إلى أن أتى الصباح وطلعت الشمس على الروابى والبطاح وهو لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يقر له قرار وفى نهاره حيران وفى ليله سهران مدهوش سكران من الفكر الذى هو فيه ومن شدة الغرام أنشد قول الشاعر الولهان :

أمخجلة الشمس المنيرة فى الضحى وفاضحة الأغصان من حيث لا تدرى
لو تسمح الأيام منك بعودة وتخمد نيران توقد فى سرى
ويجمعنا عند اللقاء تعانق وخدك فى خدى ونحرك فى نحرى
فمن قال إن الحب فيه حلاوة ففى الحب أيام أمر من الصبر

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

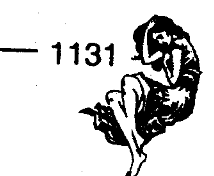
الليلة (٧٤٨)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسناً الصائغ لما زاد عشقه أنشد الأشعار وهو فى القصر وحده ولم يجد من يؤانسه فبينما هو فى شدة ولهه وإذا هو بغبرة قد طلعت من البر فقام يجرى

إلى أسفل واختفى وعرف أن أصحاب القصر قد أتوا فلم يكن غير ساعة إلا والعسكر قد نزلوا وداروا بالقصر ونزلت السبع بنات ودخلن القصر فنزعن سلاحهن وما كان عليهم من آلات الحرب وأما البنت الصغيرة أخته فإنها لم تنزع ما عليها من آلة الحرب بل جاءت إلى مقصورة حسن فلم تره ففتشت عليه فوجدته فى مخدع من المخادع وهو ضعيف نحيل فلما رأته أخته الجنية على هذه الحالة اندهشت وغاب عنها عقلها فسألته عن حاله وما هو فيه وأى شىء أصابه وقالت له أخبرنى يا أخى حتى أتحيل لك فى كشف ضرك وأكون فداءك فبكى بكاءً شديدًا وأنشد يقول :

محب إذا ما بان عنه حبيبه فليس له إلا الكآبة والضر
فباطنه سقم وظاهره جوى وأوله ذكر وآخره فكر

فلما سمعت منه أخته تعجبت من فصاحته ومن بلاغة قوله ومن حسن لفظه ومجاوبته لها بالشعر فقالت له يا أخى متى وقعت فى هذا الأمر الذى أنت فيه ومتى حصل لك فإنى أراك تتكلم بالأشعار وترخى الدموع الغزار فبالله عليك يا أخى وحرمة الحب الذى بينى وبينك أن تخبرنى ولا تخف منى شيئا مما جرى لك فى غيابنا فإنه قد ضاق صدرى وتكدر قال أخاف يا أختى إذا أخبرتك أنك لا تساعدينى على مطلوبى وتتركينى أموت كمدًا بغصتى فقالت لا والله يا أخى ما أتخلى عنك ولو كانت روحى تروح فحدثها بما جرى له ثم إنه بكى بكاء شديدًا فبكت أخته لبكائه ورقت لحاله ورحمت غربته ثم قالت له يا أخى طب نفسا وقر عينا ولكن أوصيك يا أخى بكتمان السر عن أخواتى فلا تظهر حالك على واحدة منهن لئلا تروح روحى وروحك وإن سألنك عن فتح الباب فقل لهن ما فتحته أبدًا ولكن أنا مشغول القلب من أجل غيابكن عنى ووحشتى أليكن وقعودى فى القصر وحدى فقال لها هذا هو الصواب ثم إنه قبل رأسها وطاب خاطره وانشرح صدره وكان خائفًا من أخته بسبب فتح الباب فردت إليه روحه بعد أن كان مشرفًا على الهلاك من شدة الخوف ثم إنه طلب من أخته شيئًا يأكله فقامت وخرجت من عنده ثم دخلت على أخواتها وهي حزينة باكية عليه فسألتها عن حالها فأخبرتهن أن خاطرها مشغول على أخيها وأنه مريض وله عشرة أيام ما نزل فى بطنه زاد أبدًا فسألنها عن



سبب مرضه فقالت لهن سببه غيابنا عنه فلما سمع أخواتها كلامها بكين من شدة التأسف عليه وقلن لها والله أنه معذور ثم خرجن إلى العسكر وصرفنهن ودخلن على حسن فسلمن عليه ورأينه قد تغير محاسنه واصفر لونه وانتحل جسمه فبكين شفقة عليه وقعدن عنده وآنسنه وطيبن قلبه بالحديث وحكين له جميع ما رأين من العجائب والغرائب وما جرى للعريس مع العروسة ثم إن البنات أقمن عنده مدة شهر كامل ثم بعد الشهر اشتاقت البنات إلى الركوب للصيد والقنص فعز من على ذلك وسألن أختهن الصغيرة أن تركب معهن فقالت لهن والله يا أخوتى ما أقدر أن أخرج معكن وأخى على هذه الحالة حتى يتعافى ويزول عنه ما هو فيه من الضرر بل أجلس عنده لأعلله فلما سمعن كلامها شكرنها على مروءتها ثم تركنها عنده فى القصر وركبن وأخذن معهن زاد عشرين يومًا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٤٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن البنات لما ركبن ورحن إلى الصيد والقنص تركوا أختهن الصغيرة قاعدة عند حسن فلما بعدن عن القصر وعرفت أختهن أنهن قطعن مسافة بعيدة أقبلت على أخيها وقالت له يا أخى قم أرنى هذا الموضع الذى رأيت فيه البنات فقال باسم الله على الرأس وفرح بقولها وأيقن ببلوغ مقصوده ثم إنه أراد أن يقوم معها ويريها المكان فلم يقدر على المشى فحملته فى حضنها وجاءت إلى القصر فلما صار فوقه أراها الموضع الذى رأى فيه البنات وأراها المقعد وبركة الماء فقالت له أخته صف لى يا أخى حالهن كيف جئن فوصف لها ما رأى منهن وخصوصًا البنت التى تعلق بها فقالت له يا أخى أعلم أن هذه الصبية بنت ملك من ملوك الجان العظام الشأن قدملك أبوها إنسًا وجانًا وسحرة وكهانًا وأرهاطًا وأعوانا وأقاليم وبلدان كثيرة وأموالاً عظامًا وأبونا نائب من جملة نوابه فلا يقدر عليه أحد من كثرة عساكره واتساع مملكته وكثرة ماله . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٥٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أخته قالت له وأبونا نائب من جملة نوابه فلا يقدر عليه من كثرة عساكره واتساع مملكته وكثرة ماله وقد جعل لأولاده البنات التى رأيتهن مسيرة سنة كاملة طولاً وعرضاً وقد زاد على ذلك القطر نهر عظيم محيط به فلايقدر أحد أن يصل إلى ذلك المكان لا من الإنس ولا من الجان وله من البنات الضاربات بالسيوف الطاعنات بالرماح خمسة وعشرون ألفًا كل واحدة منهن إذا ركبت جوادها ولبست آلة حربها تقاوم ألف فارس من الشجعان وله سبع من البنات فيهن من الشجاعة والفروسية ما فى إخوانهن وهذه الجلود الريش التى يطرن بها إنما هى صنعة سحرة الجان وإذا أردت أن تملك هذه الصبية وتتزوج بها فاقعد هنا وانتظرها لأنهن يحضرن على رأس كل شهر فى هذا المكان فإذا رأيتهن قد حضرن فاختفى وإياك أن تظهر فتروح أرواحنا جميعًا فاعرف الذى أقوله لك واحفظه فى ذهنك واقعد فى مكان يكون قريبًا منهن بحيث إنك تراهن وهن لا يرونك فإذا قلعن ثيابهن فالق نظرك على الثوب الريش الذى هو للكبيرة التى فى مرادك وخذه ولا تأخذ شيئًا غيره فإنه هو الذى يوصلها إلى بلادها فإنك إذا ملكته ملكتها فلما سمع حسن كلام أخته اطمأن قلبه وسكن روعه وزال ما به من الألم ثم انتصب قائمًا على قدميه وقبل رأس أخته وبعد ذلك قاما ونزل من فوق القصر هو وأخته وناما ليلتهما وهو يعالج نفسه إلى أن أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قام وفتح الباب وطلع إلى فوق وقعد ولم يزل قاعدًا إلى العشاء فطلعت له أخته بشىء من الأكل والشرب وغير ثيابه ونام ولم تزل معه على هذه الحالة فى كل يوم إلى أن هل الشهر فلما رأى الهلال صار يترقبهن فبينما هو كذلك وإذا بهن قد أقبلن عليه مثل البرق فلما رآهن اختفى فى مكان بحيث يراهن وهن لا يرينه فنزلت الطيور وقعدت كل طيرة منهن فى مكان وقلعن ثيابهن فعند ذلك قام حسن ومشى قليلاً وهو مختف وستر الله عليه فأخذ الثوب ولم تنظره واحدة منهن بل كن يلعبن مع بعضهم فلما فرغن طلعن ولبست كل واحدة منهن ثوبها الريش وجاءت محبوبته لتلبس ثوبها فلم تجده فصاحت ولطمت على وجهها وشقت ثيابها فأقبلن عليها أخواتها وسألنها عن حالها فأخبرتهن أن ثوبها الريش قد فقد فبكين وصرخن ولطموا على وجوههن وحين



أمسى عليهن الليل لم يقدرون أن يقعدن عندها فتركنها فوق القصر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٥١)

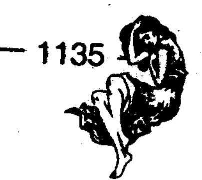
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسناً لما أخذ ثوب البنت طلبته فلم تجده وطار أخواتها وتركنها وحدها فلما رآهن حسن طرن وغبن عنها أصغى إليها فسمعها تقول يا من أخذ ثوبى وأعرانى سألتك أن ترده على وتستر عورتى فلا أذاقك الله حسرتى فلما سمع حسن هذا الكلام منها سلب عقله فى عشقها وازدادت محبته لها ولم يطق أن يصبر عنها فقام من مكانه وصار يجرى حتى هجم عليها وأمسكها ثم جذبها إليه ونزل بها إلى أسفل القصر وأدخلها مقصورته ورمى عليها عباءته وهى تبكى وتعض على يديها فأغلق عليها الباب وراح لأخته وأعلمها أنه حصلها وظفر بها ونزل بها إلى مقصورته وقال لها إنها الآن قاعدة تبكى وتعض على يديها فلما سمعت أخته كلامه قامت وتوجهت إلى المقصورة ودخلت عليها فرأتها تبكى وهى حزينة فقبلت الأرض بين يديها ثم سلمت عليها فقالت لها الصبية يا بنت الملك أهكذا تفعل الناس مثلكم هذه الفعال الرديئة مع بنات الملوك فقالت لها أخت حسن يا بنت الملك إن هذا الإنسى كامل المروءة وليس قصده أمراً قبيحاً وإنما هو يحبك وما خلقت النساء إلا للرجال ولولا أنه يحبك ما مرض لأجلك وكادت روحه أن تزهق فى هواك وحكت لها جميع ما أخبرها به حسن من عشقه لها ثم قالت لأخت حسن يا بنت الملك بهذا حكم الله على ناصيتى من غربتى وانقطاعى عن بلدى وأهلى واخواتى فصبر جميل على ما قضاه ربى ثم إن أخت حسن أخلت لها مقصورة فى القصر لم يكن هناك أحسن منها ولم تزل عندها تسليها وتطيب خاطرها حتى رضيت وانشرح صدرها وضحكت وزال ما عندها من الكدر وضيق الصدر من فراق الأهل والأوطان وفراق أخواتها وأبويها وملكها ثم إن أخت حسن خرجت إليه وقالت له قم أدخل عليها فى مقصورتها وقبل يديها ورجليها فدخل وفعل ذلك ثم قبلها بين عينيها وقال لها يا سيدة الملاح وحياة الأرواح ونزهة الناظرين كونى مطمئنة القلب أنا ما أخذتك إلا لأجل أن

أكون عبدك إلى يوم القيامة وأختى هذه جاريتك وأنا يا سيدتى ما قصدى إلا أن أتزوجك بسنة الله ورسوله فبينما هو يخاطبها ويؤانسها وهى لا تخاطبه بحرف واحد وإذا بدق يدق باب القصر فخرج حسن ينظر من بالباب فإذا هن البنات قد حضرن من الصيد والقنص ففرح بهن وتلقاهن وحياهن فدعون له بالسلامة والعافية ودعا لهن هو الآخر ثم نزلن عن خيولهن ودخلن القصر ودخلت كل واحدة منهن مقصورتها ونزعت ما كان عليها من الثياب الرثة ولبست قماشًا مليحًا وقد اصطدن شيئًا كثيرًا من الغزلان وبقر الوحوش والأرانب والسباع والضباع وغير ذلك وقدمن منه شيئًا إلى الذبح وتركن الباقى عندهن فى القصر وحسن واقف بينهن مشدود الوسط يذبح لهن وهن يلعبن وينشرحن وقد فرحن بذلك فرحًا شديدًا فلما فرغن من الذبح قعدن يعملن شيئًا ليتغدوا به فتقدم حسن إلى البنت الكبيرة وقبل رأسها وصار يقبل رأسهن واحدة بعد واحدة فقلن له لقد أكثرت التنزل إلينا يا أخانا وعجبنا من فرط توددك إلينا وأنت رجل آدمى ونحن من الجن فدمعت عيونه وبكى بكاءً شديدًا فقلن ما الخبر وما يبكيك كأنك اشتقت إلى والدتك وإلى بلادك فإن كان الأمر كذلك فنجهزك ونسافر بك إلى وطنك وأحبابك فقال لهن والله ما مرادى فراقكن فقلن له وحينئذ من شوش عليك منا حتى تكدرت فخجل أن يقول ما شوش على إلا عشق الصبية خيفة أن ينكرن عليه فسكت ولم يعلمهن بشىء من حاله فقالت أخته وقالت لهن اصطاد طيرة من الهواء ويريد منكن أن تعنه على تأهيلها فالتفتن إليه كلهن وقلن نحن كلنا بين يديك ومهما طلبته فعلناه لكن قص علينا خبرك ولا تكتم عنا شيئًا من حالك فقال لأخته قصى خبرى عليهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٥٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا قال لأخته قصى عليهن قصتى فإنى أستحى منهن ولا أقدر أن أقابلهن بهذا الكلام فقالت أخته لهن يا أخواتى أننا لما سافرنا وخلينا هذا المسكين وحده ضاق عليه القصر وخاف أن يدخل عليه أحد وأنتن تعرفن أن عقول بنى آدم خفيفة ففتح الباب الموصل إلى سطح القصر فبينما هو جالس يومًا من الأيام وإذا بالعشر طيور



أقبلن عليه قاصدات القصر ولم يزلن سائرات حتى جلسن على البحيرة التى فوقها المنظرة فنظر إلى الطيرة التى هى أحسنهن وهى تنقرهن وما فيهن واحدة تقدر أن تمد يدها إليها ثم جعلن مخالبهن فى أطواقهن فشققن الثياب الريش وخرجن منها وصارت كل واحدة منهن صبية مثل البدر ليلة تمامه ثم خلعن ما عليهن وحسن واقف ينظر إليهن ونزلن الماء وصرن يلعبن والصبية الكبيرة تغطسهن وليس منهن واحدة تقدر أن تمد يدها إليها وهى أحسنهن وجهًا وأعدلهن قدًا وأنظفهن لبساً ولم يزلن على هذه الحالة إلى أن قرب العصر ثم طلعن من البحيرة ولبسن ثيابهن ودخلن فى القماش الريش والتففن فيه وطرن فاشتغل فؤاده واشتعل قلبه بالنار من أجل الطيرة الكبيرة وندم لكونه لم يسرق قماشها الريش فمرض وأقام فوق القصر ينتظرها فامتنع من الأكل والشرب والنوم ولم يزل كذلك حتى لاح الهلال فبينما هو قاعد وإذا بهن قد أقبلن على عادتهن فقلعن ثيابهن ونزلن البحيرة فسرق ثوب الكبيرة فلما عرف أنها لا تقدر أن تطير إلا به أخذه وأخفاه خيفة أن يطلعن عليه فيقتلنه ثم صبر حتى طرن فقام وقبضها ونزل بها من فوق القصر فقال لها أخواتها وأين هى قالت لهن هى عنده فى المخدع الفلانى فالتفتن إلى حسن وقلن له أرنا إياها فقام معهن وهو ولهان إلى أن أتى بهن إلى المخدع الذى فيه بنت الملك وفتحه ودخل وهن خلفه فلما رأينها وعاين جمالها قبلن الأرض بين يديها وتعجبن من حسن صورتها وظرف معانيها وسلمن عليها وقلن لها والله يا بنت الملك الأعظم إن هذا شىء عظيم ولو سمعت بوصف هذا الإنسى عند النساء لكنت تتعجبين منه طول دهرك وهو متعلق بك غاية التعلق إلا أنه يا بنت الملك لم يطلب فاحشة وما طلبك إلا فى الحلال ولو علمنا أن البنات تستغنى عن الرجال لكنا منعناه عن مطلوبه مع أنه لم يرسل إليك رسولاً بل أتى إليك بنفسه وأخبرنا أنه أحرق الثوب الريش وإلا كنا أخذناه منه ثم إن واحدة من البنات اتفقت هى وإياها وتوكلت فى العقد وعقدت عقدها على حسن وصافحها ووضع يده فى يدها وزوجناها له بإذنها وعملن فى فرحها ما يصلح لبنات الملوك وأدخلنه عليها فقام حسن وفتح الباب وكشف الحجاب وفض ختامها وتزايدت محبته فيها . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما دخل على بنت الملك وأزال بكارتها التذ بها لذة عظيمة وازدادت محبته لها ووجله بها ثم إن حسنًا أقام معها أربعين يومًا فى حظ وسرور ولذة وحبور والبنات يجددن له كل يوم فرحًا ونعمة وهدايا وتحفًا وهو بينهن فى فرح وسرور وانشراح وطاب لبنت الملك القعود بينهن ونسيت أهلها ثم بعد الأربعين يومًا كان حسن نائمًا فرأى والدته حزينة عليه وقد رق عظمها وانتحل جسمها واصفر لونها وتغير حالها فانتبه حسن من نومه وهو يبكى وينوح ودموعه تجرى على خديه مثل المطر فلما أصبح دخلن عليه البنات وصبحن عليه وانشرحن معه على عادتهن فلم يلتفت إليهن فسألن زوجته عن حاله فقالت لهن ما أدرى فقلن لها اسأليه عن حاله فتقدمت إليه وقالت له ما الخبر يا سيدى فتنهد وتضجر وأخبرها بما رآه فى منامه ثم إنشد هذين البيتين :

قد بقينا موسوسين حيارى　　نطلب القرب ما إليه سبيل
فدواهى الهوى تزيد علينا　　ومقام الهوى علينا ثقيل

فأخبرتهن زوجته بما قال لها فلما سمعت البنات الشعر رققن لحاله وقلن له تفضل بسم الله ما نقدر أن نمنعك من زيارتها بل نساعدك على زيارتها بكل ما نقدر عليه ولكن ينبغى أن تزورنا ولا تنقطع عنا ولو فى كل سنة مرة واحدة فقال لهن سمعًا وطاعة فقامت البنات من وقتهن وعملنا له الزاد وجهزن له العروسة بالحلى والحلل ثم سرن معهما ثلاثة أيام فقطعن فيها مسافة ثلاثة أشهر ثم إنهن ودعنهما هذا ما كان منهن (وأما) ما كان من أمر حسن فإنه سار طول الليل والنهار يقطع مع زوجته البرارى والقفار والأودية والأوعار فى الهواجر والأسحار وكتب الله تعالى لهما السلامة فسلما ووصلا إلى مدينة البصرة ولم يزالا سائرين حتى أناخا على باب داره نجائبهما ثم صرف النجائب وتقدم إلى الباب ليفتحه فسمع والدته وهى تبكى بصوت رقيق من كبد ذاقت عذاب الحريق فبكى حسن لما سمع والدته تبكى وتندب ثم طرق الباب طرقة مزعجة فقالت أمه من بالباب فقال لها افتحى ففتحت الباب ونظرت إليه فلما عرفته خرت



مغشياً عليها فمازال يلاطفها إلى أن فاقت فعانقها وعانقته وقبلته ثم نقل حوائجه ومتاعه إلى داخل الدار والجارية تنظر إلى حسن وأمه ثم إن أم حسن لما اطمئن قلبها وجمع الله شملها بولدها أنشدت هذه الأبيات :

رق الزمان لحالتى ورثى لطول تحرقى ... وأنالنى ما أشتهى وأزال مما أتقى

فلا صفحن عما جنا من الذنوب السبق ... حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقى

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٥٤)

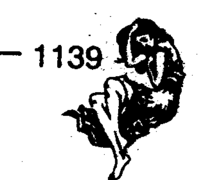
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن والدة حسن قعدت هى وإياه يتحدثان وصارت تقول له كيف حالك يا ولدى مع الأعجمى فقال لها يا أمى ما كان أعجميًا بل كان مجوسيًا يعبد النار دون الملك الجبار ثم أخبرها بما فعل به فلما سمعت أمه حكايته تعجبت وحمدت الله تعالى على عاقبته وسلامته ثم قامت إلى تلك الحمول فنظرتها وسألته عنها فأخبرها بما فيها ففرحت فرحًا عظيماً ثم تقدمت إلى الجارية تحدثها وتؤانسها فلما وقعت عينها عليها اندهش عقلها من ملاحتها وفرحت وتعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها ثم قالت يا ولدى الحمد لله على السلامة وعلى رجوعك سالمًا ثم إن أمه قعدت جنب الصبية وآنستها وطيبت خاطرها ثم نزلت فى بكرة النهار إلى السوق فاشترت عشر بدلات من أفخر ما فى المدينة من الثياب وأحضرت لها الفرش العظيم وألبست الصبية وجملتها بكل شيء مليح ثم أقبلت على ولدها وقالت يا ولدى نحن بهذا المال لا نقدر أن نعيش فى هذه المدينة وأنت تعرف أننا ناس فقراء والناس يتهموننا بعمل الكيمياء فقم بنا نسافر إلى مدينة بغداد دار السلام لنقيم فى حرم الخليفة وتقعد أنت فى دكان فتبيع وتشترى وتتقى الله عز وجل فيفتح عليك بهذا المال فلما سمع حسن كلامها استصوبه وقام من وقته وخرج من عندها وباع البيت وأحضر النجائب وحمل عليها جميع أمواله وأمتعته وأمه وزوجته وسار ولم يزل سائرًا إلى أن وصل إلى الدجلة فاكترى مركبًا لبغداد ونقل فيها جميع ماله وحوائجه ووالدته وزوجته وكل ما كان عنده ثم

ركب المركب فسارت بهم المركب فى ريح طيبة مدة عشرة أيام حتى أشرفوا على بغداد فلما أشرفوا عليها فرحوا ودخلت بهم المركب المدينة فطلع من وقته وساعته إلى المدينة واكترى مخزنًا فى بعض الخانات ثم نقل حوائجه من المركب إليه وطلع وأنام ليلة فى الخان فلما أصبح غير ما عليه من الثياب فلما رآه الدلال سأله عن حاجته وعما يريد فقال أريد دارًا تكون مليحة واسعة فعرض عليه الدور التى عنده فأعجبته دار كانت لبعض الوزراء فاشتراها منه بمائة ألف دينار من الذهب وأعطاه الثمن ثم عاد إلى الخان الذى نزل فيه ونقل جميع ماله وحوائجه إلى الدار ثم خرج إلى السوق وأخذ ما تحتاج إليه الدار من آنية وفرش وغير ذلك واشترى خدما ومن جملتها عبدًا صغيرًا للدار وأقام مطمئنا مع زوجته فى ألذ عيش وسرور مدة ثلاث سنين وقد رزق بغلامين سمى أحدهما ناصرًا والآخر منصورًا وبعد هذه المدة تذكر أخواته البنات وتذكر إحسانهن إليه وكيف ساعدنه على مقصوده فاشتاق إليهن وخرج إلى أسواق المدينة فاشترى منها شيئًا من حلى وقماش نفيس ونقل ما رأين مثله قط ولا يعرفنه فسألته أمه عن سبب شراء تلك التحف فقال لها إنى عزمت على أن أسافر إلى أخواتى اللاتى فعلن معى كل جميل ورزقى الذى أنا فيه من خيرهن وإحسانهن فإنى أريد أن أسافر إليهن وأنظرهن وأعود قريبًا إن شاء الله تعالى فقالت له يا ولدى لا تغب علىّ فقال لها اعلمى يا أمى كيف تكونين مع زوجتى وهذا ثوبها الريش فى صندوق مدفون فى الأرض فاحرصى عليه لئلا تقع عليه فتأخذه وتطير هى وأولادها ويروحون وأبقى لا أقع لهم على خبر فقالت أمه أعوذ بالله من مخالفتك يا ولدى هل أنا مجنونة حتى توصينى بهذه الوصية وأخالفك فيها سافر يا ولدى وطب نفسًا وسوف تحضر فى خير وتنظرها إن شاء الله تعالى وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٥٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما أراد السفر إلى البنات وصى أمه على زوجته على حسب ما ذكرنا وكانت زوجته بالأمر المقدر تسمع كلامه وهما لا يعرفان ذلك ثم إن حسنًا



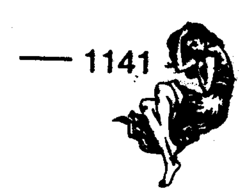
قام وخرج إلى خارج المدينة ودق الطبل فحضرت له النجائب فحمل عشرين من تحف العراق وودع والدته وزوجته وأولاده وكان عمر واحد من ولديه سنة والآخر سنتين ثم إنه رجع إلى والدته وأوصاها ثانيًا ثم إنه ركب وسافر إلى أخواته ولم يزل مسافرًا ليلاً ونهارًا فى أودية وجبال وسهول وأوعار مدة عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر وصل إلى القصر ودخل على أخواته ومعه الذى أحضره إليهن فلما رأينه فرحن به وهنينه بالسلامة وأما أخته فإنها زينت القصر ظاهره وباطنه ثم إنهن أخذن الهدية وأنزلنه فى مقصورة مثل العادة وسألنه عن والدته وعن زوجته فأخبرهن أنها ولدت منه ولدين ثم إن أخته الصغيرة لما رأته طيبًا بخير فرحت فرحًا شديدًا ثم إنه أقام عندهن فى الضيافة والكرامة مدة ثلاثة أشهر وهو فى فرح وسرور وغبطة وحبور وصيد وقنص هذا ما كان من حديثه (وأما) ما كان من حديث أمه وزوجته فإنه لما سافر حسن أقامت زوجته يومًا وثانيًا مع أمه وقالت لها فى اليوم الثالث سبحان الله هل أقعد معه ثلاث سنين ما أدخل الحمام وبكت فرقت أمه لحالها وقالت لها يا بنتى نحن غرباء وزوجك ما هو فى البلد فلو كان حاضرًا كان يقوم بخدمتك أما أنا فلا أعرف أحدًا ولكن يا بنتى سخن لك الماء وأغسل رأسك فى حمام البيت فقالت لها يا سيدتى لو قلت هذا القول لبعض الجوارى كانت طلبت البيع فى السوق وما كانت تقعد عندكم ثم إنها بكت ودعت على نفسها وصارت تعدد على نفسها وغربتها فرقت لحالها أم زوجها وعلمت أن كل ما قالته لابد منه فقامت وهيأت حوائج الحمام التى يحتاجان إليها وأخذتها وراحت إلى الحمام فلما دخلتا الحمام قلعت ثيابها فصار النساء جميعًا ينظرن ويسبحن الله عز وجل ويتأملن فيما خلق الله من الصورة البهية وصار كل من جاز من النساء على الحمام يدخل ويتفرج عليها وشاع فى البلد ذكرها فاتفق بسبب ذلك الأمر العجيب أنه حضر إلى الحمام فى ذلك اليوم جارية من جوارى هارون الرشيد يقال لها تحفة العوادة فرأت النساء فى زحمة والحمام لا ينشق من كثرة النساء والبنات فسألت عن الخبر فأخبرنها بالصبية فجاءت عندها ونظرت إليها وتأملت فيها فتحير عقلها من حسنها وجمالها وسبحت الله جل جلاله على ما خلق من الصور الملاح ولم تدخل ولم تغتسل وإنما صارت قاعدة باهتة فى الصبية إلى أن فرغت الصبية من الغسل وخرجت ولبست ثيابها فقامت تحفة

العوادة جارية الخليفة وخرجت معها حتى عرفت بيتها وودعتها ورجعت إلى قصر الخليفة ومازالت سائرة حتى وصلت بين أيادى السيدة زبيدة وقبلت الأرض بين يديها فقالت السيدة زبيدة يا تحفة ما سبب ابطائك فى الحمام فقالت يا سيدتى رأيت أعجوبة ما رأيت مثلها فى الرجال ولا فى النساء فقالت وما هى يا تحفة قالت يا سيدتى رأيت جارية فى الحمام معها ولدان صغيران كإنهما قمران ما رأى أحد مثلها لا قبلها ولا بعدها وليس مثل صورتها فى الدنيا بأسرها وحق نعمتك يا سيدتى إن عرفت بها أمير المؤمنين قتل زوجها وأخذها منه لأنه لا يوجد مثلها واحدة من النساء وقد سألت عن زوجها فقالوا إن زوجها رجل تاجر اسمه حسن البصرى وتبعتها عند خروجها من الحمام إلى أن دخلت بيتها فرأيته بيت الوزير الذى له بابان باب من جهة البحر وباب من جهة البر وأنا أخاف يا سيدتى أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٥٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن جارية أمير المؤمنين لما رأت زوجة حسن البصرى ووصفت حسنها للسيدة زبيدة وقالت يا سيدتى إنى أخاف أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها فقالت السيدة زبيدة ويلك يا تحفة هل بلغت هذه الجارية من الحسن والجمال أن أمير المؤمنين يبيع دينه بدنياه ويخالف الشرع لأجلها والله لابد لى من النظر إلى هذه الصبية فعند ذلك دعت السيدة زبيدة بمسرور فحضر وقبل الأرض بين يديها فقالت له يا مسرور اذهب إلى دار الوزير التى ببابين باب على البحر وباب على البر وائت بالصبية التى هناك وأولادها والعجوز التى عندها بسرعة ولا تبطئ فقال مسرور السمع والطاعة فخرج من بين يديها حتى وصل إلى باب الدار فطرق الباب فخرجت له العجوز أم حسن وقالت من بالباب فقال لها مسرور خادم أمير المؤمنين ففتحت الباب ودخل فسلم عليها وسلمت عليه وسألته عن حاجته فقال إن السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد الخامس من بنى



العباس عم النبى ﷺ تدعوك إليها أنت وزوجة ابنك وأولادها فإن النساء أخبرتها عنها وعن حسنها فقالت أم حسن يا مسرور نحن ناس غرباء وزوج البنت ولدى ما هو فى البلد ولم يأمرنى بالخروج أنا ولا هى فقال مسرور يا سيدتى لو علمت أن فى هذا خوف عليكم ما كلفتكم الرواح وإنما مراد السيدة زبيدة أن تنظرها وترجع فلا تخالفى تندمى وكما آخذكما أردكما إلى هنا سالمين إن شاء الله تعالى فما قدرت أم حسن أن تخالفه فدخلت وهيأت الصبية وأخرجتها هى وأولادها وساروا خلف مسرور وهو قدامهم إلى قصر الخليفة فطلع بهم حتى أوقفهم قدام السيدة زبيدة يقبلوا الأرض بين يديها ودعوا لها والصبية مستورة الوجه فقالت لها السيدة زبيدة أما تكشفين عن وجهك لأنظره فقبلت الصبية الأرض بين يديها وأسفرت عن وجه يخجل البدر فى أفق السماء فلما نظرتها شخصت إليها وسرحت فيها النظر وأضاء القصر من نور وجهها واندهشت زبيدة من حسنها وكذلك كل من فى القصر ثم أمرت أن يحضر لها بدلة من أفخر الملبوس وعقداً من أنفس الجواهر وألبست الصبية إياهما وقالت لها يا سيدة الملاح إنك أعجبتينى وملأت عينى أى شىء عندك من الذخائر فقالت الصبية يا سيدتى لى ثوب ريش فقالت وأين ثوبك هذا قالت هو عند أم زوجى فاطلبيه لى منها فقالت السيدة زبيدة يا أمى بحياتى عندك أن تنزلى وتأتى لها بثوبها الريش حتى تفرجنا على الذى تفعله وخذيه ثانيًا فقالت العجوز يا سيدتى هذه كذابة هل رأينا أحدا من النساء له ثوب من الريش فهذا لا يكون إلا للطيور فقالت الصبية للسيدة زبيدة وحياتك يا سيدتى لى عندها ثوب ريش وهو فى صندوق مدفون فى الخزانة التى فى الدار فقلعت السيدة زبيدة من عنقها عقد جوهر يساوى خزائن كسرى وقيصر وقالت يا أمى خذى هذا العقد وناولتها إياه وقالت لها بحياتى أن تنزلى وتأتى بذلك الثوب لنتفرج عليه وخذيه بعد ذلك فحلفت لها أنها ما رأت هذا الثوب ولا تعرف له طريقاً فصرخت السيدة زبيدة على العجوز وأخذت منها المفتاح ، وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٥٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة زبيدة لما أخذت المفتاح من أم حسن أعطته لمسرور وقالت له خذ هذا المفتاح وافتح الخزانة الفلانية واخرج منها الصندوق واكسره وأخرج منه الثوب الريش الذى فيه وأحضره بين يدى فقال سمعًا وطاعة ثم إنه تناول المفتاح من يد السيدة زبيدة وسار فقامت معه العجوز أم حسن وهى باكية العين ندمانة على مطاوعة الجارية ورواحها الحمام معها ولم تكن الصبية طلبت الحمام إلا مكيدة ثم إن العجوز دخلت هى ومسرور وفتحت باب الخزانة فدخل وأخرج الصندوق وأخرج منه القميص الريش ولفه معه فى فوطه وأتى به إلى السيدة زبيدة فأخذته وقلبته وتعجبت من حسن صناعته ثم ناولته لها ثم إن الصبية تفقدته فرأته صحيحًا كما كان عليها ولم يضع منه ريشة ففرحت به وقامت من جنب السيدة زبيدة وأخذت القميص وفتحته وأخذت أولادها فى حضنها واندرجت فيه وصارت طيرة بقدرة الله عز وجل ثم إن الصبية تمايلت وتمشيت ورقصت ولعبت وقد شخص لها الحاضرون وتعجبوا من فعلها ثم قالت لهم بلسان فصيح يا سادتى هل هذا مليح فقال لها الحاضرون نعم يا سيدة الملاح كل ما فعلتيه مليح ثم قالت وهذا الذى أعمله أحسن منه يا سادتى ثم إن الصبية لما أرادت أن تطير إلى بلادها تذكرت حسنًا وقالت اسمعوا يا سادتى هذه الأبيات :

يا من خلا عن ذى الديار وسارا	نحو الحبائب مسرعًا فرارا
أتظن أنى فى نعيم بينكم	والعيش منكم لم يكن أكدارا
لما أسرت وصرت فى شرك الهوى	جعل الهوى سجنى وشط مزارا
لما اختفى ثوبى تيقن أننى	لم أدع فيه الواحد القهارا
قد صار يوصى أمه بحفاظه	فى مخدع وعدا على وجارا
فسمعت ما قالوه ثم حفظته	ورجوت خيرا زائدا مدرارًا
فرواحى الحمام كان وسيلة	حتى غدت فى العقول حيارى
وتعجبت عرس الرشيد لبهجتى	إذ شاهدتنى يمنة ويسارًا



نـاديت يـا امـرأة الخليـفة إن لـى ... ثوبًا من الـريـش العلى فخـارا
لـو كان فـوقـى تنظـرين عجـائبا ... تمحـو العـنا وتبـدد الأكـدارا
فاستفسرت عـرس الخليفة أين ذا ... فأجبت فـى دار الـذى قـد دارا
فانقـض مسـرور وأحضـره لـهـا ... وإذا بـه قـد أشـرق الأنـوارا
فـأخـذته مـن كـفـه وفتحـته ... ورأيـت مـنه الجيـب والأزرارا
فـدخلـت فيه ثـم أولادى معـى ... وفـردت أجنحتـى وطـرت فرارا
يـا أم زوجـى أخـبريه إذا أتـى ... إن حـب وصلـى فليفـارق دارا

فلما فرغت من شعرها قالت لها السيدة زبيدة أما تنزلين عندنا حتى نتملى بحسنك يا سيدة الملاح قالت هيهات أن يرجع ما فات ثم قالت لأم حسن إذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزته أرياح المحبة والأشواق فليجيئنى إلى جزائر واق الواق ثم طارت هى وأولادها وطلبت بلادها فلما رأت أم حسن ذلك بكت ولطمت وجهها حتى غشى عليها فلما أفاقت قالت لها السيدة زبيدة يا سيدتى الحاجة ما كنت أعرف أن هذا يجرى ولو كنت أخبرتينى به ما كنت أتعرض لك وما عرفت أنها من الجن الطيارة إلا فى هذا الوقت ولو عرفت أنها على هذه الصفة ما كنت مكنتها من لبس الثوب ولا كنت أخليها تأخذ أولادها ولكن يا سيدتى اجعلينى فى حل فقالت العجوز وما وجدت فى يدها حيلة أنت فى حل ثم خرجت من قصر الخلافة ولم تزل سائرة حتى دخلت بيتها وصارت تلطم على وجهها حتى غشى عليها فلما أفاقت من غشيتها استوحشت إلى الصبية وإلى أولادها وإلى رؤية ولدها ثم قامت وحفرت فى البيت ثلاثه قبور وأقبلت عليها بالبكاء آناء الليل وأطراف النهار . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٥٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أم حسن صارت تبكى آناء الليل وأطراف النهار لفراق ولدها وزوجته وأولادها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر ولدها حسن فإنه لما وصل إلى البنات حلفن عليه أن يقيم عندهن ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك جهزن له المال وهيأن له عشرة

أحمال خمسة من الذهب وخمسة من الفضة وهيأن له من الزاد حملاً واحدًا وسفرنه وخرجن معه فخلف عليهن أن يرجعن فأقبلن على عناقه من أجل التوديع ثم إن حسن ودعهن وبكى إلى أن غشى عليه بسبب فراقهم وأنشد هذه الأبيات :

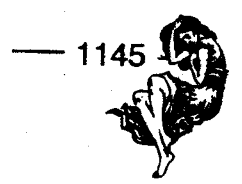
ولقد جرت يوم الفراق سوافحى در را نظمت عقودها من أدمعى
وحدا بهم حادى الركاب فلم أجد جلدا ولا صبرا ولا قلبى معى
يا صاحبى أنصت لأخبار الهوى حاشى لقلبك أن أقول ولا يعى
يا نفس مذ فارقتهن ففارقى طيب الحياة وفى البقا لا تطمعى

ثم إنه جد فى المسير ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى بغداد دار السلام وحرم الخلافة العباسية ولم يدر بالذى جرى بعد سفره فدخل الدار على والدته وسلم عليها فرآها قد انتحل جسمها ورق عظمها من كثرة النوح والسهر والبكا والعويل حتى صارت مثل الخلال ولم تقدر أن ترد الكلام فصرف النجائب وتقدم إليها فلما رآها على تلك الحالة قام فى الدار وفتش على زوجته وعلى أولادها فلم يجدلهم أثراً ثم سألها عن زوجته وعن أولادها فبكت وقالت يا ولدى عظم الله أجرك فيهم وهذه قبورهم الثلاثة فلما سمع كلام أمه صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيًا عليه واستمر كذلك من أول النهار إلى الظهر فازدادت أمه غمًا على غمها وقد يئست من حياتها فلما أفاق بكى ولطم على وجهه وشق ثيابه وصار دائراً فى الدار متحيراً ثم أخذ سيفه وسله وجاء إلى أمه وقال لها إن لم تعلمينى بحقيقة الحال ضربت عنقك وقتلت روحى فقالت له يا ولدى لا تفعل ذلك وأنا أخبرك ثم قالت له أغمد سيفك فلما أغمد سيفه وجلس إلى جانبها أعادت عليه القصة من أولها إلى آخرها وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٥٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما سمع كلام أمه حين حكت له جميع ما فعلت زوجته وقت ما طارت صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيًا عليه ولم يزل كذلك إلى آخر النهار فلما



أفاق لطم على وجهه وصار يتقلب على الأرض مثل الحية فقعدت أمه تبكى عند رأسه إلى نصف الليل فلما أفاق من غشيته بكى بكاء عظيمًا وأنشد هذه الأبيات :

قفوا وانظروا حال الذى تهجرونه لعلكم بعد الجفاء ترحمونه
فإن تنظروه تنكروه لسقمه كأنكم والله لا تعرفونه
وما هو إلا ميت فى هواكم يعد من الأموات إلا أنينه
ولا تحسبوا أن التفرق هين يعز على المشتاق والموت دونه

فلما فرغ من شعره قام وجعل يدور فى البيت وينوح ويبكى وينتحب مدة خمسة أيام لم يذق فيها طعامًا ولا شرابًا فقامت إليه أمه وحلفته وأقسمت عليه أن يسكت من البكاء فما قبل كلامها ومازال يبكى وينتحب وأمه تسليه وهو لا يسمع منها شيئًا ومازال حسن على هذه الحالة يبكى إلى الصباح فلما أصبح الصباح زاد نحيبه وبكاؤه ولم يزل باكى العين حزين القلب ساهر الليل قليل الأكل واستمر على هذه الحالة مدة شهر كامل فلما مضى ذلك الشهر خطر بباله أنه يسافر إلى أخواته لأجل أن يساعدنه على قصده من حصولها فأحضر النجائب ثم حمل خمسين هجينة من تحف العراق وركب واحدة منها ثم أوصى والدته على البيت وأودع جميع حوائجه إلا قليلاً أبقاه فى الدار ثم سار متوجهًا إلى أخواته لعله أن يجد عندهن مساعدة على اجتماع زوجته ولم يزل سائرًا حتى وصل إلى قصر البنات فى جبل السحاب فلما دخل عليهن قدم إليهن الهدايا ففرحن بها وهنينه بالسلامة وقلن له يا أخانا ما سبب مجيئك بسرعة ومالك غير شهرين فبكى وأنشد هذين البيتين :

عسى ولعل الدهر يلوى عنانه ويأتى بحبيبى والزمان غيور
ويسعدنى دهرى فتنقضى حوائجى وتحصل من بعد الأمور أمور

فلما سمعت كلامه أخته خرجت إليه فرأته راقدًا مغشيًا عليه فصرخت ولطمت فسمعها أخواتها فخرجن إليها فرأين حسنًا راقدًا مغشيًا عليه فاحتطن به وبكين عليه ولم يخف عليهم حين رأينه ما حل به من الوجد والهيام والشوق والغرام فسألنه عن حاله فبكى وأخبرهن بما جرى فى غيابه حيث طارت زوجته وأخذت أولادها معها فحزن عليها وسألنه عن الذى قالت

عندما راحت قال يا أخواتى إنها قالت لوالدتى قولى لولدك إذا جاء وطالت عليه ليالى الفراق واشتهى القرب منى وهزته أرياح المحبة والأشواق فليجئنى إلى جزائر واق الواق فلما سمعن كلامه تغامزن وتذاكرن وصارت كل واحدة تنظر إلى أختها وحسن ينظر إليهن ثم أطرقن برؤسهن إلى الأرض ساعة وبعد ذلك رفعنها وقلن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قلن له أمدد يدك إلى السماء فإن وصلت إلى السماء تصل إلى زوجتك . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٦٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن البنات لما قلن لحسن أمدد يدك إلى السماء فإن وصلت إليها تصل إلى زوجتك وأولادك جرت دموعه على خديه مثل المطر حتى بلت ثيابه وأنشد هذه الأبيات :

قد هيجتنى الخدود الحمر والحدق	وفارق الصبر لما أقبل الأرق
حور تميس كغزلان النقا سفرت	عن بهجة لو رآها الأولياء علقوا
يمشين مثل نسيم الروض فى سحر	يعشقهن عراة الهم والقلق
خودة ناعمة الأطراف مائسة	فى وجهها الصبح بل فى شعرها الغسق
قد هيجتنى وكم فى الحب من بطل	قد هيجته جفون البيض والحدق

فلما فرغ من شعره بكى وبكت البنات لبكائه وأخذتهن الشفقة والغيرة عليه وصرن يتلطفن به ويصبرنه ويدعين له بجمع الشمل فأقبلت عليه أخته وقالت له يا أخى طب نفسًا وقر عينا وأصبر تبلغ مرادك فمن صبر وتأنى نال ما تمنى والصبر مفاتيح الفرج فقد قال الشاعر :

دع المقادير تجرى فى أعنتها	ولا تبيتن إلا خالى البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها	يغير الله من حال إلى حال

ثم قالت له قوى قلبك وشد عزمك فإن ابن عشرة لا يموت وهو فى تسعة والبكاء والغم والحزن يمرض ويسقم واقعد عندنا حتى تستريح وأنا أتحيل لك فى الوصول إلى زوجتك



وأولادك إن شاء الله تعالى فجلس إلى جانب أخته وصارت تحدثه وتسليه وتسأله عن الذى كان سببًا فى رواجها فأخبرها عن سبب ذلك فقالت له والله يا أخى أنى أردت أن أقول لك أحرق الثوب الريش فإنسانى الشيطان ذلك وصارت تحدثه وتلاطفه فلما طال عليه الأمر وزاد به القلق أنشد هذه الأبيات :

تمكن مـن قلبى حبيب ألفتـه ... وليس لما قـد قـدر الله مـدفع
من العرب قد حاز الملاحة كلها ... غـزال ولكـن فـى فؤادى يـرتع
لئن عز صبرى فى هـواه وحيلتى ... بكيت على أن البكا ليس ينفع
مليـح لـه سـبع وسـبع كـأنـه ... هلال له خمس وخمـس وأربع

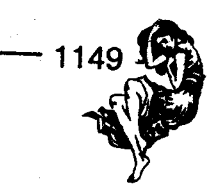
فلما نظرت أخته إلى ما فيه من الوجد والهيام وتباريح الهوى والغرام قامت إلى أخواتها وهى باكية العين حزينة القلب وبكت بين أيديهن حتى أبكتهن وقلن لها طيبى قلبك بأننا مجتهدات فى اجتماعه بأهله إن شاء الله تعالى ثم إنه أقام عندهن سنة كاملة وعينه لم تمسك عن الدموع وكان لأخواتها عم أخو والدهن شقيقه وكان اسمه عبدالقدوس وكان يحب البنت الكبيرة محبة كثيرة وكان فى كل سنة يزورها مرة واحدة ويقضى حوائجها وكانت البنات قد حدثته بحديث حسن وما وقع له مع المجوسى وكيف قدر على قتله ففرح عمهن بذلك ودفع للبنت الكبيرة صرة فيها بخور قال لها يا بنت أخى إذا أهمك أمرًا ونالك مكروه أو عرضت لك حاجة فألق هذا البخور فى النار واذكرينى فإنى أحضر لك بسرعة وأقضى حاجتك وكان هذا الكلام فى أول يوم من السنة فقالت البنت لبعض أخواتها إن السنة قد مضت بتمامها وعمى لم يحضر قومى اقدحى الزناد وائتينى بعلبة البخور فقامت البنت وهى فرحانة وأحضرت علبة البخور وفتحتها وأخذت منها شىء يسير وناولته لأختها فأخذته ورمته فى النار وذكرت عمها فما فرغ البخور إلا وغبرة قد ظهرت من صدر الوادى ثم بعد ساعة انكشف الغبار فبان من تحته شيخ راكب على فيل ثم بعد ساعة وصل إليهن فنزل عن الفيل ودخل عليهن فعانقنه وقبلن يديه وسلمن عليه ثم إنه جلس وصارت البنات

يتحدثن معه ويسألنه عن غيابه فقال إنى كنت فى هذا الوقت جالسًا أنا وزوجة عمكن فشممت البخور فحضرت إليكن على هذا الفيل فما تريدين يا بنت أخى فقالت يا عم أننا اشتقنا إليك وقد مضت السنة وما عادتك أن تغيب عنا أكثر من سنة فقال لهن إنى كنت مشغولاً وكنت عزمت على أن أحضر إليكن غدًا فشكرنه ودعون له وقعدن يتحدثن معه . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٧٦١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن البنات لما قعدن يتحدثن مع عمهن قالت البنت الكبيرة يا عمى أننا كنا حدثناك بحديث حسن البصرى الذى جاء به بهرام المجوسى وكيف قتله وحدثناك بالصبية بنت الملك الأكبر التى أخذها قال نعم فما حدث له بعد هذا قالت له إنها غدرت به وقد رزق منها بولدين فأخذتهما وسافرت بهما إلى بلادها وهو غائب وقالت لأمه إذا حضر ولدك وطالت عليه ليالى الفراق وأراد منى القرب والتلاق وهزته رياح المحبة والاشتياق فليجيئنى إلى جزائر واق الواق فحرك رأسه وعض على أصبعه ثم أطرق رأسه إلى الأرض وصار ينكت فى الأرض بأصبعه ثم التفت يمينًا وشمالاً وحرك رأسه وحسن ينظره وهو متوار عنه فقالت البنات لعمهن رد علينا الجواب فقد تفتت منا الأكباد فهز رأسه إليهن وقال لهن يا بناتى لقد أتعب هذا الرجل نفسه ورمى روحه فى هول عظيم وخطر جسيم فعند ذلك نادت البنات حسنًا فخرج إليهن وتقدم إلى الشيخ عبد القدوس وقبل يده وسلم عليه ففرح به وأجلسه بجانبه فقالت البنات لعمهن يا عم بين لأخينا حقيقة ما قلته فقال له يا ولدى اترك عنك هذا العذاب الشديد فإنك لا تقدر أن تصل إلى جزائر واق الواق ولو كان معك الجن الطيارة والنجوم السيارة فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس بكى حتى غشى عليه وقعدت البنات حوله يبكين لبكائه فلما رآهم الشيخ عبد القدوس على هذه الحالة من الهم والوجد والحزن رق لهم وأخذته الرأفة عليهم فقال اسكتوا ثم قال لحسن طيب قلبك وأبشر بقضاء حاجتك إن شاء الله



تعالى ثم إن الشيخ عبد القدوس استدعى الفيل فحضر فركبه وأردف حسنًا خلفه وسار به مدة ثلاثة أيام بلياليها مثل البرق الخاطف حتى وصل جبل عظيم أزرق وفى ذلك الجبل مغارة وعليها باب من الحديد الصينى فأخذ الشيخ بيد حسن وأنزله ثم نزل الشيخ وأطلق الفيل ثم تقدم إلى باب المغارة وطرقه فانفتح الباب وخرج إليه عبد أسود أجرود كأنه عفريت وبيده اليمنى سيف والأخرى ترس من بولاد فلما نظر الشيخ عبد القدوس رمى السيف والترس من يده وتقدم إلى الشيخ عبد القدوس وقبل يده ثم أخذ الشيخ بيد حسن ودخل هو وإياه وقفل العبد الباب خلفهما فرأى حسن المغارة كبيرة واسعة جداً ولها دهليز معقود ولم يزالوا سائرين مقدار ميل ثم انتهى بهم السير إلى فلاة عظيمة وتوجهوا إلى ركن فيه بابان عظيمان مسبوكان من النحاس الأصفر ففتح الشيخ عبد القدوس بابا منهما ودخل ورده وقال لحسن اقعد على هذا الباب واحذر أن تفتحه وتدخل حتى أدخل وأرجع إليك عاجلاً فلما دخل الشيخ غاب مدة ساعة فلكية ثم خرج ومعه حصان ملجم إن سار طار وإن طار لم يلحقه غبار فقدمه الشيخ لحسن وقال له أركب ثم إن الشيخ فتح الباب الثانى فبان منه برية واسعة فركب حسن الحصان وخرج الاثنان من الباب وسار فى تلك البرية فقال الشيخ لحسن يا ولدى خذ هذا الكتاب وسر على هذا الحصان إلى الموضع الذى يوصلك إليه فإذا نظرته وقف على مغارة مثل هذه فانزل عن ظهره واجعل عنانه فى قربوس السرج وأطلقه فإنه يدخل المغارة فلا تدخل معه وقف على باب المغارة مدة خمسة أيام ولا تضجر فإنه فى اليوم السادس يخرج إليك شيخ أسود عليه لباس أسود وذقنه بيضاء طويلة نازلة إلى سرته فإذا رأيته فقبل يديه وأمسك ذيله واجعله على رأسك وابك بين يديه حتى يرحمك فإنه يسألك عن حاجتك فإذا قال لك ما حاجتك فادفع إليه هذا الكتاب فإنه يأخذه منك ولا يكلمك ويدخل ويخليك فقف مكانك خمسة أيام أخرى ولا تضجر وفى اليوم السادس انتظره فإنه يخرج إليك فإن خرج إليك بنفسه فاعلم أن حاجتك تقضى وإن خرج إليك أحد من غلمانه فاعلم أن الذى خرج إليك يريد قتلك والسلام واعلم يا ولدى أن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

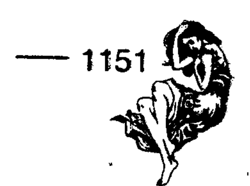
***

الليلة (٧٦٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ عبد القدوس لما أعطى حسنًا الكتاب أعلمه بما يحصل وقال له إن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه فإن كنت تخاف على نفسك فلا تلقى بها إلى الهلاك وإن كنت لا تخاف فدونك وما تريد فقد بينت لك الأمور وإن شئت الرواح لصواحبك فهذا الفيل حاضراً فإنه يسير بك إلى بنات أخى وهن يوصلنك إلى بلادك ويرددنك إلى وطنك ويرزقك الله خيراً من هذه البنت التى تعلقت بها قال حسن للشيخ وكيف تطيب لى الحياة من غير أن أبلغ مرادى والله إنى لا أرجع أبداً حتى أبلغ مرادى من حبيبتى أو تدركنى منيتى فلما سمع الشيخ عبد القدوس كلامه علم أنه لا يرجع عن مراده وأن الكلام لا يؤثر فيه وتيقن أنه لابد أن يخاطر بنفسه ولو تلفت مهجته فقال اعلم يا ولدى أن جزائر ولق الواق سبع جزائر فيها عسكر عظيم وذلك العسكر كله بنات أبكار وسكان الجزائر الجوانية شياطين ومردة وسحرة وأرهاط مختلفة وكل من دخل أرضهم لا يرجع فاسمع منى يا ولدى ولعل الله يعوضك خيراً منها فقال والله يا سيدى لو قطعت فى هواها إربًا إربًا ما ازددت إلا حبًا فقال له الشيخ عبد القدوس حينئذ لابد لك من السفر فقال نعم وإنما أريد منك الدعاء بالإسعاف والإعانة لعل الله يجمع شملى بزوجتى وأولادى عن قريب ثم بكى بكاء شديداً حتى غشى عليه فلما أفاق قال له الشيخ عبد القدوس يا ولدى إن لك والدة فلا تذقها ألم فقدك فقال حسن للشيخ والله يا سيدى ما بقيت أرجع إلا بزوجتى أو تدركنى منيتى ثم بكى وناح وأنشد هذه الأبيات :

وحق الهوى ما غير البعد عهدكم	وما أنا ممن للعهود يخون
وعندى من الأشواق ما لو شرحته	إلى الناس قالوا قد عراه جنون
فوجد وحزن وانتحاب ولوعة	ومن حاله هذا فكيف يكون

فلما فرغ من شعره علم الشيخ أنه لا يرجع عما هو فيه ولو ذهبت روحه فناوله الكتاب ودعا له وأوصاه بالذى يفعله وقال له قد أكدت لك فى الكتاب على أبى الريش بن بلقيس بنت معين فهو شيخى ومعلمى وجميع الإنس والجن يخضعون له ويخافون منه ثم قال له توجه على



بركة الله تعالى فتوجه وأرخى عنان الحصان فطار به أسرع من البرق ولم يزل حسن مسرعًا بالحصان مدة عشرة أيام حتى نظر أمامه شبحًا عظيمًا أسود من الليل قد سد ما بين المشرق والمغرب فلما قرب حسن منه صهل الحصان تحته فاجتمعت خيول كثيرة مثل المطر لا يحصى لها عدد ولا يعرف لها مدد وصارت تتمسح في الحصان فخاف حسن وفزع ولم يزل حسن سائرًا والخيول حوله إلى أن وصل إلى المغارة التي وصفها له الشيخ عبد القدوس فوقف الحصان على بابها فنزل حسن من فوقه ووضع عنانه في سرجه فدخل الحصان المغارة ووقف حسن على الباب كما أمره الشيخ عبد القدوس وصار متفكرًا في عاقبة أمره كيف يكون حيران ولهان لا يعلم الذي يجرى له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٦٦٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما نزل من فوق ظهر الحصان وقف على باب المغارة متفكرًا في عاقبة أمره كيف يكون لا يعلم الذي يجرى له ولم يزل واقفًا على باب المغارة خمسة أيام بلياليها وهو سهران حزنان حيران متفكرًا حيث فارق الأهل والأوطان والأصحاب والخلان باكى العين حزين القلب ثم إنه تذكر والدته وتفكر فيما يجرى له وفي فراق زوجته وأولاده والشيخ أبو الريش قد خرج له وهو أسود وعليه لباس أسود فلما نظره حسن عرفه بالصفات التي أخبره بها الشيخ عبد القدوس فرمى نفسه عليه ومرغ خديه على قدميه وأمسك ذيله وحطه على رأسه وبكى قدامه فقال الشيخ أبو الريش ما حاجتك يا ولدى فمد يده بالكتاب وناوله للشيخ أبي الريش فأخذه منه ودخل المغارة ولم يرد عليه جوابًا فقعد حسن في موضعه على الباب مثل ما قال له الشيخ عبد القدوس وهو يبكى ومازال قاعدًا مكانه مدة خمسة أيام وقد ازداد به القلق واشتد به الخوف ولازمه الأرق فصار يبكى ويتضجر من ألم البعاد وكثرة السهاد ولم يزل حسن يبكى إلى أن لاح الفجر وإذا بالشيخ أبو الريش قد خرج إليه وهو لابس لباسًا أبيض وأومأ إليه بيده أن يدخل فدخل حسن فأخذه الشيخ من يده ودخل به المغارة ففرح وأيقن أن حاجته قد قضيت ولم يزل الشيخ سائرًا وحسن معه مقدار نصف نهار ثم وصلا إلى

باب مقنطر عليه باب من البولاد ففتح الباب ودخل هو وحسن فى دهليز معقود بحجارة من الجزع المنقوش بالذهب ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى قاعة كبيرة مرخمة واسعة فى وسطها بستان فيه من سائر الأشجار والأزهار والأثمار والأطيار على الأشجار تناغى وتسبح الملك القهار وفى القاعة أربعة لواوين يقابل بعضها بعضًا وفى كل ليوان مجلس فيه فسقية وعلى كل ركن من أركان كل فسقية صورة سبع من الذهب وفى كل مجلس كرسى وعليه شخص جالس وبين يديه كتب كثيرة جدًا وبين أيديهم مجامر من ذهب فيها نار وبخور وكل شيخ منهم بين يديه طلبته يقرؤن عليه الكتب فلما دخلا عليهم قاموا إليهما وعظموهما فأقبل عليهم وأشار لهم أن يصرفوا الحاضرين فصرفوهم وقام أربعة مشايخ وجلسوا بين يدى الشيخ أبى الريش وسألوه عن حال حسن فعند ذلك أشار الشيخ أبو الريش إلى حسن وقال له حدث الجماعة بحديثك وبجميع ما جرى لك من أول الأمر إلى آخره فعند ذلك بكى حسن بكاء شديدًا وحدثهم بحديثه وبجميع ما قاساه من الأهوال والشدائد فتعجب الحاضرون مما جرى له ثم أقبلوا على الشيخ أبى الريش وقالوا له يا شيخ الشيوخ والله إن هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٦٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما حكى للمشايخ قصته قالوا للشيخ أبى الريش هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده فقال لهم الشيخ أبو الريش يا إخوانى إن هذا أمر عظيم خطر وما رأيت أحدًا يكره الحياة غير هذا الشاب وأنتم تعرفون أن جزائر واق الواق صعبة الوصول ما وصل إليها أحد إلا خاطر بنفسه فقالوا يا شيخ الشيوخ إن هذا الرجل أتلفه الغرام وقد خاطر بنفسه وحضر إليك بكتاب أخيك الشيخ عبد القدوس فحينئذ يجب عليك مساعدته فقام حسن وقبل قدم أبى الريش ورفع ذيله ووضعه على رأسه وبكى وقال له سألتك بالله أن تجمع بينى وبين أولادى وزوجتى ولو كان فى ذلك ذهاب روحى



ومهجتى فبكى الحاضرون لبكائه وقالوا للشيخ أبى الريش اغتنم أجر هذا المسكين وافعل معه جميل لأجل أخيك الشيخ عبد القدوس فقال إن هذا الشاب مسكين ما يعرف الذى هو قادم عليه ولكن نساعده على قدر الطاقة ففرح حسن لما سمع كلامه وقبل يديه وقبل أيادى الحاضرين واحداً بعد واحد وسألهم المساعدة فعند ذلك أخذ أبو الريش ورقة ودواة وكتب كتابًا وختمه وأعطاه لحسن ودفع له خريطة من الأدم فيها بخور وآلات نار من زناد وغيره وقال له احتفظ على هذه الخريطة ومتى وقعت فى شدة فبخر بقليل منه واذكرنى فإنى أحضر عندك وأخلصك منها ثم أمر بعض الحاضرين أن يحضر له عفريتًا من الجن الطيارة فى ذلك الوقت فحضر فقال له الشيخ ما اسمك قال عبدك دهنش بن فقطش فقال له أبو الريش ادن منى فدنا منه فوضع الشيخ أبو الريش فاه على أذن العفريت وقال له كلامًا فحرك العفريت رأسه ثم قال الشيخ لحسن يا ولدى قم اركب على كتف هذا العفريت دهنش الطيار فإذا رفعك إلى السماء وسمعت تسبيح الملائكة فى الجو فلا تسبح فتهلك أنت وهو فقال حسن لا أتكلم أبدًا قال فحمله العفريت على عاتقه وارتفع به إلى عنان السماء ومشى به يومًا وليلة حتى سمع تسبيح الملائكة فى السماء فلما كان الصبح وضعه فى أرض بيضاء مثل الكافور وتركه وانصرف فلما أدرك حسن أنه على الأرض ولم يكن عنده أحد سار فى الليل والنهار مدة عشرة أيام إلى أن وصل إلى باب المدينة فدخلها وسأل عن الملك فدلوه عليه وقالوا اسمه الملك حسون ملك أرض الكافور وعنده من العسكر والجنود ما يملأ الأرض فى طولها والعرض فاستأذن حسن فأذن له فلما دخل عليه وجده ملكًا عظيمًا فقبل الأرض بين يديه فقال له الملك ما حاجتك فقبل حسن الكتاب وناوله إياه فأخذه وقرأه ثم حرك رأسه ساعة ثم قال لبعض خواصه خذ هذا الشاب وأنزله فى دار الضيافة فأخذه وسار حتى أنزله هناك فأقام بها مدة ثلاثة أيام فى أكل وشرب وفى اليوم الرابع أخذه الغلام وأحضره بين يدى الملك فقال له يا حسن أنت قد حضرت عندى تريد أن تدخل جزائر واق الواق كما ذكر لنا شيخ الشيوخ يا ولدى أنا أرسلك فى هذه الأيام ولكن يا ولدى لأجل شيخ الشيوخ أبى الريش بن بلقيس بن معن ما أقدر أن أردك إليه إلا مقضى الحاجة وعن قريب تأتى إلينا مراكب من جزائر واق الواق وما بقى لها إلا القليل فإذا حضرت واحدة منها أنزلتك فيها وأوصى البحرية عليك ليحفظوك ويرسلوك إلى جزائر واق

الواق وإذا رست المركب على جزائر واق الواق وقال لك الريس اطلع البر فاطلع ترى دككا كثيرة فى جميع جهات البر فاختر لك دكة واقعد تحتها ولا تتحرك فإذا جن الليل ورأيت عسكر النساء قد أحاط بالبضائع فمد يدك وامسك صاحبة هذه الدكة التى أنت تحتها واستجربها واعلم يا ولدى إذا جارتك قضيت حاجتك فتصل إلى زوجتك وأولادك وإن لم تجرك فاحزن على نفسك وايأس من الحياة وتيقن هلاك نفسك وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٦٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما قال له الملك حسون هذا الكلام وأوصاه بالذى ذكرناه وقال له إنا لا أقدر لك على شىء غير هذا قال بعد ذلك واعلم أنه لولا حصلت لك عناية من رب السماء ما وصلت إلى هنا فلما سمع حسن كلام الملك حسون بكى حتى غشى عليه فلما أفاق أنشد هذين البيتين :

لابد من مدة محتومة	فإذا انقضت أيامها مت
وصارعتنى الأسد فى غاباتها	لقهرتها مادام لـى وقت

فلما فرغ حسن من شعره قبل الأرض بين يدى الملك وقال له أيها الملك العظيم وكم بقى من الأيام حتى تأتى المراكب قال مدة شهر ويمكثون هنا لبيع ما فيها مدة شهرين ثم يرجعون إلى بلادهم فلا ترتج سفرك فيها إلا بعد ستة أشهر كاملة ثم إن الملك أمر حسنًا أن يذهب إلى دار الضيافة فأقام فى دار الضيافة شهر أو بعد الشهر حضرت المراكب فخرج الملك والتجار وأخذ حسنًا معه إلى المراكب فرأى مركبا فيها خلق كثير مثل الحصى ما يعلم عددهم إلا الذى خلقهم وتلك المركب فى وسط البحر ولها زوارق صغار تنقل ما فيها من البضائع إلى البر فأقام حسن عندهم حتى نزع أهلها البضائع منها إلى البحر وباعوا واشتروا وما بقى للسفر إلا ثلاثة أيام فأحضر حسنًا بين يديه وجهز له ما يحتاج إليه وأنعم عليه إنعامًا عظيمًا ثم بعد ذلك استدعى رئيس المركب وقال له خذ هذا الشاب معك فى المركب ولا تعلم به أحدًا وأوصله إلى



جزائر واق الواق واتركه هناك ثم سلمه للريس فأخذه وحطه فى صندوق وأنزله فى قارب ولم يطلعه فى المركب إلا والناس مشغولون فى نقل البضائع وبعد ذلك سافرت المركب ولم تزل مسافرة مدة عشرة أيام فلما كان اليوم الحادى عشر وصلوا إلى البر فطلعه الريس من المركب فلما طلع من المركب إلى البر رأى دككا لا يعلم عددها إلا الله فمشى حتى وصل إلى دكة ليس لها نظير واختفى تحتها فلما رأت النساء البضائع اشتغلن بها ثم بعد ذلك جلسن لأجل الاستراحة فجلست واحدة منهن على الدكة التى تحتها حسن فأخذ حسن طرف زيلها وحطه فوق رأسه ورمى نفسه عليها وصار يقبل يديها وقدميها وهو يبكى فقالت له يا هذا قم واقفًا قبل أن يراك أحد فيقتلك فعند ذلك خرج حسن من تحت الدكة ونهض قائمًا على قدميه وقبل يديها وقال لها يا سيدتى أنا فى جيرتك ثم بكى فعند ذلك قالت لحسن يا ولدى طب نفسا وقر عينا وطيب قلبك وخاطرك وارجع إلى مكانك واختف تحت الدكة كما كنت أولا إلى الليلة الآتية يفعل الله ما يريد ثم ودعته ودخل حسن تحت الدكة كما كان ثم إن العساكر بتن يوقدون الشموع الممزوجة بالعود والند والعنبر الخام إلى الصباح فلما طلع النهار ورجعت المراكب إلى البر واشتغل التجار بنقل البضائع والأمتعة إلى أن أقبل الليل وحسن مختف تحت الدكة باكى العين حزين القلب ولم يعلم بالذى قدر له فى الغيب فبينما هو كذلك إذ أقبلت عليه المرأة التاجرة التى كان استجار بها وناولته زردية وسيفا وحياصة مذهبًا ورمحا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٦٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما أخذ السلاح الذى أعطته إياها الصبية التى استجار بها وقالت له اجلس تحت الدكة ولا تخلى أحدًا يفهم حالك وتقلد به ثم جلس فوق الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله تعالى وصار يطلب من الله الستر فبينما هو جالس إذ أقبلت المشاعل والفوانيس والشموع وأقبلت عساكر النساء فقام حسن واختلط بالعسكر وصار كواحدة منهن فلما قرب طلوع الفجر توجهت العساكر وحسن معهن حتى وصلن إلى خيامهن ودخلت

ل واحدة خيمتها فدخل حسن خيمة واحدة منهن وإذا هى خيمة صاحبته التى كان استجار
ها فلما دخلت خيمتها ألقت سلاحها وقلعت الزردية والنقاب وألقى حسن سلاحه ونظر إلى
صاحبته فوجدها زرقاء العينين كبيرة الأنف وهى بذات معطاء كحية رقطاء فلما نظرت العجوز
ى حسن تعجبت وقالت له كيف وصلت إلى هذه الجهات وفى أى المراكب حضرت وكيف
سلمت وصارت تسأله عن حاله وتتعجب من وصوله فعند ذلك وقع حسن على أقدامها ومرغ
جهه على رجليها وبكى حتى غشى عليه فلما أفاق أنشد هذه الأبيات :

متى الأيام تسمح بالتلاقى	وتجمع شملنا بعد الفراق
واحظى بالذى أرضاه منهم	عتابًا ينقضى والود باقى
لو أن النيل يجرى مثل دمعى	لما خلى على الدنيا شراقى
وفاض على الحجاز وأرض مصر	كذاك الشام مع أرض العراق
وذاك لأجل صدك يا حبيبى	ترفق بى وواعد بالتلاقى

فلما فرغ من شعره أخذ ذيل العجوز ووضعه فوق رأسه وصار يبكى ويستجير بها فلما رأت العجوز احتراقه ولوعته وكربته حن قلبها إليه وأجارته وقالت له لا تخف أبدا ثم سألته عن حاله فحكى لها جميع ما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى فتعجبت العجوز من حكايته وقالت له طيب قلبك وطيب خاطرك ما بقى عليك خوف وقد وصلت إلى مطلوبك وقضاء حاجتك إن شاء الله تعالى ففرح حسن بذلك فرحًا شديدًا ثم إن العجوز أرسلت إلى قواد العسكر أن يحضروا وكان ذلك فى آخر يوم من الشهر فلما حضروا بين يديها قالت لهم اخرجوا ونادوا فى جميع العسكر أن يخرجوا فى غد بكرة النهار ولا يتخلف أحد منهم فإن تخلف أحد راحت روحه فخرج العسكر جميعه من أماكنه ولم تخرج العجوز معهم فلما سار العسكر وخلت منه الأماكن قالت شواهى لحسن ادن منى يا ولدى فدنا منها ووقف بين يديها فأقبلت عليه وقالت له ما السبب فى مخاطرتك بنفسك ودخولك إلى هذه البلاد وكيف رضيت نفسك بالهلاك فأخبرنى بالصحيح فحكى لها قصته من أولها إلى آخرها فلما سمعت العجوز كلامه حركت رأسها وقالت سبحان الله الذى سلمك وأوصلك إلى هنا وأوقعك عندى ولو كنت وقعت عند غيرى كانت روحك راحت ولم تقض لك حاجة ولكن صدق نيتك ومحبتك وفرط شوقك إلى



زوجتك وأولادك هو الذى أوصلك إلى حصول بغيتك ولكن اعلم يا ولدى أن زوجتك فى الجزيرة السابعة من جزائر واق الواق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة أشهر ليلاً ونهاراً فإننا نسير من هنا حتى نصل إلى أرض يقال لها أرض الطيور ومن شدة صياح الطيور وخفقان أجنحتها لا يسمع بعضنا كلام بعض وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٦٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لحسن إن زوجتك فى الجزيرة السابعة من جزائر واق الواق ومسافة ما بيننا وبينها سنة كاملة للراكب المجد فى السير وعلى شاطئ هذا النهر جبل آخر يسمى جبل واق وهذا الاسم علم على شجرة أغصانها أشبه رؤوس بنى آدم فإذا طلعت الشمس عليها تصيح تلك الرؤوس جميعًا وتقول فى صياحها واق واق سبحان الملك الخلاق فإذا سمعنا صياحها نعلم أن الشمس قد طلعت وكذلك إذا غربت الشمس تصيح تلك الرؤوس وتقول فى صياحها أيضا واق واق سبحان الملك الخلاق فنعلم أن الشمس غربت ولا يقدر أحد من الرجال أن يقيم عندنا ولا يصل إلينا ولا يطأ أرضنا وبيننا وبين الملكة التى تحكم على هذه الأرض مسافة شهر فإن كنت تخاف أرسلت معك من يوصلك إلى الساحل وأجىء بالذى يحملك معه فى مركب ويوصلك إلى بلادك وإن كان يطيب على قلبك الإقامة معنا فلا أمنعك وأنت عندى فى عينى حتى تقضى حاجتك إن شاء الله تعالى فقال حسن يا سيدتى ما بقيت أفارقك حتى أجتمع بزوجتى أو تذهب روحى فقالت هذا أمر يسير فدعا لها حسن وقبل يديها ورأسها وشكرها على فعلها وفرط مروءتها وسار معها وهو يتفكر فى عاقبة أمره وأهوال غربته فصار يبكى وينتحب وجعل ينشد هذه الأبيات :

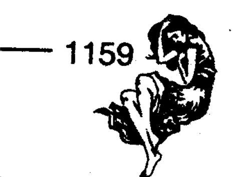
من مكان الحبيب هب نسيم ... فترانى من فرط وجدى أهيم
ووداع الحبيب صعب شديد ... وفراق الأنيس خطب جسيم
يا وحيد الجمال عشقى وحيد ... يا عديم المنال قلبى عديم
كل من يدعى المحبة فيكم ... ويهاب الملام فهو ملوم

ثم إن العجوز أمرت بدق طبل الرحيل وسار العسكر ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى جزيرة من الجزائر السبعة وهى جزيرة الطيور فلما دخلوها ظن حسن أن الدنيا قد انقلبت من شدة الصياح وأوجعته رأسه وطاش عقله وعمى بصره وانسدت أذناه وخاف خوفًا شديدًا وأيقن بالموت فلما رأته العجوز المسماة بشواهى على هذه الحالة ضحكت عليه وقالت له يا ولدى إذا كان هذا حالك من أول جزيرة فكيف بك إذا وصلت إلى بقية الجزائر فسأل الله وتضرع إليه وطلب منه أن يعينه على ما بلاه وأن يبلغه مناه ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا أرض الطيور وخرجوا منها ودخلوا فى أرض الجان فلما رآها حسن خاف وندم على دخوله فيها معهم ثم استعاذ بالله تعالى وسار معهم فعند ذلك خلصوا من أرض الجان ووصلوا إلى النهر فنزلوا تحت جبل عظيم شاهق ونصبوا خيامهم على شاطىء النهر ووضعت العجوز لحسن دكة من المرمر مرصعة بالدر والجوهر وسبائك الذهب الأحمر فى جنب النهر فجلس عليها وتقدمت العساكر فعرضتهم عليه ثم بعد ذلك نصبوا خيامهم حوله واستراحوا ساعة ثم أكلوا وشربوا وناموا مطمئنين لأنهم وصلوا إلى بلادهم وكان حسن واضعًا على وجهه لثامًا بحيث لا يظهر منه غير عينيه وإذا بجماعة من البنات مشين إلى قرب النهر ثم قلعن ثيابهن ونزلن فى النهر فصار حسن ينظر إليهن وهن يغتسلن فلما خلصن طلعن من النهر وهن متجردات كالقمر ليلة البدر وقد اجتمع جميع العسكر قدام حسن لأن العجوز أمرت أن ينادى فى جميع العسكر أن يجتمعن قدام خيمته ويتجردن من ثيابهن وينزلن فى النهر ويغتسلن فيه لعل أن تكون فيهن فيعرفها وصارت العجوز تسأله عنهن طائفة بعد طائفة فيقول ما هى فى هؤلاء يا سيدتى . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٦٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز كانت تسأل حسن عن البنات طائفة بعد طائفة لعله يعرف زوجته بينهن وكلما سألته عن طائفة يقول ما هى فى هؤلاء يا سيدتى ثم بعد ذلك



تقدمت جارية فى آخر الناس وفى خدمتها ثلاثون خادمة كلهن نهد أبكار فنزعن ثيابهن ونزلن معها فى النهر صارت تتدلل عليهن وترميهن فى البحر وتغطسهن ولم تزل معهن على هذا الحال ساعة زمانية ثم طلعن من النهر هى وجواريها فلما رآها حسن طار قلبه وقال هذه أشبه الناس بالطيرة التى رأيتها فى البحيرة فى قصر أخواتى البنات وكانت تتدلل على أتباعها مثلها فقالت العجوز يا حسن هذه زوجتك فقال لا وحياتك يا سيدتى ما هذه زوجتى ولا مثل قدها واعتدالها وحسنها وجمالها فقالت صفها لى وعرفنى بجميع أوصافها حتى تكون فى ذهنى فإنى أعرف كل بنت فى جزائر واق الواق لأنى نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن وإن وصفتها لى عرفتها وتحيلت فى أخذها فقال لها حسن إن زوجتى صاحبة وجه مليح وقد رجيح أسيلة الخد قائمة النهد دعجاء العينين ضخمة الساقين بيضاء الأسنان حلوة اللسان ظريفة الشمائل كأنها غصن مائل فأطرقت العجوز برأسها إلى الأرض ساعة من الزمان ثم رفعت رأسها إلى حسن وقالت سبحان الله العظيم الشأن أنى بليت بك يا حسن فياليتنى ما كنت عرفتك لأن المرأة التى وصفتها لى هى زوجتك بعينها فإنى قد عرفتها بصفتها وهى بنت الملك الأكبر الكبيرة التى تحكم على جزائر واق الواق بأسرها فافتح عينك ودبر أمرك فإنه لا يمكنك الوصول إليها أبداً وإن وصلت إليها لا تقدر على تحصيلها لأن بينك وبينها مثل ما بين السماء والأرض فارجع يا ولدى من قريب ولا ترم نفسك فى الهلاك وترمينى معك فإنى أظن أنه ليس لك فيها نصيب وارجع من حيث أتيت لئلا تروح أرواحنا وخافت على نفسها وعليه فلما سمع حسن كلام العجوز بكى بكاء شديدا حتى غشى عليه فمازالت العجوز ترش على وجهه الماء حتى أفاق من غشيته وصار يبكى حتى بل ثيابه بالدموع من عظم ما لحقه من الهم والغم من كلام العجوز وقد يئس من الحياة ثم قال للعجوز يا سيدتى وكيف أرجع بعد أن وصلت إلى هنا وما كنت أظن فى نفسى أنك تعجزين عن تحصيل غرضى خصوصا وأنت نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن قالت بالله يا ولدى أن تختار لك بنتا من هؤلاء البنات وأنا أعطيك إياها عوضًا عن زوجتك لئلا تقع فى يد الملوك فلا يبقى لى فى خلاصك حيلة فبالله عليك أن تسمع منى وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير تلك البنت وترجع إلى بلادك من قريب سالما ولا

تجرعنى غصتك والله لقد رميت نفسك فى بلاء عظيم وخطر جسيم لا يقدر أحد أن يخلصك منه فعند ذلك أطرق حسن رأسه وبكى وأنشد هذه الأبيات :

فقلت لعذالى لا تعذلونى ... لغير الدمع ما خلقت جفونى
مدامع مقلتى طفحت ففاضت ... على خدى وأحبابى جفونى
دعونى فى الهوى قد رق جسمى ... لأنى فى الهوى أهوى جنونى
ويا أحباب قد زاد اشتياقى ... إليكم ما لكم لا ترحمونى
جفوتم بعد ميثاق وعهدى ... وخنتم صحبتى وتركتمونى
ويوم البين لما قد رحلتم سقيت ... من الصدود شراب هون
فيا قلبى عليهم ذب غراما ... وجودى بالدمع يا عيونى

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٦٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت لحسن بالله عليك يا ولدى أن تسمع كلامى وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير زوجتك وترجع إلى بلادك من قريب سالمًا فلما سمع كلامها بكى ومرغ خديه على أقدامها وقال يا سيدتى ومولاتى وقرة عينى كيف أرجع بعد ما وصلت إلى هذا المكان ولم أنظر من أريد وقد قربت من دار الحبيب وترجيت اللقاء عن قريب لعله أن يكون لى فى الاجتماع نصيب ثم إنشد هذه الأبيات :

يا ملوك الجمال رفقًا بأسرى ... لجفون تملكت ملك كسرى
قد غلبتم روائح المسك طيبًا ... وبهرتم محاسن الورد زهرًا
ونسيم النعيم حيث حللتم ... فالصبا من هناك تعبق نشرا
عاذلى كف عن ملامى ونصحى ... إنما جئت بالتصيحة نكرا
ما على صبوتى من العذل واللوم ... إذا لم تحط بذلك خبرا
أسرتنى العيون وهى مراض ... ورمتنى فى الحب عنفا وقهرا



انثرا الدمع حين أنظم شعرى   هاك منى الحديث نظما ونثرا
حمرة الخد قد أذابت فؤادى   فتلظت منى الجوارح جمرا
خبرانى متى تركت حديثى   فبأى الحديث أشرح صدرا
طول عمرى أهوى الحسان   ولكن يحدث الله بعد ذلك أمرا

فلما فرغ حسن من شعره رقت له العجوز وأقبلت عليه وطيبت خاطره وقالت له طب نفسا وقر عينا واخل فكرك من الهم والله لأخاطرن معك بروحي حتى تبلغ مقصودك أو تدركنى منيتى فطاب قلب حسن وانشرح صدره وجلس يتحدث مع العجوز إلى آخر النهار فلما أقبل الليل تفرقت البنات كلهن فمنهن من دخلت قصرها فى البلد ومنهن من باتت فى الخيام ثم إن العجوز أخذت حسنا معها ودخلت به إلى البلد فأخلت له مكانًا وحده لئلا يطلع عليه أحد فيعلم الملكة به فتقتله وتقتل من أتى به ثم صارت تخدمه بنفسها وتخوفه من الملك الأكبر أبا زوجته وهو يبكى بين يديها ويقول يا سيدتى قد اخترت الموت لنفسى وكرهت الدنيا إن لم أجتمع بزوجتى وأولادى فأنا أخاطر بروحى إما أن أبلغ مرادى وإما أن أموت ثم إن العجوز لما رأت حسنا محترقًا على الاجتماع بزوجته وأولاده قامت وتوجهت إلى قصر الملكة نور الهدى فدخلت عليها وقبلت الأرض بين يديها فلما دخلت العجوزة على الملكة نور الهدى قامت لها وعانقتها وأجلستها جنبها وسألتها عن سفرتها فقالت لها والله يا سيدتى إنها كانت سفرة مباركة وقد استصحبت لك معى هدية سأحضرها بين يديك ثم قالت لها يا بنتى يا ملكة العصر والزمان إنى أتيت معى بشىء عجيب وأريد أن أطلعك غليه لأجل أن تساعدينى على قضاء حاجته فقالت لها وما هو فأخبرتها بحكاية حسن من أولها إلى آخرها وهى ترتعد كالقصبة فى يوم الريح العاصف حتى وقعت بين يدى بنت الملك وقالت لها يا سيدتى قد استجار بى شخص على الساحل كان مختفيًا تحت الدكة فأجرته وأتيت به معى بين عسكر البنات وهو حامل السلاح بحيث لا يعرفه أحد وأدخلته البلد ثم قالت لها وقد خوفته من سطوتك وعرفته بأسك وقوتك وكلما أخوفه يبكى وينشد الأشعار ويقول لابد لى من رؤية زوجتى وأولادى أو أموت ولا أرجع إلى بلادى من غيرهم وقد خاطر بنفسه وجاء إلى جزائر واق

الواق ولم أر عـ... ى آدميًا أقوى قلبًا منه ولا أشـد بأسًا منه لأن الهوى قـد تمكن منه غـاية التمكن . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٧٧٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما حكت للملكة نور الهدى حكاية حسن قالت لها وما رأيت أقوى قلبًا منه لأن الهوى قد تمكن منه غاية التمكن فلما سمعت الملكة كلامها وفهمت قصة حسن غضبت غضبًا شديدًا وأطرقت برأسها إلى الأرض ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت إلى العجوز وقالت لها يا عجوز النحس هل بلغ من خبثك أنك تحملين الذكور وتأتين بهم معك إلى جزائر واق الواق وتدخلين بهم على ولا تخافى من سطوتى ولكن اخرجى وأحضريه فى هذه الساعة حتى أنظره فخرجت العجوز من بين يديها وهى مدهوشة لا تدرى أين تذهب وتقول كل هذه المصيبة ساقها الله لى من هذه الملكة على يد حسن ومضت إلى أن دخلت على حسن فقالت له قم كلم الملكة يا من آخر عمره قد دنا فقام معها ولسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى ويقول اللهم الطف بى فى قضائك وخلصنى من بلائك فسارت بى حتى أوقفتنى بين يدى الملكة نور الهدى وأوصته العجوز فى الطريق بما يتكلم به معها فلما تمثل بين يدى نور الهدى رآها ضاربة لثامًا فقبل الأرض بين يديها وسلم عليها وأنشد هذين البيتين :

أدام الله عزك فى سرور ... وخولك الإله بما حباك
وزادك ربنا عزا ومجدا ... وأيدك القدير على عداك

فلما فرغ من شعره أشارت الملكة إلى العجوزة أن تخاطبه قدامها لتسمع مجاوبته فقالت العجوزة إن الملكة ترد عليك السلام وتقول لك ما اسمك ومن أى البلاد أتيت وما اسم زوجتك وأولادك الذين جئت من أجلهم وما اسم بلادك فقال لها وقد ثبت جنانه وساعدته المقادير يا ملكة العصر والأوان ووحيدة الدهر والزمان أما أنا فاسمى حسن الكثير الحزن وبلدى البصرة وأما زوجتى فلا أعرف لها اسما وأما اسم أولادى فواحد اسمه ناصر والآخر منصور فلما سمعت



الملكة كلامه وحديثه قالت فمن أين أخذت أولادها فقال لها يا ملكة من مدينة بغداد من قصر الخلافة فقالت وهل قالت لكم شيئًا عندما طارت قال إنها قالت لوالدتى إذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب منى والتلاق وهزته رياح المحبة والاشتياق فليجئنى إلى جزائر واق الواق فحركت الملكة نور الهدى رأسها ثم قالت له إنها لو كانت ما تريدك ما قالت لأمك هذا الكلام وتشتهى قربك ما كانت أعلمتك بمكانها ولا طلبتك إلى بلادها فقال حسن يا سيدة الملوك والحاكمة على كل ملك وصعلوك أن الذى جرى أخبرتك به ولا أخفيت منه شيئًا وأنا أستجير بالله وبك أن لا تظلمينى فارحمينى واربحى أجرى وثوابى وساعدينى على الاجتماع بزوجتى وأولادى وردى لهفتى وقرى عينى بأولادى واسعفينى برؤيتهم ثم بكى وحن واشتكى فأطرقت الملكة نور الهدى رأسها إلى الأرض وحركتها زمانًا طويلاً ثم رفعتها وقالت له قد رحمتك ورثيت لك وقد عزمت على أن أعرض عليك كل بنت فى المدينة وفى بلادى وجزيرتى فإن عرفت زوجتك سلمتها إليك وإن لم تعرفها قتلتك وصلبتك على باب العجوز فعند ذلك أمرت الملكة نور الهدى أن لا تبقى بنت فى المدينة إلا تطلع القصر وتمر أمامه ثم إن الملكة أمرت العجوز شواهى أن تنزل بنفسها إلى المدينة وتحضر كل بنت كانت فى المدينة إلى الملكة فى قصرها وصارت الملكة تدخل البنات على حسن مائة بعد مائة حتى لم يبق فى المدينة بنتًا إلا وعرضتها على حسن فلم ير زوجته فيهن فسألته الملكة وقالت له هل رأيتها فى هؤلاء فقال لها وحياتك يا ملكة ما هى فيهن فاشتد غضب الملكة عليه وقالت للعجوز ادخلى وأخرجى كل من فى القصر وأعرضيه عليه فلما عرضت عليه كل من فى القصر ولم ير زوجته فيهن قال للملكة وحياة رأسك يا ملكة ما هى فيهن فغضبت وصرخت على من حولها وقالت خذوه واسحبوه على وجهه فوق الأرض واضربوا عنقه لئلا يخطر بنفسه أحد بعده ويطلع على حالنا ويجوز علينا فى بلادنا ويطأ أرضنا وجزائرنا فسحبوه على وجهه ورفعوا ذيله فوقه وغمضوا عينيه ووقفوا بالسيوف على رأسه ينتظرون الإذن وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٧١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت غلمانها بأخذ حسن وضرب عنقه صارت العجوز تتعطف بخاطرها وتقول لها إنه دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب علينا إكرامه خصوصًا وقد وعدته بالاجتماع بك وأنت تعرفين أن الفراق صعب وتعرفين أن الفراق قتال خصوصاً فراق الأولاد وما بقى علينا من النساء واحدة إلا أنت فأريه وجهك فتبسمت الملكة وقالت من أين له أن يكون زوجي وخلف منى أولادًا حتى أريه وجهى ثم أمرت بحضوره فأدخلوه عليها وأوقفوه بين يديها فكشفت عن وجهها فلما رآها حسن صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيًا عليه فلم تزل العجوز تلاطفه حتى أفاق من غشيته وأنشد هذه الأبيات :

يا نسيما هب من أرض العراق	فى زوايا أرض من قد قال واق
بلغ الأحباب عنى أننى	مت من طعم الهوى مر المذاق
يا أهيل الحب منوا واعطفوا	ذاب قلبى من تباريح الفراق

فلما فرغ من شعره قام ونظر الملكة وصاح صيحة عظيمة كاد منها القصر أن يسقط على من فيه ثم وقع مغشيًا عليه فمازالت العجوز تلاطفه حتى أفاق وسألته عن حاله فقال إن هذه الملكة إما زوجتى وإما أشبه الناس بزوجتى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٧٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما سألته عن حاله قال لها إن هذه الملكة إما زوجتى وإما أشبه الناس بزوجتى فقالت الملكة للعجوز ويلك يا داية إن هذا الغريب مجنون أو مختل لأنه ينظر إلى وجهى ويحملق إلى فقالت لها العجوز يا ملكة إن هذا معذور فلا تؤاخذيه فإنه قيل فى المثل مريض الهوى ما له دواء وهو والمجنون سواء ثم إن حسن بكى بكاء شديد وأنشد هذين البيتين :

أرى آثارهم فأذوب شوقًا	وأسكب فى مواطنهم دموعى
وأسأل من بفرقتهم بلانى	يمن على منهم بالرجوع



ثم إن حسناً قال للملكة والله ما أنت زوجتى ولكنك أشبه الناس بها فضحكت الملكة نور الهدى حتى استلقت على قفاها ومالت على جنبها ثم قالت يا حبيبى تمهل على روحك وميزنى أى شىء فى زوجتك يشبهنى فقال جميع ما فيك من الحسن والجمال والظرف والدلال كاعتدال قوامك وعذوبة كلامك وحمرة خدودك وبروز نهودك وغير ذلك مما يشبهها ثم إن الملكة التفتت إلى شواهى أم الدواهى وقالت لها يا أمى أرجعيه إلى موضعه الذى كان فيه عندك واخدميه أنت بنفسك حتى أتفحص عن أمره فعند ذلك خرجت العجوز وأخذت حسن ومضت به إلى منزلها وأمرت جواريها وخدامها وحشمها بخدمته وأمرتهم أن يحضروا له جميع ما يحتاج إليه وأن لا يقصروا فى حقه ثم عادت إلى الملكة بسرعة فأمرتها أن تحمل سلاحها وتأخذ معها ألف فارس من الشجعان فامتثلت العجوز شواهى أمرها ولبست درعها وأحضرت ألف فارس ولما وقفت بين يديها وأخبرتها بإحضار الألف فارس أمرتها أن تسير إلى مدينة الملك الأكبر أبيها وتنزل عند بنته منار السنا أختها وتقول لها ألبسى ولديك الدرعين الذين عملتيهما لهما وأرسليهما إلى خالتهما فإنها مشتاقة إليهما وقالت لها أوصيك يا أمى بكتمان أمر حسن فإذا أخذتيهما منها فقولى لها إن أختك تستدعيك إلى زيارتها فإذا أعطتك ولديها وخرجت بهما قاصدة الزيارة فأحضرى بهما سريعاً وخليها تحضر على مهلها وتعالى من طريق غير الطريق التى تجىء هى منها ويكون سفرك ليلاً ونهاراً واحذرى أن يطلع على هذا الأمر أحد أبدا ثم إنى أحلف بجميع الأقسام أن طلعت أختى زوجته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٧٧٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة قالت إنى أحلف بالله وأقسم بجميع الأقسام أنها إن طلعت أختى زوجته لا أمنعه من أخذها بل أساعده على أخذها وعلى سفرها معه إلى بلاده فوثقت العجوز بكلامها ولم تعلم بما أضمرته فى نفسها وقد أضمرت العاهرة فى نفسها أنها إن

لم تكن زوجته ولا أولادها يشبهونه تقتله ثم إن الملكة قالت للعجوز يا أمي إن صدق حذرى تكون زوجته أختى منار السنا والله أعلم فإن هذه الصفات صفاتها وجميع الأوصاف التى ذكرها من الجمال والحسن البارع لا يوجد فى أحد غير أخواتى خصوصًا الصغيرة ثم إن العجوز قبلت يدها ورجعت إلى حسن وأعلمته بما قالته الملكة فطار عقله من الفرح وقام إلى العجوز وقبل رأسها فقالت له يا ولدى لا تقبل رأسى وقبلنى فى فمى واجعل هذه القبلة حلاوة السلامة وطب نفسا وقر عينا ولا يكن صدرك إلا منشرحًا ولا تستكره أن تقبلنى فى فمى فإنى أنا السبب فى اجتماعك بها فطيب قلبك وخاطرك ولا تكن إلا منشرح الصدر قرير العين مطمئن النفس ثم ودعته وانصرفت ثم إن العجوز حملت سلاحها وأخذت معها ألف فارس حاملين السلاح وتوجهت إلى تلك الجزيرة التى فيها أخت الملكة فلما وصلت شواهى إلى المدينة وطلعت إلى أخت الملكة منار السنا سلمت عليها وبلغتها السلام من أختها نور الهدى وأخبرتها باشتياقها إليها وإلى أولادها وعرفتها أن الملكة نور الهدى تعتب عليها بسبب عدم زيارتها إياها فقالت لها الملكة منار السنا إن الحق على لأختى وأنا مقصرة بعدم زيارتى لها ولكن أزورها الآن ثم أمرت بتبريز خيامها إلى خارج المدينة وأخذت لأختها معها ما يصلح لها من الهدايا والتحف ثم إن الملك أباها نظر من طيقان القصر فرأى الخيام منصوبة فسأل عن ذلك فقالوا له إن الملكة منار السنا نصبت خيامها بتلك الطريق لأنها تريد زيارة أختها نور الهدى فلما سمع الملك بذلك جهز لها عسكراً يوصلها إلى أختها وأخرج من خزائنه من الأموال ومن المأكل والمشرب ومن التحف والجواهر ما يعجز عنه الوصف وكانت بنات الملك السبعة أشقاء من أب واحد وأم واحدة إلا الصغيرة وكان اسم الكبيرة نور الهدى والثانية نجم الصباح والثالثة شمس الضحى والرابعة شجرة الدر والخامسة قوت القلوب والسادسة شرف البنات والسابعة منار السنا وهى الصغيرة فيهن وهى زوجة حسن وكانت أختهن من أبيهن فقط ثم إن العجوز تقدمت وقبلت الأرض بين يدى منار السنا فقالت لها منار السنا هل لك حاجة يا أمي؟ فقالت لها إن الملكة نور الهدى أختك تأمرك أن تغيرى لولديك وتلبسيهما الدرعين اللذين فصلتيهما لهما وأن ترسليهما معى إليها فآخذهما وأسبق بهما وأكون المبشرة بقدومك عليها فلما سمعت منار السنا كلام العجوز



أطرقت رأسها إلى الأرض وتغير لونها ولم تزل مطرقة زمانًا طويلاً ثم حركت رأسها ورفعتها إلى العجوز وقالت لها يا أمي قد ارتجف فؤادي وخفق قلبي عندما ذكرت ولدي فإنهما من حين ولادتهما لم ينظرا أحد وجوههما من الجن والبشر لا أنثى ولا ذكر وأنا أغار عليهم من النسيم إذا سرى فقالت العجوز أي شيء هذا الكلام يا سيدتي أتخافين عليهما من أختك . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٧٤)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت للسيدة منار السنا أي شيء هذا الكلام يا سيدتي أتخافين عليهما من أختكِ سلامة عقلك وإن خالفت الملكة في هذا الأمر لا يمكنك المخالفة فإنها تعتب عليك ولم تزل تلح عليها حتى لان جانبها وخافت من غيظ أختها ولم تدر ما هو مخبوء لها في عالم الغيب فسمحت بإرسالهما مع العجوز ثم إنها دعت بهما وأدخلتهما الحمام وهيأتهما وغيرت لهما وألبستهما الدرعين وسلمتهما للعجوز فسارت بهما مثل الطير على غير الطريق التي تسير فيها أمهما إلى أن وصلت بهما إلى مدينة الملكة نور الهدى فعدت بهما البحر ودخلت المدينة وتوجهت بهما إلى الملكة نور الهدى خالتهم فلما رأتهما فرحت بهما ثم التفتت إلى العجوز وقالت لها أحضري الآن حسنًا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت العجوز بإحضار حسن قالت لها إنه قاسى الأهوال والشدائد وتعدى أسباب الموت التي همها متزايد مع أنه إلى الآن لم يسلم من شرب كأسه وقطع أنفاسه وأنا أقسم بخالق السماء وبانيها وساطح الأرض وداحيها وخالق الخلق ومحصيها إن لم يكونوا أولاده لأقتلنه وأنا الذي أضرب عنقه بيدي ثم إنها صرخت على العجوز فوقعت من الخوف وأغرت عليها الحاجب وعشرين مملوكا وقالت لهم امضوا مع هذه العجوز وائتوني بالصبي الذي عندها في بيتها بسرعة فخرجت العجوز مع الحاجب والمماليك

وقد اصفر لونها وارتعدت فرائصها ثم سارت إلى منزلها ودخلت على حسن فلما دخلت عليه قام إليها وقبل يديها وسلم عليها فلم تسلم عليه وقالت له قم كلم هذه الفاجرة العاهرة الظالمة الغاشمة فقام حسن وهو مكسور الخاطر حزين القلب خائف ويقول يا سلام سلم اللهم الطف بى فيما قدرته على فى بلائك واسترنى يا أرحم الراحمين وقد يئس من الحياة وتوجه مع العشرين مملوكا والحاجب والعجوز فدخلوا على الملكة بحسن فوجد ولديه ناصرا ومنصورا جالسين فى حجرها وهى تلاعبهما وتؤانسهما فلما وقع نظره عليهما عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيًا عليه من شدة الفرح بولديه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٧٦)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما وقع نظره على ولديه عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الأرض مغشيًا عليه فلما أفاق عرف ولديه وعرفاه فحركتهما المحبة الغريزية فتخلصا من حجر الملكة ووقفا عند حسن وأنطقهما الله عز وجل بقولهما يا أبانا فبكت العجوز والحاضرون رحمة لهما وشفقة عليهما وقالوا الحمد لله الذى جمع شملكما بأبيكما فلما تحققت الملكة أن الصغار أولاد حسن وأن أختها السيدة منار السنا زوجته التى جاء فى طلبها غضبت غضبًا شديدًا ما عليه من مزيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٧٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما تحققت أن الصغار أولاد حسن وأن أختها منار السنا زوجته التى جاء فى طلبها غضبت عليها غضبًا شديدًا ما عليه من مزيد وصرخت فى وجه حسن فغشى عليه فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات :

بعدتم وأنتم أقرب الناس فى الحشا وغبتم وأنتم فى الفؤاد حضور
فو الله ما مال الفؤاد لغيركم وأنى على جور الزمان صبور



تمر الليالي في هواكم وتنقضي وفي القلب مني زفرة وسعير
وكنت فتى لا أرتضي البعد ساعة فكيف وقد مرت على شهور
أغار إذا هبت عليكم نسيمة وأني على الغيد الملاح غيور

فلما فرغ حسن من شعره خر مغشيًا عليه فلما أفاق رآهم قد أخرجوه مسحوبًا على وجهه فقام يمشي ويتعثر في أذياله وهو لا يصدق بالنجاة مما قاساه منها فعز ذلك على العجوز شواهي ولم تقدر أن تخاطب الملكة في شأنه من قوة غضبها فلما خرج حسن من القصر صار متحيرًا لا يعرف أين يروح ولا يجيء ولا أين يذهب وضاقت عليه الأرض بمارحبت ثم بكى على نفسه حتى غشي عليه فلما أفاق تفكر أولاده وزوجته وقدومها على أختها وتفكر فيما يجري لها مع الملكة أختها ثم ندم على حضوره في هذه الديار وعلى كونه لم يسمع كلام أحد هذا ما كان من أمر حسن (وأما) ما كان من أمر زوجته منار السنا فإنها أرادت الرحيل في اليوم الثاني من اليوم الذي رحلت فيه العجوز فبينما هي عازمة على الرحيل إذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبل الأرض بين يديها وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٧٨)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن منار السنا وهي عازمة على الرحيل إذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبل الأرض بين يديها وقال لها يا ملكة إن أباك الملك الأكبر يسلم عليك ويدعوك إليه فنهضت متوجهة مع الحاجب إلى أبيها تنظر حاجته فلما رآها أبوها أجلسها إلى جانبه فوق السرير وقال لها يا بنتي اعلمي أني رأيت في هذه الليلة رؤيا وأنا خائف عليك منها وخائف أن يصل لك من سفرك هذا هم طويل فقالت له لأي شيء يا أبتي وأي شيء رأيت في المنام قال رأيت كأني دخلت كنز فرأيت فيه أموالا عظيمة وجواهر ويواقيت كثيرة وكأنه لم يعجبني من ذلك الكنز جميعه ولا من تلك الجواهر جميعها إلا سبع حبات وهي أحسن ما فيه فاخترت من السبع جواهر واحدة وهي أصغرها وأحسنها وأعظمها نورا وكأني أخذتها في كفي لما أعجبني حسنها وخرجت بها من الكنز فلما خرجت من بابه فتحت يدي وأنا فرحان وقلبت

الجوهرة وإذا بطائر غريب قد أقبل من بلاد بعيده ليس من طيور بلادنا قد انقض على من السماء وخطف الجوهرة من يدى ورجع بها إلى المكان الذى أتيت بها منه فلحقنى الهم والحزن والضيق وفزعت فزعا عظيما أيقظنى من المنام فانتبهت وأنا حزين متأسف على تلك الجوهرة فلما انتبهت من النوم دعوت بالمعبرين والمفسرين وقصصت عليهم منامى فقالوا إن ذلك سبع بنات تفقد الصغيرة منهن وتؤخذ منك قهرا بغير رضاك وأنت يا بنتى أصغر بناتى وأعزهن عندى وأكرمهن على وها أنت مسافرة إلى أختك ولا أعلم ما يجرى عليك منها فلا تروحى وارجعى إلى قصرك فلما سمعت منار السنا كلام أبيها خفق قلبها وخافت على أولادها وأطرقت برأسها إلى الأرض ساعة ثم رفعتها إلى أبيها وقالت له يا أيها الملك إن الملكة نور الهدى قد هيأت لى ضيافة وهى فى انتظار قدومى عليها ساعة بعد ساعة ولها أربع سنين ما رأتنى وإن قعدت عن زيارتها تغضب على ومعظم قعودى عندها شهر زمان وأحضر عندك ولم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالإذن فى المسير . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٧٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنها لم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالإذن فى المسير ثم إنه أمر ألف فارس أن يسافروا معها ليوصلوها إلى النهر ثم يقيموا مكانهم حتى تصل إلى مدينة أختها وتدخل قصر أختها وأمرهم أن يقيموا عندها حتى يأخذوها ويحضروها إلى أبيها وأوصاها أبوها أن تقعد عند أختها يومين ثم تعود بسرعة فقالت سمعا وطاعة ثم إنها نهضت وخرجت وخرج معها أبوها وودعها وقد أثر كلام أبيها فى قلبها فخافت على ولديها ولا ينفع التحصن بالحذر من هجوم القدر فجدت فى السير ثلاثة أيام بلياليها حتى وصلت إلى النهر وضربت خيامها على ساحله ثم عدت النهر ومعها بعض غلمانها وحاشيتها ووزرائها ولما وصلت إلى مدينة الملكة نور الهدى طلعت القصر ودخلت عليها فرأت ولديها يبكيان عندها ويصيحان يا بابا فجرت الدموع من عيونها وبكت ثم ضمت ولديها إلى صدرها وقالت لهما هل رأيتما أباكما فلا كانت الساعة التى فارقته ولو عرفت أنه فى دار الدنيا لكنت وصلتكما إليه فلما رأتها قد



ضمت ولديها وقالت إنا التى فعلت بنفسى وبأولادى هكذا وأخربت بيتى فلم تسلم عليها أختها نور الهدى بل قالت لها يا عاهرة من أين لك هذين الولدين هل تزوجت بغير علم أبيك أو زنيت فإن كنت زنيت وجب تنكيلك وإن كنت تزوجت من غير علمنا فلأى شيء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرقت بينهم وبين أبيهما وجئت بلادنا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٨٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى قالت لأختها منار السنا وإن كنت تزوجت من غير علمنا فلأى شيء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا وقد أخفيت أولادك عنا أتظنين أننا لا ندرى بذلك والله تعالى علام الغيوب قد أظهر لنا أمرك وكشف حالك وبين عوراتك ثم بعد ذلك أمرت أعوانها أن يمسكوها فقبضوا عليها فكتفتها وقيدتها بالقيود الحديد وضربتها ضربا وجيعا حتى شرحت جسدها وصلبتها من شعرها ووضعتها فى السجن وكتبت كتابا إلى الملك الأكبر أبيها تخبره بخبرها وتقول له إنه ظهر فى بلادنا رجل من الإنس وأختى منار السنا تدعى أنها تزوجته فى الحلال وجاءت منه بولدين وقد أخفتهما عنا وعنك ولم تظهر عن نفسها شيئًا إلى أن أتانا ذلك الرجل الذى من الإنس وهو يسمى حسنًا وأخبرنا أنه تزوج بها وقعدت عنده مدة طويلة من الزمان فأرسلت إلى الرجل الذى ادعى أنها زوجته فلما دخل على ورأى الأولاد عرفهم فتحققت أن الأولاد أولاده وأنها زوجته وعلمت أن كلام الرجل صحيح وليس عنده عيب ورأيت أن القبح والعيب عند أختى وقد أعلمتك بخبرها والأمر أمرك فالذى تأمرنا به نفعله ثم أعطت المكتوب للرسول فسار به إلى الملك فلما قرأه الملك الأعظم اغتاظ غيظًا شديدًا على ابنته منار السنا وكتب إلى ابنته نور الهدى مكتوبًا يقول لها فيه إن كان الأمر كما ذكرت فاقتليها ولا تشاورينى فى أمرها فلما وصل إليها كتاب أبيها وقرأته وأرسلت إلى منارالسنا وأحضرتها بين يديها وهى غريقة فى دمها مكتفة

بشعرها مقيدة بقيد ثقيل من جديد وعليها اللباس الشعر ثم أوقفوها بين يدى الملكة فوقفت حقيرة ذليلة فلما رأت نفسها فى هذه المذلة العظيمة والهوان الشديد تفكرت ما كانت فيه من العز وبكت بكاء شديدا وأنشدت هذين البيتين :

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٨١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت بإحضار أختها الملكة منار السنا أوقفوها بين يديها وهى مكتفة فأنشدت الأشعار السابقة ثم إن أختها أحضرت لها سلما من خشب ومدتها عليه وأمرت أن يربطوها على ظهرها فوق السلم ومدت سواعدها وربطتها فى الحبال ثم كشفت رأسها ولفت شعرها على السلم الخشب وقد انتزعت الشفقة عليها من قلبها فلما رأت منارالسنا نفسها فى هذه الحالة من الذل والهوان صاحت وبكت فلم يغثها أحد فقالت لها يا أختى كيف قسا قلبك على فلا ترحمينى ولا ترحمى الأطفال الصغار فلما سمعت هذا الكلام ازدادت قسوتها وشتمتها وقالت لها يا عاشقة يا عاهرة لا رحم الله من يرحمك كيف أشفق عليك يا خائنة فقالت لها منار السنا وهى مشبوحة احتسبت عليك برب السماء فيما تسبيننى به وأنا بريئة منه والله ما زنيت وإنما تزوجته فى الحلال وربى يعلم هل قولى صحيح أم لا وقلبى غضب عليك من شدة قسوة قلبك على فكيف ترمينى بالزنا من غير علم ولكن ربى يخلصنى منك وإن كان الذى قد قذفتينى به من الزنا حقا فسيعاقبنى الله عليه فتفكرت أختها فى نفسها حين سمعت كلامها وقالت لها كيف تخاطبيننى بهذا الكلام ثم قامت لها وضربتها حتى غشى عليها فرشوا على وجهها الماء حتى أفاقت وقد تغيرت محاسنها من شدة الضرب ومن قوة الرباط ومن فرط ما حصل لها من الإهانة ثم أنشدت هذين البيتين :

وإذا جنيت جناية وأتيت شيئا منكرًا ... أنا تائب عمامضى وأتيتكم مستغفرا



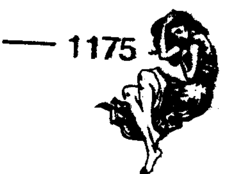
فلما سمعت نور الهدى غضبت غضبًا شديدًا وقالت لها أتتكلمين يا عاهرة قدامي بالشعر وتستعذرين من الذى فعلتيه من الكبائر وكان مرادى أن ترجعى لزوجك حتى أشاهد فجورك وقوة عينك لأنك تفتخرين بالذى وقع منك من الفجور والفحش والكبائر ثم إنها أمرت الغلمان أن يحضروا لها الجريد فأحضروه فقامت وشمرت عن ساعديها ونزلت عليها بالضرب من رأسها إلى قدميها ثم دعت بسوط مضفور ولو ضرب به الفيل لهرول مسرعًا فنزلت بذلك السوط على ظهرها وبطنها وجميع أعضائها حتى غشى عليها فلما رأت العجوز شواهى ذات الدواهى ذلك من الملكة خرجت هاربة من بين يديها وهى تبكى وتدعو عليها فصاحت على الخدم وقالت لهم ائتونى بها فتجاروا عليها ومسكوها وأحضروها بين يديها فامرت برميها على الأرض وقالت للجوارى اسحبوها على وجهها وأخرجوها فسحبوها وأخرجوها من بين يديها هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر حسن فإنه قام متجلدا ومشى فى شاطئ النهر واسـ... البر... وهو حيران مهموم وقد يئس من الحياة وسار مدهوشًا لا يعرف الليل من النهار لشد... ...ابه ... ال يمشى إلى أن قرب من شجرة فوجد عليها ورقة معلقة فتناولها حسن بيده ونظر... فإذا مكـ...ب فيها هذه الأبيات :

دبــرت أمـــرك عـنـدمـا	كنت الجنين ببطن أمـك
وعليـك قــد حننتـهـا	حتى لقد جادت بضمك
أنــا لـكافــوك الــذى	يــأتــى بهمـك أو بغمـك
فــاضـرع إلينا ناهضـًا	نأخــذ بكفك فـى مهمك

فلما فرغ من قراءة الورقة أيقن بالنجاة من الشدة والظفر بجمع الشمل ثم مشى خطوتين فوجد نفسه وحيدًا فى موضع قفر خطر لا يجد فيه أحدًا يستأنس به فطار قلبه من الوحدة والخوف وارتعدت فرائصه من هذا المكان المخوف . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت ...ن الكلام المباح .

***

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا لما قرأ الورقة أيقن بالنجاة من الشدة وتحقق الظفر بجمع الشمل ثم قام ومشى خطوتين فوجد نفسه وحيدًا فى موضع خطر وما عنده أحد يؤانسه فبكى بكاء شديدا وأنشد الأشعار التى ذكرناها ثم مشى على جانب النهر خطوتين فوجد ولدين صغيرين من أولاد السحرة والكهان وبين أيديهما قضيب من النحاس منقوش بالطلاسم وبجانب القضيب طاقية من الأدم بثلاثة تروك منقوش عليها بالبولاد أسماء وخواتم والقضيب والطاقية مرميان على الأرض والولدان يختصمان ويتضاربان عليهما حتى سال الدم بينهما وهذا يقول ما يأخذ القضيب إلا أنا والآخر يقول ما يأخذ القضيب إلا أنا فلما سمع حسن كلامهما قال لهما ما الفرق بين القضيب والطاقية وما مقدارهما فإن القضيب بحسب الظاهر يساوى ستة جدد والطاقية تساوى جدد فقالا له أنت ما تعرف فضلهما فقال لهما أى شىء فضلهما قالا له فى كل منهما سر عجيب وهو أن القضيب يساوى خراج جزائر واق الواق بأقطارها والطاقية كذلك فقال لهما حسن يا ولدى بالله اكشفا لى عن سرهما فقالا له يا عم إن سرهما عظيم لأن أبانا عاش مائة وخمسًا وثلاثين سنة يعالج تدبيرهما حتى أحكمهما غاية الإحكام وركب فيهما السر المكنون واستخدمهما الاستخدمات الغريبة ونقشهما على مثل الفلك الدائر وحل بهُما جميع الطلاسم وعندما فرغ من تدبيرهما أدركه الموت الذى لابد لكل أحد منه فأما الطاقية فإن سرها إن كل من وضعها على رأسه اختفى عن أعين الناس جميعًا فلا ينظره أحد مادامت على رأسه وأما القضيب فإن سره أن كل من ملكه يحكم على سبع طوائف من الجن والجميع يخدمون ذلك القضيب فكلهم تحت أمره وحكمه وكل من ملكه وصار فى يده إذا ضرب به الأرض خضعت له ملوكها وتكون جميع الجن فى خدمته فلما سمع حسن هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى الغلامين وقال لهما إن شئتما فصل القضية فأنا أمتحنكما فمن غلب رفيقه يأخذ القضيب ومن عجز يأخذ الطاقية فقالا له يا عم وكلناك فى امتحاننا واحكم بيننا بما تختار فقال لهما حسن هل تسمعان منى وترجعان إلى قولى فقالا له نعم فقال لهما حسن أنا آخذ حجرًا وأرميه فمن سبق منكما إليه وأخذه قبل



رفيقه يأخذ القضيب ومن تأخر ولم يلحقه يأخذ الطاقية فقالا قبلنا منك هذا الكلام ورضينا به ثم إن حسنا أخذ حجرا ورماه بعزمه فغاب عن العيون فتسارع الغلامان نحوه فلما بعدا أخذ حسن الطاقية ولبسها وأخذ القضيب فى يده وانتقل من موضعه لينظر صحة قولهما فى شأن سر أبيهما فسبق الولد الصغير إلى الحجر وأخذه ورجع به إلى المكان الذى فيه حسن فلم ير له أثرا فصاح على أخيه وقال له أين الرجل الحاكم بيننا فقال لا أراه ثم إنهما رجعا على أعقابهما ودخل حسن المدينة وهو لابس الطاقية وفى يده القضيب فلم يره أحد من الناس فدخل القصر وطلع إلى الموضع الذى فيه شواهى ذات الدواهى فدخل عليها وهو لابس الطاقية فلم تره ومشى حتى قرب من رف كان فوق رأسها وعليه زجاج وصينى فحركه بيده فوقع الذى فوقه على الأرض فصاحت شواهى ذات الدواهى ولطمت على وجهها ثم قامت وأرجعت الذى وقع إلى مكانه وقالت فى نفسها والله ما أظن إلا أن الملكة نور الهدى أرسلت إلى شيطانا فعمل معى هذه العملة . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٨٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز شواهى ذات الدواهى لما قالت إذا كانت الملكة نور الهدى تفعل هذا الفعال مع أختها فكيف يكون حال الغريب معها إذا غضبت عليه ثم قالت أقسمت عليك أيها الشيطان بالحنان المنان العظيم الشان القوى السلطان خالق الإنس والجان وبالنقش الذى على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تكلمنى وتجبنى فأجابها حسن وقال ما أنا شيطان أنا حسن الولهان الهائم الحيران ثم قلع الطاقية من فوق رأسه فظهر للعجوز وعرفته فأخذته واختلت به وقالت له أى شىء حصل لك فى عقلك حتى عبرت إلى هنا رح اختف فإن هذه الفاجرة صنعت بزوجتك ما صنعت من العذاب وهى أختها فكيف إذا وقعت بك ثم حكت له جميع ما وقع لزوجته وما هى فيه من الضيق والعقوبة والعذاب وكذلك حكت له ما وقع لها من العذاب ثم إن العجوز بكت وأظهرت لحسن ما فعلته الملكة بها فبكى حسن وقال لها يا سيدتى كيف الخلاص من هذه الديار ومن هذه الملكة الظالمة وما الحيلة التى

توصلنى إلى أن أخلص زوجتى وأولادى ثم أرجع بهم إلى بلادى فقالت له العجوز ويلك انج بنفسك فقال لابد من خلاصها وخلاص أولادى منها قهرًا عنها فقالت له العجوز وكيف تخلصهم قهرًا عنها رح واختف يا ولدى حتى يأذن الله تعالى ثم إن حسنا أراها القضيب النحاس والطاقية فلما رأتهما العجوز فرحت بهما فرحًا شديدًا وقالت له سبحان من يحيى العظام وهى رميم والله ما كنت أنت وزوجتك إلا من الهالكين والآن يا ولدى قد نجوت أنت وزوجتك لأنى أعرف القضيب والطاقية وأعرف صاحبهما فإنه كان شيخى الذى علمنى السحر وكان ساحرًا عظيمًا مكث مائة وخمسًا وثلاثين سنة حتى أتقن هذا القضيب وهذه الطاقية فلما انتهى من إتقانهما أدركه الموت الذى لابد منه وسمعته يقول لولديه يا ولدى هذان ما هما من نصيبكما وإنما يأتى شخص غريب الديار يأخذهما منكما قهرًا ولا تعرفان كيف يأخذهما فقالا يا أبانا عرفنا كيف يصل إلى أخذهما فقال لا أعرف ذلك فكيف وصلت يا ولدى لأخذهما من الولدين فحكى لها كيف أخذهما من الولدين فلما حكى لها فرحت بذلك وقالت له يا ولدى كما ملكت زوجتك وأولادك اسمع منى ما أقول لك عليه أنا ما بقى لى عند هذه الفاجرة إقامة بعدما تجاسرت على ونكلتنى أنا راحلة من عندها إلى مغارة السحرة لأقيم عندهم وأعيش معهم إلى أن أموت وأنت يا ولدى البس الطاقية وخذ القضيب فى يدك وادخل على زوجتك وأولادك فى المكان الذى هم فيه واضرب الأرض بالقضيب وقل يا خدام هذه الأسماء تطلع إليك خدامه فإن طلع لك أحد من رءوس القبائل فأمره بما تريد وتختار ثم إنه ودعها وخرج ولبس الطاقية وأخذ القضيب معه ودخل المكان الذى فيه زوجته فرآها فى أسوأ حال لا تدرى طريقة لخلاصها وأولادها تحت السلم يلعبون وهى تنظرهم وتبكى عليهم وعلى نفسها ثم إن حسنًا لما رأى ما هى فيه من العذاب والذل والهوان بكى حتى غشى عليه فلما أفاق ورأى أولاده وهم يلعبون وقد غشى على أمهم من كثرة التألم كشف الطاقية عن رأسه فصاحوا يا أبانا فغطى رأسه واستفاقت أمهم من غشيتها على صياحهم فلم تنظر زوجها . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٧٨٤)

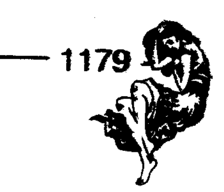
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زوجة حسن لما أفاقت من غشيتها على صياح أولادها وهما يقولان يا أبانا فبكت أمهم حين سمعتهم يذكرون أباهم وقالت لاحيل فى قدرة الله وقالت فى نفسها يا للعجب ما سبب ذكرهم لأبيهم فى هذا الوقت وندائهم له فلم يطق حسن الصبر دون أن كشف الطاقية عن رأسه فنظرته زوجته فلما عرفته زعقت زعقة أزعجت جميع من فى القصر ثم قالت له كيف وصلت إلى ههنا هل من السماء نزلت أو من الأرض طلعت ثم تغرغرت عيونها بالدموع فبكى حسن فقالت له يا رجل ما هذا وقت بكاء ولا وقت عتاب قد نفذ القضاء وعمى البصر وجرى القلم بما حكم الله فى القدم فبالله عليك من أى مكان جئت رح واختفى لئلا ينظرك أحد فيعلم أختى بذلك فتذبحنى وتذبحك فقال لها حسن يا سيدتى وسيدة كل ملكة أنا خاطرت بروحى وجئت إلى هنا فإما أن أموت وإما أن أخلصك من الذى أنت فيه فلما سمعت كلامه تبسمت وضحكت وصارت تحرك رأسها زمانًا طويلاً وقالت له هيهات يا روحى هيهات أن يخلصنى أحد مما أنا فيه إلا الله تعالى ففز بنفسك وارحل ولا ترم روحك فى الهلاك فما حل بى هذا إلا لكونى عاصيتك وخالفت أمرك وخرجت من غير إذنك فبالله عليك يا رجل لا تؤاخذنى بذنبى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٨٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زوجة حسن اعتذرت إليه وقالت له لا تؤاخذنى بذنبى واعلم أن المرأة ما تعرف قيمة الرجل حتى تفارقه فقال لها حسن وقد أوجعه قلبه عليها أنت ما أخطأت وما أخطأ إلا أنا لأنى سافرت وخليتك عند من لا يعرف قدرك ولا يعرف لك بقيمة ولا مقدار واعلمى يا حبيبة قلبى وثمرة فؤادى ونور عينى أن الله سبحانه وتعالى أقدرنى على تخليصك فهل تحبين أن أوصلك إلى دار أبيك وتستوفى عنده ما قدر الله عليك أو تسافرين إلى بلادنا عن قريب حيث حصل لك الفرج فقالت له ومن يقدر على تخليصى إلا رب السماء فرح إلى بلادك وخل عنك الطمع فإنك لا تعرف أخطار هذه الديار ثم بكت هى وأولادها فسمع

الجوارى بكاءهم فدخلن عليهم فوجدت الملكة منار السنا تبكى هى وأولادها ولم ينظرون حسنا عندهم فبكى الجوارى رحمة لهم ودعون على الملكة نور الهدى فصبر حسن إلى أن أقبل الليل وذهب الحراس الموكلون بها إلى مراقدهم ثم بعد ذلك قام وشد وسطه وجاء إلى زوجته وحلها وقبل رأسها وضمها إلى صدره وقبل بين عينيها وقال لها ما أطول شوقنا إلى ديارنا واجتماع شملنا هناك فهل اجتماعنا هذا فى المنام أو فى اليقظة ثم إنه حمل ولده الكبير وحملت هى الولد الصغير وخرجا من القصر وأسبل الله عليهما الستر وسارا فلما وصلا إلى خارج القصر وقفا عند الباب الذى يقفل على سراية الملكة فلما صار هناك رأياه مقفولا فقال حسن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون ثم إنهما يئسا من الخلاص فقال حسن يا مفرج الكروب فقالت زوجته والله ما لنا فرج إلا أن نقتل أرواحنا ونستريح من التعب العظيم ولا نصبح نقاسى العذاب الأليم فبينما هما فى الكلام وإذا بقائل يقول من خارج الباب والله ما أفتح لك يا سيدتى منارالسنا وزوجك حسن إلا أن تطاوعانى فيما أقوله لكما فلما سمعا هذا الكلام منه سكتا وأرادا الرجوع إلى المكان الذى كانا فيه وإذا بقائل يقول ما لكما سكتما ولم تردا على الجواب فعرفا صاحب القول وهى شواهى ذات الدواهى فقال لها مهما تأمرينا به نعمله ولكن افتحى الباب فإن هذا الوقت ما هو وقت كلام فقالت لهما والله ما أفتح لكما حتى تحلفا لى أنكما تأخذانى معكما ولا تتركانى عند هذه العاهرة ومهما أصابكما أصابنى وإن سلمتما سلمت وإن عطبتما عطبت فإن هذه الفاجرة المساحقة تحتقرنى وفى كل ساعة تنكلنى من أجلكما وأنت يا بنت تعرفين مقدارى فلما عرفاها اطمأنا بها وحلفا لها بالأيمان التى تثق بها فلما حلفا لها بما تثق به فتحت لهما الباب وخرجا فلما خرجا وجدها راكبة على زير رومى من فخار أحمر وفى حلق الزير حبل من ليف وهو يتقلب من تحتها ويجرى جريا أقوى من جرى المهر النجدى فتقدمت قدامهما وقالت لهما اتبعانى ولا تفزعا من شىء فإنى أحفظ أربعين بابا من السحر أقل باب منها أجعل به هذه المدينة بحرًا عجاجًا متلاطمًا بالأمواج وأسحر كل بنت فيها فتصير سمكة وكل ذلك أعمله قبل الصبح ولكنى كنت لا أقدر أن أفعل شيئًا من ذلك الشر خوفًا من الملك أبيها ورعايته لأخواتها لأنهم مستعزون بكثرة الأعوان والأرهاط والخدم



ولكن سوف أريكما عجائب سحرى فسيروا بنا على بركة الله تعالى وعونه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٨٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا وزوجته والعجوز شواهى لما طلعوا من القصر وأيقنوا بالخلاص خرجوا إلى ظاهر المدينة فأخذ حسن القضيب بيده وضرب به الأرض وقوى جنانه وقال يا خدام هذه الأسماء أحضروا إلى وأطلعونى على إخوانكم وإذا بالأرض قد انشقت وخرج منها عشرة عفاريت كل عفريت منهم رجلاه فى تخوم الأرض ورأسه فى السحاب فقبلوا الأرض بين يدى حسن ثلاث مرات وقالوا كلهم بلسان واحد لبيك يا سيدنا والحاكم علينا بأى شىء تأمرنا فنحن لأمرك سامعون ومطيعون إن شئت نيبس لك البحار ونتقل لك الجبال من أماكنها ففرح حسن بكلامهم وبسرعة جوابهم وشجع قلبه وقوى جنانه وعزمه وقال لهم من أنتم وما اسمكم ولمن تنسبون من القبائل ومن أى طائفة أنتم ومن أى قبيلة ومن أى رهط فقبلوا الأرض ثانيًا وقالوا بلسان واحد نحن سبع ملوك نحكم على تسع وأربعين قبيلة من سائر طوائف الجن والشياطين والمردة والأرهاط والأعوان الطيارة والغواصة وسكان الجبال والبرارى والقفار وعمار البحار فأمرنا بما تريد فنحن لك خدام وعبيد وكل من ملك هذا القضيب ملك رقابنا جميعًا ونصير تحت طاعته فلما سمع حسن كلامهم فرح فرحا عظيمًا وكذلك زوجته والعجوز فعند ذلك قال لهم حسن أريد منكم أن تحملونى أنا وزوجتى وهذه المرأة الصالحة فى هذه الساعة إلى مدينة بغداد فلما سمعوا كلامه أطرقوا برؤوسهم فقال لهم حسن لم لا تجيبونى فقالوا بلسان واحد أيها السيد الحاكم علينا إننا من عهد السيد سليمان بن داود عليهما السلام وكان حلفنا إننا لا نحمل أحدًا من بنى آدم على ظهورنا فنحن من ذلك الوقت ما حملنا أحدًا من بنى آدم على أكتافنا ولا على ظهورنا ولكن نحن فى هذه الساعة نشد لك من خيول الجن ما يبلغك مرادك أنت ومن معك فقال لهم حسن وكم بيننا وبين بغداد فقالوا له مسافة سبع سنين للفارس المجد فتعجب حسن من ذلك وقال لهم كيف جئت أنا إلى هنا فيما دون السنة

فقالوا له أنت قد حنن الله عليك قلوب عباده الصالحين ولولا ذلك ما كنت تصل هذه الديار والبلاد ولا تراها بعينك أبدا فلما سمع حسن كلامهم تعجب تعجبًا عظيمًا وقال سبحان الله مهون العسير وجابر الكسير ومقرب البعيد ومذلل كل جبار عنيد الذى هون على كل أمر وأوصلنى إلى هذه الديار وسخر لى هؤلاء العالم وجمع شملى بزوجتى وأولادى ثم التفت إليهم وقال لهم إذا أركبتمونى خيولكم فى كم يوم تصل بنا إلى بغداد فقالوا تصل بك فيما دون السنة بعد أن تقاسى الأمور الصعاب والشدائد والأهوال وتقطع أودية معطشة وقفار موحشة وبرارى ومهالك كثيرة ولا نأمن عليك يا سيدى من أهل هذه الجزائر . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٨٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجان قالوا لحسن لا نأمن عليك يا سيدى من أهل هذه الجزائر ولا من شر الملك الأكبر ولا من هذه السحرة والكهنة فربما يقهرونا ويأخذوكم منا ونبتلى بهم وكل من بلغه الخبر بعد ذلك يقول لنا أنتم الظالمون كيف قدمتم على الملك الأكبر وحملتم الإنسى مِنَ بلاده وحملتم أيضا ابنته معكم ولو كنت معنا وحدك لهان علينا الأمر ولكن الذى أوصلك إلى هذه الجزائر قادر أن يوصلك إلى بلادك ويجمع شملك بأمك قريبا غير بعيد فاعزم وتوكل على الله ولا تخف فنحن بين يديك حتى نوصلك إلى بلادك فشكرهم حسن على ذلك وقال لهم جزاكم الله خيراً ثم قال لهم عجلوا بالخيل فقالوا سمعًا وطاعة ثم دقوا الأرض بأرجلهم فانشقت فغابوا فيها ساعة ثم حضروا وإذا بهم قد طلعوا ومعهم ثلاث أفراس مسرجة ملجمة وفى مقدم كل سرج خرج فى إحدى عينيه ركوة ملآنة ماء والعين الأخرى ملآنة زاد ثم قدموا الخيل فركب حسن جواداً وأخذ ولده قدامه وركبت زوجته الجواد الثانى وأخذت الولد قدامها ثم نزلت العجوز من فوق الزير وركبت الجواد الثالث وساروا ولم يزالوا سائرين طول الليل حتى أصبح الصباح فعرجوا عن الطريق وقصدوا الجبل وألسنتهم لا تفتر عن ذكر الله تعالى وساروا النهار كله تحت الجبل بينما هم سائرون وإذ نظر حسن إلى جبل قدامه مثل العمود وهو



طويل كالدخان المتصاعد إلى السماء فقرأ شيئًا من القرآن وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم فصار ذلك السواد يظهر كلما تقربوا منه فلما دنوا منه وجدوه عفريتا فلما نظر حسن إلى العفريت انحنى وقبل الأرض بين يديه فقال له يا حسن لا تخف منى أنا رئيس عمار ذلك الأرض وهذه أول جزيرة من جزائر واق الواق وأنا مسلم موحد بالله وسمعت بكم وعرفت قدومكم ولما اطلعت على حالكم اشتهيت أن أرحل من بلاد السحرة إلى أرض غيرها تكون خالية من السكان بعيدة عن الإنس والجان أعيش فيها منفرداً وحدى وأعبد الله حتى يدركنى أجلى فأردت أن أرافقكم وأكون دليلكم فلما سمع حسن كلام العفريت فرح فرحًا شديدًا وأيقن بالنجاة ثم التفت إليه وقال له جزاك الله خيراً فسر معنا على بركة الله فسار العفريت قدامهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٨٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنهم لم يزالوا سائرين والخيل تسير كالبرق الخاطف ومازالوا يقطعون الأودية والقفار مدة شهر كامل وفى اليوم الحادى والثلاثين طلعت عليهم غبرة سدت الأقطار وأظلم منها النهار فلما نظرها حسن لحقه الاصفرار وقد سمعوا ضجات مزعجة فالتفتت العجوز إلى حسن وقالت يا ولدى هذه عساكر واق الواق قد لحقونا وفى هذه الساعة يأخذونا قبضا باليد فقال لها حسن ما أصنع يا أمى فقالت له اضرب الأرض بالقضيب ففعل فطلع إليه السبعة ملوك وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا له لا تخف ولا تحزن ففرح حسن بكلامهم وقال أحسنتم يا سادة الجن والعفاريت هذا وقتكم فقالوا له اطلع أنت وزوجتك وأولادك ومن معك فوق الجبل وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٨٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا صعد هو وزوجته وأولاده والعجوز على طرف الجبل بعد أن صرفوا الخيل ثم بعد ذلك أقبلت الملكة نور الهدى بعساكر ميمنة وميسرة ودارت

عليهم النقباء وصفوهم جملة جملة وقد التقى العسكران وتصادم الجمعان والتهبت النيران وأقلمت الشجعان وفر الجبان ورمت الجن من أفواهها لهيب الشرر إلى أن أقبل الليل بالاعتكار فافترق الجمعان وانفصل الفريقان ولما نزلوا عن خيولهم واستقروا على الأرض أشعلوا النيران ومازالوا يشعلون النيران إلى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الفرسان الخيل القداح وتضاربوا بمرهفات الصفاح وتطاعنوا بسمر الرماح وباتوا على ظهور الخيل وهم يلتطمون التطام البحار واستعر بينهم في الحرب لهيب النار ولم يزالوا في نضال وسباق حتى انهزمت عساكر واق الواق وانكسرت شوكتهم وانحطت همتهم وزلت أقدامهم وأينما هربوا فالهزيمة قدامهم فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وقتل أكثرهم وأسرت الملكة نور الهدى هي وكبار مملكتها وخواصها فلما أصبح الصباح قدموا الأسارى بين يدى حسن ومن جملتهم الملكة نور الهدى وهي مكتفة اليدين مقيدة الرجلين فلما رأتها العجوز قالت لها ما جزاؤك يا فاجرة يا ظالمة إلا أن يجوع كلبتان ويربطا معك في أذناب الخيل ويساقان إلى البحر حتى يتمزق جلدك وبعد ذلك يقطع من لحمك وتطعمين منه كيف فعلت بأختك هذه الفعال يا فاجرة مع أنها تزوجت في الحلال بسنة الله ورسوله لأنه لا رهبانية في الإسلام والزواج من سنن المرسلين عليهم السلام وما خلقت النساء إلا للرجال فعند ذلك أمر حسن بقتل الأسارى جميعهم فصاحت العجوز وقالت اقتلوهم ولا تبقوا منهم أحدا فلما رأت الملكة منار السنا أختها في هذه الحالة وهي مقيدة مأسورة بكت عليها وقالت لها يا أختي ومن هذا الذي أسرنا في بلادنا وغلبنا فقالت لها هذا أمر عظيم إن هذا الرجل الذي اسمه حسن قد ملكنا وحكمه الله فينا وقد أيده الله تعالى بشدة الباس حتى دخل بلادنا وأخذك وأسرك وهزم عسكرك وقهر أباك الملك الأكبر الذي يحكم على ملوك الجن يجب أن لا يفرط في حقه . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٧٩٠)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة منار السنا لما أخبرت أختها بأوصاف حسن قالت لها والله أن هذا الرجل ما يفرط فيه خصوصا بسبب مروءته وهل كل هذا من أجلك قالت نعم



ثم إنهم باتوا يتحدثون إلى الصباح فلما طلعت الشمس أرادوا الرحيل فودع بعضهم بعضا وودعت منارالسنا العجوز بعد ما أصلحت بينها وبين أختها نور الهدى فعند ذلك ضرب حسن الأرض بالقضيب فطلع له خدامه وسلموا عليه وقالوا له الحمد لله على هدو سرك فأمرنا بما تريد حتى نعمله فى أسرع من لمح البصر فشكرهم على قولهم وقال لهم جزاكم الله خيراً ثم إنه قال لهم شدوا لنا جواداً من أحسن الخيل ففعلوا ما أمرهم به فى الوقت وقدموا له جوادين مسرجين فركب حسن جواداً منهما وأخذ ولده الكبير قدامه وركبت زوجته الجواد الثانى وأخذت ولدها الصغير قدامها وركبت الملكة نور الهدى هى والعجوز وتوجه الجميع إلى بلادهم فسار حسن هو وزوجته يمينا وسارت الملكة نور الهدى هى والعجوز شمالاً ولم يزالوا سائرين إلى أن أتوا إلى المدينة فدخل دار الملك فنزل الملك حسون ونزل حسن هو وزوجته وأولاده فى دار الضيافة وأقاموا عنده ثلاثة أيام فى أكل وشرب ولعب وطرب ثم بعد ذلك استأذن حسن الملك حسون فى السفر إلى بلاده فأذن له فركب هو وزوجته وأولاده وركب الملك معهم وساروا عشرة أيام فلما أراد الملك الرجوع ودع حسناً وسار حسن هو وزوجته وأولاده مدة شهر كامل فلما كان بعد الشهر أشرفوا على مغارة أرضها من النحاس الأصفر فقال حسن لزوجته انظرى هذه المغارة هل تعرفينها قالت نعم قال إن فيها شيخاً يسمى أبى الريش وله على فضل كبير لأنه هو الذى كان سبب فى المعرفة بينى وبين الملك حسون وصار يحدث زوجته بخبر أبى الريش وإذا بالشيخ أبى الريش خارج من باب المغارة فلما رآه حسن نزل عن جواده وقبل يديه فسلم عليه الشيخ أبو الريش وهناه بالسلامة وفرح به وأخذه ودخل به المغارة وجلس هو وإياه وسار يحدث الشيخ أبا الريش بما جرى له فى جزائر واق الواق فتعجب الشيخ أبو الريش غاية العجب وقال يا حسن كيف خلصت زوجتك وأولادك فحكى له حكاية القضيب والطاقية فلما سمع الشيخ أبو الريش تعجب وقال يا حسن يا ولدى لولا هذا القضيب وهذه الطاقية ما كنت خلصت زوجتك وأولادك فقال له حسن نعم يا سيدى فبينما هما فى الكلام وإذا بطارق يطرق باب المغارة فخرج الشيخ أبو الريش وفتح الباب فوجد الشيخ عبد القدوس قداتى وهو راكب فوق الفيل فتقدم الشيخ أبو الريش وسلم عليه واعتنقه وفرح به فرحًا عظيمًا وهناه بالسلامة وبعد ذلك قال الشيخ أبو الريش لحسن احك للشيخ عبد القدوس جميع ما جرى لك يا حسن فشرع حسن يحكى

للشيخ جميع ما جرى له من أوله إلى آخره إلى أن وصل إلى حكاية القضيب وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٩١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا شرع يحكى للشيخ عبد القدوس والشيخ أبى الريش وهم فى المغارة يتحدثون بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره إلى أن وصل إلى حكاية القضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدى أما أنت فقد خلصت زوجتك وأولادك ولم يبق لك حاجة بهم وأما نحن فإننا كنا السبب فى وصولك إلى جزائر واق الواق وقد عملت معك الجميل لأجل بنات أخى وأنا أسألك من فضلك وإحسانك أن تعطينى القضيب وتعطى الشيخ أبا الريش الطاقية فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس أطرق رأسه إلى الأرض واستحى أن يقول ما أعطيهما لكما ثم رفع رأسه وقال نعم أنا أعطيهما لكما ولكن يا سادتى إنى أخاف من الملك الأكبر والد زوجتى أن يأتينى بعساكر إلى بلادنا فيقاتلوننى ولا أقدر على دفعهم إلا بالقضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدى لا تخف فنحن لك جاسوسا وأدور فى هذا الموضع وكل من أتى إليك من عند والد زوجتك ندفعه عنك ولا تخف من شىء أصلا جملة كافية فطب نفسًا وقر عينا وانشرح صدرًا ما عليك بأس فلما سمع حسن كلام الشيخ أخذه الحياء وأعطى الطاقية للشيخ أبى الريش وقال للشيخ عبد القدوس اصحبنى إلى بلادى وأنا أعطيك القضيب ففرح الشيخان بذلك فرحًا شديدًا وجهزا لحسن من الأموال والذخائر ما يعجز عنه الوصف ثم أقام عندهما ثلاثة أيام وبعد ذلك طلب السفر فتجهز الشيخ عبد القدوس للسفر معه فركب حسن دابة وأركب زوجته دابة فصفر الشيخ عبد القدوس وإذا بفيل عظيم قد أقبل يهرول بيديه ورجليه من صدر البرية فأخذه الشيخ عبد القدوس وركبه وسار هو وحسن وزوجته وأولاده وأما الشيخ أبو الريش فإنه دخل المغارة ومازال حسن وزوجته وأولاده والشيخ عبد القدوس سائرين حتى قربوا من الديار بعد هذه الأهوال الصعبة وحمدا الله تعالى على ذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٧٩٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا حمد الله تعالى على نجاته من تلك الأهوال الصعبة وشكره على نعمته وفضله ونظر وإذا هم قد لاحت لهم القبة الخضراء والفسقية والقصر الأخضر ولاح لهم جبل السحاب من بعيد فقال الشيخ عبد القدوس يا حسن أبشر بالخير فإنت الليلة ضيف عند بنات أخى ففرح حسن بذلك وفرح فرحًا شديدًا وكذلك زوجته ثم نزلوا عند القبة واستراحوا وأكلوا وشربوا ثم ركبوا وساروا حتى قربوا من القصر فلما أشرفوا عليه خرجت لهم بنات أخ الشيخ عبد القدوس وتلقينهم وسلمن عليهم وعلى عمهم وسلم عليهم عمهم وقال لهم يا بنات أخى ها أنا قد قضيت حاجة أخيكم حسن وساعدته على خلاص زوجته وأولاده فتقدم إليه البنات وعانقنه وفرحن به وهنينه بالسلامة والعافية وجمع الشمل بزوجته وأولاده وكان عندهن يوم عيد ثم تقدمت أخت حسن الصغيرة وعانقته وبكت بكاء شديدًا وكذلك حسن بكى معها على طول الوحشة ثم شكت له ما تجده من ألم الفراق فقال لها حسن يا أختى أنا ما أشكر أحدًا فى هذا الأمر إلا أنت دون سائر الأخوات فالله تعالى يكون لك بالعون والعناية ثم إنه حدثها بجميع ما جرى له فى سفره من أوله إلى آخره وما قاساه وما اتفق له مع أخت زوجته وكيف خلص زوجته وأولاده وحدثهما بما رآه من العجائب والأهوال الصعاب حتى أن أختها كانت أرادت أن تذبحه وتذبحها وتذبح أولادها وما سلمهم منها إلا الله تعالى ثم حكى لها حكاية القضيب والطاقية وأن الشيخ أبا الريش والشيخ عبد القدوس طلباهما منه وأنه ما أعطاهما لهما إلا من شأنها فشكرته على ذلك ودعت له بطول البقاء ثم إنه أقام عندهم عشرة أيام فى أكل وشرب وفرح وسرور ثم بعد العشرة أيام تجهز حسن للسفر فقامت أخته وجهزت له من المال والتحف ما يعجز عنه الوصف ثم ضمته إلى صدرها لأجل الوداع .
وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٩٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أخت حسن لما ضمته إلى صدرها ثم إن حسنا أعطى الشيخ عبد القدوس القضيب ففرح به فرحًا شديدًا وشكر حسنًا على ذلك وبعد أن أخذه منه

ركب ورجع إلى محله ثم ركب حسن هو وزوجته وأولاده من قصر البنات فخرجوا معه يودعونه وبعد ذلك رجعوا ثم توجه حسن إلى بلاده فسار فى البر الأقفر مدة شهرين وعشرة أيام حتى وصل إلى مدينة بغداد دار السلام فجاء إلى داره من باب السر الذى يفتح إلى جهة الصحراء والبرية وطرق الباب وسمعت ولدها حسنا ينادى على الباب يا أماه إن الأيام قد سمحت بجمع الشمل فلما سمعت كلامه عرفته فجاءت إلى الباب وهى ما بين مصدقة ومكذبة فلما فتحت



(البنات السبع أخوات حسن وهن ملتفين حوله فرحين بوصوله إليهن)



الباب رأت ولدها واقفًا هو وزوجته وأولاده معه فصاحت من شدة الفرح ووقعت على الأرض مغشيًا عليها فمازال حسن يلاطفها حتى أفاقت وعانقته ثم بكت وبعد ذلك نادت غلمانه وعبيده وأمرتهم أن يدخلوا جميع ما معه فى الدار فأدخلوا الأحمال فى الدار ثم دخلت زوجته وأولاده فقامت لها أمه وعانقتها وقبلت رأسها وقبلت قدميها وقالت لها يا بنت الملك الأكبر إن كنت أخطأت فى حقك فها أنا أستغفر الله العظيم ثم التفتت إلى ابنها وقالت له يا ولدى ما سبب هذه الغيبة الطويلة . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٩٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أم حسن لما قالت له ما هذه الغيبة فأخبرها بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره فلما سمعت كلامه صرخت صرخة عظيمة ووقعت على الأرض مغشيًا عليها من ذكر ما جرى لولدها فلم يزل يلاطفها حتى أفاقت وقالت له يا ولدى والله لقد فرطت فى القضيب والطاقية فلو كنت احتفظت عليهما وأبقيتهما لكنت ملكت الأرض بطولها والعرض ولكن الحمد لله يا ولدى على سلامتك أنت وزوجتك وأولادك وباتوا فى أهنأ ليلة وأطيبها فلما أصبح الصباح غير ما عليه من الثياب ولبس بدلة من أحسن القماش ثم خرج إلى السوق وصار يشترى العبيد والجوارى والقماش والشىء النفيس من الحلى والحلل والفراش ومن الأوانى المثمنة التى لا يوجد مثلها إلا عند الملوك ثم اشترى الدور والبساتين والعقارات وغير ذلك وأقام هو وأولاده وزوجته ووالدته فى أكل وشرب ولذة ولم يزالوا فى أرغد عيش وأهناه حتى أتاهم حازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان ذى الملك والملكوت وهو الحى الباقى الذى لا يموت .

﴿حكاية مسرور التاجر مع معشوقته زين المواصف﴾

(ومما يحكى) أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر اسمه مسرور وكان ذلك الرجل من أحسن أهل زمانه كثير المال مرفه الحال ولكنه كان يحب النزهة فى الرياض

والبساتين ويتلهى بهوى النساء الملاح فاتفق أنه كان نائمًا فى ليلة من الليالى فرأى فى نومه أنه فى روضة من أحسن الرياض وفيها أربعة طيور من جملتهما حمامة بيضاء مثل الفضة المجلية فأعجبته تلك الحمامة وصار فى قلبه منها وجد عظيم وبعد ذلك رأى أنه نزل عليه طائر عظيم خطف تلك الحمامة من يده فعظم ذلك عليه ثم بعد ذلك انتبه من نومه فلم يجد الحمامة فصار يعالج أشواقه إلى الصباح فقال فى نفسه لابد أن أروح اليوم إلى من يفسر لى هذا المنام .

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٩٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مسرور التاجر لما انتبه من نومه صار يعالج أشواقه إلى الصباح فلما أصبح الصباح قال لابد أن أروح اليوم إلى من يفسر لى هذا المنام فقام وصار يمشى يمينا وشمالاً إلى أن بعد عن منزله فلم يجد من يفسر له هذا المنام ثم بعد ذلك طلب الرجوع إلى منزله فبينما هو فى الطريق إذ خطر بباله أنه يميل إلى دار من دور التجار وكانت تلك الدار لبعض الأغنياء فلما وصل إليها وإذا به يسمع بها صوت أنين فلما سمع مسرور ذلك الصوت نظر فى داخل البيت فرأى روضة من أحسن الرياض فى باطنها ستر من ديباج أحمر مكلل بالدر والجوهر وعليه من وراء الستر أربع جوار بينهن صبية دون الخماسية وفوق الرباعية كأنها البدر المنير والقمر المستدير بعينين كحيلتين وحاجبين مقرونين وفم كأنه خاتم سليمان فلما رآها مسرور دخل الدار وبالغ فى الدخول حتى وصل إلى الستر فرفعت رأسها إليه ونظرته فعند ذلك سلم عليها فردت عليه السلام بعذوبة الكلام ثم قالت أيها الرجل ما الذى أقدمك على دار غير دارك وجوار غير جواريك من غير أجازة أصحابها فقال لها يا سيدتى رأيت هذه الروضة فأعجبنى حسن اخضرارها وفيح أزهارها وترنم أطيارها فدخلتها لأتفرج فيها ساعة من الزمان وأروح إلى حال سبيلى فقالت له حبا وكرامة فلما سمع مسرور التاجر كلامها ونظر إلى ظرفها ورشاقة قدها تحير من حسنها وجمالها ومن لطافة الروضة والطير فطار عقله من ذلك وصار



متحيراً فى أمره وأنشد هذه الأبيات :

قمر تبدى فى بديع محاسن   بين الربا والروح والريحان
والآس والنسرين ثم بنفسج   فاحت روائحه من الأغصان
قمر بها وهزارها ويمامها   وكذا البلابل هيجت أشجانى

فلما سمعت زين المواصف شعر مسرور ونظرت له نظرة أعقبته ألف حسرة وسلبت بها عقله ولبه وأجابته عن شعره بهذه الأبيات :

لا ترتجى وصل التى علقتها   واقطع مطامعك التى أملتها
ودع الذى ترجوه إنك لم تطق   صد التى فى الغانيات عشقتها
تجنى على العشاق ألحاظى ولم   تعظم على مقالة قد قلتها

فلما سمع مسرور كلامها تجلد وصبر وكتم أمرها فى سره وتنكر وقال فى نفسه ما للبلية إلا الصبر ثم داموا على ذلك إلى أن هجم الليل فأمرت بحضور المائدة فحضرت بين أيديهما وفيها من سائر الألوان من السمانى وأفراخ الحمام ولحوم الضان فأكلا حتى اكتفيا ثم أمرت برفع الموائد فرفعت وحضرت آلات الغسل فغسلا أيديهما ثم أمرت بوضع الشمعدانات فوضعت وجعل فيها شمع الكافور ثم بعد ذلك قالت زين المواصف والله إن صدرى ضيق فى هذه الليلة لأنى محمومة فقال لها مسرور شرح الله صدرك وكشف غمك فقالت يا مسرور أنا معودة بلعب الشطرنج فهل تعرف فيه شيئاً قال نعم أنا عارف به فقدمته بين أيديهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٩٦)

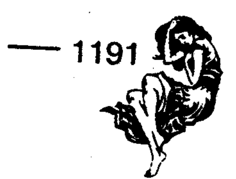
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنها لما أمرت بإحضار الشطرنج احضروه بين أيديهما فقالت له يا مسرور لا ألعب معك إلا برهن معلوم وقدر مفهوم فقال لها سمعا وطاعة فقالت له احلف لى وأحلف لك أن كلا منا لا يغدر صاحبه فتحالفا معا على ذلك فقالت له يا مسرور إن غلبتك أخذت منك عشرة دنانير وإن غلبتنى لم أعطك شيئا فظن أنه يغلبها فقال لها يا سيدتى لا

تخشى فى يمينك فإنى أراك أقوى منى فى اللعب فقالت له رضيت بذلك وصار يلعبان ويتسابقان بالبيادق وألحقتهم بالأفراز وصفتهم وقرنتهم بالرخاخ وسمحت النفس بتقديم الأفراس وكان على رأس زين المواصف وشاح من الديباج الأزرق فوضعته عن رأسها وشمرت عن معصم كأنه عمود من نور ومرت بكفها على القطع الحمر وقالت له خذ حذرك فاندهش مسرور وطار عقله وذهب لبه ونظر إلى رشاقتها ومعانيها فاحتار وأخذه الانبهار فمد يده إلى البيض فراحت إلى الحمر فقالت يا مسرور أين عقلك الحمر لى والبيض لك فقال لها إن من ينظر إليك ليس يملك عقله فلما نظرت زين المواصف إلى حاله أخذت منه البيض وأعطته الحمر فلعب بها فغلبته ولم يزل يلعب معها وهى تغلبه ويدفع لها فى كل مرة عشرة دنانير فلما عرفت زين المواصف أنه مشغول بهواها قالت له يا مسرور ما بقيت تنال مرادك إلا إذا كنت تغلبنى كما هو شرطك ولا بقيت ألعب معك فى كل مرة إلا بمائة دينار فقال لها حبا وكرامة فصارت تلاعبه وتغلبه وتكرر ذلك وهو فى كل مرة يدفع لها المائة دينار وداما على ذلك إلى الصباح وهو لم يغلبها أبدا فنهض قائمًا على أقدامه فقالت له ما الذى تريد يا مسرور قال امضى إلى منزلى وأتى بمالى فمضى إلى منزله وأتاها بالمال جميعه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٩٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مسرورًا لما مضى إلى منزله وأتى لها بالمال جميعه صار يلعب معها وهى تغلبه ولم يقدر أن يغلبها دورا واحدا ولم يزالا كذلك ثلاثة أيام حتى أخذت منه جميع ماله فلما نفذ ماله قالت له يا مسرور ما الذى يريد قال ألاعبك على دكان العطارة قالت له كم تساوى تلك الدكان قال خمسمائة دينار فلعب بها خمسة أشواط فغلبته ثم لعب معها على الجوارى والعقارات والبساتين والعمارات فأخذت منه ذلك كله وجميع ما يملكه وبعد ذلك التفتت إليه وقالت له هل بقى معك شىء تلعب به فقال لها ما بقى معى لا قليلا ولا كثيرًا فقالت يا مسرور كل شىء يكون أوله رضا لا يكون آخره ندامة فإن كنت ندمت فخذ مالك واذهب عنا إلى حال سبيلك وأنا أجعلك فى حل من قبلى فقال مسرور وحق من قضى علينا بهذه الأمور لو أردت أخذ روحى لكانت قليلة فى رضاك فما أعشق أحدًا سواك فقالت له



يا مسرور حينئذ اذهب وأحضر القاضى والشهود واكتب لى جميع الأملاك والعقارات فقال حبا وكرامة ثم نهض قائمًا وأتى بالقاضى والشهود وأحضرهم عندها فلما رآها القاضى طار عقله وذهب لبه وتبلبل خاطره من حسن أناملها وقال ياسيدتى لا أكتب الحجة إلا بشرط أن تشترى العقارات والأملاك وتصير كلها تحت تصرفك وفى حيازتك فقالت قد اتفقنا على ذلك فاكتب لى حجة بأن ملك مسرور وجواريه وما تملكه يده ينقل إلى ملك زين المواصف وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٧٩٨)

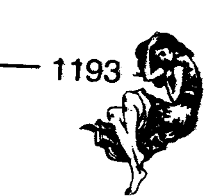
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما أخذت الحجة من القاضى مشتملة على أن جميع ما كان ملكًا لمسرور صار ملكًا لها قالت له يا مسرور رح إلى حال سبيلك فالتفتت إليه جاريتها هبوب وقالت له أنشد شيئا من الأشعار فأنشد فى شأن لعب الشطرنج هذه الأبيات :

أشكر الزمان وما قد حل بى وجرى ... وأشتكى الخسر والشطرنج والنظرا
فى حب جارية غيداء ناعمة ... ما مثلها فى الورى أنثى ولا ذكرا
قد فرقت لى سهاما من لواحظها ... وقدمت لى جيوشًا تغلب البشرا
حمرا وبيضا وفرسانا مصادمة ... فبادرتنى وقالت لى خذ الحذرا
وأهملتنى إذا مرت أناملها ... فى جنح ليل بهيم يشبه الشعرا
لم أستطع لخلاص البيض أنقلها ... والوجد صير منى الدمع منهمرًا
بيادق ورخوخ مع فرازنة ... كرت فأدبر جيش البيض منكسرًا
وخيرتنى بين العسكرين ... فاخترت تلك الجيوش البيض مقتمرًا
وقلت لهم هذا الجيوش البيض تصلح ... لى هم المراد وأما أنت فالحمرا
ولاعبتنى على رهن رضيت به ... ولم أكن عن رضاها أبلغ الوطرا
يا لهف قلبى ويا شوقى ويا حزنى ... على وصال فتاة تشبه القمرا

فلما سمعت زين المواصف هذه الأبيات تعجبت من فصاحة لسانه وقالت له يا مسرور دع عنك هذا الجنون وارجع إلى عقلك وامض إلى حال سبيلك فقد أفنيت مالك وعقارك فى لعب

الشطرنج ولم تحصل غرضك وليس لك جهة من الجهات توصلك إليه فالتفت مسرور إلى زين المواصف وقال لها يا سيدتى اطلبى أى شىء ولك كل ما تطلبينه فإنى أجىء به إليك وأحضره بين يديك فقالت يا مسرور ما بقى معك شىء من المال فقال لها يا منتهى الآمال إذا لم يكن عندى شىء من المال تساعدنى الرجال فقالت له هل الذى يعطى يصير مستعطيا فقال لها إن لى أقارب وأصحابا ومهما طلبته يعطونى إياه فقالت له أريد أربع توافج من المسك الأزفر وأربع أواق من الغالية وأربعة أرطال من العنبر وأربعة آلاف دينار وأربعمائة حلة من الديباج الملوكى المزركش فإن كنت يا مسرور تأتى بذلك الأمر أبحت لك الوصال فقال لها هذا على هين يا مخجلة الأقمار ثم إن مسروراً خرج من عندها ليأتيها بالذى طلبته منه فبينما هو يمشى فى شوارع المدينة إذ لاحت منه التفاتة فرأى هبوب على بعد فوقف إلى أن لحقته فقال لها يا هبوب إلى أين أنت ذاهبة فقالت له إن سيدتى أرسلتنى خلفك من أجل كذا وكذا وأخبرته بما قالته زين المواصف من أوله إلى آخره فقال لها والله يا هبوب إن يدى لا تملك شيئًا من المال قالت له فلأى شىء وعدتها فقال لها كم من وعد لا يفى به صاحبه والمطل فى الحب لابد منه فلما سمعت هبوب ذلك منه قالت له يا مسرور طب نفسا وقر عينا والله لأكونن سببا فى اتصالك بها ثم إنها تركته ومشت ومازالت ماشية إلى أن وصلت إلى سيدتها فبكت بكاء شديداً وقالت لها يا سيدتى والله إنه رجل كبير المقدار محترم عند الناس فقالت لها سيدتها لاحيلة فى قضاء الله تعالى إن هذا الرجل ما وجد عندنا قلبا رحيما لأننا أخذنا ما له ولم يجد عندنا مودة ولا شفقة فى الوصال وإن ملت إلى مراده أخاف أن يشيع الأمر فقالت لها هبوب يا سيدتى ما سهل علينا حاله وأخذ ماله ولكن ما عندك إلا أنا وجاريتك سكوب فمن يقدر أن يتكلم منا فيك ونحن جواريك فعند ذلك أطرقت برأسها إلى الأرض فقال لها الجوارى يا سيدتى الرأى عندنا أن ترسلى خلفه وتنعمى عليه ولا تدعيه يسأل أحداً من اللئام فما أمر السؤال فقبلت كلام الجوارى ودعت بدواة وقرطاسا وكتبت إليه هذه الأبيات :

دنا الوصل يا مسرور فأبشر بلا مطل ... إذا اسـود جنح الليل فلتأت بالفعل
ولا تسأل الأندال فى المـال يا فتى ... فقد كنت فى سكرى وقد رد لى عقلى



فما لك مردود عليك جميعه وزدتك يا مسرور من فوقه وصلى
لأنك ذو صبر وفيك حلاوة على جور محبوب جفاك بلا عدل
فبادر لتحظى بالمنى ولك الهنا ولا تعط إهمالا فيدرى بنا أهلى
هلم إلينا مسرعًا غير مبطئ وكل من ثمار الوصل فى غيبة البعل

ثم إنها طوت الكتاب وأعطته لجاريتها هبوب فأخذته ومضت إلى مسرور فوجدته يبكى وينشد قول الشاعر:

وهب على قلبى نسيم من الجوى ففتت الأكباد من فرط لوعتى
لقد زاد وجدى بعد بعد أحبتى وفاضت جفونى فى تزايد عبرتى
وعندى من الأوهام ما إن أبح به لصم الحصى والصخر لانت بسرعة
ألا ليت شعرى هل أرى ما يسرنى وأحظى بما أرجوه من نيل بغيتى
وتطوى ليالى الصد من بعد نشر هـا وأبرأ مما دخل القلب حلت

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

***

الليلة (٧٩٩)

قالت: بلغنى أيها الملك السعيد أن مسروراً لما زاد به الهيام صار ينشد الأشعار وهو فى غاية الشوق فبينما هو يترنم بتلك الأبيات ويرددها إذ سمعته هبوب فطرقت عليه الباب فقام وفتح لها فدخلت وناولته الكتاب فأخذه وقرأه وقال لها يا هبوب ما وراءك من أخبار سيدتك فقالت له يا سيدى إن فى هذا الكتاب ما يغنى عن رد الجواب وأنت من ذوى الألباب ففرح مسرور فرحًا شديداً ثم إنه كتب جوابًا لها وأعطاه لهبوب فأخذته وأتت به إلى زين المواصف فلما وصلت إليها به صارت تشرح لها محاسنه وتذكر أوصافه وكرمه وصارت مساعدة له على جمع شمله بها فقالت لهازين المواصف يا هبوب أبطأ عن الوصول إلينا قالت لها هبوب أنه سيأتى سريعًا فلم تستتم كلامها وإذا به قد أقبل وطرق الباب ففتحت له وأخذته وأجلسته عند سيدتها زين

المواصف فسلمت عليه ورجعت به وأجلسته إلى جانبها ثم قالت لجاريتها هبوب هات له بدلة من أحسن ما يكون فقامت هبوب وأتت ببدلة مذهبه فأخذتها وأفرغتها عليه وأفرغت على سيدتها بدلة أيضا من أفخر الملابس ووضعت على رأسها سبيكة من اللؤلؤ الرطب وربطت على السبيكة عصابة من الديباج مكالة بالدر والجواهر واليواقيت وأرخت من تحت العصابة سالفتين ووضعت فى كل سالفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج وأرخت شعرها كأنه الليل الداج وتبخرت بالعود وتعطرت بالمسك والعنبر فقالت لها جاريتها هبوب الله يحفظك من العين فشكرتها زين المواصف ثم إنها أقبلت على مسرور وهى كالبدر المشهور فلما رآها مسرور نهض قائمًا على قدميه وقال إن صدق قلبى فما هى إنسية وإنما هى من عرائس الجنة ثم إنها دعت المائدة فحضرت ثم إنهم أكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ورفعت سفرة الطعام وقدموا سفرة المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الأنفاس وملأ الكاس مسرور وقال يا من أنا عبدها وهى سيدتى فقالت يا مسرور كل من تمسك بدينه وأكل خبزنا وملحنا وجب حقه علينا فخل عنك هذه الأمور وأنا أرد عليك أملاكك وجميع ما أخذ.. منك فقال يا سيدتى أنت فى حل مما تذكرينه وإن كنت غدرت فى اليمين الذى بينى وبينك فأنا أروح وأصير مسلما فقالت جاريتها هبوب يا سيدتى أنت صغيرة السن وتعرفين كثيراً وأنا أستشفع عندك بالله العظيم فإن لم تطيعنى وتجبرى خاطرى لأنام الليلة عندك فى الدار فقالت لها يا هبوب لا يكون إلا ما تريدينه قومى وجددى لنا مجلسًا فنهضت الجارية هبوب وجددت مجلسًا وزينته وعطرته بأحسن العطر كما تحب وتختار وجهزت الطعام وأحضرت المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الأنفاس . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٠٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما أمرت جاريتها هبوب بتجديد مجلس الأنس قامت وجددت الطعام والمدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الأنفاس فقالت



زين المواصف يا مسرور قد آن أوان اللقاء والتدانى فإن كنت لحبنا تعانى فأنشد لنا شعر بديع المعانى فأنشد مسرور هذه القصيدة :

أسرت وفى قلبى لهيب تضرما ... بحبل وصالٍ فى الفراق تصرما

وحب فتاة قد قلبى قدها ... وقد سلبت عقلى بخد تنعما

فعاينتها ما بين نهر وروضة ... بوجه يفوق البدر فى أفق السما

وقفت لها شبه الأسير مهابة ... وقلت سلام الله يا ساكن الحمى

فردت سلامى عند ذلك رغبة ... بلطف حديث مثل در تنظما

وحين رأت قولى شهيا تحققت ... مرامى وصار القلب منها مصمما

وقالت أما هذا الكلام جهالة ... فقلت لها كفى عن الصب ألوما

فإن تقبلينى اليوم فالخطب هين ... فمثلك معشوقًا ومثلى متيمًا

فلما رأت منى المرام تبسمت ... وقالت ورب خالق الأرض والسما

وقلت لها ما الاسم يا غاية المنى ... فقالت ها أنا زين المواصف فى الحما

فناديت يا زين المواصف أننى ... بحبك مشغوف الفؤاد متيما

وعاينت من تحت اللثام جمالها ... فصرت كئيب القلب والحال مغرما

فلما رأت حالى وفرط تولهى ... جلت لى وجهًا ضاحكًا متبسمًا

وهبت لنا ريح الوصال وعرت ... نوافج عطر المسك جيدًا ومعصما

وقد عبقت منها الأماكن كلها ... وقبلت من فيها رحيقًا ومتبسما

ومالت كغصن البان تحت غلا ... ئل وحللت وصلا كان قبل محرمًا

وبتنا بجمع الشمل والشمل جامع ... بضم ولثم وارتشاف من اللمى

فلما تجلى الصبح قامت وودعت ... بوجه جميل فائق قمر السما

وقد انشدت عند الوداع ودمعها ... على الخد منثورا وبعضها منظما

فلم أنس عهد الله ماعشت فى الو ... رى وحسن الليالى واليمين المعظما

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسروراً لما أنشد القصيدة المذكورة وسمعتها زين المواصف أطربته وقالت له يا مسرور ما أحسن معانيك ولا عاش من يعاديك ثم دخلت المقصورة ودعت بمسرور فدخل عندها واحتضنها وعانقها وقبلها وبلغ منها ما ظن أنه محال وفرح بما نال من طيب الوصال فعند تلك قالت له زين المواصف يا مسرور إن مالك حرام علينا حلال لك لأننا قد صرنا أحباباً ثم إنها ردت عليه جميع ما أخذته من الأموال وقالت له يا مسرور هل لك من روضة تأتي إليها ونتفرج عليها قال نعم لي روضة ليس لها نظير ثم مضى إلى منزله وأمر جواريه أن يصنعن طعاماً وأن يهيئن مجلساً حسناً وصحبة عظيمة ثم إنه دعاها إلى منزله فحضرت هي وجواريها فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا فقالت يا مسرور أنه خطر ببالي شعر رقيق أريد أن أقوله على العود فقال لها اللي تقوليه فأخذت العود بيدها وأصلحت شأنه وحركت أوتاره وحسنت النغمات وأنشدت تقول هذه الأبيات :

قد مال بي طرب من الأوطار	وصفا الصبوح لنا لدى الأسحار
والحب يكشف عن فؤاد متيم	فبدا الهوى بهتك الأستار
مع خمرة وقت بحسن صفاتها	كالشمس تجلى في يد الأقمار
في ليلة جاءت لنا بسرورها	تمحو بصفو شائب الأكدار

فلما فرغت من شعرها قالت يا مسرور أنشد شيئاً من أشعارك ومتعنا بفواكه أثمارك فأنشد هذين البيتين :

طربنا على بدر يدير مدامة	ونغمة عود في رياض مقامنا
وغنت قماريها ومالت غصونها	سحيرا وفي أنحائها غاية المنى

فلما فرغ من شعره قالت له زين المواصف أنشد لنا شعراً فيما وقع لنا أن كنت مشغولا بحبنا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٨٠٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف قالت لمسرور إن كنت مشغولاً بحبنا فأنشد لنا شعرا فيما وقع لنا فقال حبا وكرامة وأنشد هذه القصيدة :

قف واستمع ماجرالى فى حب هذا الغزالى ... ريم رمانى بنيل ولحظه قد غزالى
بصرتها وسط روض وقدها ذو اعتلال ... سلمت قالت سلاما لما صغت لمقالى
سألت ما الاسم قالت اسمى وفاق جمالى ... سميت زين المواصف فقلت رقى لحالى
فإن عندى غراما هيهات صب مثالى ... قالت فإن كنت تهوى وطامعا فى وصالى
أريد مالا جزيلا يفوق كل نوال ... أريد منك ثيابا من الحرير الغوالى
وربع قنطار مسك برسم ليل وصالى ... ولؤلؤ وعقيقا من النفيس الغالى
فضة ونضار من الحلى الغوالى ... أظهرت صبرا جميلا على عظيم اشتغالى
فأنعمت لى بوصل فياله من وصال ... إن لامنى الغير فيها أقول يا للرجال
لها شعور طوال واللون لون الليالى ... وخدها فيه ورد مثل اللظى فى اشتعال
وجفنها فيه سيف ولحظها كالنبالى ... وثغرها فيه خمر وريقها كالزلال
كأنه عقد در حوى نظام اللالى ... وجيدها جيد ظبى مليحة فى كمال
كمثل زين المواصف مليحة فى الكمال ... أتيت ليلا إليها ونلت شيئا حلالى
وليلة بت معها فاقت جميع الليالى ... لما أتى الصبح قامت ووجها كالهلال
يهز منها قواما هز الرماح الغوالى ... وودعتنى وقالت متى تعود الليالى
فقلت يا نور عينى ... إذا أردت تعالى

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٠٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مسروراً لما انتهى من إنشاده القصيدة طربت زين المواصف طربا عظيما وحصل لها غاية الانشراح وقالت يا مسرور قد دنا الصباح ولم يبق إلا الرواح خوفًا من الافتضاح فقال حبا وكرامة ثم نهض قائما على قدميه [illegible] أوصلها إلى منزلها ومضى إلى

محله وبات يتفكر فى محاسنها فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح هيأ لها هدية فاخرة وأتى بها إليها وجلس عندها وأقام على ذلك مدة أيام وهما فى أرغد عيش واهناه ثم إنه ورد عليها فى بعض الأيام كتاب من عند زوجها مضمونه أنه يصل إليها عن قريب فقالت فى نفسها لا سلمه الله ولا حياه لأنه إن وصل إلينا تكدر علينا عيشنا يا ليتى كنت يئست منه فلما أتى إليها مسرور جلس يتحدث معها على العادة فقالت له يا مسرور قد ورد علينا كتابًا من عند زوجى مضمونه أنه يصل إلينا من سفره عن قريب فكيف يكون العمل وما لأحد منا عن صاحبه صبر فقال لها لست أدرى ما يكون بل أنت أخبر وأدرى بأخلاق زوجك ولاسيما أنت من أعقل النساء صاحبة الحيل التى تحتال بشىء تعجز عن مثله الرجال فقالت له إنه رجل صعب وله غيرة على أهل بيته ولكن إذا قدم من سفره وسمعت بقدومه فأقدم عليه وسلم وأجلس إلى جانبه وقل له ياأخى أنا رجل عطار واشتر منه شيئًا من أنواع العطارة وتردد عليه مرارًا وأطل معه الكلام فقال لها سمعا وطاعة وخرج مسرور من عندها وقد اشتغلت فى قلبه نار المحبة فلما وصل زوجها إلى الدار فرحت بوصوله ورحبت به وسلمت عليه فنظر فى وجهها فرأى فيه لون الاصفرار فسألها عن حالها فذكرت له أنها مريضة من وقت ما سافر هى والجوارى وقالت له إن قلوبنا مشغولة عليك لطول غيابك فبالله عليك يا سيدى ما بقيت تسافر إلا برفيق لأجل أن أكون مطمئنة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٠٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما قالت لزوجها لا تسافر إلا برفيق ولا تقطع عنى أخبارك لأجل أن أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك قال لها حبًا وكرامة ثم إنه خرج بشىء من بضاعته إلى دكانه وفتحها وجلس يبيع فى السوق فبينما هو فى دكانه وإذا بمسرور أقبل وسلم عليه وجلس إلى جانبه وصار يحييه ومكث يتحدث معه ساعة ثم أخرج كيسًا وحله وأخرج منه ذهبا ودفعه إلى زوج زين المواصف وقال له أعطنى بهذه الدنانير شىء من أنواع العطارة لأبيعه فى دكانى فقال له سمعًا وطاعة ثم أعطاه الذى طلبه وصار مسرور يتردد عليه أيامًا فالتفت إليه زوج زين المواصف وقال إنا مرادى رجل أشاركه فى المتجر فقال مسرور أنا الآخر مرادى رجل أشاركه فى المتجر لأن أبى كان تاجر فى اليمن وخلف مالاً عظيمًا وأنا خائف على ذهابه فالتفت إليه زوج زين المواصف وقال له هل لك أن تكون رفيقا لى وصديقا فى السفر والحضر فقال له مسرور حبا وكرامة ثم إنه أخذه وأتى به



إلى المنزل وأجلسه فى الدهليز ودخل إلى زوجته زين المواصف وقال لها إنى رافقت رفيقا ودعوته إلى الضيافة فجهزى لنا ضيافة حسنة فجهزت زين المواصف وعرفت أنه مسرور فجهزت وليمة فاخرة وصنعت طعاما حسنا من فرحتها بمسرور حيث تم تدبير حيلتها فلما حضر مسرور فى دار زوج زين المواصف قال اخرجى معى إليه وقولى له آنستنا فغضبت زين المواصف وقالت تحضرنى قدام رجل غريب أجنبى فقالت إنا ما أشتهى أن أحضر قدام الرجل الأجنبى الذى ما نظرته عينى قط ولا أعرفه فظن زوجها أنها صادقة فى قولها ولم يزل يعالجها حتى قامت وتلفلفت وأخذت الطعام وخرجت إلى مسرور ورحبت به فأطرق رأسه إلى الأرض كأنه مستح فنظر الرجل إلى أطراقه وقال لا شك أن هذا زاهد فأكلوا كفايتهم ثم رفعوا الطعام وقدموا المدام فجلست زين المواصف قبال مسرور وصارت تنظره وينظرها إلى أن مضى النهار فانصرف مسرور إلى منزله والتهب فى قلبه النار وأما زوج زين المواصف فإنه صامت فكر فى لطف صاحبه وفى حسنه فلما أقبل الليل قدمت إليه زوجته طعاما ليتعشى كعادته وكان عنده فى الدار طير هزار إذا جلس يأكل يأتى إليه ذلك الطير يأكل معه ويرفرف على رأسه وكان ذلك الطير ألف مسرورا فصار يرفرف عليه كلما جلس على الطعام فحين غاب مسرور وحضر صاحبه لم يعرفه ولم يقرب منه فصار متفكرًا فى أمر الطير وفى بعده عنه وأما زين المواصف فإنها لم تنم بل صار قلبها مشغولا بمسرور واستمر ذلك الأمر إلى ثانى ليلة وثالث ليلة ففهم اليهودى أمرها ونقد عليها وهى مشغوله البال فأنكر عليها وفى رابع ليلة انتبه من منامه نصف الليل فسمع زوجته تلهج فى منامها بذكر مسرور وهى نائمة فى حضنه فإنكر ذلك عليها وكتم أمره فلما أصبح الصباح ذهب إلى دكانه وجلس فيها فبينما هو جالس وإذا بمسرور قد أقبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحبًا يا أخى ثم قال إنى مشتاق إليك وجلس يتحدث معه ساعة زمانية . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٨٠٥)

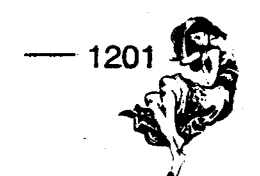
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مسرور جلس مع اليهودى ساعة ثم قال له اليهودى قم يا أخى إلى منزلى حتى نعقد المؤاخاة فقال مسرور حبًا وكرامة فلما حضر إلى المنزل تقدم اليهودى وأخبر زوجته بقدوم مسرور وأنه يريد أن يتجر هو وإياه ويؤاخيه وقال لها هيئى لنا مجلسًا حسنًا ولابد أنك تحضرين معنا وتنظرين المؤاخاه فقالت له بالله عليك لا تحضرنى قدام هذا الرجل

الغريب فمالى غرض أن أحضر قدامه فسكت عنها وأمر الجوارى أن يقدمن الطعام والشراب ثم إنه استدعى بالطير الهزاز فنزل فى حجر مسرور ولم يعرف صاحبه فعند ذلك قال له يا سيدى ما اسمك قال اسمى مسرور والحال إن زوجته طول الليل تلهج فى منامها بهذا الاسم ثم رفع رأسه فنظرها وهى تشير إليه وتغمزه بحاجبها فعرف أن الحيلة قد تمت عليه فقال يا سيدى أمهلنى حتى أجىء بأولاد عمى يحضرون المؤاخاة فقال له مسرور افعل ما بدالك فقام زوج زين المواصف وخرج من المجلس . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .



(اليهودى وهو يتجسس على زوجته ومسرور ينظر ما يفعلانه من طاقة خلف المجلس)

***



الليلة (٨٠٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زوج زين المواصف قال لمسرور أمهلنى حتى أجىء بأولاد عمى ليحضر وأعقد المؤاخاة بينى وبينك ثم مشى وجاء من وراء المجلس ووقف وكان هناك طاقة تشرف عليهما فجاء إليها وصار ينظرهما منها وهما لا ينظرانه وإذا بزين المواصف قالت لجاريته سكوب أين راح سيدك قالت خارج الدار فقالت لها أغلقى الباب ومكنيه بالحديد ولا تفتحى له حتى يدق الباب بعد أن تخبرينى قالت لها الجارية وهو كذلك كل ذلك وزوجها يعاين حالهم ثم إن زين المواصف أخذت الكأس وطيبته بماء الورد وسحيق المسك وجاءت إلى مسرور فقام لها وتلقاها وقال لها والله إن ريقك أحلى من الشراب وصارت تبقيه ويسقيها وبعد ذلك رشته بماء الورد من فوقه إلى قدمه حتى فاحت رائحته فى المجلس كل ذلك وزوجها ينظر إليهما ويتعجب من شدة الحب الذى بينهما وقد امتلأ قلبه غيظ مما قد رآه ولحقه الغضب وغار غيرة عظيمة فأتى إلى الباب فوجده مغلقًا فطرقه طرقا قويا من شدة غيظه فقالت الجارية يا سيدتى قد جاء سيدى فقالت افتحى له الباب فلا رده الله بسلامة فمضت سكوب إلى الباب وفتحته فقال له مالك تغلقين الباب قالت هكذا فى غيابك لم يزل مغلقا ولا يفتح ليلا ولا نهارا فقال احسنت أنه يعجبنى ذلك ثم دخل على مسرور وهو يضحك ولكنه كتم أمره وقال يا مسرور دعنا من المؤاخاه فى هذا اليوم ونتآخى فى يوم آخر غير هذا اليوم فقال سمعًا وطاعة أفعل ما تريد فعند ذلك مضى مسرور إلى منزله وصار زوج زين المواصف مفتكرًا فى أمره ولا يدرى ما يصنع وصار خاطره فى غاية التكدير فقال فى نفسه حتى الهزاأ انكرنى والجوارى أغلقت الأبواب فى وجهى وملن إلى غيرى ثم إنه صار من شدة قهره يردد إنشاد هذه الأبيات :

لقد عاش مسرور زمانا منعما ... بلذة أيام وعيش تصرما
صفا لك زهر بالمليحة قد مضى ... وما زلت فى ذاك الجمال مهيما
فما لك يا طير الهزار تركتنى ... وصرت لغيرى فى الغرام مسلما
وقد أبصرت عينى أمورا عجيبة ... تنبه أجفانى إذا كن نوما
وحق إله العالمين الذى إذا ... أراد قضاء فى الخليقة أبرما
لأفعل ما يستوجب الظالم الذى ... بجهل دنا من وصلها وتقدما

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٠٧)

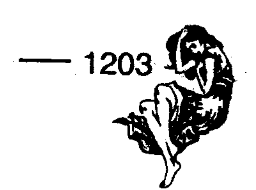
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زوجها لما أنشد الأبيات المذكورة وسمعت زين المواصف شعره ارتعدت فرائصها واصفر لونها وقالت لجاريتها هل سمعت هذا الشعر فقالت الجارية ما سمعته فى عمرى قال مثل هذا الشعر ولكن دعيه يقول ما يقول فلما تحقق زوجها أن هذا الأمر صحيح سار يبيع فى كل ما تملكه يده وقال فى نفسه إن لم أغر بها عن أوطانها لم يرجعا عما هما فيه أبدًا فلما باع جميع أملاكه كتب كتابًا مزورا ثم قرأه عليها وادعى أن هذا الكتاب جاء من عند أولاد عمه يتضمن طلب زيارته لهم هو وزوجته فقالت وكم نقيم عندهم قال اثنى عشر يوما فأجابته إلى ذلك وقالت له هل آخذ معى بعض جوارى قال خذى منهن هبوب وسكوب ودعى هنا خطوب ثم هيأ لهن هودجا مليحا وعزم على الرحيل بهن فأرسلت زين المواصف إلى مسرور إن فات الميعاد الذى بيننا ولم نأت فاعلم أنه قد عمل علينا حيلة ودبر لنا مكيدة ثم إن زوجها جهز حاله للسفر فاحضر الجمال وصار يضع عليها الأحمال وهيأ لزين المواصف أحسن الجمال فلما رأت زين المواصف إنه لابد من فراقها لمسرور تحيرت فاتفق أن زوجها خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت عليه هذه الأبيات . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٠٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما رأت زوجها حضر لها الجمال وعلمت بالسفر تحيرت فاتفق أن زوجها خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت عليه هذه الأبيات :

ألا يا حمام الدار بلغ سلامنا	من الصب للمحبوب عند فراقنا
وبلغه أنى لا زال حزينة	وندمى على ما كان من طيب وقتنا
قضينا زمانا بالمسرة والهنا	وفزنا بوصل ليلنا ونهارنا



فلم نستفق إلا وأصبح صائحاً علينا غراب البين ينعى فراقنا
رحلنا وخلينا الديار بلاقعا فياليتنا لم نخل تلك المساكنا

ثم أتت الباب الثانى وكتبت عليه هذه الأبيات :

أيا واصلا للباب بالله فانظرا جمال حبيبى فى الدياجى وأخبرا
فإن لم تجد صبرا على ما أصابنا فضع فوق رأسك من تراب وغبرا
وسافر إلى بلاد الشرق وغربها وعش صابرا فلله للأمر قدرًا

ثم أتت الباب الثالث وبكت بكاء شديدا . وكتبت عليه هذه الأبيات :

رويدك يا مسرور ان زرت دارها فمر على الأبواب واقرأ سطورها
فبالله يا مسرور لا تنس قربها فقد تركت فيك الهنا وسرورها
فسافرت قصيات البلاد لأجلنا وخض بحارها واستقص عنابر ورها
لقد ذهبت عنا ليالى وصالنا وفرط ظلام الهجر أطفأ نورها
رعى الله أياما مضت ما أسرها بروض الأمانى إذ قطفنا زهورها
فهل ترجع الأيام تجمع شملنا وأوفى إذا وافت لربى نذورها

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٠٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما كتبت على الباب الثالث الأبيات المذكورة حضرت بين يدى زوجها فحملها على الهودج الذى صنعه لها فلما أن صارت على ظهر البعير أنشدت هذه الأبيات :

عليك سلام الله يا منزلا خلا وقد طالما زدنا هناك تجملا
فليت زمانى فى ذراك تصرمت لياليه حتى فى الصبابة أقتلا
فياليت شعرى هل أرى فيه عودة تروق كما راقت لنا فيه أولا

فقال لها زوجها يا زين المواصف لا تحزنى على فراق منزلك فإنك تعودين إليه عن قريب وصار يطيب خاطرها ويلاطفها ثم ساروا حتى خرجوا إلى ظاهر البلد واستقبلوا الطريق وعلمت بأن الفراق قد تحقق فعظم ذلك عليها كل هذا ومسرور قاعد فى منزله متفكر فى أمره وأمر محبوبته فأحس قلبه بالفراق فنهض قائمًا على قدميه من وقته وساعته وسار حتى جاء إلى منزلها فرأى الباب مقفولا ورأى الأبيات التى كتبتها زين المواصف فقرأها فلما قرأ جميع هذه الكتابة زاد به الغرام والشوق والهيام فخرج فى أثرها يسرع فى خطاه حتى لحق بالموكب فرآها فى آخره وزوجها فى أوله لأجل حوائجه فلما رآها تعلق بالهودج باكيا حزينا من ألم الفراق وأنشد هذه الأبيات :

ليت شعرى بأى ذنب رمينا	بسهام الصدود طول السنينا
فرأيت الديار قفرا بباب	فشكوت النوى وزدت أنينا
وسألت الجدار عن كل قصدى	أين راحوا وصار قلبى رهينا
قال ساروا عن المنازل حتى	صيروا الوجد فى الفؤاد كمينا
كتبت لى على الجدار سطورا	فعل أهل الوفى من العالمين

فلما سمعت زين المواصف هذا الشعر علمت أنه مسرور . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨١٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما سمعت منه هذا الشعر علمت أنه مسرور فبكت هى وجواريها ثم قالت له يا مسرور سألتك بالله أن ترجع عنا لئلا يراك ويرانى زوجى فلما سمع مسرور ذلك غشى عليه فلما أفاق ودعا بعضهما وأنشد هذه الأبيات :

نادى الرحيل سحيرا فى الدجى الها	دى قبل الصباح وهنت نسمة البادى
شدوا المطايا وجدوا فى ترحلهم	وأسرع الركب لما زمزم الحادى



تملكوا مهجتى عشقا وقد رحلوا وغادرونى على آثارهم غادى
يا ويح قلبى بعد البعد ما صنعت يد الفراق على رغمى بأكبادى

ومازال مسرور ملازما للركب وهو يبكى وينتحب وهى تستعطفه فى أن يرجع قبل الصباح خشية من الافتضاح فتقدم إلى الهودج وودعها ثانى مرة وغشى عليه ساعة زمانية فلما أفاق وجدهم سائرين فعند ذلك رجع مسرور إلى دار زين المواصف فإنها عرفت أن الحيلة قد تمت عليها فإن زوجها مازال سائرا بها مدة عشرة أيام ثم إنزلها فى بعض المدائن فكتبت زين المواصف كتابا لمسرور وناولته لجاريتها هبوب وقالت أرسلى هذا الكتاب إلى مسرور ليعرف كيف تمت الحيلة علينا وكيف غدربنا اليهودى فأخذت الجارية منها الكتاب وأرسلته إلى مسرور فلما وصل إليه عظم عليه هذا الخطاب فبكى حتى بل التراب وكتب كتابا وأرسله إلى زين المواصف وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨١١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مسرور كتب الكتاب وأرسله إلى زين المواصف فلما وصل إليها أخذته وقرأته وأعطته لجاريتها هبوب وقالت لها اكتمى خبره فعلم زوجها أنهما يتراسلان فأخذ زين المواصف وجواريها وسافر بهن مسافة عشرين يوما ثم نزل بهن فى بعض المدن هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من أمر مسرور فإنه صار لا يهنأ له نوم ولا يقر له قرار ولم يكن له اصطبار ولم يزل كذلك إذ هجعت عيناه فى بعض الليالى فرأى فى منامه أن زين المواصف قد جاءت إليه فى الروضة وصارت تعانقه فانتبه من نومه فلم يرها فطار عقله وذهل لبه وهملت عيناه بالدموع وقد أصبح قلبه فى غاية الولوع فأنشد هذه الأبيات :

سلام الله على من زار فى النوم طيفها فهيج أشواقى وزاد هيامى
وقد قمت من ذاك المنام مولعا برؤية طيف زارنى بمنامى
فهل تصدق الأحلام فيمن أحبه وتشفى غليلى فى الهوى وسقامى

فطـورا تعاطينى وطـورا تضمنـى وطـورا تواسينـى بطيـب كـلام
ولمـا انقضـى فـى المنام عتـابنا وصـارت عيـونى بالدمـوع دوامـى
فأصبحـت كالمجنـون حيـن رأيتـها وأمسيـت سكـرانا بغيـر مـدام

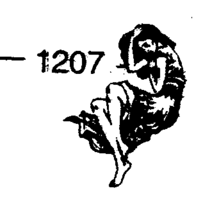
فبكى مسرور بكاء شديدا لما سمع هذا الكلام وفهم الشعر والنظام وكانت أختها تعرف ما هما عليه من العشق والغرام والوجد والهيام فقالت له بالله عليك يا مسرور كف عن هذا المنزل لئلا يشعر بك أحد فيظن أنك تأتى من أجلى لأنك رحلت أختى وتريد أن ترحلنى أنا الأخرى فتسل عنها واتركها فقد مضى ما مضى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٨١٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أخت زين المواصف قالت له قد مضى ما مضى فلما سمع مسرور تلك من أختها بكى بكاء شديدا وقال لها يا نسيم لو قدرت أن أطير لطرت شوقا إليها فكيف أتسلى عنها فقالت مالك حيلة إلا الصبر فقال لها سألتك بالله أن تكتبى لها كتابا من عندك وتردى لنا جوابا ليطيب خاطرى وتنطفى النار التى فى ضمائرى فقالت حبا وكرامة ثم أخذت دواة وقرطاسا وصار مسرور يصف لها شوقه وما يكابده من ألم الفراق ويقول إن هذا الكتاب عن لسان الهائم الحزين المفارق المسكين الذى لا يقر له قرار فى ليل ولا فى نهار بل يبكى بدموع غزار لقد ضر جسمى النحول ودمعى صار فى همول وضاقت على الجبال والسهول فأمسيت من فرط وجدى أقول :

وجـدى على تلك المنازل باقـى زادت إلـى سكانها أشـواقـى
وبعثت نحوكم حديث صبابتى وبكاس حبكم سقانى الساقى
يا حـادى الأظعان عرج بالحمى فالقلـب منـى زائـد الاحـراق
واقرأ سـلامى للحبيب وقـل له مـا إن لـه غير اللمى من راقـى
بلـغ لهم وجـدى وشـدة لوعتى من بعد فرقتهم ومـا أنا لاقـى
فعليكـم منـى السـلام تحـية ممزوجـة بالمسـك فـى الأوراق



فتعجبت أختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة أشعاره فرقت له وختمت الكتاب بالمسك الأذفر وبخرته بالند والعنبر وأوصلته إلى بعض التجار وقالت له لا تسلم هذا إلا لأختى أو جاريتها هبوب فقال حبا وكرامة فلما وصل الكتاب إلى زين المواصف عرفت أنه من إملاء مسرور وعرفت نفسه فيه بلطف معانيه فقبلته ووضعته على عينيها وأجرت الدموع من جفنيها ولم تزل تبكى حتى غشى عليها فلما أفاقت دعت بدواة وقرطاس وكتبت له جواب الكتاب وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٨١٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما كتبت جواب الكتاب لمسرور قالت فيه إن هذا كتاب إلى سيدى ومالك رقى ومولاى وصاحب سرى ونجواى أما بعد فقد أقلقنى السهر وزاد بى الفكر ومالى على بعدك مصطبريا من حسنه يفوق الشمس والقمر فالشوق أقلقنى والوجد أهلكنى وكيف لا أكون كذلك وأنا مع الهالكين فيابهجة الدنيا وزينة الأحياء هل لمن انقطعت أنفاسه أن يطيب كأسه لا هو مع الأحياء ولا مع الأموات ثم تربت للكتاب بسحيق المسك والعنبر وختمته وأرسلته مع بعض التجار وقالت له لا تسلمه إلا لأختى نسيم فلما وصل إلى أختها نسيم أوصلته إلى مسرور فقبله ووضعه على عينيه وبكى حتى غشى عليه هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر زوج زين المواصف فإنه لما علم بالمراسلات بينهما صار يرحل بها وبجاريتها من محل إلى محل فقالت له زين المواصف سبحان الله إلى أين تسير بنا وتبعدنا عن الأوطان قال إلى أن أقطع بكم سنة حتى لا يصل اليكن مراسلات من مسرور وأنظر هل ينفعكم مسرور ويقدر على خلاصكن من يدى ثم إنه مضى إلى الحداد وصنع لهن ثلاثة قيود من الحديد وأتى بها إليهن ونزع ما كان عليهن من الثياب الحرير وألبسهن ثيابًا من الشعر وصار يبخرهن بالكبريت ثم جاء إليهن بالحداد وقال له ضع هذه القيود فى أرجل هؤلاء الجوارى فأول ما قدم زين المواصف فلما رآها الحداد غاب صوابه وعض على أنامله وطار عقله

من رأسه وزاد غرامه وقال لليهودى ما ذنب هؤلاء الجوارى فقال إنهن جوار وسرقن مالى وهربن منى فقال له الحداد خيب الله ظنك والله لو كانت هذه الجارية عند قاضى القضاة وأذنبت كل يوم ألف ذنب لا يؤاخذها وأيضًا لا يظهر عليها علامة السرقة ولا يقدر على وضع الحديد فى رجليها ثم سأله أن لا يقيدها وصار يستشفع عنده فى عدم تقييدها فلما نظرت الحداد وهو يستشفع لها عنده قالت لليهودى سألتك بالله لا تخرجنى قدام هذا الرجل الغريب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨١٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف قالت لليهودى سألتك بالله لا تخرجنى قدام هذا الرجل الغريب فقال لها وكيف خرجت قدام مسرور فلم تر دله جوابا ثم قبل شفاعة الحداد ووضع فى رجليها قيداً صغير وقيد الجوارى بالقيود الثقيلة وكان لزين المواصف جسم ناعم لا يتحمل الخشونة فلم تزل لابسة ثياب الشعر هى وجواريها ليلا ونهار إلى أن انتحلت أجسامهن وتغيرت ألوانهن وأما الحداد فإنه وقع فى قلبه لزين المواصف عشق عظيم فسار إلى منزلهُ وهو بأشد الحسرات وجعل ينشد هذه الأبيات :

شلت يمينك يا قين بما وثقت	تلك القيود على الأقدام والعصب
قيدت أقدام مولاة منعمة	أنيسة خلقت من أعجب العجب
لو كنت تنصف ما كانت خلاخلها	من الحديد وقد كانت من الذهب
ولو رأى حسنها قاضى القضاة رثى	لها وأجلسها فيها أعلى الرتب

وكان قاضى القضاة مارا على دار الحداد وهو يترنم بإنشاد هذه الأبيات فأرسل إليه فلما حضر قال يا حداد من هذه التى تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها فنهض الحداد قائمًا على قدميه بين يدى القاضى وقبل يده وقال آدام الله أيام مولانا القاضى وفسح فى عمره إنها جارية صفتها كذا وكذا وصار يصف له الجارية وما هى فيه من الحسن والجمال والقد والاعتدال والظرف



والكمال وإنها بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل فقال القاضى يا حداد دلها علينا وأصلها إلينا حتى نأخذ لها حقها لأن هذه الجارية صارت معلقة برقبتك وإن كنت لا تدلها علينا فإن الله يجازيك يوم القيامة فقال الحداد سمعا وطاعة ثم توجه من وقته وساعته إلى ديار زين المواصف فوجد الباب مغلوقا فطرق الباب عليهن فقلن من فقال لهن أنا الحداد ثم أخبرهن بما قاله القاضى وأنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوى بين يديه حتى يخلص لهن حقهن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

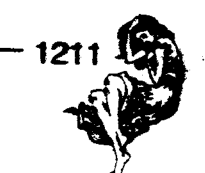
الليلة (٨١٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الحداد لما أخبر زين المواصف بكلام القاضى وإنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوة بين يديه ويقتص لهن من غريمهن حتى يخلص لهن حقهن قالت للحداد كيف نروح إليه والباب مغلوق علينا والقيود فى أرجلنا والمفاتيح مع اليهودى قال لهن الحداد أنا أعمل للاقفال مفاتيح وأفتح بها الباب والقيود قالت فمن يعرفنا بيت القاضى فقال الحداد أنا أصفه لكن فقالت زين المواصف وكيف نمضى عند القاضى ونحن لابسات ثياب الشعر المبخرة بالكبريت فقال الحداد إن القاضى لا يعيبكن وأنتن فى هذه الحالة ثم نهض الحداد من وقه وساعته وصنع مفاتيح للأقفال ثم فتح الباب وفتح القيود وحلها من أرجلهن وأخرجهن ودلهن على بيت القاضى ثم إن جاريتها هبوب نزعت ما كان على سيدتها من الثياب الشعر وذهبت بها إلى الحمام وغسلتها وألبستها ثياب الحرير فرجع لونها إليها ومن تمام السعادة أن زوجها كان فى وليمة عند بعض التجار فتزينت زين المواصف بأحسن الزينة ومضت إلى بيت القاضى فلما نظرها القاضى وقف قائما على قدميه فسلمت عليه بعذوبة كلام وحلاوة ألفاظ ورشقته فى ضمن ذلك بسهام الألحاظ وقالت له أدام الله مولانا القاضى ثم أخبرته بأمر الحداد وما فعل معها من فعل الأجواد فقال لها القاضى يا زين المواصف ألك بعل أم لا؟ قالت مالى بعل قال وما دينك قالت دينى الإسلام وملة خير الأنام فقال لها أقسمى

بالشريعة ذات الآيات والعبر أنك على ملة خير البشر فأقسمت له وتشهدت فقال لها القاضى كيف انقضى سبابك مع هذا اليهودى فقالت له اعلم أيها القاضى أدام الله أيامك بالتراضى وبلغك آمالك وختم بالصالحات أعمالك أن أبى خلف لى بعد وفاته خمسة عشر ألف دينار وجعلها فى يد هذا اليهودى يتجر فيها والكسب بيننا وبينه ورأس المال ثابت بالبينة والشريعة فعندما مات أبى طمع اليهودى فى وطلبنى من أمى ليتزوج بى فقالت له أمى كيف أخرجها من دينها وأجعلها يهودية فوالله لأعرفن الدولة بك فخاف ذلك اليهودى من كلامها وأخذ المال وقرب إلى مدينة عدن وعندما سمعنا به أنه فى مدينة عدن جئنا فى طلبه فلما اجتمعنا عليه فى تلك المدينة ذكر لنا أنه يتاجر فى البضائع ويشترى بضاعة بعد بضاعة فصدقناه ولم يزل يخادعنا حتى حبسنا وقيدنا وعذبنا أشد العذاب ونحن غرباء وما لنا معين إلا الله تعالى ومولانا القاضى فلما سمع القاضى هذه الحكاية قال لجاريتها محبوب هل هذه سيدتك وأنتن غرباء وليس لها بعل قالت نعم قال زوجينى بها وأنا يلزمنى العتق والصيام والحج والصدقة إن لم أخلص لكن حقكن من هذا الكلب بعد أن أجازيه بما فعل فقالت محبوب لك السمع والطاعة فقال القاضى روحى طيبى قلبك وقلب سيدتك وفى غد إن شاء الله تعالى أرسل إلى هذا الكافر وأخلص لكن حقكن منه وتنظرين العجب فى عذابه وبعد أن انصرفت من عنده هى وسيدتها سألتا عن دار القاضى الثانى فدلوهما عليه فلما حضرتا لديه أعلمتاه بذلك وكذلك الثالث والرابع حتى رفعت أمرها إلى القضاة الأربعة وكل واحد يسألها أن تتزوج به فتقول له نعم ولم يعرف بعضهم خبر بعض فصار كل واحد يطمع فيها ولم يعلم اليهودى بشىء من ذلك لأنه كان فى دار الوليمة فلما أصبح الصباح نهضت جاريتها وأفرغت عليها حلة من أفخر الملابس ودخلت بها على القضاة الأربعة فى مجلس الحكم فلما رأت القضاة حاضرين أسفرت عن وجهها ورفعت قناعها وسلمت عليهم فردوا عليها السلام وعرفها كل واحد منهم وكان بعضهم يكتب فوقع القلم من يده وبعضهم كان يتحدث فتلجلج لسانه وبعضهم كان يحسب فغلط فى حسابه فعند ذلك قالوا لها يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك إلا طيبًا .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٨٢٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن القضاة قالوا لزين المواصف يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك إلا طيبا بقضاء غرضك وبلوغ مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت هذا كله واليهودى مقيم عند أصحابه فى الوليمة وليس له علم بذلك ثم إنها كتبت كتابًا يتضمن جميع ما عمله معها اليهودى من الأول إلى الآخر وسطرت فيه الأشعار ثم طوت الكتاب وناولته لجاريتها هبوب وقالت لها احفظى هذا الكتاب فى جيبك حتى نرسله إلى مسرور فبينما هما كذلك إذا باليهودى قد دخل عليهما فرآهما فرحاتين فقال مالى أراكما فرحانتين هل جاءكما كتاب من عند صديقكما مسرور فقالت له زين المواصف نحن مالنا معين عليك إلا الله سبحانه وتعالى فقال اليهودى ومن خلص القيود من أرجلكما ولكن لابد أن أصنع لكل واحدة منكن قيدًا قدر عشرة أرطال وأطوف بكن حول المدينة ثم نهض اليهودى وجاء إلى الحداد ليصنع قيود لهن فعند ذلك قامت زين المواصف هى وجواريها وأتت إلى دار الحكم ودخلتها فرأت القضاة فسلمت عليهم فرد عليها جميع القضاة السلام ثم قال قاضى القضاة لمن حوله أن هذه الجارية زهراوية وكل من رآها أحبها وخضع لحسنها وجمالها ثم إن القاضى أرسل معها من الرسل أربعة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٢٧)

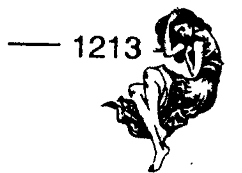
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن القاضى أرسل مع زين المواصف أربعة وقال لهم حضروا غريمها فى أسوأ حال هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر اليهودى فإنه لما صنع لهن القيود توجه إلى المنزل فلم يجدهن فيه فاحتار فى أمره فبينما هو كذلك وإذا بالرسل قد تعلقوا به وضربوه ضربًا شديدًا وجروه سحبًا على وجهه حتى أتوا به إلى القاضى فلما رآه القاضى صرخ فى وجهه وقال ويلك يا عدو الله هل وصل من أمرك أنك فعلت ما فعلت وأبعدت هؤلاء عن أوطانهن وسرقت ما لهن وتريد أن تجعلهن يهودا فكيف تريد تكفير المسلمين فقال اليهودى يا مولاى إن هذه زوجتى فلما سمع القضاة منه هذا الكلام صاحوا كلهم وقالوا ارموا هذا الكلب

على الأرض واضربوه ضربا وجيعا على وجهه بالنعال ثم أركبوه على حماره وجعلوا وجهه إلى كفله وأمسكوه ذيل الحمار فى يده وطافوا به حول البلد حتى جرسوه فى سائر البلد ثم عادوا به إلى القاضى وهو فى ذل عظيم فحكم عليه القضاة الأربعة بأن تقطع يداه ورجلاه وبعد ذلك يصلب فاندهش الملعون من هذا القول وغاب عقله وقال يا سادتى القضاة ما تريدون منى فقالوا له قل إن هذه الجارية ما هى زوجتى وإن المال ما لها وأنا تعديت عليها وشتتها عن أوطانها فأقر بذلك وكتبوا بإقراره حجة وأخذوا منه المال ودفعوه إلى زين المواصف وأعطوها الحجة وخرج فصار كل من رأى حسنها وجمالها متحيراً فى عقله وظن كل واحد من القضاة أنها يؤل أمرها إليه فلما وصلت إلى منزلها جهزت أمرها من جميع ما تحتاج إليه وصبرت إلى أن دخل الليل فأخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسارت هى وجواريها فى ظلام الليل ولم تزل سائرة مسافة ثلاثة أيام بلياليها هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من أمر القضاة فإنهم بعد ذهابها أمروا بحبس اليهودى زوج زين المواصف وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨١٨)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن القضاة أمروا بحبس اليهودى زوج زين المواصف فلم تحضر عند أحد منهم ثم إن القاضى الذى ذهبت ليه أولا قال إنا أريد اليوم أن أتفرج على خارج المدينة لأنى لى حاجة هناك ثم ركب بغلته وأخذ غلمانه وصار يطوف أزقة المدينة طولا وعرضا ويفتش على زين المواصف فلم يقع لها على خبرا فبينما هو كذلك إذ وجد باقى القضاة دائرين وكل واحد منهم يظن أنه ليس بينها وبين غيره ميعاد فسألهم ما سبب ركوبهم ودورانهم فى أزقة المدينة فأخبروه بشأنهم فرأى حالهم كحاله وسؤالهم كسؤاله فصار الجميع يفتشون عليها فلم يقعوا لها على خبر ثم إن قاضى القضاة تذكر الحداد فأرسل إليه فلما حضر بين يديه قال له يا حداد هل تعرف شيئًا من خبر الجارية التى دللتها علينا فوالله إن لم تطلعنى عليها ضربتك بالسياط .



ثم إن الحداد قال والله يا مولاى من حين انصرفت من الحضرة الشريفة ما نظرتها عينى أبدا وقد ملكت لبى وعقلى وصار فيها حديثى وشغلى وقد مضيت إلى منزلها فلم أجدها ولم أر أحد يخبرنى عن شأنها فكأنها غطست فى قرار الماء أو عرج بها إلى السماء فلما سمع القاضى كلامه شهق شهقة كادت روحه تخرج منه ثم قال والله ما كان لنا حاجة برؤيتها فانصرف الحداد ووقع القاضى على فرشه وصار من أجلها فى ضنى وكذا الشهود وباقى القضاة الأربعة وصارت الحكماء تتردد عليهم وما بهم من مرض يحتاج إلى الطبيب ثم إن زوجها والناس دخلوا على القاضى الأول فسلموا عليه واستخبروه عن حاله فتنهد وباح بما فى ضميره وبكى بكاء شديداً ثم إنه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فلما رأوا ذلك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ثم إنهم ترحموا عليه وانصرفوا إلى القاضى الثانى ومعهم الطبيب فلم يجدوا به ضررا ولا ألما يحتاج إلى طبيب فسألوه عن حاله وشغل بالله فعرفهم بقضيته فلاموه وعنفوه على تلك الحالة ثم إنه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فجهزوه ودفنوه وترحموا عليه ثم إنهم توجهوا إلى القاضى الثالث فوجدوه مريضا وحصل له ما حصل للثانى وكذلك الرابع فوجدوا الجميع مرضى بحبها ووجدوا الشهود أيضا مرضى بحبها وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨١٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أهل المدينة وجدوا جميع القضاة والشهود مرضى بحبها فإن كل من رآها مات بعشقها وإن لم يمت عاش يكابد لوعة الغرام من شدة حبها رحمهم الله أجمعين هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر زين المواصف فاتفق أنها خرجت هى وجواريها فمرت على دير فى الطريق وفيه راهب كبير اسمه دانس وكان عنده أربعون بطريقا فلما رأى جمال زين المواصف نزل إليها وعزم عليها وقال لها استريحوا عندنا عشرة أيام ثم سافروا فنزلت عنده هى وجواريها فى ذلك الدير فلما نزلت لو رأى حسنها وجمالها أفسدت

عقيدته وافتتن بها وسار يرسل إليها مع البطارقة واحد بعد واحد لاجل أن يؤلفها فسار كل من أرسله إليها يقع فى حبها ويراودها عن نفسها له وهى تعتذر وتمتنع فلما فرغ صبر دانس واشتد غرامه قال فى نفسه إن صاحب المثل يقول ما حك جسمى غير ظفرى ولا سعى فى مرامى مثل أقدامى ثم نهض قائمًا على قدميه وصنع طعاما مفتخرًا ووضعه بين يديها وكان ذلك اليوم التاسع من العشرة أيام التى اتفق معها على إقامتها عنده لأجل الاستراحة فلما وضعه بين يديها قال تفضلى باسم الله خير الزاد ما حصل فمدت يديها وقالت بسم الله الرحمن الرحيم وأكلت هى وجواريها فلما فرغت من الأكل قال لها يا سيدتى أريد أن أنشدك أبياتا من الشعر فقالت له قل فأنشد هذه الأبيات :

ملكت قلبى بألحاظ ووجنات وفى هواك غدى نثرى وأبياتى

أتتركينى محبا مغرما دنفا أعالج شوقى حتى فى المنامات

لا تتركينى صريعا والها فلقد تركت أشغال ديرى بعد لذاتى

فلما سمعت زين المواصف شعره أجابته عن شعره بهذين البيتين :

يا طالب الوصل لا يغررك بى أمل اكفف سؤالك عنى أيها الرجل

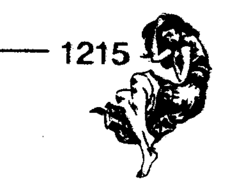
لا تطمع النفس فيما لست تملكه إن المطامع مقرون بها الأجل

فلما سمع شعرها رجع إلى صومعته وهو متفكر فى نفسه ولم يدر كيف يصنع فى أمرها ثم بات تلك الليلة فى أسوأ حال فلما جن الليل قامت زين المواصف وقالت لجواريها قوموا بنا فإننا لا نقدر على أربعين رجلاً رهبانًا وكل واحد يراودنى عن نفسى فقال لها الجوارى حبًا وكرامة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٢٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما خرجت هى وجواريها من الدير ليلا لم يزلن سائرات وإذا هن بقافلة فاختلطن بها وإذا بالقافلة من مدينة عدن التى كانت فيها زين المواصف فسمعت أهل القافلة يتحدثون بخبر زين المواصف ويذكرون أن القضاة والشهود ماتوا



فى حبها فلما سمعت زين المواصف هذا الكلام التفتت إلى جواريها وقالت لجاريتها هبوب ألا تسمعين هذا الكلام فقالت لها جاريتها إذا كان الرهبان الذين عقيدتهم أن الترهب عن النساء عبادة قد افتتنوا فى هواك فكيف حال القضاة الذين عقيدتهم أنه لا رهبانية فى الإسلام ولكن أمض بنا إلى أوطاننا مادام أمرنا مكتومًا ثم إنهن سرن وبالغن فى السير وهن قاصدين مدينة عدن إلى أن وصلت زين المواصف إلى منزلها وفتحت الأبواب ودخلت الدار ثم أرسلت إلى أختها نسيم فلما سمعت أختها بذلك فرحت فرحًا شديدًا وأحضرت لها الفراش ونفيس القماش ثم إنها فرشت لها وألبستها وأرخت الستور على الأبواب وأطلقت العود والند والعنبر والمسك الازفر حتى عبق المكان من تلك الرائحة وصار أعظم ما يكون ثم إن زين المواصف لبست أفخر قماشها وتزينت أحسن زينة كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان فى هم شديد وحزن ما عليه من مزيد وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٢١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما دخلت دارها أتت لها أختها بالفراش وفرشت لها وألبستها أفخر الثياب كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان فى هم شديد وحزن ما عليه من مزيد ثم جلست زين المواصف تتحدث مع جواريها الذين تخلفن عن السفر معها وذكرت لهن جميع ما وقع لها من الأول إلى الآخر ثم إنها التفت إلى هبوب وأعطتها دراهم وأمرتها أن تذهب وتأتى لها بشىء تأكله هى وجواريها فذهبت وأتت بالذى طلبته من الأكل والشرب فلما انتهى أكلهن وشربهن أمرت هبوب أن تمضى إلى مسرور وتنظر أين هو وتشاهد ما هو فيه من الأحوال وكان مسرور لا يقر له قرار ولا يمكنه اصطبار فلما زاد عليه الوجد والغرام قام ومشى إلى زقاق زين المواصف فشم الروائح الزكية فهاج لبه وضاق صدره وقلبه وتضرم غرامه وزاد هيامه وإذا بهبوب متوجهة إلى قضاء حاجة فرآها وهى مقبلة من صدر الزقاق فلما رآها فرح فرحًا شديدًا فلما رأته هبوب أتت إليه وسلمت عليه وبشرته بقدوم سيدتها زين المواصف وقالت له إنها أرسلتنى فى طلبك إليها ففرح بذلك فرحًا شديدًا ما عليه مزيد ثم أخذته ورجعت به إليها فلما رأته زين المواصف نزلت له من فوق سريرها وقبلته وقبلها وعانقته

وعانقها ولم يزل يقبلان بعضهما ويتعانقان حتى غشى عليهما زمنا طويلا من شدة المحبة والفراق فلما أفاقا من غشيتهما أمرت جاريتها هبوب بإحضار قلة مملوءة من شراب السكر وقلة مملوءة من شراب الليمون فأحضرت لها الجارية جميع ما طلبته ثم أكلوا وشربوا ومازالوا كذلك إلى أن أقبل الله الليل فصاروا يذكرون الذى جرى لهم من أوله إلى آخره ثم إنها أخبرته بإسلامها ففرح وأسلم هو أيضا وكذلك جواريها وتابوا إلى الله تعالى فلما أصبح الصباح أمرت بإحضار القاضى والشهود أخبرتهم أنها عازبة وقد وفت العدة ومرادها الزواج بمسرور فكتبوا كتابها وصاروا فى ألذ عيش هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من أمر زوجها فإنه لما أقبل من السفر دق الباب فقالت هبوب من بالباب فقال سيدك ففتحت له الباب فرأى دموعها تجرى على خدها فقال لها ما يبكيك وأين سيدتك فقالت له إن سيدتى ماتت بسبب قهرها عليك فلما سمع منها ذلك الكلام تحير فى أمره وبكى بكاء شديدا ثم قال لها يا هبوب أين قبرها فأخذته ومضت به إلى المقبرة وأرته القبر الذى حفرته فعند ذلك بكى بكاء شديدا حتى خر مغشيا عليه فلما غشى عليه أسرعت هبوب بجره ووضعته فى القبر وهو بالحياة ولكنه مدهوش ثم سدت عليه ورجعت إلى سيدتها وأعلمتها بهذا الخبر ففرحت فرحًا شديدًا ثم إنهم أقاموا مع بعضهم على الأكل والشرب واللهو واللعب إلى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات ومميت البنين والبنات وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

﴿حكاية على نور الدين مع مريم الزنارية﴾

الليلة (٨٢٢)

قالت : ومما يحكى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر بالديار المصرية يسمى تاج الدين وكان من أكابر التجار ومن الأمناء الأحرار إلا أنه كان مولعا بالسفر إلى جميع الأقطار ويحب السير فى البرارى والقفار والسهول والأوعار وجزائر البحار فى طلب الدرهم والدينار وكان له عبيد ومماليك وخدم وجوار وكان لذلك التاجر ولد ذكر يسمى على نور الدين كأنه البدر إذا بدر ليلة أربع عشرة بديع الحسن والجمال ظريف القدو الاعتدال

فجلس ذلك الصبى يوما من الأيام فى دكان والده على جرى عادته للبيع والشراء والأخذ والعطاء وقد دارت حوله أولاد التجار فصار هو بينهم كأنه القمر بين النجوم بجبين أزهر وخد أحمر وعذار أخضر وجسم كالمرمر كما قال فيه الشاعر :

ومليح قال صفنى أنت فى الوصف فصيح   قلت قولا باختصار كل ما فيك مليح

فعزمه أولاد التجار وقالوا له يا سيدى نور الدين نشتهى فى هذا اليوم أننا نتفرج نحن واياك فى البستان الفلانى فقال لهم حتى أشاور والدى فإنى لا أقدر أن أروح إلا بإجازته فبينماهم فى الكلام وإذا بوالده تاج الدين قد أتى فنظر إليه وقال يا أبى إن أولاد التجار قد عزمونى لأجل أن أتفرج أنا وإياهم فى البستان الفلانى فهل تأذن لى فى ذلك فقال نعم يا ولدى ثم أعطاه شيئا من المال وقال توجه معهم فركب أولاد التجار حميرًا وبغالاً وركب نور الدين بغلة وسار معهم إلى بستان فيه ما تشتهى إلا نفس وتلذ الأعين وهو مشيد الأركان رفيع البنيان له باب مقنطر كأنه إيوان وباب سماوى يشبه أبواب الجنان وبوابه اسمه رضوان وفوقه مائة مكعب عنب من سائر الألوان الأحمر كأنه مرجان والأسود كأنه أنوف السودان والأبيض كأنه بيض الحمام وفيه الخوخ والرمان والكمثرى والبرقوق والتفاح كل هذه الأنواع مختلفة الألوان صنوان وغير صنوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام .

***

الليلة (٨٢٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما دخلوا البستان رأوا فيه كل ما تشتهى الشفة واللسان ووجدوا العنب مختلف الألوان صنوانا وغير صنوان وفى ذلك البستان فواكه ذات أفنان وأطيار من جميع الأصناف والألوان مثل فاخت وبلبل وكيروان وقمارى وحمام يغرد على الأغصان وأنهار بها الماء الجارى وقد راقت تلك لمجارى بأزهارها وأثمار ذات لذات كما قال فيها الشاعر هذين البيتين :

سرت النسيم على النسون فتشابهت   حسناء تعثر فى جميل ثيابها
وحكت جداولها السيوف إذا نضت   أبدى الفوارس من غلاف قرابها

وفى ذلك البستان مشمش لوزى وكافور وجيلانى وعنتابى كما قال فيه الشاعر :

والمشمش اللوزى يحكى عاشقا ... جاء الحبيب لـه فحير لبه
وكفاه من صفة المتيم ما بـه ... يصفر ظاهـره ويكسـر قلبه

وفى ذلك البستان برقوق وقراصيا وعناب تشفى المقيم من الأوصاب والتين فوق أغصانه أحمر وأخضر يخير العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر :

كأنما التين يبدو منه أبيضه ... مع أخضر بين أوراق من الشجر
أبنام على أعلى القصور وقد ... جن الظلام بهم باتوا على حذر

وفى ذلك البستان من الكمثرى الطورى والحلى والرومى ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٢٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما نزلوا فى البستان رأوا فيه من الفواكه ما ذكرناه ووجدوا فيه من الكمثرى الطورى والحلبى والرومى ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان ما بين أصفر وأخضر يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر :

تهنيك كمثرى غدا لونها ... لون محب زائد الصفرة
شبيهة بالبكر فى خدرها ... والوجه منها مسبل السترة

وفى ذلك البستان من الخوخ السلطانى ما هو مختلف الألوان من أصفر وأحمر كما قال فيه الشاعر :

كأنما الخوخ لدى روضة ... وقد كسى من حمرة العندم
بنادق من ذهب أصفر ... قد خضبت فى وجهها بالدم



وفى ذلك البستان من اللوز الأخضر ما هو شديد الحلاوة يشبه الجمار ولبه من داخل ثلاثة أثواب من صنعة الملك الوهاب كما قال فيه الشاعر :

ثلاثة أثواب على جسد رطب ... مخالفة الأشكال من صنعة الرب
يريه الردى فى ليله ونهاره ... وإن يكن المسكون فيها بلا ذنب

وفى ذلك البستان النارنج كأنه خولنجان كما قال فيها الشاعر الولهان :

وحمراء ملء الكف تزهو بحسنها ... فظاهرها نار وباطنها ثلج
ومن عجب ثلج من النار لم يذب ... ومن عجب نار وليس لها وهج

وفى ذلك البستان من سائر الفواكه والرياحين والخضروات والمشمومات من الياسمين والفاغية والفلفل والسنبل العنبرى والورد بسائر أنواعه ولسان الحمل والآس وكامل الرياحين من جميع الأجناس وتلك البستان من غير تشبيه كأنه قطعة من الجنان الرائية إذا دخله العليل خرج منه كالأسد الغضبان ولا يقدر على وصفه إنسان لما فيه من العجائب والغرائب التى لا توجد إلا فى الجنان كيف لا واسم بوابه رضوان لكن بين المقامين شتان فلما تفرج أولاد التجار على تلك البستان جلسوا بعد التفرج والتنزه على ليوان من لواوينه وأجلسوا على نور الدين فى وسط الليوان وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٢٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما جلسوا فى الليوان أجلسوا نور الدين وفى الوسط على نطع من الأديم المزركش متكئًا على مخدة محشوة بريش النعام وظهارتها مدورة سنجابية ثم ناولوه مروحة من ريش النعام مكتوبا عليها هذان البيتان :

ومروحة معطرة من النسيم ... تذكر طيب أوقات النعيم
وتهدى طيبها فى كل وقت ... إلى وجه الفتى الحر الكريم

ثم إن هؤلاء الشبان خلعوا ما كان عليهم من العمائم والثياب وجلسوا يتحدثون ويتنادمون ويتجاذبون أطراف الكلام بينهم وكل منهم يتأمل فى نور الدين وينظر إلى حسن صورته وبعد أن اطمأن بهم الجلوس ساعة من الزمان أقبل عليهم عبد وعلى رأسه سفرة طعام فيها أوان من الصينى والبلور لأن بعض أولاد التجار كان وصى أهل بيته بها قبل خروجه إلى البستان وكان فى تلك السفرة كثير مما درج وطار وسبح فى البحار كالقطا والسمانى وأفراخ الحمام وشياة الضأن والطف السمك فلما وضعت تلك السفرة بينهم تقدموا وأكلوا بحسب الكفاية ولما فرغوا من الأكل قاموا عن الطعام وغسلوا أيديهم بالماء الصافى والصابون المسك وبعد ذلك نشفوا أيديهم بالمناديل المنسوجة بالحرير والقصب وقدموا لنور الدين منديلاً مطرزًا بالذهب الأحمر فمسح به يديه وجاءت القهوه كل منهم مطلوبه ثم جلسوا للحديث وإذا خولى البستان جاء ومعه سفرة المدام فوضع بينهم صينية مزركشة بالذهب الأحمر ثم إن خولى البستان ملأ وشرب ودار الدور إلى أن وصل إلى نور الدين ابن التاجر تاج الدين فملأ خولى البستان كأسا وناوله إياه فقال له نور الدين أنت تعرف أن هذا شىء لا أعرفه ولا شربته قط لأن فيه اثما كبير وقد حرمه فى كتابه الرب القدير فقال البستانى يا سيدى نور الدين إن كنت ما تركت شربه إلا من أجل الإثم فإن الله سبحانه وتعالى كريم حليم غفور رحيم يغفر الذنب العظيم ورحمته وسعت كل شىء ثم قال واحد من أولاد التجار بحياتى عليك يا سيدى نور الدين إن تشرب هذا القدح وتقدم عليه شاب آخر وحلف عليه بالطلاق وآخر وقف بين يديه على أقدامه فاستحى نور الدين وأخذ القدح من خولى البستان وشرب منه جرعة ثم بصقها وقال هذا مر ثم إن خولى البستان نهض قائما على أقدامه من وقته وساعته وفتح مخدعًا من مخادع ذلك الإيوان وأخرج منه قمع سكر مكرر وكسر منه قطعة كبيرة ووضعها لنور الدين فى القدح وقال يا سيدى إن كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٨٣٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخولى قال لنور الدين إن كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا فعند ذلك أخذ نور الدين القدح وشربه ثم ملأ الكاس واحد من أولاد التجار وقال يا سيدى نور الدين أنا عبدك وكذا الآخر قال إنا خدامك وقام الآخر وقال من أجل خاطرى وقام الآخر وقال بالله عليك يا سيدى نور الدين أجبر بخاطرى ولم يزل العشرة أولاد التجار بنور الدين إلى أن أسقوه العشرة أقداح كل واحد قدحا وكان نور الدين باطنه بكر عمره ما شرب خمرا قط إلا فى تلك الساعة فدار الخمر فى دماغه وقوى عليه السكر فوقف على حيله وقد ثقل لسانه واستعجم كلامه وقال يا جماعة والله أنتم ملاح وكلامكم مليح ومكانكم مليح إلا أنه يحتاج إلى سماع طيب فإن الشراب بلا سماع عدمه أولى من وجوده كما قال فيه الشاعر هذين البيتين :

أردها بالكبير والصغير   وخدها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فإنى   رأيت الخيل تشرب بالصفير

فعند ذلك نهض الشاب صاحب البستان وركب بغلة من بغال أولاد التجار وغاب ثم عاد ومعه صبية مصرية كأنها ليلة طرية أو فضة نقية أو دينار فى صينية أو غزال فى برية بوجه يخجل الشمس الماضية وعيون بابلية وحواجب كأنها قسى محنبة وخدود وردية وأسنان لؤلؤية ومرشف سكرية وعيون مرخية ونهود عاجية وبطن خماسية وأعكان مطوية وأرداف كأنها مخدات محشية وفخذين كالجدلول الشامية وبينهما شىء كأنه صرة فى بقجة مطوية كما قيل فيه هذه الأبيات :

ولو أنها للمشركين تعرضت   رأوا وجهها من دون أصنامهم ربا
ولو أنها فى الشرق لاحت لراهب   لخلى سبيل الشرق واتبع الغربا
ولو تفلت فى البحر والبحر مالح   لأصبح ماء البحر من ريقها عذبًا

وتلك الصبية كأنها البدر إذا بدر فى ليلة أربع عشرة وعليها بدلة زرقاء بقناع أخضر فوق جبين أزهر تدهش العقول وتحير أرباب المعقول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٢٧)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن خولى البستان جاهم بالصبية التى ذكرنا أنها فى غاية الحسن والجمال ورشاقة القد والاعتدال ثم إن الشاب خولى البستان قال لتلك الصبية اعلمى يا سيدة الملاح وكل كوكب لاح إننا ما قصدنا بحضورك فى هذا المكان إلا أن تنادمى هذا الشاب المليح الشمائل سيدى نور الدين فإنه لم يأت محلنا إلا فى هذا اليوم فقالت له الصبية ليتك كنت أخبرتنى لأجل أن أجىء بالذى كان معى فقال لها سيدتى أنا أروح واجىء به إليك فقالت افعل ما بدا لك فقال لها اعطينى أمارة فأعطته منديلا فعند ذلك خرج سريعا وغاب ساعة زمانية ثم عاد ومعه كيس أخضر من حرير أطلس بشكلين من الذهب فأخذته منه الصبية وحلته ونفضته فنزل منه اثنتان وثلاثون قطعة خشب ثم ركبت الخشب فى بعضه على صورة ذكر فى أنثى وأنثى فى ذكر وكشفت عن معاصمها وأقامته فصار عودا محكوكا مجرودا صنعة الهنود ثم انحنت عليه تلك الصبية انحناء الوالدة على ولدها وزغزغته بأنامل يدها فعند ذلك إن العود ورن ولأماكنه القديمة حن وقد تذكر المياه التى قد سقته والأرض التى نبتت منها وتربى فيها وتذكر النجارين الذين دهنوه والتجار الذين جلبوه والمراكب التى حملته فصرخ وصاح وعدد وناح وكأنها سألته عن ذلك كله فأجابها بلسان الحال منشداً هذه الأبيات :

لقد كنت عودا للبلابل منزلا ... اميل بها وجدا وفرعى أخضر
رمانى بلاذنب على الأرض قاطعى ... وصيرنى عودا نحيلا كما تروا
ولكن ضربى بالأنابل مخبر ... بأنى قتيل فى الزنام مصبر
فمن أجل هذا صار كل منادم ... إذا ما رأى نوحى يهيم ويسكر
وقد حنن المولى على قلوبهم ... وقد صرت فى أعلى الصدور أصدر



ثم سكتت الصبية ساعة وبعد ذلك أخذت ذلك العود فى حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وضربت عليه طرقا عديدة . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٢٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبيُة ضربت على العود طرقا عديدة ثم عادت إلى طريقتها الأولى وأنشدت هذه الأبيات :

لو أنهم جنحوا للصب أوزاروا ... لحط عنه من الأشواق أوزار
وعندليب على غصن يشاجره ... كأنه عاشق شطت به الدار
قم وانتبه فليالى الوصل مقمرة ... كأنها باجتماع الشمل أسحار
أما ترى أربعا للهو قد جمعت ... آس وورد ومنشور وأنوار
واليوم قد جمعت للحظ أربعة ... صب وخل ومشروب ودينار
فاظفر بحظك فى الدنيا فلذتها ... تفنى وتبقى روايات وأخبار

وأدرك شهر زاد الصبح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٢٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما سمع كلام تلك الصبية وشعرها أعجبه نظامها وكان قد مال من السكر فجعل يمدحها ويقول :

عودات مالت بنا ... فى نشوة المبتدأ ... قالت لنا أوتارها ... انطقنا الله الذى

فلما تكلم نور الدين بهذا الكلام وأنشد هذا الشعر والنظام نظرت له تلك الصبية بعين المحبة وزادت فيه عشقا وغراما وقد صاحت متعجبة من حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله فلم تملك نفسها بل احتضنت العود ثانيا وأنشدت هذه الأبيات :

يعاتبني على نظرى إليه ويهجرني وروحي في يديه
ويبعدني ويعلم ما بقلبي كان الله قد أوحى إليه
كتبت مثاله في وسط كفي وقلت لناظرى عول عليه
فلا عيني ترى منه بديلا ولا قلبي يصيرني لديه
فياقلبي نزعتك من فؤادى لأنك بعض حسادى عليه
إذا ما قلت يا قلبي تسلى فقلبي لم يمل إلا إليه

فلما أنشدت الصبية تلك الأبيات تعجب نور الدين من حسن شعرها وبلاغة كلامها وعذوبة لفظها وفصاحة لسانها فطار عقله من شدة الغرام والوجد والهيام ولم يقدر أن يصبر عنها ساعة من الزمان بل مال إليها وضمها إلى صدره فانطبقت الأخرى عليه وصارت بكليتها لديه وقبلته بين عينيه وقبل هو فاها بعد ضم القوام ولقب معها في التقبيل كزق الحمام فالتفت له وفعلت معه مثل ما فعل معها فهام الحاضرون وقاموا على أقدامهم فاستحى نور الدين ورفعت يده عنها ثم إنها أخذت عودها وضربت عليه طرائق عديدة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأنشدت هذه الأبيات :

قمر يميل من الجفون إذا انثنى عضبا ويهزأ بالغزل إذا رنا
لو أن رقة خصره في قلبه ما جار قط على المحب ولا جنى
يا قلبه القاسي ورقة خصره هلا نقلت إلى هنا من ههنا
يا عاذلي في حبه كن عاذرى فلك البقاء بحسنه ولي الفنا

فلما سمع نور الدين حسن كلامها وبديع نظامها مال إليها من الطرب ولم يملك عقله من شدة العجب ثم إنشد هذه الأبيات :

لقد خلتها شمس الضحى فتخيلت ولكن لهيب الحر منها بمهجتي
وماذا عليها لو أشارت فسلمت علينا بأطراف البنان وأومت
أهذى التي قد همت شوقا بحبها فإنك معذور فقلت هي التي
رمتني بسهم اللحظ عمدا وما رثت لحالي وذلي وانكسارى وغربتي
فأصبحت مسلوب الفؤاد متيمًا أنوح وأبكي طول يومى وليلتي



فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت الصبية من فصاحته ولطافته وأخذت عودها وضربت عليه بأحسن حركاتها وأعادت جميع النغمات ثم أنشدت هذه الأبيات :

وحياة وجهك يا حياة الأنفس ... لا حلت عنك يئست أم لم أياس

فلئن جفوت فإن طيفك واصل ... أوغبت عن عينى فذكرك مؤنسى

يا موحشا طرفى وتعلم أننى ... أبدا بغير هواك لم أستأنس

خداك من ورد وريقك قهوة ... هلا سمعت بها بهذا المجلس

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .



(نور الدين ومعه أولاد التجار وهم فى البستان والصبية ترقص أمامهم)

***

الليلة (٨٣٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية بعد ما فرغت من شعرها طرب نور الدين من إنشاد تلك الصبية غاية الطرب وتعجب منها غاية العجب ثم أجابها عن شعرها بهذه الأبيات :

ما أسفرت عن محيا الشمس فى الغسق ... إلا تحجب بدر التم فى الأفق

خذ عن مجارى دموى فى تسلسلها ... وارو حديث الهوى من أقرب الطرق

ورب رامية بالنبل قلت لها ... مهلا بنبلك إن القلب فى فرق

قالت فهات جميع المال قلت خذى ... قالت ونومك أيضاً قلت من حدقى

فلما سمعت الصبية كلام نور الدين وحسن فصاحته طار قلبها واندهش لبها وقد احتوى على مجامع قلبها فضمته إلى صدرها وصارت تقبله تقبيلا كزق الحمام وكذلك الآخر قابلها بتقبيل متلاحق ولكن الفضل للسابق وبعد أن فرغت من التقبيل أخذت العود وأنشدت هذه الأبيات :

ويلاه ويلى من ملامة عاذلى ... أشكوه أم أشكو إليه تململى

عنفت أرباب الصبابة بالجوى ... وأمجت فيك لعاذليك تذللى

بالأمس كنت ألوم أرباب الهوى ... واليوم أعذر كل صب مبتلى

وإن اعترتنى من فراقك شدة ... أصبحت أدعوا الله باسمك يا على

فلما فرغت تلك الصبية من شعرها أيضا أنشدت هذين البيتين :

قد قالت العشاق إن لم يسقنا ... من ريقه رحيق فيه السلسل

ندعو إله العالمين يجبنا ... ويقول فيه الكل منا يا على

فلما سمع نور الدين من تلك الصبية هذا الكلام والشعر والنظام تعجب من فصاحة لسانها وشكرها على طرافة أفنانها فلما سمعت الصبية ثناء نور الدين عليها قامت من وقتها وساعتها على قدميها وخلعت جميع ما كان عليها من ثياب ومصاغ وتجردت من ذلك كله ثم جلست على ركبتيها وقبلته بين عينيه وعلى شامتى خديه ووهبت له جميع ذلك . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية وهبت كل ما كان عليها لنور الدين وقالت له اعلم يا حبيب قلبى إن الهدية على مقدار مهديها فقبل منها ذلك نور الدين ثم رده عليها وقبلها فى فمها وخديها وعينيها فلما انقضى ذلك ولم يدم إلا الحى القيوم رازق الطاؤوس والبوم قام نور الدين من ذلك المجلس ووقف على قدميه فقالت له الصبية إلى أين يا سيدى فقال إلى بيت والدى فحلف عليه أولاد التجار أنه ينام عندهم فأبى وركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل إلى بيت والده فقامت له أمه وقالت له يا ولدى ما سبب غيابك إلى هذا الوقت والله قد شوشت على وعلى والدك لغيابك عنا ثم إن أمه تقدمت إليه لتقبله فى فمه فشمت منه رائحة الخمر فقالت له يا ولدى كيف بعد الصلاة والعبادة صرت تشرب الخمر وتعصى من له الخلق والأمر فبينما هما فى الكلام وإذا بوالده قد أقبل ثم إن نور الدين ارتمى فى الفراش ونام فقال أبوه ما لنور الدين هكذا قالت له أمه كان رأسه أوجعته من هواء البستان فعند ذلك تقدم والده ليسأله عن وجعه ويسلم عليه فشم رائحة الخمر وكان ذلك التاجر المسمى تاج الدين لا يحب من يشرب الخمر فقال له ويلك يا ولدى هل بلغ بك السفه إلى هذا الحد حتى تشرب الخمر فلما سمع نور الدين كلام والده رفع يده فى سكره ولطمه بها فجاءت اللطمة بالأمر المقدر على عين والده اليمنى فسالت على خديه فوقع على الأرض مغشيًا عليه فلما أفاق من غشيته أراد أن يضربه فحلف بالطلاق من أمه أنه إذا أصبح الصباح لابد من قطع يده اليمنى فلما سمعت أمه كلام والده ضاق صدرها وخافت على ولدها ولم تزل تدادى والده وتأخذ بخاطره إلى أن غلب عليه النوم فصبرت إلى أن طلع القمر وأتت إلى ولدها وقد زال عنه السكر فقالت له يا نور الدين ما هذا الفعل القبيح الذى فعلته مع والدك فقال لها وما الذى فعلته مع والدى فقالت إنك لطمته بيدك على عينه اليمنى فسالت على خده وقد حلف بالطلاق أنه إذا أصبح الصباح لابد أن يقطع يدك اليمنى فندم نور الدين على ما وقع منه حيث لا ينفعه الندم وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٨٣٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما ندم على ما وقع منه قالت له أمه يا ولدى إن هذا الندم لا ينفعك وإنما ينبغى لك أن تقوم فى هذا الوقت وتهرب وتطلب النجاة لنفسك ثم إن أمه فتحت صندوق المال وأخرجت منه كيسا فيه مائة دينار وقالت له يا ولدى خذ هذه الدنانير واستعن بها على مصالح حالك فإذا فرغت منك يا ولدى فأرسل أعلمنى حتى أرسل إليك غيرها وإذا راسلتنى فأرسل إلى أخبارك سرا ولعل الله أن يقدر لك فرجا وتعود إلى منزلك ثم إنها ودعته وبكت بكاء شديدا ما عليه من مزيد فعند ذلك أخذ نور الدين كيس الدنانير من أمه وأراد أن يخرج فرأى كيسا كبيرا قد نسيته أمه بجنب الصندوق فيه ألف دينار فأخذه نور الدين ثم ربط الاثنين فى وسطه وخرج من الزقاق وتوجه إلى جهة بولاق قبل الفجر فلما أصبح الصباح وقامت الخلائق توحد الملك الفتاح وخرج كل واحد منهم إلى مقصده ليحصل ما قسم الله له كان نور الدين وصل إلى بولاق فصار يتمشى على ساحل البحر فرأى مركبًا سقالتها ممدودة والناس تطلع فيها وتنزل منها ومراسيها أربع مدقوقة فى البر ورأى البحرية واقفين فقال لهم نور الدين إلى أين أنتم مسافرون . فقالوا إلى مدينة إسكندرية فقال لهم نور الدين خذونى معكم فقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا بك يا شاب يا مليح فعند ذلك نهض نور الدين من وقته وساعته ومضى إلى السوق واشترى ما يحتاج إليه من زاد وفرش وغطاء ثم رجع إلى المركب وكانت تلك المركب تجهزت للسفر فلما نزل نور الدين فى المركب لم تمكث إلا قليلا وسارت من وقتها وساعتها ولن تزل تلك المركب سائرة حتى وصلت إلى مدينة رشيد فلما وصلوا إلى هناك رأى نور الدين زورقا صغيرا سائرا إلى إسكندرية فنزل فيه وعدى الخليج ولم يزل سائرا إلى أن وصل إلى قنطرة تسمى قنطرة الجامى فطلع نور الدين من ذلك الزورق ودخل من باب يقال له باب السدرة وقد ستر الله عليه فلم ينظره أحد من الواقفين فى الباب فمشى نور الدين حتى دخل مدينة إسكندرية . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٨٣٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما دخل مدينة إسكندرية رآها مدينة حصينة الأسوار حسنة المنتزهات تلذ لسكانها وترغب فى استيطانها قد ولى عنها فصل الشتاء ببرودة وأقبل عليها فصل الربيع بورده فمشى نور الدين فى تلك المدينة ولم يزل ماشيا فيها إلى أن وصل إلى سوق النجارين ثم إلى سوق الصرافين ثم إلى سوق النقلية ثم إلى سوق الفكهانية ثم إلى سوق العطارين فبينما هو يمشى فى سوق العطارين إذا برجل كبير السن نزل من دكانه وسلم عليه ثم أخذه من يده ومضى به إلى منزله فرأى نور الدين زقاقا مليحا مكنوسا مرشوشا قد هب عليه النسيم وراق وظللته من الأشجار أوراق وفى ذلك الزقاق ثلاثة دور وفى صدر تلك الزقاق دار أساسها راسخ فى الماء وجدرانها شاهقة إلى عنان السماء قد كنسوا الساحة التى قدامها ورشوها ويشم روائح الأزهار قاصدوها فدخل الشيخ بنور الدين إلى تلك الدار وقدم له شيئًا من المأكول فأكل معًا فلما فرغا من الأكل معًا قال له الشيخ متى كان القدوم من مدينة مصر إلى هذه المدينة فقال له يا والدى فى هذه الليلة قال له ما اسمك قال له على نور الدين فقال له الشيخ يا ولدى يا نور الدين يلزمنى الطلاق ثلاثا أنك مادمت مقيما فى هذه المدينة لا تفارقنى فقال له نور الدين يا سيدى الشيخ زدنى بك معرفة فقال له يا ولدى اعلم أنى دخلت مصر فى بعض السنين بتجارة فبعتها فيها واشتريت متجرا آخر فاحتجت إلى ألف دينار فوزنتها عنى والدك تاج الدين من غير معرفة له بى ولم يكتب على بها منشورا واصبر على بها إلى أن رجعت إلى هذه المدينة وأرسلتها إليه مع بعض غلمانى ومعها هدية وقد رأيتك وأنت صغير وإن الله تعالى أجازيك ببعض ما فعل والدك معى وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام

***

الليلة (٨٣٤)

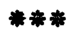
أيها الملك السعيد أن العطار قال لنور الدين إن شاء الله أجازيك ببعض ما

لما سمع نور الدين هذا الكلام أظهر الفرح والابتسام وأخرج الكيس الذى

فيه ألف دينار وأعطاه لذلك الشيخ وقال له خذ هذا وديعة عندك حتى أشترى به شيئا من البضائع لأتجر فيه ثم إن نور الدين أقام فى مدينة إسكندرية مدة أيام وهو يتفرج كل يوم على شارع من شوارعها ويأكل ويشرب ويلتذ ويطرب إلى أن فرغت المائة دينار التى كانت معه برسم النفقة فأتى إلى الشيخ العطار ليأخذ شيئًا منه من الألف دينار وينفقه فلم يجده فى الدكان فجلس فى دكانه ينتظره إلى أن يعود وصار يتفرج على التجار ويتأمل ذات اليمين وذات الشمال فبينما هو كذلك إذا بأعجمى قد أقبل على السوق وهو راكب على بغلة وخلفه جارية كأنها فضة نقية أو بلطية فى فسقية أو غزالة فى برية بوجه يخجل الشمس المضية وعيون بابلية ونهود عاجية وأسنان لؤلؤية وبطن خماصية وأعطاف مطوية وسيقان كأطراف ليلة كاملة الحسن والجمال ورشيقة القد والاعتدال ثم إن الأعجمى نزل عن بغلته وأنزل الصبية وصاح على الدلال فحضر بين يديه فقال له خذ هذه الجارية ونادى عليها فى السوق فأخذها الدلال ونزل بها إلى وسط السوق وغاب ساعة ثم عاد ومعه كرسى من الأبنوس مزركش بالعاج الأبيض فوضعه الدلال على الأرض وأجلس عليه تلك الصبية ثم كشف القناع عن وجهها فبان من تحته وجه كأنه ترس ديلمى أو كوكب درى وهى كأنها البدر فى ليلة أربع عشرة بغاية الجمال الباهر كما قال فيها الشاعر :

قد عارض البدر جهلا حسن صوتها ... فراح منكسفا وانشق بالغضب
وسرحة البان إن قيست بقامتها ... تبت يدا من غدت حمالة الحطب

فعند ذلك قال الدلال للتجار كم دفعتم فى درة الغواص وفليتة القناص فقال له تاجر من التجار على بمائة دينار وقال آخر بمائتين وقال آخر بثلثمائة ولم يزل التجار يتزايدون فى تلك الجارية إلى أن أوصلوا ثمنها إلى تسعمائة وخمسين دينارا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٨٣٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن التجار يتزايدون فى الجارية إلى أن بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينار فعند ذلك أقبل الدلال على الأعجمى سيدها وقال له إن جاريتك بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا فهل نبيع ونقبض لك الثمن فقال الأعجمى هل هى راضية بذلك فإنى أحب مراعاة خاطرها لأنى ضعفت فى هذه السفرة وخدمتنى هذه الجارية غاية الخدمة فحلفت ألا أبيعها إلا لمن تشتهى وتريد وجعلت بيعها بيدها فشاورها فإن قالت رضيت فبعها لمن أرادته وإن قالت لا فلا تبيعها فعند ذلك تقدم الدلال إليها وقال لها يا سيدة الملاح اعلمى أن سيدك قد جعل بيعك بيدك وقد بلغ ثمنك تسعمائة وخمسين ديناراً أفتأذنين أن أبيعك فقالت الجارية للدلال أرنى الذى يريد أن يشترينى قبل انعقاد البيع فعند ذلك جاء الدلال بها إلى رجل من التجار وهو شيخ كبير هرم فنظرت إليه الجارية ساعة زمنية وبعد ذلك التفتت إلى الدلال وقالت له يا دلال هل أنت مجنون أو مصاب فى عقلك فقال لها الدلال لأى شىء ياسيدة الملاح تقولين لى هذا الكلام فقالت له الجارية أيحل لك من الله أن تبيع مثلى لهذا الشيخ الهرم فلما سمع شيخ التجار من تلك الصبية هذا اغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقال للدلال يا أنحس الدلالين ما جئت لنا فى السوق إلا بجارية مشئومة تتجارى على بين التجار فعند ذلك أخذها الدلال وانصرف عنه وقال لها يا سيدتى لا تكونى قليلة الأدب إن هذا هو شيخ السوق ومحتسبه فصاحب مشورة التجار فضحكت ثم إن الجارية قالت للدلال والله يا سيدى أنا لا أباع لهذا الشيخ فبعنى إلى غيره لأنه ربما خجل منى فيبيعنى إلى آخر فأصير ممتهنة ولا ينبغى لى أن أدنس نفسى بالامتهان وقد علمت أن أمر بيعى مفوض إلى . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٣٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للدلال لا ينبغى أن أدنس نفسى بالامتهان وقد علمت أن أمر بيعى مفوض إلى فقال لها الدلال سمعا وطاعة ثم توجه بها إلى رجل من

التجار الكبار فلما وصل بها إلى ذلك الرجل قال لها يا سيدتى هل أبيعك إلى سيدى شريف الدين هذا بتسعمائة وخمسين دينار فنظرت إليه الجارية فرأته شيخا ولكن لحيته مصبوغة فقالت للدلال هل أنت مجنون أو مصاب فى عقلك حتى تبيعنى إلى هذا الشيخ الفانى فهل أنا من كتكت المشاق أو من مهلهل الأخلاق حتى تطوف بى على شيخ بعد شيخ وكلاهما كجدار آيل إلى السقوط أو عفريت محقته النجم بالهبوط فإنه ناطق وفيه لسان الحال يقول :

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها ... كتمته عنك يا سمعى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت إنى ذا عجب ... تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

فلما سمع الشيخ الذى صبغ لحيته من تلك الجارية هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقال للدلال يا أنحس الدلالين ما جئت فى هذا اليوم سوقنا إلا بجارية سفيهة تسفه على كل من فى السوق واحدا بعد واحد وتهجوهم بالأشعار والكلام الفشار ثم إن ذلك التاجر نزل من دكانه وضرب الدلال على وجهه فأخذها الدلال ورجع بها وهو غضبان وقال والله إنى ما رأيت عمرى جارية أقل حياء منك وقد قطعت رزقى ورزقك فى هذا النهار وقد أبغضنى من أجلك جميع التجار فرآها فى الطريق رجل من التجار فزاد فى ثمنها عشرة دنانير وكان اسم ذلك التاجر شهاب الدين فاستأذن الدلال الجارية فى البيع فقالت أرنى إياه حتى أنظر إليه وأسأله من حاجة فإن كانت تلك الحاجة فى بيته فأنا أباع له وإلا فلا فخلاها الدلال واقفة ثم تقدم إليه وقال له يا سيدى شهاب الدين اعلم أن هذه الجارية قالت لى إنها تسألك عن حاجة فإن كانت عندك فإنها تباع لك وها أنت وقد سمعت ما قالته لأصحابك من التجار . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٨٣٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الدلال قال للتاجر إنك سمعت ما قالته هذه الجارية لأنك أنصح التجار والله أنى خائف أن أجىء بها إليك فتعمل معك مثل ما عملت مع



جيرانك وأبقى أنا معك مفضوحاً فإن أذنت لى فى المجىء بها أجى فقال أئتنى بها فقال الدلال سمعا وطاعة ثم ذهب الدلال وأتى بالجارية إليه فنظرته الجارية وقالت له يا سيدى شهاب الدين هل فى بيتك مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب فقال لها نعم يا سيدة الملاح عندى فى البيت عشرة مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب فبالله عليك ماذا تصنعين بهذه المدورات قالت أصبر عليك حتى ترقد وأجعلها على فمك وأنفك حتى تموت فلما سمع التاجر شهاب الدين من الجارية ذلك الكلام نزل من الدكان وأخذ بطوق الدلال وقال له يا أنحس الدلالين كيف تأتى إلينا بجارية توبخنا وتهجونا واحدا بعد واحد بالأشعار والكلام الفشار فعند ذلك أخذها الدلال وذهب من بين يديه وقال لها والله طول عمرى وأنا فى هذه الصناعة ما رأيت جارية أقل أدبا منك ولا أنحس على من نجمك لأنك قطعت رزقى فى هذا اليوم ولا ربحت منك إلا الصفع على القفا والأخذ بالطوق ثم إن الدلال وقف بتلك الجارية أيضا على تاجر صاحب عبيد وغلمان وقال لها أتباعين لهذا التاجر سيدى علاء الدين وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٣٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الدلال قال للجارية أتباعين لسيدى علاء الدين فنظرته فوجدته أحدب فقالت إن هذا أحدب فعند ذلك أسرع الدلال إليها وأخذها وأتى بها إلى تاجر آخر وقال لها أتباعين لهذا فنظرت إليه فوجدته أعمش فقالت إن هذا أعمش كيف تبيعنى له وقد قال فيه بعض الشعراء :

رمد أمراضه * هدت قواة لجينه * يا قوم قوموا فانظروا * هذا القذى فى عينه

فعند ذلك أخذها الدلال وأتى بها إلى تاجر آخر وقال لها أتباعين لهذا فنظرت إليه فرأت لحيته كبيرة فقالت للدلال ويلك إن هذا الرجل كبش ولكن طلع ذيله فى حلقه كيف تبيعنى له يا أنحس الدلالين أما سمعت أن كل طويل الذقن قليل العقل وعلى قدر طول اللحية يكون

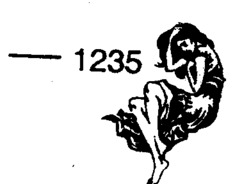
نقصان فى العمس وهذا الأمر مشهور بين العقلاء فعند ذلك أخذها الدلال ورجع فقالت له أين تتوجه فقال لها إلى سيدك الأعجمى وكفانا ما جرى لنا بسببك فى هذا النهار وقد تسببت فى منع رزقى ورزقه بقلة أدبك ثم إن الجارية نظرت فى السوق واتلفتت يمينا وشمالا وخلفا وأماما فوقع نظرها بالأمر المقدر على نور الدين على المصرى فرأته شابا مليحا نقى الخد رشيق القد وهو ابن أربع عشرة سنة بديع الحسن والجمال والظرف والدلال كأنه البدر إذا بدر فى ليلة أربع عشرة بجبّين أزهر وخد أحمر وعنق كالمرمر وأسنان كالجوهر وريق أحلى من السكر فلما نظرت تلك الجارية إلى نور الدين حال بينها وبين عقلها ووقع فى خاطرها موقعا عظيما وتعلق قلبها بمحبته .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٣٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما رأت عليًا نور الدين تعلق قلبها بمحبته فالتفتت إلى الدلال وقالت له هل هذا الشاب التاجر الذى هو جالس بين التجار وعليه الفرجية الجوخ العودى مازاد فى تمنى شيئًا فقال لها الدلال يا سيدة الملاح إن هذا شاب غريب مصرى ووالده من أكابر التجار بمصر وله الفضل على جميع تجارها وأكابرها وله مدة يسيرة فى هذه المدينة وهو مقيم عند رجل من أصحاب أبيه ولم يتكلم فيك بزيادة ولا نقصان فلما سمعت الجارية كلام الدلال نزعت من أصبعها خاتم ياقوت مثمنا وقالت أوصلنى عند هذا الشاب المليح فإن اشترانى كان هذا الخاتم لك فى نظير تعبك فى هذا اليوم معنا ففرح الدلال وتوجه إلى نور الدين فلما صارت عنده تأملته فرأته كأنه بدر التمام لأنه ظريف الجمال رشيق القد والاعتدال فقالت له يا سيدى بالله عليك ما أنا مليحة فقال لها يا سيدة الملاح وهل فى الدنيا أحسن منك فقالت له الجارية ولأى شىء رأيت التجار كلهم زادوا فى ثمنى وأنت ساكت ما تكلمت بشىء ولا زدت فى ثمنى دينارا واحدا كأننى ما عجبتك يا سيدى لو كنت فى بلدى كنت اشتريتك بجميع ما تملكه يدى من المال فقالت له يا سيدى أنا ما قلت لك اشترينى على غير مرادك ولكن لو زدت



فى ثمنى بشىء أجبرت بخاطرى ولو كنت لا تشترينى لأجل أن تقول التجار لولا أن هذه الجارية مليحة ما زاد فيها هذا التاجر المصرى لأن أهل مصر لهم خبرة بالجوارى فعند ذلك استحى نور الدين من كلام الجارية الذى ذكرته واحمر وجهه وقال للدلال كم بلغ ثمن هذه الجارية قال بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا غير الدلالة وأما قانون السلطان فإنه على البائع فقال نور الدين للدلال خلها على بالألف دينار دلالة وثمنا فبادرت الجارية وتركت الدلال وقالت بعت نفسى لهذا الشاب المليح بألف دينار فسكت نور الدين فقال واحد بعناه وقال آخر يستاهل وقال آخر ملعون بن ملعون من يزود ولا يشترى وقال آخر والله إنهما يصلحان لبعضهما فلم يشعر نور الدين إلا والدلال أحضر القضاة والشهود وكتبوا عقد البيع والشراء فى ورقة وناولها لنور الدين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٤٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الدلال ناوله ورقة الشراء لنور الدين وقال له تسلم جاريتك الله يجعلها مباركة عليك فهى ما تصلح إلا لك ولا تصلح أنت إلا لها فعند ذلك استحى نور الدين من التجار وقام من وقته وساعته ووزن الألف دينار التى كان وضعها وديعة عند العطار صاحب أبيه وأخذ الجارية وأتى بها إلى البيت الذى أسكنه فيه العطار فلما دخلت الجارية البيت رأت فيه بساط خلق ونطعا عتيقا فقالت له يا سيدى هل أنا مالى منزلة عندك ولا أستحق أن توصلنى إلى بيتك الأصلى فقال لها نور الدين والله يا سيدة الملاح ما هذا بيتى الذى أنا فيه ولكنه ملك لشيخ عطار من أهل هذه المدينة وقد أخلاه لى وأسكننى فيه وقد قلت لك إننى غريب وإننى من أولاد مدينة مصر فقالت له الجارية يا سيدى أقل البيوت يكفى إلى أن ترجع إلى بلدك ولكن يا سيد بالله عليك أن تقوم وتأتى لنا بشىء من اللحم المشوى والمدام والنقل والفاكهة فقال لها نور الدين والله يا سيدة الملاح ما كان عندى من المال غير الألف دينار الذى وزنته فى ثمنك فقالت له أمالك فى هذه المدينة صديق تقترض منه خمسين درهما

وتأتينى بها حتى أقول لك أى شىء تفعل بها فقال لها مالى صديق سوى العطار ثم ذهب من وقته وتوجه إلى العطار وقال له السلام عليك يا عم فرد عليه السلام وقال يا ولدى أى شىء اشتريت بالألف دينار فى هذا اليوم فقال له اشتريت بها جارية فقال له يا ولدى هل أنت مجنون حتى تشترى جارية واحدة بألف دينار يا ليت شعرى ما جنس هذه الجارية فقال نور الدين يا عم إنها جارية من أولاد الإفرنج . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٤١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين قال للشيخ العطار إنها جارية من أولاد الإفرنج فقال له الشيخ أعلم يا ولدى قد عملت عليك حيلة فى هذه الجارية فإن كنت أحببتها فبت عندها فى هذه الليلة واقض غرضك منها وأصبح انزل بها السوق وبعها ولو كنت تخسر فيها مائتى دينار ولكن والله يا ولدى قد عملت عليك حيلة فى هذه الجارية وقدر أنها غرقت فى البحر أو طلع عليك اللصوص فى الطريق فقال نور الدين كلامك صحيح ولكن يا عم أنت تعرف أنه ما كان معى غير الألف دينار التى اشتريت بها الجارية ولم يبق معى شىء أنفقه ولا درهم واحد وإنى أريد من فضلك وإحسانك أن تقرضنى خمسين درهما أنفقها إلى غد فأبيع الجارية وأوردها لك من ثمنها فقال الشيخ أعطيك يا ولدى على الرأس والعين ثم وزن له خمسين درهما وقال له يا ولدى أنت شاب صغير السن وهذه الجارية مليحة وربما تعلق بها قلبك فما يهون عليك أن تبيعها وأنت ما تملك شيئا تنفقه فتفرغ منك هذه الخمسون فتأتينى فأقرضك أول مرة وثانى مرة وثالث مرة إلى عشر مرات فإذا أتيتنى بعد ذلك فلا أرد عليك السلام الشرعى وتضيع محبتنا مع والدك ثم ناوله الشيخ خمسين درهما فأخذها نور الدين وأتى بها إلى الجارية فقالت له يا سيدى روح السوق فى هذه الساعة وهات لنا بعشرين درهما حريرًا ملونًا خمسة ألوان وهات لنا بالثلاثين الأخرى لحما وخبزا وفاكهة وشرابًا ومشموما فعند ذلك ذهب نور الدين إلى السوق واشترى منه كل ما طلبته تلك الجارية وأتى به إليها فقامت من وقتها وساعتها وشمرت عن



يدها وطبخت طعاما وأتقنته غاية الاتقان ثم قدمت له الطعام فأكل وأكلت معه حتى اكتفيا ثم قدمتا لمدام وشربت هى وإياه ولم تزل تسقيه وتؤانسه إلى أن سكر ونام فقامت الجارية من وقتها وساعتها وأخرجت من بقجتها جرابا من أديم طائفى وفتحته وأخرجت منه مسمارين وقعدت عملت شغلها إلى أن فرغ فصار زنار مليحًا لفلفته فى خرقة بعد صقله وتنظيفه وجعلته تحت المخدة ثم قامت تعرت ونامت بجانب نور الدين وكبسته فانتبه من نومه فوجد بجانبه صبية كأنها فضة نقية أنعم من الحرير وأطرى من اللية فعند ذلك التفت نور الدين من وقته وساعته إلى تلك الجارية وضمها إلى صدره ومص شفتها الفوقية بعد أن مص التحتية ثم رزق اللسان بين الشفتين وقام إليها فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فأزال بكارتها ونال منها الوصال وانعقدت بينهما المحبة بلا انفكاك ولا انفصال ثم نام نور الدين هو وتلك الجارية إلى الصباح فى لذة وانشراح . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٨٤٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين نام هو وتلك الجارية إلى الصباح فى لذة وانشراح لابسين حلل العناق محكمة الأزرار آمنين طوارق الليل والنهار فى الوصال وكثرة القيل والقال وقد باتا على أحسن حال ولم يخشيا فلما أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح انتبه نور الدين من نومه فرآها أحضرت الماء فاغتسل هو وإياها وأدى ما عليه من الصلاة لربه ثم أتته بما تيسر من المأكول والمشروب فأكل وشرب ثم أدخلت الجارية يدها تحت المخدة وأخرجت الزنار الذى صنعته بالليل وناولته إياه وقالت له يا سيدى خذ هذا الزنار فقال لها من أين هذا الزنار فقالت له يا سيدى هو الحرير الذى اشتريته البارحة بالعشرين درهما فقم واذهب به إلى سوق العجم وأعطيه للدلال لينادى عليه ولا تبعه إلا بعشرين دينارا سالمة فقال لها نور الدين يا سيدة الملاح هل شىء بعشرين درهما يباع بعشرين دينارا يعمل فى ليلة واحدة فقالت له الجارية يا سيدى أنت ما تعرف قيمة هذا ولكن اذهب به إلى السوق واعطه للدلال فإذا نادى عليه الدلال ظهرت لك قيمته فعند ذلك أخذ نور الدين الزنار من الجارية وأتى به إلى سوق الأعاجم وأعطى

الزنار للدلال وأمره أن ينادى عليه وقعد نور الدين على مصطبة دكان فغاب الدلال عنه ساعة ثم أتى إليه وقال له يا سيدى قم اقبض ثمن زنارك فقد بلغ عشرين دينارا سالمة ليدك فلما سمع نور الدين كلام الدلال تعجب غاية العجب واهتز من الطرب وقام ليقبض العشرين دينارًا وهو ما بين مصدق ومكذب فلما قبضها ذهب من ساعته واشترى بها كلها حريرا من سائر الألوان لتعمله الجارية كله زنانير ثم رجع إلى البيت وأعطاها الحرير . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٤٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما اشترى بالعشرين دينار حريرًا أعطاه للجارية وقال لها اعمليه كله زنانير وعلمينى أيضا حتى أعمل معك فإنى طول عمرى ما رأيت صنعة أحسن من هذه الصنعة ولا أكثر مكسبًا منها قط وإنها والله أحسن من التجارة بألف مرة فضحكت الجارية من كلامه وقالت له يا سيدى نور الدين امض إلى صاحبك العطار واقترض منه ثلاثين درهما وفى غدا أرفعها له من ثمن الزنار هى والخمسين درهما التى اقترضتها منه قبلها فقام نور الدين وأتى إلى صاحبه العطار وقال له يا عم أقرضنى ثلاثين درهما وفى غد شاء الله تعالى أجىء لك بالثمانين درهما جملة واحدة فعند ذلك وزن له الشيخ العطار ثلاثين درهما فأخذها نور الدين وأتى بها إلى السوق واشترى بها لحما وخبزا ونقلا وفاكهة ومشموما كما فعل بالأمس وأتى بها إلى الجارية وكان اسم تلك الجارية مريم الزنارية فلما أخذت اللحم قامت من وقتها وساعتها وهيأت طعاما فاخرًا ووضعته قدام سيدها نور الدين ثم بعد ذلك هيأت سفرة المدام وتقدمت تشرب هى وإياه وصارت تملأ وتسقيه ويملأ ويسقيها ولم يزالا كذلك إلى أن غلب عليه السكر ونام فقامت هى من وقتها وساعتها وعملت شغلها فى الزنار على جرى عادتها ولما فرغت أصلحته ولفته فى ورقة ثم نزعت ثيابها ونامت بجانبه إلى الصباح وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٨٤٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مريم الزيارية لما فرغت من شغل الزنار أصلحته ولفته فى ورقة ونزعت ثيابها ونامت بجانبه إلى الصباح وكان بينهما ما كان من الوصل ثم قام نور الدين وقضى شغله وناولته الزنار وقالت له أمض إلى السوق وبعه بعشرين دينار كما بعت نظيره بالأمس فعند ذلك أخذه ومضى به إلى السوق وباعه بعشرين دينارا وأتى إلى العطار ودفع له الثمانين درهما وشكر فضله ودعا له فقال له يا ولدى هل أنت بعت الجارية فقال نور الدين كيف أبيع روحى من جسدى ثم إنه حكى له الحكاية من المبتدأ إلى المنتهى ولم يزل نور الدين هو والجارية فى أكل وشرب ولعب وانشراح وود ومنادمة مدة سنة كاملة وبعد السنة قالت له الجارية يا سيدى نور الدين إذا بعت الزنار فى غد فخذ لى من حقه حريرًا ملونًا ستة ألوان فإنه قد خطر ببالى أن أصنع لك منديلا تجعله على كتفك ما فرحت بمثله أولاد التجار ولا أولاد الملوك فعند ذلك خرج نور الدين إلى السوق وباع الزنار واشترى الحرير الملون كما ذكرت له الجارية وجاء به إليها فقعدت مريم الزنارية تصنع فى المنديل جمعة كاملة لأنها كانت كلما فرغت من زنار فى ليلة تعمل فى المنديل شيئًا إلى أن خلصته وناولته لنور الدين فجعله على كتفه وصار يمشى به فى السوق فصار التجار والناس وأكابر البلد يقفون عنده صفوفا ليتفرجوا على حسنه وعلى ذلك المنديل وحسن صنعته فاتفق أن نور الدين كان نائما ذات ليلة من الليالى فانتبه من منامه فوجد جاريته تبكى بكاء شديدا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٤٥)

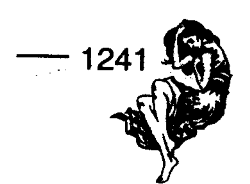
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما انتبه من منامه وجد جاريته تبكى بكاء شديد فقال لها نور الدين يا سيدتى مريم مالك تبكى فقالت له أبكى من ألم الفراق فقد أحس قلبى به فقال لها يا سيدة الملاح ومن الذى يفرق بيننا وأنا الآن أحب الخلق إليك وأعشقهم لك

فقالت له إن عندى أضعافًا ما عندك ولكن حسن الظن بالليالى يوقع الناس فى الأسف فإذا كنت تحرص على عدم الفراق فخذ حذرك من رجل إفرنجى أعور العين اليمنى وأعرج الرجل الشمال وهو شيخ أغبر الوجه مكلثم اللحية لأنه هو الذى يكون سببا لفراقنا وقد رأيته أتى فى تلك المدينة وأظن أنه ما جاء إلا فى طلبى فقال لها نور الدين يا سيدة الملاح إن وقع بصرى عليه قتلته ومثلت به فقالت له مريم ياسيدى لا تقتله ولا تكلمه ولاتبايعه ولا تشاوره ولا تعامله ولا تجالسه ولا تماشه ولا تتحدث معه بكلام قط وأدع الله أن يكفينا شره ومكره فلما أصبح الصباح أخذ نور الدين الزنار وذهب به إلى السوق وجلس على مصطبة دكان يتحدث هو وأولاد التجار فأخذته سنة من النوم فنام على مصطبة الدكان فبينما هو نائم وإذا بذلك الإفرنجى مر على ذلك السوق فى تلك الساعة ومعه سبعة من الإفرنج فرأى نور الدين نائما على مصطبة الدكان ووجهه ملفوف بذلك المنديل وطرفه فى يده فقعد الإفرنجى عنده وأخذ طرف المنديل وقلبه فى يده واستمر يقلب فيه ساعة فأحس به نور الدين فأفاق من النوم فرأى الإفرنجى الذى وصفته له الجارية بعينه جالسا عند رأسه فصرخ عليه نور الدين صرخة عظيمة أرعبته فقال له الإفرنجى لأى شىء تصرخ علينا هل نحن أخذنا منك شيئًا فقال له نور الدين والله يا ملعون لو كنت أخذت شيئًا لكنت ذهبت بك إلى الوالى فقال له الإفرنجى يا مسلم بحق دينك وما تعتقده أن تخبرنى من أين لك هذا المنديل فقال له نور الدين هو شغل والدتى . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٤٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الإفرنجى لما سأل نور الدين عن الذى عمل المنديل قال له إن هذا المنديل شغل والدتى عملته لى بيدها فقال له الإفرنجى أتبيعه لى وتأخذ ثمنه منى فقال نور الدين والله يا ملعون لا أبيعه لك ولا لغيرك فإنها ما عملته إلا على اسمى ولم تعمل غيره فقال له بعه لى وأنا أعطيك ثمنه فى هذه الساعة تسعمائة دينار فقال له نور الدين بفتح



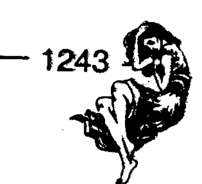
الله على بغير بيعه فقال له تاجر من التجار اعلم يا ولدى أن هذا المنديل قيمته مائة دينار إن كثرت وإن وجد له راغب وإن هذا الإفرنجى دفع فيه تسعمائة دينار فأى ربح تريد أكثر من هذا الربح فالرأى عندى إنك تبيع هذا المنديل وتأخذ التسعمائة دينار وتقول للذى عملته لك تعمل لك غيره أو أحسن منه وأربح أنت التسعمائة دينار من هذا الإفرنجى الملعون عدو الدين فاستحى نور الدين من التجار وباع للإفرنجى المنديل ودفع له الثمن فى الحضرة وأراد نور الدين أن ينصرف ويمضى إلى جاريته مريم ليبشرها بما كان من زمر الإفرنجى فقال الإفرنجى يا جماعة التجار احجزوا نور الدين فإنكم وإياه ضيوفى فى هذه الليلة فإن عندى بتية خمر رومى من معتق الخمر وخروفاً سمينا وفاكهة ونقلا ومشموما فإنتم تؤانسوننا فى هذه الليلة ولا يتأخر أحد منكم فقال التجار يا سيدى نور الدين نشتهى أن تكون معنا فى مثل هذه الليلة لنتحدث وإياك فمن فضلك وإحسانك أن تكون معنا فنحن وإياك ضيوف عند هذا الإفرنجى لأنه رجل كريم ثم إنهم حلفوا عليه بالطلاق ومنعوه بالإكراه عن الرواح إلى بيته ثم إنهم قاموا من وقتهم وساعتهم وقفلوا الدكاكين وأخذوا نور الدين معهم وراحوا مع الإفرنجى إلى قاعة مطيبة رحيبة بلوانين فأجلسهم ووضع بين أيديهم سفرة غريبة الصنع بديعة العمل فيها صورة كاسر ومكسور وعاشق ومعشوق وسائل ومسئول ثم وضع الإفرنجى على تلك السفرة الأوانى النفيسة من الصينى والبلور وكلها مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشموم . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٤٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الإفرنجى لما وضع السفرة عليها أوانى صينى وبلور مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشموم ثم قدم لهم الإفرنجى بتية ملآنة بالخمر الرومى المعتق وأمر بذبح خروف سمين ثم إن الإفرنجى أوقد النار وصار يشوى من ذلك اللحم ويطعم التجار ويسقيهم من ذلك الخمر ويغمزهم على نور الدين أن ينزلوا عليه بالشراب فلم يزالوا يسقونه حتى سكر وغاب عن وجوده فلما رآه الإفرنجى مستغرقاً فى السكر قال آنستنا يا سيدى نور

الدين فى هذه الليلة فمرحبًا بك ثم مرحبًا بك وصار الإفرنجى يؤانسه بالكلام ثم تقرب منه وجلس بجانبه وسارقه فى الحديث ساعة زمانية ثم قال له يا سيدى نور الدين هل تبيعنى جاريتك التى اشتريتها بحضرة هؤلاء التجار بتسعمائة دينار من مدة سنة وأنا أعطيك ثمنها الآن خمسة آلاف دينار فأبى نور الدين ولم يزل الإفرنجى يطعمه ويسقيه ويرغبه فى المال حتى أوصل الجارية إلى عشرة آلاف دينار فقال نور الدين وهو فى سكره قدام التجّار بعتك إياها هات العشرة آلاف دينار ففرح الإفرنجى بذلك القول فرحا شديدا وأشهد عليه التجار وباتوا فى أكل وشرب وانشراح إلى الصباح ثم صاح الإفرنجى على غلمانه وقال لهم ائتونى بالمال فاحضروا له المال فعد لنور الدين العشرة آلاف دينار نقدا وقال له يا سيدى نور الدين تسلم ثمن جاريتك التى بعتها لى فى هذه الليلة بحضرة هؤلاء التجار المسلمين فقال نور الدين يا ملعون أنا ما بعتك شيئًا وأنت تكذب على وليس عندى جوار فقال له الإفرنجى لقد بعتنى جاريتك وهؤلاء التجار يشهدون عليك بالبيع فقال التجار كلهم نعم يا نور الدين أنت بعته جاريتك قدامنا ونحن نشهد عليك انك بعته إياها بعشرة آلاف دينار قم اقبض الثمن وسلم إليه الجارية والله يعوضك خيرا منها أتكره يا نور الدين أنك اشتريت جارية بتسعمائة دينار ولك سنة ونصف تتمتع بحسنها وجمالها وتتلذذ فى كل ليلة بمنادمتها ووصالها وبعد ذلك ربحت من هذه الجارية تسعة آلاف دينار فوق ثمنها الأصلى وفى كل يوم تعمل لك زنارا تبيعه بعشرين دينارا وبعد ذلك كله تنكر البيع وتستقل الربح أى ربح أكثر من هذا الربح وأى مكسب أكثر من هذا المكسب فإن كنت تحبها فها أنت قد شبعت منها فى هذه المدة فاقبض الثمن واشترى غيرها أحسن منها أو نزوجك ببنت من بناتنا بمهر أقل من نصف هذا الثمن وتكون البنت أجمل منها ويصير معك باقى المال رأس مال فى يدك ولم يزل التجار يتكلمون مع نور الدين بالملاطفة والمخادعة إلى أن قبض العشرة آلاف دينار ثمن الجارية وأحضر الإفرنجى من وقته وساعته القضاة والشهود فكتبوا له حجة باشتراء الجارية هذا ما كان من أمر على نور الدين (وأما) ما كان من مريم الزنارية فإنها قعدت تنتظر سيدها جميع ذلك اليوم إلى المغرب ومن المغرب إلى نصف



الليل فلم يعد إليها سيدها فجزعت وصارت تبكى بكاء شديدا فسمعها الشيخ العطار وهى تبكى فأرسل إليها زوجته فدخلت عليها فرأتها تبكى فقالت لها يا سيدتى مالك تبكين فقالت لها يا أمى إنى قعدت انتظر مجئ سيدى نور الدين فما جاء إلى هذا الوقت وأنا خائفة أن يكون أحد عمل عليه حيلة من أجلى لأجل أن يبيعنى فدخلت عليه الحيلة وباعنى . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٤٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مريم الزنارية قالت لزوجة العطار أنا خائفة أن يكون أحد عمل على سيدى حيلة من شأنى لأجل أن يبيعنى فدخلت عليه الحيلة وباعنى فقالت لها زوجة العطار يا سيدتى مريم لو أعطو سيدك فيك ملء هذه القاعة ذهبا لم يبيعك لما أعرفه من محبته لك ولكن يا سيدتى مريم ربما يكون جماعة أتوا من مصر من عند والديه فعمل لهم عزومة فى المحل الذى هم نازلون فيه استحى أن يأتى بهم إلى هذا المحل لأنه لا يسعهم ولأن مرتبتهم أقل من أن يجىء بهم إلى البيت أو أحب أن يخفى أمرك عنهم فبات عندهم إلى الصباح ويأتى إن شاء الله تعالى إليك فى غد بخير فلا تحمل نفسك هما ولا غما فهذا سبب غيابه عنك فى هذه الليلة وها أنا أبيت عندك فى هذه الليلة وأسليك إلى أن يأتى إليك سيدك ثم إن زوجة العطار صارت تلهى مريم وتسليها بالكلام إلى أن ذهب الليل كله فلما أصبح الصباح نظرت مريم سيدها نور الدين وهو داخل من باب الزقاق وذلك الإفرنجى وراءه وجماعة التجار حواليه فلما رأتهم مريم ارتعدت فرائصها وصارت كأنها سفينة فى وسط بحر مع شدة الريح وقالت لزوجة العطار يا سيدتى أما قلت لك أن سيدى نور الدين قد عملت عليه حيلة من أجل بيعى فما أشك أنه باعنى فى هذه الليلة لهذا الإفرنجى وقد كنت حذرته منه ولكن لا ينفع حذر من قدر فقد بأن لك صدق قولى فبينما هى وزوجة العطار فى الكلام وإذا بسيدها نور الدين دخل عليها فى تلك الساعة فنظرت إليه الجارية فرأته قد تغير لونه وارتعدت فرائصه

ويلوح على وجهه أثر الحزن والندامة فقالت له يا سيدى نور الدين كأنك بعتنى فبكى بكاء شديدا وتأوه وتنفس الصعداء ثم إن نور الدين اعتذر إلى الجارية وقال لها يا سيدتى مريم قد جرى القلم بما حكم الله والناس قد عملوا على حيلة من أجل بيعك فدخلت على الحيلة فبعتك وقد فرطت فيك أعظم تفريط ولكن عسى من حكم بالفراق أن يمن بالتلاق فقالت له قد حذرتك من هذا وكان فى وهمى ثم ضمته إلى صدرها وقبلته ما بين عينيه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٤٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما ضمت نور الدين وقبلت ما بين عينيه فبينما هما على هذه الحالة وإذا بالإفرنجى قد طلع عليهما وتقدم ليقبل أيادى السيدة مريم فلطمته بكفها على خده وقالت له ابعد يا ملعون فمازلت ورائى حتى خدعت سيدى ولكن يا ملعون إن شاء الله تعالى لا يكون إلا خير فضحك الإفرنجى من قولها وتعجب من فعلها واعتذر إليها وقال لها يا سيدتى مريم أى شىء ذنبى أنا وإنما سيدك نور الدين هو الذى باعك برضا نفسه وطيب خاطره وإنه وحق المسيح لو كان يحبك ما فرط فيك ولولا أنه فرغ غرضه منك ما باعك وكانت هذه الجارية بنت ملك إفرنجة وهى مدينة واسعة الجهات كثيرة الصنائع والغرائب والبنات تشبه مدينة القسطنطينية وقد كان لخروج تلك الجارية من عند أبيها وأمها سبب عجيب وأمر غريبا وذلك أنها تربت عند أبيها وأمها فى العز والدلال وتعلمت الفصاحة والكتابة والفروسية والشجاعة وتعلمت جميع الصنائع حتى فاقت على جميع أهل عصرها فخطبها ملوك الجزائر من أبيها وكل من خطبها منه يأبى أن يزوجها له لأنه كان يحبها حبا عظيما ولا يقدر على فراقها ساعة واحدة ولم يكن عنده بنت غيرها وكان معه من الأولاد الذكور كثيرا ولكنه كان مشغوفا بحبها أكثر منهم فاتفق أنها مرضت فى بعض السنين مرضا شديدا أشرفت منه على الهلاك . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



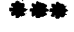
الليلة (٨٥٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مريم مرضت مرضا شديدا حتى أشرفت على الهلاك فنذرت على نفسها أنها إذا عوفيت من هذا المرض تزور الدير الفلانى الذى فى الجزيرة الفلانية وكان ذلك الدّير معظما عندهم وينذرون له النذور ويتبركون به فلما عوفيت مريم من مرضها أرادت أن توفى بنذرها الذى نذرته على نفسها لذلك الدير فأرسلها والدها ملك إفرنجة إلى ذلك الدير فى مركب صغير وأرسل معها بعض من بنات أكابر المدينة ومن البطارقة لأجل خدمتها فلما قربت من الدير خرجت مركب من مراكب المسلمين والمجاهدين فأخذوا جميع ما فى المركب من البطارقة والبنات والأموال والتحف فباعوا ما أخذوه من مدينة القيروان فوقعت مريم فى يد رجل أعجمى تاجر من التجار وقد كان ذلك الأعجمى عنينا لا يأتى النساء ولم تنكشف له عورة على امرأة فجعلها للخدمة ثم إن ذلك الأعجمى مرض مرضا شديدا حتى أشرف منه على الهلاك وطال عليه المرض مدة شهور فخدمته مريم وبالغت فى خدمته إلى أن عافاه الله من مرضه فتذكر ذلك الأعجمى منها الشفقة والحنية عليه والقيام بخدمته فأراد أن يكافئها على ما فعلته معه من الجميل فقال لها تمنى على يا مريم فقالت يا سيدى تمنيت عليك ألا تبيعنى إلا لمن أريده وأحبه فقال لها نعم لك على ذلك يا مريم ما أبيعك إلا لمن تريدينه وقد جعلت بيعك بيدك ففرحت فرحا شديدا وكان الأعجمى قد عرض عليها الإسلام فأسلمت وعلمها العبادات فتعلمت من ذلك الأعجمى فى تلك المدة أمر دينها وما وجب عليها وحفظها القرآن وما تيسر من العلوم الفقهية والأحاديث النبوية هذا سبب خروجها من بلادها (وأما) ما كان من أمر أبيها ملك إفرنجة فإنه لما بلغه أمر ابنته ومن معها قامت عليه القيامة وأرسل خلفها المراكب وصحبتهم البارقة والفرسان والرجال والأبطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش فى جزائر المسلمين ورجعوا إلى أبيها بالويل والثبور وعظائم الأمور . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٥١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مريم لما فقدت أرسل أبيها خلفها الرجال والأبطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش عليها فحزن عليها أبوها حزنًا شديدًا فأرسل وراءها ذلك الأعور اليمين والأعرج الشمال لأنه كان أعظم وزرائه وكان جبارًا عنيدًا ذا حيل وخداع وأمره أن يفتش عليها فى جميع بلاد المسلمين ويشتريها ولو بملء مركب ذهبا ففتش عليها ذلك الملعون فى جزائر البحار وسائر المدن فلم يقع لها على خبر إلى أن وصل إلى مدينة إسكندرية وسأل عنها فوقع على خبرها عند نور الدين المصرى فجرى له معه ما جرى وعمل عليه الحيلة حتى اشتراها منه كما ذكرنا بعد الاستدلال عليها بالمنديل الذى لا يحسن صنعته غيرها وكان قد وصى التجار واتفق معهم على خلاصها بالحيلة فلما صارت عنده مكثت فى بكاء وعويل فقال لها يا سيدتى مريم خلى عنك هذا الحزن والبكاء وقومى معى إلى مدينة أبيك ومحل مملكتك ومنزل عزك ووطنك لتكونى بين خدمك وغلمانك واتركى هذا الذل وهذه الغربة ويكفى ما حصل لى من التعب والسفر من أجلك وصرف أموال فإن لى فى التعب والسفر نحو سنة ونصف السنة وقد أمرنى والدك أن أشتريك ولو بملء مركب ذهبا ثم إن وزير ملك إفرنجة صار يقبل قدميها ويتخضع لها ولم يزل يكرر تقبيل يديها وقدميها ويزداد غضبها عليه كلما فعل ذلك أدبا معها وقالت له يا ملعون الله تعالى لا يبلغك ما فى مرادك ثم قدم إليها الغلمان فى تلك الساعة بغلة بسرج مزركش وأركبوها عليه ورفعوا فوق رأسها سحابة من حرير بعواميد من ذهب وفضة وصار الإفرنج يمشون حولها حتى طلعوا بها من باب البحر وأنزلوها فى قارب صغيرا وصاروا يقذفون بها إلى أن وصلوها إلى المركب الكبيرة وأنزلوها فيها فعند ذلك نهض الوزير الأعور وقال لبحرية المركب ارفعوا الصارى فرفعوه من وقتهم وساعتهم ونشروا القلوع والأعلام ونشروا القطن والكتان وعملوا المقاذيف وسافرت بهم تلك المركب ذلك كله ومريم تنظر إلى ناحية إسكندرية حتى غابت عن عينها وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٨٥٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مريم الزنارية صارت تنظر إلى ناحية إسكندرية حتى غابت عن عينها ولم تزل كلما تذكرته تبكى وتنوح فأقبل عليها البطارقة يلاطفونها فلم تقبل منهم كلاما بل شغلها داعى الوجد والغرام ولم تزل مريم على هذه الحالة لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار مدة سفرها لهذا ما كان من أمرها هى والوزير الأعور (وأما) ما كان من أمر على نور الدين المصري من تاج الدين فإنه بعد نزول مريم وسفرها ضاقت عليه الدنيا وصار لا يقرر له قرار ولا يطاوعه اصطبار فتوجه إلى القاعة التى كان مقيما بها هو ومريم فرآها فى وجهه سوداء مظلمة ورأى العدة التي كانت تشتغل عليها الزنانير وثيابها التى كانت على جسدها فضمها إلى صدره وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد ونظر إلى زوايا القاعة وأنشد هذين البيتين :

أرى آثارهم فأذوب شوقا ... وأجرى فى مواطنهم دموعى
وأسأل من قضى بالبعد عنهم ... يمن على يوما بالرجوع

ثم إن نور الدين نهض من وقته وساعته وقفل باب الدار وخرج يجرى إلى البحر وصار يتأمل فى موضع المركب التى سافرت بمريم وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٥٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما خرج يجرى إلى البحر صار يتأمل فى موضع المركب التى سافرت بمريم ثم بكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات :

سلام عليكم ليس لى عنك غنى ... وأنى على الحالين فى القرب والبعد
أمس عليكم كل وقت وساعة ... وأشتاقكم شوق العطاش إلى الورد
وعندكم سمعى ولبى وناظرى ... وتذكاركم عندى ألذ من الشهد
فيا أسفى لما استقلت ركابكم ... وحادث بكم تلك السفينة عن قصدى

ثم إن نور الدين ناح وبكى وأن واشتكى ونادى يا مريم هل كانت رؤيتى لك فى المنام أم أضغاث أحلام؟ فبينما نور الدين على هذه الحالة يبكى ويقول يا مريم يا مريم وإذا بشيخ قد طلع من مركب وأقبل عليه فرآه يبكى فقال الشيخ يا ولدى كأنك تبكى على الجارية التى سافرت البارحة مع الإفرنجى فلما سمع نور الدين كلام الشيخ خر مغشيًا عليه ساعة زمانية ثم بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد فلما نظر ذلك الشيخ إلى نور الدين ورأى جماله وقده واعتداله وفصاحة لسانه ولطف افتتانه حزن قلبه عليه ورق لحاله وكان ذلك الشيخ رئيس مركب مسافرة

(المركب الذى أخذ فيها الوزير الأعور مريم الزنارية وسافرت من الإسكندرية)



إلى مدينة تلك الجارية وفيها مائة تاجر من تجار المسلمين المؤمنين فقال له اصبر ولا يكون إلا خيرا فإن شاء الله سبحانه وتعالى أوصلك إليها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٨٥٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ الريس لما قال لنور الدين أنا أوصلك إليها إن شاء الله تعالى فقال له نور الدين متى السفر قال الريس بعد ثلاثة أيام نسافر فى خير وسلامة فلما سمع نور الدين كلام الريس فرح فرحا شديدا وشكر فضلة وإحسانه ثم إن نور الدين طلع من وقته وساعته وتوجه إلى السوق وأخذ منه جميع ما يحتاج إليه من الزاد وأدوات السفر وأقبل على ذلك الريس فلما رآه قال له يا ولدى ما هذا الذى معك قال زوادتى وما أحتاج إليه فى السفر فضحك الريس من كلامه وقال له يا ولدى هل أنت رائح تتفرج على عمود السوارى إن بينك وبين قصدك مسيرة شهرين إذا طاب الريح وصفت الأوقات ثم إن ذلك الشيخ أخذ من نور الدين شيئا من الدراهم وطلع إلى السوق واشترى له جميع ما يحتاج إليه فى السفر على قدر كفايته وملأ له بتية ماء حلو ثم أقام نور الدين فى المركب ثلاثة أيام إلى أن تجهز والتجار قضوا مصالحهم ونزلوا فى المركب ثم حل الريس قلوعها وساروا مدة إحدى وخمسين يوما وبعد ذلك خرج عليهم القرصان قطاع الطريق فنهبوا المركب وأسروا جميع من فيها وأتوا بهم إلى مدينة إفرنجة وعرضوهم على الملك وكان نور الدين من جملتهم فأمر الملك بحبسهم وفى وقت نزولهم من عند الملك إلى الحبس وصل الغراب الذى فيه الملكة مريم الزنارية مع الوزير الأعور فلما وصل الغراب إلى المدينة طلع الوزير إلى الملك وبشره بوصول ابنته مريم الزنارية سالمة فدقوا البشائر وزينوا المدينة بأحسن زينة وركب الملك فى جميع عسكره وأرباب دولته وتوجهوا إلى البحر ليقابلوها فلما وصلت المركب طلعت ابنته مريم فعانقها وسلم عليها وسلمت عليه وقدم لها جواد فركبته فلما وصلت إلى القصر قابلتها أمها وعانقتها وسلمت عليها وسألتها عن حالها

وهى بكر مثل ما كانت عندهم سابقًا أم صارت امرأة ثيبا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

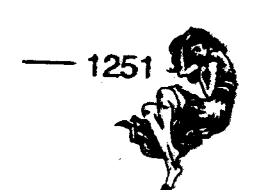
الليلة (٨٥٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أم مريم الزنارية لما سألتها عن حالها وهل هى ثيب أم بكر؟ فقالت لها مريم يا أمى بعد أن يباع الإنسان فى بلاد المسلمين من تاجر إلى تاجر ويصير محكوما عليه كيف يبقى بنتا بكرا فلما سمعت أمها منها ذلك الكلام صار الضياء فى وجهها ظلاما ثم أعادت على أبيها هذا الكلام فصعب ذلك عليه وعظم أمرها لديه وعرض حالها على أرباب دولته وبطارقته فقالوا له أيها الملك إنها تنجست من المسلمين وما يطهرها الأضرب مائة رقبه من المسلمين . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٥٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الرهبان قالوا ما يطهرها إلا ضرب مائة رقبة من المسلمين فعند ذلك أمر بإحضار الأسارى الذين فى الحبس فأحضروهم جميعا بين يديه ومن جملتهم نور الدين فأمر الملك بضرب رقابهم فأول من ضربو رقبته ريس المركب ثم ضربوا رقاب التجار واحدا بعد واحدا حتى لم يبق إلا نور الدين فشرطوا ذيله وعصبوا عينيه وقدموه إلى نطع الدم وأرادوا أن يضربوا رقبته وإذا بامرأة عجوز أقبلت على الملك فى تلك الساعة وقالت له يا مولاى أنت كنت نذرت لكل كنيسة خمسة أسارى من المسلمين إن رد الله تعالى بنتك مريم لأجل أن يساعدوا فى خدمتها والآن قد وصلت إليك بنتك السيدة مريم فاوف نذرك الذى نذرته فقال لها الملك يا أمى وحق المسيح والدين الصحيح لم يبق عندى من الأسارى غير هذا الأسير الذى يريدون قتله فخذيه معك يساعدك فى خدمة الكنيسة فشكرت العجوز صنيع الملك ودعت له بدوام العز والبقاء والنعم ثم تقدمت العجوز من وقتها وساعتها إلى نور الدين



وأخرجته من قطع الدم ونظرت إليه فرأته شابا لطيفا ظريفا رقيق البشرة ووجهه كأنه البدر إذا بدر فى ليلة أربعة عشر فأخذته ومضت به إلى الكنيسة وقالت له يا ولدى اقلع ثيابك التى عليك فإنها لا تصلح إلا لخدمة السلطان ثم إن العجوز جاءت لنور الدين بجبة من صوف أسود ومئزر من صوف أسود وسير عريض فألبسته تلك الجبة وعممته بالمئزر وشدت وسطه بالسير وأمرته أن يخدم الكنيسة سبعة أيام فبينما هو كذلك وإذا بتلك العجوز قد أقبلت عليه وقالت له يا مسلم خذ ثيابك الحرير والبسها وخذ هذه العشرة دراهم وأخرج فى هذه الساعة تفرج فى هذا اليوم ولا تقف هنا ساعة واحدة لئلا تروح روحك فقال لها نور الدين يا أمى أى شىء الخبر فقالت له العجوز اعلم يا ولدى أن بنت الملك السيدة مريم الزنارية تريد أن تدخل الكنيسة فى هذا الوقت لأجل أن تزورها وتتبرك بها وتقرب لها قربانا حلاوة السلامة بسبب خلاصها من بلاد المسلمين وتوفى لها النذور التى نذرتها أن نجاها المسيح ومعها أربعمائة بنت ما واحدة منهن إلا كاملة فى الحسن والجمال ومن جملتهن بنت الوزير وبنات الأمراء وأرباب الدولة وفى هذه الساعة يحضرون وربما يقع نظرهن عليك فى هذه الكنيسة فيقطعنك بالسيوف فعند ذلك أخذ نور الدين من العجوز العشرة دراهم بعد أن لبس ثيابه وخرج إلى السوق وصار يتفرج فى شوارع المدينة حتى عرف جهاتها وأبوابها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٥٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما لبس ثيابه أخذ العشرة دراهم من العجوز ثم خرج إلى السوق وغاب ساعة حتى عرف جهات المدينة ثم رجع إلى الكنيسة فرأى مريم الزنارية بنت ملك إفرنجة قد أقبلت على الكنيسة ومعها أربعمائة بنت نهد أبكار كأنهن الأقمار ومن جملتهن بنت الوزير الأعور وبنات الأمراء وأرباب الدولة وهى تمشى بينهن كأنها القمر بين النجوم فلما وقع نظر نور الدين عليها لم يتمالك نفسه بل صرخ من صميم قلبه وقال يا مريم . . يا مريم فلما سمعت البنات صياح نور الدين وهو ينادى يا مريم هجمن عليه وجردن بيض

الصفاح مثل الصواعق وأردن قتله فى تلك الساعة فالتفتت إليه مريم وتأملته فعرفته غاية المعرفة فقالت للبنات أتركن هذا الشاب فإنه مجنون بلاشك لأن علامة الجنون لائحة على وجهه فلما سمع نور الدين من السيدة مريم هذا الكلام كشف رأسه وحملق عينيه وأشاح بيديه وعوج رجليه وأخرج الزبد من فيه وشدقيه فقالت لهن السيدة مريم أما قلت لكن إن هذا مجنون أحضرن به عندى وأبعدن عنه حتى أسمع ما يقول فإنى أعرف كلام العرب وأنظر حاله وهل داء جنونه يقبل المداواة أم لا فعند ذلك حملته البنات وجئن به بين يديها ثم بعدن عنه فقالت له هل جئت إلى هنا من أجلى وخاطرت بنفسك وعملت نفسك مجنونًا فقال لها نور الدين يا سيدتى أما سمعت قول الشاعر:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم	ما لذة العيش إلا للمجانين
هاتوا جنونى وهاتوا من جننت به	فإن وفى بجنونى لا تلومونى

فقالت له مريم والله يا نور الدين إنك الجانى على نفسك فإنى حذرتك من هذا قبل وقوعه فلم تقبل قولى وتبعت هوى نفسك وأنا ما أخبرتك لا من باب الكشف ولا من باب الفراسة ولا من باب الرؤية فى المنام وإنما هو من باب المشاهدة والعيان لأنى رأيت الوزير الأعور فعرفت أنه ما دخل فى هذه البلدة إلا فى طلبى فقال لها نور الدين يا سيدتى مريم نعوذ بالله من إزالة العقل ولم يزل نور الدين هو والسيدة مريم الزنارية فى عتاب يطول شرحه وكل منهما يحكى لصاحبه ما جرى له وينشدان الأشعار ودموعهما تجرى على خدودهما شبه البحار ويشكوان لبعضهما شدة الهوى وأليم الوحدة والجوى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٨٥٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين والسيدة مريم شكا لبعضهما ما جرى لهما عند فراقهما وما هما عليه من شدة الهوى إلى أن لم يبق لأحدهما قوة على الكلام وكان النهار قد ولى وأقبل الظلام فعند ذلك أقبلت السيدة مريم على البنات وقالت لهن هل أغلقتن الباب



فقلن لها قد أغلقناه فعند ذلك أخذت السيدة مريم البنات وأتت بهن إلى مكان يقال له مكان السيدة مريم العذراء أم النور لأن النصارى يزعمون أن روحانيتها وسرها فى ذلك المكان فصار البنات يتبركن به ويطفن فى الكنيسة كلها ولما فرغن من زيارتها التفتت السيدة مريم إليهن وقالت لهن إنى أريد أن أدخل وحدى فى هذه الكنيسة وأتبرك بها فإنه حصل لى اشتياق إليها بسبب طول غيبتى فى بلاد المسلمين وأما أنتن فحيث فرغتن من الزيارة فنمن حيث شئن فقلن لها حبا وكرامة افعلى أنت ما تريدينه ثم إنهن تفرقن عنها فى الكنيسة ونمن فعند ذلك استغفلتهن مريم وقامت تفتش على نور الدين فرأته فى ناحية جالسًا على مقالى الجمر وهو فى انتظارها فلما أقبلت عليه قام لها على قدميه وقبل يديها فجلست وأجلسته فى جانبها ثم نزعت ما كان عليها من الحلى والحلل ونفيس القماش وضمت نور الدين إلى صدرها وجعلته فى حضنها ولم تزل هى وإياه فى بوس وعناق ونغمات خلق باق وهما يقولان ما أقصر ليل التلاق وما أطول يوم الفراق فبينما هما فى هذه اللذة العظيمة والفرحة العميمة وإذا بغلام من الغلمان النفيسة يضرب الناقوس فوق سطح الكنيسة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٥٩)

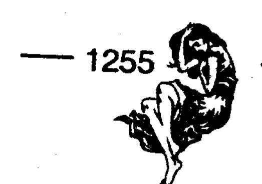
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مريم الزنارية ما زالت هى ونور الدين فى لذة وطرب إلى أن طلع الغلام النواقيسى فوق سطح الكنيسة وضرب الناقوس فقامت من وقتها وساعتها ولبست ثيابها وحليها فشق ذلك على نور الدين وتكدر وقته فبكى ثم إن السيدة مريم ضمت نور الدين إلى صدرها وقبلت خده وقالت له يا نور الدين كم يومًا لك فى هذه المدينة؟ فقال سبعة أيام فقالت له هل سرت فى هذه المدينة وعرفت طرقهاومخارجها وأبوابها من ناحية البر والبحر قال نعم قالت وهل تعرف طريق صندوق النذر الذى فى الكنيسة قال نعم قالت له حيث كنت تعرف ذلك كله إذا كانت الليلة القابلة ومضى ثلث الليل الأول فاذهب فى تلك

الساعة إلى صندوق النذر وخذ منه ما تريد وتشتهى وافتح باب الكنيسة الذى فيه الخوخة التى توصل إلى البحر فإنك تجد سفينة صغيرة فيها عشرة رجال بحرية فمتى رآك الريس يمد يده إليك فناوله يدك فإنه يطلعك فى السفينة فاقعد عنده حتى أجىء إليك والحذر ثم الحذر من أن يلحقك النوم فى تلك الليلة فتندم حيث لا ينفعك الندم ثم إن السيدة مريم ودعت نور الدين وخرجت من عنده فى تلك الساعة ونبهت جواريها وسائر البنات من نومهن وأخذتهن وأتت إلى باب الكنيسة ودقته ففتحت العجوز الباب فلما طلعت منه رأت الخدام والبطارقة وقوفًا فقدموا لها بغلة فركبتها وأرخوا عليها ناموسية من الحرير وأخذ البطارقة بزمام البغلة ووراءها البنات واحتاط بها الجاويشية وبأيديهم السيوف مسلولة وساروا بها إلى إن وصلوا قصر أبيها هذا ما كان من أمر مريم الزنارية (وأما) ما كان من أمر نور الدين فإنه لم يزل مختفيًا وراء الستارة التى كان مستترًا خلفها هو ومريم إلى أن طلع النهار وانفتح باب الكنيسة وكثرت الناس فيها فاختلط بالناس وجاء إلى تلك العجوز قيمة الكنيسة فقالت له أين كنت راقدًا فى هذه الليلة قال فى محل داخل المدينة كما أمرتينى فقالت العجوز إنك فعلت الصواب يا ولدى ولو كنت بت الليلة فى الكنيسة كانت قتلتك أقبح قتلة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٦٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت لنور الدين لو كنت بت الليلة فى الكنيسة كانت قتلتك أقبح قتلة فقال لها نور الدين الحمد لله الذى نجانى من شر هذه الليلة ولم يزل نور الدين يقضى شغله فى الكنيسة إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بدياجى الاعتكار فقام نور الدين وفتح صندوق النذر وأخذ منه ما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر ثم صبر إلى أن مضى ثلث الليل الأول وقام ومشى إلى باب الخوخة التى توصل إلى البحر وهو يطلب الستر من الله ولم يزل يمشى إلى أن وصل إلى الباب وفتحه وخرج من تلك الخوخة وراح إلى البحر



فوجد السفينة راسية على شاطئ البحر بجوار الباب ووجد الريس شيخًا كبيرًا ظريفًا لحيته طويلة وهو واقف فى وسطها على رجليه والعشرة رجال واقفون قدامه فناوله نور الدين يده كما أمرته مريم فأخذه من يده وجذبه فصار فى وسط السفينة فعند ذلك صاح الشيخ الريس على البحرية وقال لهم اقلعوا مرساة السفينة من البحر وعوموا بنا قبل أن يطلع النهار فقال واحد من العشرة البحرية يا سيدى الريس كيف نعوم والملك أخبرنا أنه فى غد يركب السفينة فى هذا البحر ليطلع على ما فيه فصاح عليهم الريس وقال لهم ويلكم يا ملاعين هل بلغ من أمركم أنكم تخالفوننى وتردون كلامى ثم إن الريس سل سيفه من غمده ورب به ذلك المتكلم على عنقه فخرج السيف يلمع من رقبته فقال واحد وأى شيء عمل صاحبنا من الذنوب حتى تضرب رقبته فمد يده إلى السيف وضرب به عنق هذا المتكلم ولم يزل الريس يضرب أعناق البحرية واحدا بعد واحد حتى قتل العشرة ورماهم على شاطئ البحر ثم التفت إلى نور الدين وصاح عليه صيحة عظيمة أرعبته وقال له انزل اقلع الوتد فخاف نور الدين من ضرب السيف ونهض قائما ووثب إلى البر وقلع الوتد ثم طلع فى السفينة أسرع من البرق الخاطف وصار الريس يقول له افعل كذا وكذا ودور كذا وكذا وانظر فى النجوم ونور الدين يفعل جميع ما يأمره به الريس وقلبه خائف مرعوب ثم رفع شراع المركب وسارت بهما فى البحر العجاج المتلاطم بالأمواج . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٦١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ الريس لما رفع شراع المركب توجه بالمركب هو ونور الدين فى البحر العجاج وقد طاب لهما الريح كل ذلك ونور الدين ماسك بيده الراجع وهو غريق فى بحر الأفكار ولم يزل مستغرقًا فى الفكر بل صار مشغولا فى فكر ووسواس إلى أن أضحى النهار فعند ذلك نظر نور الدين إلى الريس فرآه قد أخذ لحيته الطويلة بيده وجذبها فطلعت من موضعها فى يده وتأملها نور الدين فوجدها لحية كانت ملصقة زورا لم تأمل نور الدين فى ذات

الريس ودقق نظره فيها فرآها السيدة مريم معشوقته ومحبوبة قلبه فقال لها نور الدين والله يا سيدتى لو أطلت على هذا الأمر لمت من شدة الخوف والفزع خصوصا من نار الوجد والاشتياق وأليم عذاب الفراق فضحكت من كلامه وقامت من وقتها وساعتها وأخرجت شيئًا من المأكول والمشروب فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وبعد ذلك أخرجت من اليواقيت والجواهر وأصناف المعادن والذخائر الغالية وعرضت ذلك على نور الدين.ففرح به غاية الفرح كل ذلك والريح معتدل والمركب سائرة ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على مدينة إسكندرية وشاهدوا أعلامها القديمة والجديدة وشاهدوا عمود السوارى فلما وصلوا إلى المينا طلع نور الدين من وقته وساعته على تلك السفينة وربطها فى حجر من أحجار القصارين وأخذ معه شيئا من الذخائر التى جاءت بها الجارية معها وقال للسيدة مريم اقعدى يا سيدتى فى السفينة حتى أطلع بك إلى إسكندرية مثل ما أحب وأشتهى فقالت له ولكن ينبغى أن يكون ذلك بسرعة لأن التراخى فى الأمور يورث الندامة هذا ما كان من أمر نور الدين ومريم الزنارية (وأما) ما كان من أمر أبيها ملك إفرنجة فلما أصبح الصباح تفقد ابنته مريم فلم يجدها فسأل عنها من جواريها وخدمها فقالوا له يا مولانا إنها خرجت بالليل وراحت إلى الكنيسة وبعد ذلك لم نعرف لها خبرا فبينما الملك يتحدث مع الجوارى والخدم فى تلك الساعة وإذا بصرختين عظيمتين تحت القصر دوى لهما المكان فقال الملك ما الخبر فقالوا له أيها الملك إنه وجد عشرة رجال مقتولين على ساحل البحر وسفينة الملك قد فقدت ورأينا باب الخوخة الذى فى الكنيسة من جهة البحر مفتوحا والأسير الذى كان فى الكنيسة يخدمها قد فقد فقال الملك إن كانت سفينتى التى فى البحر فقدت فبنتى مريم فيها بلاشك ولا ريب . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٨٦٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ملك إفرنجة لما فقدت ابنته مريم جاءوا له بالخبر وقالوا له إن سفينتك فقدت فقال إن كانت سفينتى قد فقدت فابنتى مريم فيها بلاشك ولا ريب ثم إن

الملك دعا من وقته وساعته بريس المينة وقال له وحق المسيح والدين الصحيح إن لم تلحق سفينتى فى هذه الساعة بعسكر وتأتينى بها وبمن فيها لأقتلنك أشنع قتلة وأمثل بك أشنع مثلة ثم صرخ عليه الملك فخرج من بين يديه وهو يرتعد وطلب العجوز من الكنيسة وقال لها ما كنت تسمعين من الأسير الذى كان عندك فى شأن بلاده ومن أى البلاد هو فقالت له كان يقول أنا من مدينة إسكندرية فلما سمع الريس كلام العجوز رجع من وقته وساعته إلى المينة وصاح على البحرية وقال لهم تجهزوا وحلوا القلاع ففعلوا ما أمرهم به وسافروا ولم يزالوا مسافرين ليلا ونهارا حتى أشرفوا على مدينة إسكندرية فى الساعة التى طلع فيها نور الدين من السفينة وترك فيها السيدة مريم وكان من جملة الإفرنج الوزير الأعور الأعرج الذى كان اشتراها من نور الدين فرأوا السفينة مربوطة فعرفوها فربطوا مركبهم بعيدا عنها وأتوا إليها فى مركب صغيرة من مراكبهم تعوم على ذراعين من الماء وفى تلك المركب مائة مقاتل ومن جملتهم الوزير الأعور الأعرج لأنه كان جبارا عنيد أو شيطانا مريدا ولصا محتالا لا يقدر أحد على احتياله يشبه أبا محمد البطال ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى تلك السفينة فهجموا عليها وحملوا حملة واحدة فلم يجدوا فيها أحدا إلا السيدة مريم فأخذوها هى والسفينة التى هى فيها بعد أن طلعوا على الشاطئ وأقاموا زمنا طويلا ثم عادوا من وقتهم وساعتهم إلى مراكبهم وقد فازوا ببغيتهم من غير قتال ولأشهر سلاح ورجعوا قاصدين إلى بلاد الروم وسافروا وقد طاب لهم الريح ولم يزالوا مسافرين على حماية إلى أن وصلوا إلى مدينة إفرنجة وطلعوا بالسيدة مريم إلى أبيها وهو فى تخت مملكته . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٦٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الإفرنج لما طلعوا بالسيدة مريم إلى أبيها وهو على تخت مملكته فلما نظر إليها أبوها قال لها ويلك يا خائنة كيف تركت دين الآباء والأجداد وحصن المسيح الذى عليه الاعتماد واتبعت دين الإسلام الذى قام بالسيف على رغم الصليب والأصنام فقالت له مريم أنا مالى ذنب لأننى خرجت فى الليل إلى الكنيسة لأزور السيدة مريم

وأتبرك بها فبينما أنا فى غفلة وإذا بسراق المسلمين قد هجموا على وسدوا فمى وشدوا وثاقى وحطونى فى السفينة وسافروا إلى بلادهم فقال لها أبوها كذبت يا فاجرة يا عاهرة وحق ما فى محكم الإنجيل من منزل التحريم والتحليل لابد لى من أن أقتلك أقبح قتلة ثم إن الملك أمر بقتلها وصلبها على باب القصر فدخل عليه الوزير الأعور فى تلك الساعة وكان مغرما بحبها قديما وقال له أيها الملك لا تقتلها وزوجنى بها وأنا أحرص عليها غاية الحرص وما أدخل عليها حتى أبنى لها قصرا من الحجر الجلمود وأعلى بنيانه حتى لا يستطيع أحد من السارقين الصعود على سطحه وإذا فرغت من بنيانه ذبحت على بابه ثلاثين من المسلمين وأجعلهم قربانا للمسيح عنى وعنها فأنعم عليه الملك بزواجها وأذن له هذا ما كان من أمر الملكة مريم وأبيها والوزير الأعور (وأما) ما كان من أمر نور الدين والشيخ العطار فإن نور الدين لما توجه إلى العطار صاحب أبيه استعار من زوجته إزارا وخفا وثيابا كثياب نساء إسكندرية ورجع بها إلى البحر وقصد السفينة التى فيها السيدة مريم فوجد الجو قفرا والمزار بعيد . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٦٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما رجع إلى البحر وجد الجو قفرا والمزار بعيدًا صار قلبه حزينا فمشى نور الدين على شاطئ البحر يلتفت يمينا وشمالاً فرأى ناسا مجتمعين على الشاطئ وهم يقولون يا مسلمين ما بقى لمدينة إسكندرية حرمة يدخلونها ويخطفون من فيها ويعودون إلى بلادهم على هينة ولا يخرج وراءهم أحد من المسلمين ولا من العساكر المغازين فقال لهم نور الدين ما الخبر فقالوا له يا ولدى إن مركبا من مراكب الإفرنج فيها عساكر هجموا فى تلك الساعة على تلك المدينة وأخذوا سفينة كانت راسية هنا بمن فيها وراحوا على حماية إلى بلادهم فلما سمع نور الدين كلامهم وقع مغشيا عليه فلما أفاق سألوه عن قضيته فأخبرهم بخبره من الأول إلى الآخر فلما فهموا خبره صار كل منهم يشتمه ويسبه ويقول له

لأى شىء ما تخرجها إلا بإزار ونقاب وصار كل واحد من الناس يقول له كلاما مؤلما فبينما الناس مع نور الدين على تلك الحالة وإذا بالشيخ العطار مقبلا فرأى الناس مجتمعين فتوجه إليهم ليعرف الخبر فرأى نور الدين راقدا بينهم وهو مغشى عليه فقعد عند رأسه ونبهه فلما أفاق قال له يا ولدى ما هذا الحال الذى أنت فيه فقال له يا عم إن الجارية التى كانت راحت منى جئت بها من مدينة أبيها فى مركب قد وقاسيت ما قاسيت فى المجىء بها فلما وصلت بها إلى هذه المدينة ربطت السفينة فى البر وتركت الجارية فيها وذهبت إلى منزلك وأخذت من زوجتك مصالح للجارية لأطلعها بها إلى المدينة فجاء الإفرنج وأخذوا السفينة والجارية فيها وراحوا على حماية حتى وصلوا إلى مراكبهم فلما سمع الشيخ العطار من نور الدين هذا الكلام سار الضياء فى وجهه ظلام وتأسف على نور الدين تأسفا عظيما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٦٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العطار لما تأسف على ما جرى لنور الدين وقال له يا ولدى لأى شىء ما أخرجتها من السفينة إلى المدينة من غير إزار ولكن فى هذا الوقت ما ينفع الكلام قم يا ولدى واطلع معى إلى المدينة لعل الله يرزقك بجارية أحسن منها فقال له نور الدين والله يا عم ما أقدر أن أسلوها أبدا ولا أترك طلبها ولو سقيت من أجلها كأس الردى فقال له العطار يا ولدى وأى شىء فى ضميرك تريد أن تفعله فقال له نويت أن أرجع إلى بلاد الروم وأدخل إلى مدينة إفرنجة وأخاطر بنفسى فاما عليها وأما لها فقال له يا ولدى إن فى الأمثال السائرة ما كل مرة تسلم الجرة فقال نور الدين يا عم دعنى أسافر وأقتل فى هواها سريعا ولا أقتل بتركها صبرا وتحسيرا وكان بمصادفة القدر مركب راسية فى المينا مجهزة للسفر وركابها قضت جميع أشغالها وفى تلك الساعة قلعوا أوتادها فنزل فيها نور الدين وسافرت تلك المركب مدة أيام وطاب لركابها الوقت والريح فبينما هم سائرون وإذا بمركب من مراكب الإفرنج دائرة فى

البحر العجاج لا يرون مركبا إلا يأسرنها خوفا على بنت الملك من سراق المسلمين وإذا أخذوا مركبا يوصلون جميع من فيها إلى ملك إفرنجة فيذبحهم ويوفى بهم نذره الذى كان نذره من أجل ابنته مريم فرأوا المركب التى فيها نور الدين فأسروها وأخذوا كل من كان فيها وأتوابهم إلى الملك أبى مريم فلما أوقفوهم بين يديه وجدهم مائة رجل من المسلمين فأمر بذبحهم فى الوقت والساعة ومن جملتهم نور الدين فذبحوهم كلهم ولم يبق منهم غير نور الدين وكان الجلاد قد أخره شفقة عليه لصغر سنه ورشاقة قده فلما رآه الملك عرفه حق المعرفة فقال أما أنت نور الدين الذى كنت عندنا فى المرة الأولى قبل هذه المرة فقال نور الدين يا مولاى أنا اسمى إبراهيم فقال له الملك إن العجوز قيمة الكنيسة إذا حضرت ونظرتك تعرف هل أنت نور الدين أو غيره فبينما هم فى الكلام وإذا بالوزير الأعور الذى تزوج بنت الملك قد دخل فى تلك الساعة وقبل الأرض بين أيادى الملك وقال له أيها الملك اعلم أن القصر قد فرغ بنيانه وأنت تعرف أنى نذرت للمسيح إذا فرغت من بنيانه أن أذبح على بابه ثلاثين من المسلمين وقد أتيتك لآخذ من عندك ثلاثين مسلما فأذبحهم وأوفى بهم نذر المسيح فقال له الملك وحق المسيح والدين الصحيح ما بقى عندى غير هذا الأسير وأشار إلى نور الدين وقال له خذه واذبحه فعند ذلك قام الوزير الأعور وأخذ نور الدين ومضى به إلى القصر ليذبحه على عتبة بابه فقال له الدهانون يا مولانا بقى علينا من الدهان شغل يومين فاصبر علينا وأخر ذبح هذا الأسير حتى نفرغ من الدهان عسى أن يأتى إليك بقية الثلاثين فعند ذلك أمر الوزير بحبس نور الدين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٦٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما أمر بحبس نور الدين أخذوه مقيدا جائعا عطشانا يتحسر على نفسه وقد نظر الموت بعينه وكان بالأمر المقدر والقضاء المبرم للملك حصانين أخوان شقيقان أحدهما اسمه سابق والآخر اسمه لاحق فحصل لأحدهما مرض فى

عينه فأحضر الملك جميع البياطرة لدوائه فعجزوا عنه كلهم فدخل على الملك الوزير الأعور الذى تزوج ابنته فرآه مهموما من قبل الحصان فأراد أن يزيل همه فقال أيها الملك أعطنى هذا الحصان وأنا أداويه فأعطاه له فنقله فى الإصطبل الذى فيه نور الدين فلما فارق الحصان أخيه صاح صيحة عظيمة وصهل حتى أزعج الناس من الصياح فعرف الوزير أنه ما حصل منه هذا الصياح إلا لفراقه من أخيه فراح وأعلم الملك فلما تحقق الملك من كلامه قال إذا كان ذلك حيوانا ولم يصبر على فراق أخيه فكيف بذوى العقول ثم أمر الغلمان أن ينقلوا الحصان عند أخيه بدار الوزير زوج مريم وقال لهم قولوا للوزير أن الملك يقول لك أن الحصانين إنعام منه عليك لأجل خاطر ابنته مريم فبينما نور الدين نائم فى الإصطبل وهو مقيد مكبل إذا نظر الحصانين فوجد على عينى أحدهما غشاوة وكان عنده بعض معرفة بأحوال الخيل وممارسة دوائها ثم إن نور الدين انتظر الوزير إلى أن دخل الإصطبل ينظر الحصانين فلما دخل قال نور الدين يا مولاى أى شيء يكون لى عليك إذا أنا داويت لك هذا الحصان وأعمل لك شيئا يطيب عينيه فقال له الوزير وحيات رأسى إن داويته أعتقك من الذبح وأخليك تتمنى على وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٦٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قال لنور الدين أن داويت الحصان اعتقك وأخليك تتمنى على فقال يا مولاى مر بفك قيدى فأمر الوزير بإطلاقه فنهض نور الدين وأخذ رجاجا بكرا وسحقه وأخذ جيرا بلا طفء وخلطه بماء البصل ثم وضع الجميع فى عينى الحصان وربطهما وقال فى نفسه الآن تغور عيناه فيقتلونى وأستريح من هذه العيشة الذميمة ثم إن نور الدين نام تلك الليلة بقلب خال من وسواس الهم وتضرع إلى الله تعالى وقال يا رب فى علمك ما يغنى عن السؤال فلما أصبح الصباح وأشرقت الشمس على الروابى والبطاح جاء الوزير إلى الإصطبل وفك الرباط عن عين الحصان ونظر إليهما فرآهما أحسن عيون ملاح بقدرة الملك الفتاح فقال له الوزير يا مسلم ما رأيت فى الدنيا مثلك فى حسن معرفتك ثم تقدم إلى نور

الدين وألبسه حلة سنية وجعله ناظرا على خيله ورتب له مرتبات وجرايات وأسكنه فى طبقة على الإصطبل وكان فى القصر الجديد الذى بناه للسيدة مريم شباك مطل على بيت الوزير وعلى الطبقة التى فيه نور الدين فقعد نور الدين مدة أيام يأكل ويشرب ويتلذذ ويطرب ويأمر وينهى على خدمة الخيل وكل من غاب منهم ولم يعلق على الخيل المربوطة على الطوال التى فيها خدمته يرميه ويضربه ضربا شديدا ويضع فى رجليه القيد الحديد وفرح الوزير بنور الدين غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ولم يدر ما يؤل أمره إليه وكان نور الدين كل يوم ينزل إلى الحصانين ويمسحها بيده لما يعلم من معزتهما عند الوزير ومحبته لهما وكان للوزير الأعور بنت بكر فى غاية الجمال كأنها غزال شارد أو غصن مائد فاتفق أنها كانت جالسة ذات يوم من الأيام فى الشباك المطل على بيت الوزير وعلى المكان الذى فيه نور الدين إذ سمعت نور الدين يغنى ويسلى نفسه على المشقات وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٦٨)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن بنت الوزير الأعور سمعت نور الدين يسلى نفسه على المشقات بإنشاد هذه الأبيات :

يا عاذلا أصبح فى ذاته ... منعما يزهو بلذاته

لو عضك الدهر بآفاته ... لقلت من ذوق مرارته

آه من العشق وحالاته ... أحرق قلبى بحرارته

لكن سلمت اليوم من غدره ... ومن تناهيه ومن جوره

فلا تسلم من حار فى أمره ... وقال من فرط صباباته

آه من العشق وحالاته ... أحرق قلبى بحرارته

كن عاذل العشاق فى حالهم ... وتكن عونا على عذلهم

إياك أن تشتد فى حبلهم ... مجرعا من مر لوعاته

آه من العشق وحالاته ... أحرق قلبى بحرارته

قد كنت قبلك بين العباد ... كمثل من بات خلى الفؤاد



لم أعرف العشق وطعم السهاد	حتى دعانى لمقاماته
آه من العشق وحالاته	أحرق قلبى بحرارته
لم يدر العشق وما ذله	إلا الذى أقسمه طوله
وضاع منه فى الهوى عقله	وشربه من مر جرعاته
آه من العشق وحالاته	أحرق قلبى بحرارته
كم عين صب فى الدجى أصهرا	واحرم الجفن لذيذ الكرى
وكم أسأل دمعة النهر	تجرى على الخد بلوعاته
آه من العشق وحالاته	أحرق قلبى بحرارته
كم فى الورى من مرم مستهام	سهران من وجد بعيد المنام
ألبسه ثوب الضنى والسقام	من قد نفى عنه مناماته
آه من العشق وحالاته	أحرق قلبى بحرارته
يا رب دبر من به قد بلى	وكفله نعم أنت من كافل
وارزقه منك بالثبات الجلى	والطف به فى كل أوقاته
آه من العشق وحالاته	أحرق قلبى بحرارته

فلما استتم نور الدين اقصى كلامه وفرغ من شعره ونظامه قالت فى نفسها بنت الوزير وحق المسيح والدين الصحيح أن هذا المسلم شاب مليح ولكنه لا شك عاشق مفارق فيا ترى معشوق هذا الشاب مليح مثله وهل عنده مثل ما عنده أم لا فإن كان معشوقه مليح مثله يحق له اسالة العبرات وشكوى الصبابات وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٦٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن بنت الوزير قالت فى نفسها فإن كان معشوقة مليحا يحق له اسالة العبرات وإن كان غير مليح فقد ضيع عمره فى الحسرات وكانت مريم الزنارية زوجة الوزير قد نقلت إلى القصر أمس ذلك اليوم وعلمت منها بنت الوزير ضيق الصدر فعزمت أن تذهب إليها وتحدثها بخبر هذا الغلام وما سمعت منه من النظام فما استتم الفكر فى هذا

الكلام حتى أرسلت خلفها السيدة مريم زوجة أبيها لأجل أن تؤانسها بالحديث فذهبت إليها فرأت صدرها ضيقا ودموعها جارية على خدها وهى تبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد فقالت لها بنت الوزير أيتها الملكة لا تضيق صدرا وقومى معى فى هذه الساعة إلى شباك القصر فإن عندنا فى الإصطبل شابا مليحا رشيق القوام حلو الكلام كأنه عاشق مفارق فقالت السيدة مريم فى نفسها إن كان قول بنت الوزير بيقين فهذه صفات الكئيب المسكين على نور الدين فياهل ترى هو ذلك الشاب الذى ذكرته بنت الوزير ثم إن السيدة مريم زاد بها العشق والهيام والوجد والغرام فقامت من وقتها وساعتها ومشت مع بنت الوزير إلى الشباك ونظرت منه فرأته محبوبها وسيدها نور الدين ودققت النظر فيه فعرفته حق المعرفة ولكنه سقيم من كثرة عشقه لها ومحبته إياها ومن نار الوجد وألم الفراق والوله والاشتياق قد زاد به النحول فصار ينشدو يقول :

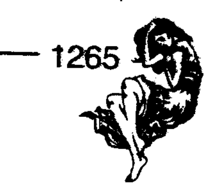
القلب مملوك وعينى جارية	ليس لها سحابة مجارية
واحرقتى واحسرتى والوعنى	تكاملت أعدادها ثمانية
واتابعتها ستة فى خمسة	إلا قفوا واستمعوا مقالية
ذكر وفكر وزفير وضنى	وفرط شوقى واشتغال بالية
فى محنة وغربة ...	ولهفة وترجة ترانية

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٧٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما فرغ من شعره وتحققت منه السيدة مريم فرأته سيدها نور الدين وسمعت بليغ شعره وبديع نثره تحققت أنه هو ولكنها أخفت أمرها عن بنت الوزير وقالت لها وحق المسيح والدين الصحيح ما كنت أحسب أن عندك خبرا بضيق صدرى ثم نهضت من وقتها وساعتها وقامت من الشباك ورجعت إلى مكانها ومضت بنت الوزير إلى شغلها ثم صبرت السيدة مريم ساعة زمانية ورجعت إلى الشباك وجلست فيه



وصارت تنظر إلى سيدها نور الدين وتتأمل في لطفه ورقة معانيه فرأته كالبدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر ولكنه دائم الحسرات جار العبرات لأنه تذكر ما فات فأنشد هذه الأبيات :

أملت وصل أحبتي ما نلته ... ابدا ومر العيش قد أوصلته
دمعي يحاكي البحر في جريانه ... وإذا رأيت عواذلي كفكفته
آه على داع دعا بفراقنا ... لو نلت منه لسانه لقطعته
فلمن أسير إلى سواكم قاصدا ... والقلب في عرضاتكم خلفته
من منصفي من مظالم متحكم ... يزداد ظلما كلما حكمته
ملكته روحي ليحفظ ملكه ... فأضاعني وأضاع ما ملكته
أنفقت عمري في هواه وليتني ... أعطى وصولا بالذي انفقته
يا أيها الرشا المسلم بمهجتي ... يكفي من الهجران ما قد ذقته

فلما سمعت مريم من نور الدين العاشق المفارق المسكين إنشاد هذه الأشعار حصل عندها من كلامه استعبارا فأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين :

تمنيت من أهوى فما لقيته ... ذهلت فلم أملك لسانا ولا طرفا
وكنت معدا للعتاب دفاتر ... فلما اجتمعنا ما وجدت ولا حرفًا

فلما سمع نور الدين كلام السيدة مريم عرفها فبكى بكاء شديدا وقال والله إن هذه نغمة السيدة مريم الزنارية بلا شك ولا رجم غيب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٧١)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما سمعها تنشد الأشعار قال في نفسه إن هذه نغمة السيدة مريم بلا شك ولا ريب ولا رجم غيب فياترى هل ظني صحيح وإنها هي أو غيرها ثم إن نور الدين زادت به الحسرات وأنشد هذه الأبيات :

لما رآني لائمي في الهوى ... صادفت حبي في مكان رحيب
ولم أفه بالعتب عند اللقا ... ورب عتب فيه يسره الكئيب

فقال ما هذا السكوت الذى | صدك عن رد الجواب المصيب
فقلت يا من غدا جاهلا | بحال أهل العشق كالمستريب
علامة العاشق فى عشيقه | سكوته عند لقاء الحبيب

فلما فرغ من شعره أحضرت السيدة مريم الزنارية دواة وقرطاسا وكتبت فيه البسملة الشريفة أما بعد فسلام الله عليك ورحمته وبركاته أخبرك أن الجارية مريم تسلم عليك وهى كثيرة الشوق إليك وهذه مراسلتها إليك فساعة وقوع هذه الورقة بين يديك انهض من وقتك وساعتك واهتم بما تريده منك غاية الاهتمام والحذر كل الحذر من المخالفة ومن أن تنام فإذا مضى ثلث الليل الأول فإن تلك الساعة من أسعد الأوقات فلا يكن لك فيها شغل إلا أن تشد الفرسين وتخرج بهم خارج المدينة ثم إن السيدة مريم لفت الورقة فى منديل حرير ورمتها إلى نور الدين من الشباك فأخذها وقرأها وفهم ما فيها ثم قام من وقته وساعته إلى الحصانين ووضع عليهما سرجين من أحسن السروج وخرج بهما من باب الإصطبل وقفل الباب وسار بهم إلى باب المدينة وجلس ينتظر السيدة مريم وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٧٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما صار بالحصانين إلى باب المدينة جلس ينظر السيدة مريم هذا ما كان من نور الدين (وأما) ما كان من أمر الملكة مريم فإنها ذهبت من وقتها وساعتها إلى المجلس الذى هو معد لها فى ذلك القصر فوجدت الوزير الأعور جالسًا فى ذلك المجلس متكئًا على مخدة محشوة من ريش النعام وهو مستح أن يمد يده إليها أو يخاطبها فلما رأته ناجت ربها وقالت اللهم لا تبلغه منى أربا ولا تحكم على بالنجاسة بعد الطهارة ثم أقبلت عليه وأظهرت له المودة وجلست فى جانبه ولاطفته وقالت له يا سيدى ما هذا الأعراض فقال لها الوزير الفضل والجميل لك يا ملكة الأرض فى الطول والعرض وهل أنا إلا من خدامك وأقل غلمانك وإنما مستح أن أتهجم على مخاطبتك الفخمة أيتها الدرة اليتيمة ووجهى منك فى الأرض فقالت له دعنا من هذا الكلام وأتنا بالمأكل والمشرب فعند ذلك صاح الوزير على جواريه



وخدمه وأمرهم بإحضار المأكل والمشرب فقدموا له سفرة وفيها من سائر الأشكال والألوان فمدت السيدة مريم يدها إلى السفرة وأكلت وصارت تلقم الوزير وتبوسه فى فمه ومازالا يأكلان حتى اكتفى من الأكل ثم غسلا أيديهما وبعد ذلك رفع الخدم سفرة الطعام وأحضروا سفرة المدام فصارت مريم تملأ وتشرب وتسقيا وقامت بخدمته حق القيام حتى كاد يطير قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح فلما غاب عقله عن الصواب وتمكن منه الشراب مدت يدها إلى جيبها وأخرجت منه قرصا من البنج البكر معربى الذى إذا شم منه الفيل أدنى رائحة نام من العام إلى العام وكانت أعدته لهذه الساعة ثم غافلت الوزير وفركته فى القدح وملأته وأعطته إياه فطار عقله من الفرح وما صدق إنها تناوله إياه فأخذ القدح وشربه فما استقر فى جوفه حتى خر صريعا على الأرض فى الحال فقامت السيدة مريم على قدميها وعمدت إلى خرجين كبيرين وملأتهما مما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر والبواقيت ثم إنها رفعت الخرجين على أكتافها وخرجت من القصر هذا ما كان من أمر مريم (وأما) ما كان من أمر نور الدين وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٧٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مريم لما خرجت من القصر توجهت إلى نور الدين وكانت ذات قوة وشجاعة هذا ما كان من أمر مريم (وأما) ما كان من أمر نور الدين العاشق المسكين فإنه قعد على باب المدينة ينتظرها ومقاود الحصانين فى يده فأرسل الله عز وجل عليه النوم فنام وسبحان من لا ينام وكانت ملوك الجزائر فى ذلك الزمان يبذلون المال رشوة على سرقة هذين الحصانين أو واحد منهما وكان موجود فى تلك الأيام عبد أسود تربى فى الجزائر يعرف بسرعة الخيل فصار ملوك الإفرنج يرشونه بمال كثير لأجل ان يسرق أحد الحصانين ووعداه إنه إن سرق الحصانين يعطوه جزيرة كاملة ويخلعوا عليه خلعة سنية وقد كان لذلك العبد زمان طويل يدور فى مدينة إفرنجية وهو مختف ثم إن العبد خرج فى تلك الليلة قاصدا ذلك الإصطبل

ليسرق الحصانين فبينما هو ماش فى الطريق إذ لاحت منه التفاتة فرأى نور الدين نائما ومقاود الحصانين فى يده فنزع المقاود من رءوسهما وأراد أن يركب واحداً ويسوق الآخر قدامه وإذا بالسيدة مريم قد أقبلت وهى حاملة الخرجين فظنت أن العبد هو نور الدين فناولته أحد الخرجين فوضعه على الحصان ثم ناولته الثانى فوضعه على الحصان الآخر وهو ساكت وهى تظن أنه نور الدين ثم إنها خرجت من باب المدينة والعبد ساكت فقالت له يا سيدى نور الدين مالك ساكتا فالتفت العبد إليها وهو مغمض وقال لها أى شىء تقولين يا جارية فسمعت بربرة العبد فعرفت أنها غير لغة نور الدين فرفعت رأسها إليه ونظرته فوجدت له مناخير كالأبريق فلما نظرته صار الضياء فى وجهها ظلام فقالت له من تكون يا شيخ بنى حام وما اسمك بين الأنام فقال لها يا بنت اللئام أنا اسمى مسعود سراق الخيل والناس نيام فما ردت عليه بشىء من الكلام بل جردت من وقتها الحسام وضربته على عاتقه فطلع يلمع من علائقه فوقع صريعا على الأرض يختبط فى دمه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فعند ذلك أخذت السيدة مريم الحصانين وركبت واحداً منهما وقبضت الآخر فى يدها ورجعت على عقبها تفتش على نور الدين فلقيته راقدا فى المكان الذى واعدته بالاجتماع والمقاود فى يده وهو نا ثم يغط فى نومه ولم يعُرف يديه من رجليه فنزلت عن ظهر الحصان ولكزته بيدها فانتبه من نومه مرعوبًا وقال لها الحمد لله على مجيئك سالمة وبعد ذلك التفتت مريم إلى نور الدين وقالت له أما قلت لك لا تنم فإنه لا أفلح من ينام فقال يا سيدتى أنا ما نمت إلا من برد فؤادى بميعادك وأى شىء جرى يا سيدتى فأخبرته بحكاية العبد من المبتدأ إلى المنتهى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

***

الليلة (٨٧٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة مريم لما أخبرت نور الدين بحكاية العبد من المبتدأ إلى المنتهى فقال لها نور الدين الحمد لله على السلامة ثم جدا فى إسراع المسير وقد



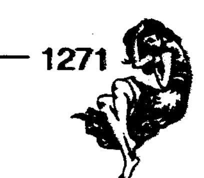
أسلما أمرهما إلى اللطيف الخبير وصارا يتحدثان حتى وصلا إلى العبد الذى قتلته السيدة مريم فرآه مرميا فى التراب كأنه عفريت فقالت مريم لنور الدين انزل جرده من ثيابه وخذ سلاحه فقال لها يا سيدتى والله أنا لا أقدر أنزل عن ظهر الحصان ولا أقف عنده ولا أتقرب منه وتعجب نور الدين من خلقته وشكر السيدة مريم على فعلها وتعجب من شجاعتها وقوة قلبها ثم سارا ولم يزالا سائرين سيرا عنيفا بقية الليل إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وانتشرت الشمس على الروابى والبطاح فعند ذلك نزلت السيدة مريم هى ونور الدين ليستريحا فى ذلك الوادى فأكلا من أثماره وشربا من أنهاره وأطلقا الحصانين يأكلا فى المرعى فأكلا فبينماهما كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وسمعا صهيل الخيل وقعقعة السلاح وكان السبب فى ذلك أن الملك لما زوج ابنته للوزير ودخل عليها فى تلك الليلة وأصبح الصباح أراد الملك أن يصبح عليها كما جرت به عادة الملوك فى بناتهم فقام وأخذ معه أقمشة الحرير ونثر الذهب والفضة ليتخاطفها الخدمة والمواشط ولم يزل الملك يتمشى هو وبعض الغلمان إلى أن وصل إلى القصر الجديد فوجد الوزير مرميًا على الفرش لايعرف رأسه من رجليه فالتفت الملك فى القصر يمينا وشمالا فلم ير ابنته فيه فتكدر حاله واشتغل باله وأمر بإحضار الماء السخن والخل البكر والسيكندر فلما أحضر له ذلك خلطهم ببعضهم وسعط الوزير بهم ثم هزه فخرج البنج من جوفه كقطع الجبن ثم إن الملك سعط الوزير بذلك ثانى مرة فانتبه فسأله عن حاله وعن حال ابنته فقال له أيها الملك الأعظم لا علم لى بها غير أنها سقتنى قدحًا من الخمر بيدها فمن ذلك الوقت ما عرفت روحى إلا فى هذه الساعة ولا أعلم ما كان من أمرها وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٧٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك إن مريم من ساعة ما أعطتنى قدح الخمر ما عرفت روحى إلا فى هذا الوقت ولا أعلم ما كان من أمرها فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء فى وجهه ظلاما وسحب السيف وضرب به الوزير على رأسه فخرج يلمع من

أضراسه ثم إن الملك أرسل إلى الغلمان والسياس فلما حضروا طلب منهم الحصانين فقالوا له أيها الملك إن الحصانين فقدا فى هذه الليلة وكبيرنا فقد معهما أيضا فإننا لما أصبحنا وجدنا الأبواب كلها مفتوحة فقال الملك وحق دينى وما يعتقده يقينى ما أخذ الحصانين إلا ابنتى هى والأسير الذى كان يخدم الكنيسة وكان قد أخذها فى المرة الأولى وعرفته حق المعرفة ولم يخلصه من يدى إلا هذا الوزير الأعور وقد جوزى بفعله ثم إن الملك دعا فى الوقت بأولاده الثلاث وكانوا أبطالا وشجعانا كل واحد منهم يقوم بألف فارس فى حومة الميدان ومقام الضرب والطعان ثم صاح الملك عليهم وأمرهم بالركوب فركبوا وركب الملك بجملتهم مع خواص بطارقته وأرباب دولته وأكابرهم وصاروا يتبعون أثرهما فلحقوهما فى ذلك الوادى فلما رأتهم مريم نهضت وركبت جوادها وتقلدت بسيفها وحملت آلة سلاحها وقالت لنور الدين ما حالك وكيف قلبك فى القتال والحرب والنزال فقال لها إن ثباتى فى النزال مثل ثبات الوتد فى النخال فلما سمعت مريم من نور الدين هذا الكلام أظهرت له الضحك والابتسام وقالت له يا سيدى نور الدين استقم مكانك وأنا أكفيك شرهم ولو كانوا عدد الرمل ثم إنها تهيأت من وقتها وساعتها وركبت ظهر جوادها وأطلقت من يدها طرف العنان وأدارت الرمح جهة السنان فخرج تلك الحصان من تحتها كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب وقد كانت مريم أشجع أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها لأن أباها علمها وهى صغيرة الركوب على ظهور الخيل وخوض بحار الحرب فى ظلام الليل وقالت لنور الدين اركب جوادك وكن خلف ظهرى وإذا انهزمنا فاحرص على نفسك من الوقوع فإن جوادك ما يلحقه لاحق فلما نظر الملك إلى ابنته مريم عرفها غاية المعرفة والتفت إلى ولده الأكبر وقال له يا برطوط يا ملقب برأس القلوط إن هذه أختك مريم لا شك فيها ولا ريب وقد حملت علينا وطلبت حربنا وقتالنا فابرز إليها واحمل عليها فقال له برطوط السمع والطاعة ثم برز لأخته مريم من وقته وساعته وحمل عليها فلاقته وحملت عليه ودنت منه وتقربت إليه فقال لها برطوط يا مريم أما يكفى ما جرى منك حيث تركت دين الآباء والإجداد واتبعت دين السياحين فى البلاد يعنى دين الإسلام ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح إن لم ترجعى إلى دين آبائك وأجدادك من الملوك وتسلكى فيه أحسن



السلوك لأقتلنك أشر قتلة وأمثل بك أقبح مثلة فضحكت مريم من كلام أخيها وقالت وهيهات أن يعود ما فات أو يعيش من مات بل أجرعك أشد الحسرات وأنا والله لست براجعة عن دين محمد بن عبد الله الذى عم هداه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٧٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مريم قالت لأخيها هيهات أن أرجع عن دين محمد بن عبد الله الذى عم هداه فإنه دين الهدى ولو سقيت كئوس الردى فلما سمع الملعون برطوط من أخته هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما وعظم ذلك عليه وكبر لديه والتحم بينهما القتال واشتد الحرب والنزال ولم تزل مريم تحاوله و تسد عليه طرائقه حتى كل وبطلت همته واضمحل عزمه وضعفت قوته فضربته بالسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ثم إن مريم جالت فى حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وطلبت البراز وسألت الإنجاز وقالت هل من مقاتل هل من مناجز لا يبرز لى اليوم كسلان ولا عاجز لا يبرز لى إلا أبطال أعداء الدين لأسقيهم كأس العذاب المهين يا عبدة الأوثان وذوى الكفر والطغيان هذا يوم تبيض فيه وجوه أهل الإيمان وتسود وجوه أهل الكفر بالرحمن فلما رأى الملك ولده الكبير قتل لطم على وجهه وشق أثوابه وصاح على ولده الوسطانى وقال له يا برطوس يا ملقب بجزء السوس أبرز يا ولدى بسرعة إلى قتال أختك مريم فقال له يا أبت السمع والطاعة ثم إنه برز لأخته مريم وحمل عليها فلاقته وحملت عليه فتقاتلت هى وإياه قتالا شديداً أشد من القتال الأول فرأى أخاها الثانى نفسه عاجزا عن قتالها فأراد الفرار والهروب فلم يمكنه ذلك من شدة بأسها لأنه كلما ركن إلى الفرار قربت منه ولاصقته وضايقته ثم ضربته بالسيف على رقبته فخرج يلمع من لبته وألحقته بأخيه وبعد ذلك جالت فى حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وقالت أين الفرسان والشجعان أين الوزير الأعور الأعرج فعند ذلك صاح أبوها بقلب جريح وطرف من الدمع قريح وقال إنها قتلت ولدى الأوسط وحق المسيح والدين الصحيح ثم إنه صاح

على ولده الصغير وقال له يا فسيان يا ملقب بسلخ الصبيان اخرج يا ولدى إلى قتال أختك وخذ منها ثأر أخويك فعند ذلك برز لها أخوها الصغير وحمل عليها فنهضت إليه ببراعتها وحملت عليه بحسن صناعتها ومعرفتها بالحرب وفروسيتها وقالت له يا عدو الله وعدو المسلمين لألحقنك بأخويك وبئس مثوى الكافرين ثم إنها جذبت سيفها من غمده وضربته فقطعت عنقه وذراعيه وألحقته بأخويه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما نظر الملك إلى أولاده وقد قتلوا ولى عساكره وقد انهزموا أخذته الحيرة والانبهار واحترق قلبه بلهيب النار وقال فى نفسه إن السيدة مريم قد استقلت بنا وإن جازفت بنفسى وبرزت إليها وحدى ربما غلبت على وقهرتنى كما قتلت إخوتها والرأى عندى أن أحفظ حرمتى وأرجع إلى مدينتى ثم إن الملك أرخى عنان فرسه ورجع إلى مدينته فلما استقر فى قصره طلب أرباب دولته واستشارهم فأشاروا عليه كلهم أن يكتب كتابا إلى خليفة الله فى أرضه أمير المؤمنين هارون الرشيد ويعلمه بهذه القضية فكتب إلى الرشيد مكتوبا مضمونه بعد السلام على أمير المؤمنين إن لنا بنتا اسمها مريم الزنارية قد أفسدها علينا أسير من أسرى المسلمين اسمه نور الدين على بن التاجر تاج الدين المصرى وأخذها ليلا وخرج بها إلى ناحية بلاده وأنا أسأل من فضل مولانا أمير المؤمنين أن يكتب إلى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وإرسالها إلينا مع رسول أمين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٧٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ملك إفرنجة لما كتب إلى الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد كتابا يتضرع إليه فيه ويطلب ابنته مريم ويسأله من فضله أن يكتب إلى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وإرسالها مع رسول أمين من خدام حضرة أمير المؤمنين ومن جملة مضمون ذلك الكتاب أننا نجعل لكم نظير مساعدتكم لنا على هذا الأمر نصف مدينة روما الكبرى لتبنوا فيها مساجد للمسلمين ونجعل إليكم خراجها وبعد أن كتب الكتاب برأى أهل مملكته وكبراء

دولته طواه ودعا بوزيره الذى جعله وزيرا مكان الوزير الأعور وأمره أن يختم الكتاب بختم الملك وكذلك ختمه أرباب دولته بعد أن وضعوا خطوط أيديهم فيه ثم قال لوزيره إن أتيت بها فلك عندى إقطاع أميرين وأخلع عليك خلعة بطرازين ثم ناوله الكتاب وأمره أن يسافر إلى مدينة بغداد دار السلام ويوصل الكتاب إلى أمير المؤمنين من يده إلى يده ثم سافر الوزير بالمكتوب وسار يقطع الأودية والقفار حتى وصل إلى مدينة بغداد فلما دخلها مكث فيها ثلاثة أيام حتى استقر واستراح ثم سأل عن قصر أمير المؤمنين هارون الرشيد فدلوه عليه فلما وصل إليه طلب إذناً من أمير المؤمنين فى الدخول عليه فأذن له فى ذلك فدخل عليه وقبل الأرض بين يديه وناوله الكتاب الذى من ملك إفرنجة وصحبته من الهدايا والتحف العجيبة ما يليق بأمير المؤمنين فلما فتح الخليفة المكتوب وقرأه وفهم مضمونه أمر وزراءه من وقته أن يكتبوا المكاتيب إلى سائر بلاد المسلمين ففعلوا ذلك وبينوا فى المكاتيب صفة مريم وصفة نور الدين واسمه واسمها وأنهما هاربان هذا ما كان من أمر هؤلاء الملوك وأتباعهم (وأما) ما كان من أمر نور الدين المصرى ومريم الزنارية بنت ملك إفرنجه فإنهما ركبا بعد انهزام الملك وعساكره من وقتهما وساعتهما وسارا إلى بلاد الشام وقد ستر عليهما الرحمن فوصلا إلى مدينة دمشق وكانت الطلائع التى أرسلها الخليفة قد سبقتهما إلى دمشق الشام بيوم فعلم أمير دمشق أنه مأمور بالقبض عليهما متى وجدهما ليحضرهما بين يدى الخليفة فلما كان يوم دخولهما إلى دمشق أقبل عليهما الجواسيس فسألوهما عن اسمهما فأخبراهم بالصحيح وقصا عليهم قصتهما وجميع ما جرى عليهما فعرفوهما وقبضوا عليهما وأخذوهما وساروا بهما إلى أمير دمشق فأرسلهما إلى الخليفة بمدينة بغداد دار السلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٨٧٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجواسيس دخلوا على أمير المؤمنين وقالوا له يا أمير المؤمنين إن هذه مريم الزنارية بنت ملك إفرنجة وهذا نور الدين بن التاجر تاج الدين المصرى

الأسير الذى أفسدها على أبيها وسرقها من بلاده فعند ذلك أتينا بهما وأحضرناهما بين يديك فنظر أمير المؤمنين إلى مريم فرآها رشيقة القد والقوام فصيحة الكلام فقال لها هل أنت مريم الزنارية بنت ملك إفرنجة؟ قالت نعم يا أمير المؤمنين وإمام الموحدين وحامى حومة الدين وابن عم سيد المرسلين فعند ذلك التفت الخليفة فرأى عليا نور الدين شابا مليحا حسن الشكل كأنه البدر المنير فى ليلة تمامه فقال له الخليفة هل أنت على نور الدين الأسير بن التاجر تاج الدين المصرى قال نعم يا أمير المؤمنين وعمدة القاصدين فقال الخليفة كيف أخذت هذه الصبية من مملكة أبيها وهربت بها فصار نور الدين يحدث الخليفة بجميع ما جرى له من أول الأمر إلى آخره فلما فرغ من حديثه تعجب الخليفة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٧٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون لما سأل نور الدين عن قصته وأخبره بجميع ما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وقال ما أكثر ما تقاسيه الرجال ثم إنه التفت إلى السيدة مريم وقال يا مريم اعلمى أن والدك ملك إفرنجة قد كاتبنا فى شأنك فما تقولين قالت يا خليفة الله فى أرضه وقائما بسنة نبيه وفرضه خلد الله عليك النعم وأجارك من البؤس والنقم أنت خليفة الله فى أرضه إنى قد دخلت دينكم لأنه هو الدين القويم الصحيح وتركت ملة الكفرة الذين يكذبون على المسيح وقد صرت مؤمنة بالله الكريم ومصدقة وأنا قائلة بين يدى الخليفة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهل وسعك يا أمير المؤمنين أن تقبل كتاب ملك الملحدين وترسلنى إلى بلاد الكافرين الذين يشركون بالملك العلام ويعظمون الصليب ويعبدون الأصنام ويعتقدون إلهية عيسى وهو مخلوق فإن فعلت بى ذلك يا خليفة الله أتعلق بأذيالك يوم العرض على الله وأشكوك إلى ابن عمك رسول الله ﷺ (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) فقال أمير المؤمنين يا مريم معاذ الله أن أفعل



ذلك أبدا كيف أرد امرأة مسلمة موحدة بالله ومصدقة برسوله إلى ما نهى الله عنه ورسوله فقالت مريم أشهد أن لا إله إلا الله محمدا رسول الله فقال لها أمير المؤمنين يا مريم بارك الله فيك وزادك هداية إلى الإسلام وحيث كنت مسلمة موحدة بالله فقد صار لنا عليك حق واجب وهو أننى لا أفرط فيك أبدا ولو بذل لى من أجلك ملء الأرض جواهر وذهبا فطيبى نفسا وقرى عينا وانشرحى صدرا ولا يكن خاطرك إلا طيبا فهل رضيت أن يكون هذا الشاب نور الدين المصرى لك بعلا وتكونى له أهلا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٨٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين قال لمريم هل رضيت أن يكون نور الدين المصرى لك بعلا وتكونى له أهلا فقالت مريم يا أمير المؤمنين كيف لا أرضى أن يكون لى بعلا وقد اشترانى بماله وأحسن إلى غاية لإحسان ومن تمام إحسانه أنه خاطر بروحه من أجلى مراراً عديدة فزوجها به مولانا أمير المؤمنين وعمل لها مهرا وأحضر القاضى والشهود وأكابر دولته يوم زواجها عند كتب الكتاب وكان يوما مشهوداً ثم بعد ذلك التفت أمير المؤمنين من وقته وساعته إلى وزير ملك الروم وكان حاضرا فى تلك الساعة وقال له هل سمعت كلامها كيف أرسلها إلى أبيها الكافر وهى مسلمة موحدة بالله وربما أساءها وأغلظ عليها خصوصا وقد قتلت أولاده فأتحمل أنا ذنبها يوم القيامة وقد قال الله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فارجع إلى ملكك وقل له ارجع عن هذا الأمر ولا تطمع فيه وكان ذلك الوزير أحمق فقال للخليفة يا أمير المؤمنين وحق المسيح والدين الصحيح إنى لا يمكننى الرجوع دون مريم ولو كانت مسلمة لأنى لو رجعت إلى أبيها بدونها يقتلنى فقال الخليفة خذوا هذا الملعون واقتلوه .

ثم أمر بضرب عنق الوزير الملعون وحرقه فقالت السيدة مريم يا أمير المؤمنين لا تنجس سيفك بدم الملعون ثم جردت سيفها وضربته به فأطاحت رأسه عن جثته فذهب إلى دار البوار ومأواه جهنم وبئس القرار فتعجب الخليفة من صلابة ساعدها وقوة جنانها ثم خلع على نور

الدين خلعة سنية وأفرد لهما مكانا فى قصره هى ونور الدين ورتب لهما المرتبات والجوامك والعلوفات وأمر بأن ينقل إليهما جميع ما يحتاجان إليه من الملابس والمفارش والأوانى النفيسة وأقامها فى بغداد مدة من الزمان وهمّا فى أرغد عيش وأهناه وبعد ذلك اشتاق نور الدين إلى أمه وأبيه فعرض الأمر على الخليفة وطلب منه إذنا فى التوجه إلى بلاده وزيارة أقاربه فدعا بمريم وأحضرها بين يديه وأجازه بالتوجه وأتحفه بالهدايا والتحف المثمنة وأوصى مريم ونور الدين ببعضهما ثم أمر بالمكاتيب إلى أمراء مصر المحروسة وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين هو ووالديه وجاريته وإكرامهم غاية الإكرام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

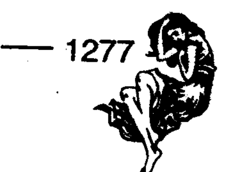
***

الليلة (٨٨١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين كتب إلى أمراء مصر وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين ووالديه وجاريته وأكرمهم غاية الإكرام فلما وصلت الأخبار إلى مصر فرح التاجر تاج الدين بعودة ولده نور الدين وكذلك أمه فرحت بذلك غاية الفرح وخرج للقائه الأكبار والأمراء وأرباب الدولة من أجل وصية الخليفة فلاقوا نور الدين وكان لهم يوم مشهود مليح عجيب اجتمع فيه المحب والمحبوب واتصل الطالب بالمطلوب وصارت الولائم كل يوم على واحد من الأمراء وفرحوا بهم الفرح الزائد وأكرموهم الإكرام المتصاعد فلما اجتمع نور الدين بوالدته ووالده فرحوا ببعضهم غاية الفرح وزال عنهم الهم والترح وكذلك فرحوا بالسيدة مريم وأكرموها غاية الإكرام ووصلت إليهم الهدايا والتحف من سائر الأمراء والتجار العظام وصاروا كل يوم فى انشراح جديد وسرور أعظم من سرور العيد ولم يزالوا فى فرح ولذات إلى أن أتاهم هاذم اللذت ومفرق الجماعات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت .

﴿ حكاية الشاب البغدادى مع جاريته التى اشتراها ﴾

(يحكى) أنه كان فى قديم الزمان رجل بغدادى من أولاد النعم ورث عن أبيه مالا جزيلا وكان يعشق جارية فاشتراها وكانت تحبه كما يحبها ولم يزل ينفق عليها إلى أن ذهب جميع



ماله ولم يبق منه شىء فطلب شيئا من أسباب المعاش يتعيش فيه فلم يقدر وكان ذلك الفتى فى أيام غناه يحضر مجالس العارفين بصناعة الغناء فبلغ فيها الغاية القصوى فاستشار بعض إخوانه فقال له إنا لا أعرف لك صنعة أحسن من أن تغنى أنت وجاريتك فتأخذ على ذلك المال الكثير وتأكل وتشرب فكره ذلك هو والجارية فقالت له الجارية قد رأيت لك رأيا قال وما هو قالت تبيعنى ونخلص من هذه الشدة أنا وأنت وأكون فى نعمة فإن مثلى ما يشتريه إلا ذو نعمة وبذلك أكون سببا فى رجوعى إليك فاطلعها إلى السوق فكان أول من رآها رجل هاشمى من أهل البصرة وكان ذلك الرجل أديبا ظريفا كريم النفس فاشتراها بألف وخمسمائة دينارا فلما قبضت الثمن ندمت وبكيت أنا والجارية وطلبت الاقالة فلم يرض فوضعت الدنانير فى الكيس وأنا لا أدرى أين أذهب لأن بيتى موحش منها وحصل لى من البكاء واللطم والنحيب ما لم يحصل لى قط فدخلت بعض المساجد وقعدت أبكى فيه واندهشت حتى صرت لا أعلم بنفسى فنمت وتركت الكيس تحت رأسى كالمخدة فلم أشعر إلا وإنسان قد جذبه من تحت رأسى ومضى يهرول فانتبهت فزعا مرعوبًا فلم أجد الكيس فقمت أجرى خلفه وإذا برجلى مربوطة فى حبل فوقعت على وجهى وصرت أبكى وألطم وقلت فى نفسى فارقتك روحك وضاع مالك .

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٨٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ذلك الفتى لما ضاع منه الكيس قال قلت فى نفسى فارقتك روحك وضاع مالك وزاد بى الحال فجئت إلى الدجلة وحملت توبى على وجهى وألقيت نفسى فى البحر ففطن بى الحاضرون وقالوا إن ذلك العظيم هم حصل له فرموا أرواحهم خلفى وأطلعونى وسألونى عن أمرى فأخبرتهم بما حصل لى فتأسفوا لذلك ثم جاء شيخ منهم وقال قد ذهب مالك وكيف تتسبب فى ذهاب روحك فتكون من أهل النار قم معى حتى أرى منزلك ففعلت ذلك فلما وصلنا إلى منزلى قعد عندى ساعة حتى سكن ما بى فشكرته على

ذلك ثم انصرف فلما خرج من عندى كدت أقتل روحى فتذكرت الآخرة والنار فخرجت من بيتى هاربًا إلى بعض الأصدقاء فأخبرته بما جرى لى فبكى رحمة لى وأعطانى خمسين دينارًا وقال لى أقبل رأيى واخرج فى هذه الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك إلى أن يشتغل قلبك عن حبها وتسلوها وأنت من أهل الإنشاء والكتابة وخطك جيد وأدبك بارع فاقصد من شئت من العمال واطرح نفسك عليه لعل الله يجمعك بجاريتك فسمعت منه وقد قوى عزمى وأزال عنى بعض همى وعزمت على أنى أقصد أرض واسط لأن لى بها أقارب فخرجت إلى ساحل البحر فرأيت سفينة راسية والبحرية ينقلون إليها أمتعة وقماشا فاخرا فسألتهم أن يأخذونى معهم فقالوا إن هذه السفينة لرجل هاشمى ولا يمكننا أخذك على هذه الصورة فرغبتهم فى الأجرة فقالوا إن كان ولابد فاقلع هذه الثياب الفاخرة التى عليك والبس ثياب الملاحين وأجلس معنا كأنك واحد منا فرجعت واشتريت شيئا من ثياب الملاحين ولبسته وجئت إلى السفينة وكانت متوجهة إلى البصرة فنزلت معهم فما كان إلا ساعة حتى رأيت جاريتى بعينها ومعها جاريتان يخدمانها فمكن ما كان عندى من الغيظ وقلت فى نفسى ها أنا أراها واسمع غناءها إلى البصرة فما أسرع أن جاء الهاشمى راكبا ومعه جماعة فنزلوا فى تلك السفينة وانحدرت بهم وأخرج الطعام فأكل هو والجارية وأكل الباقون فى وسط السفينة ثم قال الهاشمى للجارية كم هذا التمنع من الغناء ولزوم الحزن والبكاء وما أنت أول من فارق من يحب فعلمت ما كان عندها من أمر حبى ثم ضرب ساترا على الجارية فى جانب السفينة واستدعى الذين كانوا فى ناحيتى وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فأذاهم إخوته ثم أخرج لهم ما يحتاجون إليه من الخمر والنقل ولم يزالوا يحثون الجارية على الغناء إلى أن استدعت بالعود وأصلحته وأخذت تغنى فأنشدت هذين البيتين :

بان الخليط بمن أحب فأدلجوا   وعن سرى بعناى لم يتحرجوا
والصب بعد أن استقل ركابهم   جمر الغضى فى قلبه يتأجج

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٨٨٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية بعد ما أنشدت بيتين الشعر غلبها البكاء ورمت العود ثم وقعت مغشيا عليها وارتفع البكاء من الناس وصرخت أنا ووقعت مغشيا على وضج الملاحون منى فقال بعض غلمان الهاشمى كيف حملتم هذا المجنون ثم قال بعضهم لبعض إذا وصلتم إلى بعض القرى فأخرجوه وأريحونا منه فحصل لى من ذلك هم عظيم وعذاب أليم فتجلدت غاية الجلد وقلت فى نفسى لا حيلة فى الخلاص من أيديهم إلا أن أعلمها بمكانى من السفينة لتمنع من إخراجى ثم سرنا حتى وصلنا إلى قرب ضيعة فقال صاحب السفينة اصعدوا بنا الشاطئ فطلع القوم وكان ذلك وقت المساء فقمت حتى صرت خلف الستارة وأخذت العود وغيرت الطرق طريقة بعد طريقة وضربت على الطريقة التى قد تعلمتها منى ثم رجعت إلى موضعى من السفينة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٨٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الفتى قال ثم رجعت إلى موضعى من السفينة وبعد ذلك نزل القوم من الشاطئ ورجعوا إلى مواضعهم فى السفينة وقد انبسط القمر على البر والبحر فقال الهاشمى للجارية بالله عليك لا تنغصى علينا عيشنا فأخذت العود وجسته بيدها وشهقت فظنوا أن روحها قد خرجت ثم قالت والله إن أستاذى معنا فى السفينة فقال الهاشمى والله لو كان معنا ما ضيعته من معاشرتنا لأنه ربما كان يخفف ما بك فننتفع بغنائك ولكن كونه فى السفينة أمر بعيد فقالت لا أقدر على ضرب العود وتقليب الأهوية ومولاى معنا فقال الهاشمى نسأل الملاحين فقالت افعل فسألهم وقال هل حملتم معكم أحد فقالوا لا فخفت أن ينقطع السؤال فضحكت وقلت نعم أنا أستاذها وعلمتها حين كنت سيدها فلما رآنى عرفنى فقال ويحك ما هذا الذى أنت فيه وما أصابك حتى صرت فى هذه الحالة فحكيت له ما جرى من أمرى وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى الهاشمى هو وإخوته بكاء شديدا

رأفة بى ثم قال والله ما دنوت من هذه الجارية ولا وطئتها ولاسمعت لها غناء إلا اليوم وأنا رجل قد وسع الله على وإنما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاقى من أمير المؤمنين وقد بلغت الأمرين ولما أردت الرجوع إلى وطنى قلت فى نفسى أسمع شيئًا من غناء بغداد فاشتريت هذه الجارية ولم أعلم أنكما على هذه الحالة فأنا أشهد الله على أن هذه الجارية إذا وصلت إلى البصرة أعتقها وأزوجك إياها وأجرى لكما ما يكفيكما وزيادة ثم إن الهاشمى أدخل رأسه فى الستارة وقال لها أيرضيك ذلك فأخذت تدعو له وتشكره ثم استدعى بغلام وقال له خذ بيد هذا الشاب وانزع ثيابه وألبسه ثيابا فاخرة وبخره وقدمه إلينا فأخذنى الغلام وفعل بى ما أمره سيده وقدمنى إليه فوضع بين يدى الشراب مثل ما وضعه بين أيديهما ففرح القوم بى وزاد فرحهم ولم يزالوا فى فرح وسرور إلى أن جئنا إلى بعض السواحل فرست السفينة هناك وصعد كل من فيها وصعدت أنا أيضا وكنت سكران فقعدت أبول فغلبنى النوم فنمت ورجعت الركاب إلى السفينة وانحدرت بهم ولم يعلموا بى لأنهم كانوا سكارى وكنت دفعت النفقة إلى الجارية ولم يبق معى شىء ووصلوا إلى البصرة ولم أنتبه إلا من حر الشمس فقمت من ذلك المكان فما رأيت أحدا ونسيت أن أسأل الهاشمى عن اسمه وأين داره بالبصرة وبأى شىء يعرف وبقيت حيران وكأن ما كنت فيه من الفرح بلقاء الجارية منام ولم أزل متحيرا حتى اجتازت بى مركب عظيمة ونزلت فيها ودخلت البصرة وما كنت أعرف بها أحدا ولا أعرف بيت الهاشمى فجئت إلى بقال وأخذت منه دواة وورقة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٨٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن البغدادى صاحب الجارية لما دخل البصرة وصار حيرانًا وهو لا يعرف أحدا ولا يعرف دار الهاشمى قال فجئت إلى بقال وأخذت منه دواة وورقة وقعدت أكتب فاستحسن خطى ورأى ثوبى دنسا فسألنى عن أمرى فأخبرته أنى غريب فقير فقال إن

تقيم عندى ولك كل يوم نصف درهم وأكلك وكسوتك وتظبط لى حساب دكانى فقلت له نعم وأقمت عنده وظبطت أمره ودبرت له دخله وخرجه فلما كان بعد أشهر رأى الرجل دخله زائدا وخرجه ناقصًا فشكرنى على ذلك فمكثت على تلك الحالة مدة سنتين فبينما أنا فى الدكان وإذا بجماعة معهم طعام وشراب فسألت البقال عن القضية فقال هذا يوم المتنعمين يخرج فيه أهل الطرب واللعب والفتيان من ذوى النعمة إلى شاطئ البحر يأكلون ويشبون بين الأشجارى فقلت للبقال إنى أريد ذلك فقال شأنك والخروج معهم ثم جهز لى طعاما وشرابا وسرت حتى وصلت إلى نهر الإيلة فإذا الناس ينصرفون فأردت الإنصراف معهم وإذا بريس السفينة التى كان فيها الهاشمى والجارية بعينه وهو سائر فى نهر الأيلة فصحت عليهم فعرفنى هو ومن معه وأخذونى عندهم وقالوا لى هل أنت حى وعانقونى وسألونى عن قصتى فأخيرتهم بها فقالوا إننا ظننا أنه قوى عليك السكر وغرقت فى الماء فسألتهم عن حال الجارية فقالوا إنها لما علمت بفقدك مزقت ثيابها وأحرقت العود وأقامت على اللطم والنحيب فلما رجعنا مع الهاشمى إلى البصره قلنا لها اتركى هذا البكاء والحزن فقالت إنا ألبس السواد وأجعل لى قبرا فى جانب هذه الدار فأقيم عند هذا القبر وأتوب عن الغناء فمكناها من ذلك وهى على تلك الحالة إلى الآن ثم أخذونى معهم وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٨٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن البغدادى قال فأخذونى معهم فلما وصلت إلى الدار رأيتها على تلك الحالة فلما راتنى شهقت شهقة عظيمة حتى ظننت أنها ماتت فاعتنقتها عناقا طويلا ثم قال لى الهاشمى خذها فقلت نعم ولكن اعتقها كما وعدتنى وزوجنى بها ففعل ذلك ودفع إلينا أمتعة نفيسة وثيابا كثيرة وفرشا وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما أردت إجراءه لكما فى كل شهر ولكن بشرط المنادمة وسماع الجارية ثم أخلى لنا دار وأمر بأن ينقل إليها جميع ما نحتاج إليه فلما توجهت إلى تلك الدار وجدتها قد عمرت بالفرش والقماش وحملت

إليها الجارية ثم إننى جئت إلى البقال وأخبرته بجميع ما حصل لى وسألته أن يجعلنى فى حل من طلاق ابنته من غير ذنب ودفعت إليها مهرها وما يلزمنى وأقمت مع الهاشمى على تلك سنتين وصرت صاحب نعمة عظيمة وعادت لى حالتى الأولى التى كنت فيها أنا والجارية فى بغداد وقد فرج الله الكريم عنا واسبغ جزيل النعم علينا وجعل ما آل صبرنا إلى الظفر بالمراد فله الحمد فى المبدأ والمعاد والله أعلم .

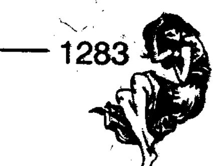
﴿ حكاية وردخان بن الملك جليعاد ﴾

(ومما يحكى أيضا) أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من بلاد الهند وكان ملكا عظيما طويل القامة حسن الصورة حسن الخلق كريم الطبائع محسنا للفقراء محبا للرعية ولجميع أهل دولته وكان اسمه جليعاد وكان تحت يده فى مملكته اثنان وسبعون ملكا ولبلاده ثلثمائة وخمسون قاضيا وكان له سبعون وزيراً وقد جعل على كل عشرة من عسكره رئيساً وكان أكبر وزرائه شخصا يقال له شماس وكان عمره اثنتين وعشرين سنة وكان حسن الخلق والطباع وكان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل إليه لمعرفته بالفصاحة والبلاغة وأحوال السياسة ولما أعطاه الله من الرحمة وخفض الجناح المرعية وكان ذلك الملك عادلا فى مملكته حافظا لرعيته ومع هذا كله لم يرزقه الله بولد فشق ذلك عليه وعلى أهل مملكته فاتفق أن الملك كان مضطجعا فى ليلة من الليالى وهو مشغول الفكر فى عاقبة أمر مملكته ثم غلب عليه النوم فرأى فى منامه كأنه يصب ماء فى أصل شجرة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٨٨٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك رأى فى منامه كأنه يصب ماء فى أصل شجرة وحول تلك الشجرة أشجار كثيرة وإذا بنار قد خرجت من تلك الشجرة وأحرقت جميع ما كان حولها من الأشجار فعند ذلك انتبه الملك من منامه فزعا مرعوبا واستدعى أحد غلمانه وقال له



أذهب بسرعة وائتنى بشماس الوزير عاجلا فذهب الغلام إلى شماس وقال له إن الملك يدعوك فى هذه الساعة لأنه تنبه من نومه مرعوبا فأرسلنى إليك لتحضر عنده عاجلا فلما سمع شماس كلام الغلام قام من وقته وساعته وتوجه إلى الملك ودخل عليه فرآه قاعدا على فراشه فسجد بين يديه داعيا له بدوام العز والنعم وقال له لا أحزنك الله أيها الملك ما الذى أقلقك فى هذه الليلة وما سبب طلبك إياى بسرعة فأذن له الملك بالجلوس فجلس وقص عليه ما رأى فأطرق شماس رأسه ساعة ثم تبسم فقال له الملك ماذا رأيت يا شماس أصدقنى الخبر ولا تخف عنى شيئا فأجابه شماس وقال له أيها الملك إن الله تعالى خولك وأقر عينك وأمر هذه الرؤيا يؤول إلى كل خير وهو أن الله تعالى يرزقك ولدا ذكرا يكون وارثا للملك عنك من بعد طول عمرك غير أنه يكون فيه شىء لا أحب تفسيره فى هذا الوقت لأنه غير موافق لتفسيره ففرح الملك بذلك فرحا عظيما وزاد سروره وذهب عنه فزعه وطابت نفسه وقال إن كان الأمر كذلك من حسن تأويل المنام فكمل لى تأويله إذا جاء الوقت الموافق لكمال تأويله فالذى لا ينبغى تأويله الآن ينبغى أن تؤوله لى إذا آن أوانه لأجل أن يكمل فرحى لأنى لا أبتغى بذلك غير رضا الله سبحانه وتعالى فلما رأى شماس من الملك أنه صمم على تمام تفسيره احتج له بحجة دافع بها عن نفسه فعند ذلك دعا الملك بالمنجمين وجميع المعبرين للأحلام الذين فى مملكته فحضروا جميعا بين يديه وقص عليهم ذلك المنام وقال لهم أريد منكم أن تخبرونى بصحة تفسيره فتقدم واحد منهم وأخذ إذنا من الملك بالكلام فلما أذن له قال اعلم أيها الملك أن وزيرك شماسا ليس بعاجز عن تفسير ذلك وإنما هو احتشم منك وسكن روعك ولم يظهر لك جميع التفسير بالكلية ولكن إذا أذنت لى بالكلام تكلمت فقال له الملك تكلم أيها المفسر بلا احتشام وأصدق فى كلامك فقال المفسر اعلم أيها الملك أنه يظهر منك غلام يكون وارثا للملك عنك بعد طول حياتك ولكنه لا يسير فى الرعية بسيرك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك ويصيبه ما أصاب الفار مع السنور فاستعاذ بالله تعالى وقال وما حكاية السنور والفار فقال المفسر أطال الله عمر الملك إن السنور هو القط سرح سرحة من الليالى إلى شىء يفترسه فى بعض الغيطان فما

وجد شيئا وضعف من شدة البرد والمطر اللذين حصلا فى تلك الليلة فأخذ يحتال لنفسه بشىء فبينما هو دائر على تلك الحالة إذ رأى وكرا فى أسفل شجرة فدنا منه وصار يتشمشم ويدندن حتى أحس أن داخل الوكر فار فحوله وهم بالدخول عليه لكى يأخذه فلما أحس به الفار أعطاه قفاه وصار يزحف على يديه ورجليه لكى يسد باب الوكر عليه فعند ذلك صار السنور يصوت صوتا ضعيفا ويقول له لم تفعل ذلك يا أخى وأنا ملتجئ إليك لتفعل معى رحمة بأن تقرئنى فى وكرك هذه الليلة لأنى ضعيف الحال وها أنا على بابك طريح من البرد والمطر وأسألك بالله من صداقتك أن تأخذ بيدى وتدخلنى عندك وتأوينى فى دهليز وكرك لأنى غريب ومسكين وقد قيل من أوى بمنزله غريبا مسكينا كان مأواه الجنة يوم الدين فإنت يا أخى حقيق بأن تكسب أجرى وتأذن لى فى أن أبيت عندك هذه الليلة إلى الصباح ثم أروح إلى حال سبيلى وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٨٨٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السنور قال للفار ائذن لى أن أبيت عندك هذه الليلة ثم أروح إلى حال سبيلى فلما سمع الفار كلام السنور قال له كيف تدخل وكرى وأنت عدولى بالطبع ومعاشك من لحمى فأجاب السنور قائلا بأخمد صوت وأسوأ حال إن الذى قلته من المواعظ حق ولست أنكر عليك ولكن أسألك الصفح عما مضى من العداوة والطبيعية التى بينى وبينك لأنه قد قيل من صفح عن مخلوق مثله صفح خالقه عنه وقد كنت قبل ذلك عدوا لك وها أنا اليوم طالب صداقتك فقال الفار كيف أقبل عهد من تأسست العداوة بينى وبينه وعادته أن يغدر بى ولو كانت العداوة بيننا على شىء من الأشياء غير الدم لهان على ذلك ولكنها عداوة طبيعية بين الأرواح فقال السنور وهو ممتلئ غيظا قد ضاق صدرى وضعفت نفسى وها أنا فى النزع وعن قليل أموت على بابك ويبقى إثمى عليك لأنك قادر على نجاتى مما أنا فيه وهذا آخر كلامى معك فحصل للفار خوف من الله تعالى ونزلت فى قلبه الرحمة فعند ذلك



خرج الفار إلى السنور وأدخله فى وكره سحبًا فقام عنده إلى أن اشتد واستراح وتعافى قليلا فصار يتأسف على ضعفه وذهاب قوته وقلة أصدقائه فصار الفار يترفق به ويأخذ بخاطره ويتقرب منه ويسعى حوله وأما السنور فإنه زحف إلى الوكر حتى ملك المخرج خوفا أن يخرج منه الفار فلما أراد الخروج قرب من السنور على عادته فلما صار قريبا منه قبض عليه وأخذه بين أظافره وصار يعضه وينثره ويأخذه فى فمه ويرفعه عن الأرض ويرميه ويجرى وراءه وينهشه ويعذبه فعند ذلك استغاث وطلب الخلاص من الله وجعل يعاتب السنور ويقول أين العهد الذى عاهدتنى به وأين أقسامك التى أقسمت بها أهذا جزائى منك ولكن توكلت على خالقى فهو الذى يخلصنى منك فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد أن يهجم عليه وينهش فيه ويفترسه وإذا برجل صياد معه كلاب جارحة معودة بالصيد فمر منهم كلب على باب الوكر فسمع فيه معركة كبيرة فظن أن فيه ثعلبا يفترس شيئا فاندفع الكلب منحدرًا ليصطاده فصادف السنور فجذبه إليه فلما وقع السنور بين يدى الكلب التهى بنفسه وأطلق الفار حيا ليس فيه جرح وأما هو فإنه خرج به الكلب الجارح بعد أن قطع عصبه ورماه ميتا وصدق فى حقهما قول من قال من رحم رحم آجلا ومن ظلم ظلم عاجلا هذا ما جرى لهما أيها الملك فلذلك لا ينبغى لأحد أن ينقض عهد من استأمنه ومن غدر وخان يحصل لله مثل ما حصل للسنور لأنه كما يدين الفتى يدان ومن يرجع إلى الخير ينل الثواب ولكن لا تحزن أيها الملك ولا يشق عليك ذلك فأذعن الملك عند ذلك وأمر لهم بإكرام جزيل ثم صرفهم وقام ودخل مكانه وصار يتفكر فى عاقبة أمره فلما جن الليل أفضى إلى بعض نسائه وكانت أكرمهن عنده وأحبهن إليه فواقعها فلما تم لها نحو أربعة أشهر تحرك الحمل فى بطنها ففرحت بذلك فرحا شديدا وأعلمت الملك بذلك فقال صدقت رؤياى والله المستعان ثم إنزلها أحسن المنازل وأكرمها غاية الإكرام وأعطاها إنعاما جزيلا وخولها بشىء كثير وبعد ذلك دعا ببعض الغلمان وأرسله ليحضر شماسا فلما حضر حدثه الملك بما صار من حمل زوجته وهو فرحان قائلا قد صدقت رؤياى واتصل رجائى فما تقول يا شماس فى ذلك فسكت شماس ولم ينطق بجواب فقال له الملك مالى أراك

لا تفرح لفرحي ولا ترد جوابا يا ترى هل أنت كاره لهذا الأمر يا شماس فسجد عند ذلك شماس بين أيادى الملك وقال أطال الله عمرك ما الذى ينفع المستظل بشجرة إذا كانت النارتخرج منها وما لذة شارب الخمر الصافى إذا حصل له بها الشرق وما فائدة الناهل من الماء العذب البارد إذا غرق فيه وإنما أنا عبد الله ذلك أيها الملك ولكن قد قيل ثلاثة أشياء لا ينبغى للعاقل أن يتكلم فى شأنها إلا إذا تمت المسافر حتى يرجع من سفره والذى فى الحرب حتى يقهر عدوه والمرأة الحامل حتى تضع حملها وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٨٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير شماسا لما قال للملك ثلاثة أشياء لا ينبغى للعاقل أن يتكلم فى شأنها إلا إذا تمت قال له بعد ذلك فاعلم أيها الملك وكيف حكاية الناسك المدفوق السمن على رأسه فقال له الملك وكيف حكاية الناسك وما جرى له فقال له أيها الملك إنه كان إنسان ناسك عند شريف من أشراف بعض المدن وكان للناسك جراية فى كل يوم من رزق ذلك الشريف وهى ثلاثة أرغفة مع قليل من السمن والعسل وكان السمن فى ذلك البلد غاليًا وكان الناسك يجمع الذى يجئ إليه فى جرة عنده حتى ملأها وعلقها فوق رأسه خوفا واحتراسا فبينما هو ذات ليلة من الليالى جالس على فراشه وعَصاه فى يده إذ عرض له فكر فى أمر السمن وغلائه فقال فى نفسه ينبغى أن أبيع هذا السمن الذى عندى جميعه واشترى بثمنه نعجة وأشارك عليها أحدا من الفلاحين فإنها فى أول عام تلد ذكرًا وأنثى وثانى عام تلد أنثى وذكرا ولا تزل هذه الغنم تتوالد ذكورًا وأناثًا حتى تصير شيئًا كثيرًا وأقسم حصتى بعد ذلك وأبيع فيها ما شئت واشترى الأرض الفلانية وأنشى فيها غيطا وأبنى فيها قصرا عظيما واقتنى ثيابا وملبوسا واشترى عبيدًا وجوارى وأتزوج بنت التاجر الفلانى وأعمل عرسا ما صار مثله قط وأقول لنفسى قد بلغت مناك وأستريح من النسك والعبادة وبعد ذلك تحمل زوجتى وتلد غلاما ذكرًا فأفرح به وأعمل له الولائم وأربيه فى الدلال وأعلمه الحكمة والأدب والحساب



وأشهر اسمه بين الناس فإن رأيته لزم الطاعة زدته عطايا صالحة وإن رأيته مال إلى المعصية أنزل عليه بهذه العصا ورفعها ليضرب بها ولده فأصابت جرة السمن التى فوق رأسه فكسرتها فعند ذلك نزلت شقافتها عليه وساح السمن على رأسه وعلى ثيابه وعلى لحيته وصار عبرة فلأجل



(الناسك وهو يرفع العصا فأصابت جرة السمن فكسرتها وقد ساح السمن على رأسه)

ذلك أيها الملك لا ينبغى للإنسان أن يتكلم على شىء قبل أن يصير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٩٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك لا ينبغى للإنسان أن يتكلم على شىء قبل أن يصير فقال له الملك لقد صدقت فيما قلت ونعم الوزير أنت بالصدق نطقت وبالخير أشرت ولقد صارت رتبتك عندى على ما تحب ولم تزل مقبولا فسجد شماس لله وللملك ودعا له بدوام النعم ثم قام شماس وانصرف من عند الملك ثم بعد مدة وضعت زوجة الملك غلاما ذكرا فنهض المبشرون إلى الملك وبشروه بغلامه ففرح بذلك فرحًا شديداً وشكر الله شكراً جزيلا وقال الحمد لله الذى رزقنى ولدا بعد اليأس وهو الشفوق الرؤف على عباده ثم إن الملك كتب إلى سائر أهل مملكته ليعلمهم بالخبر ويدعوهم إلى منزله فحشر له الأمراء والرؤساء والعلماء وأرباب الدولة الذين تحت أمره هذا ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان من أمر ولده فإنه قد دقت البشائر والأفراح فى سائر المملكة وأقبل أهلها إلى الحضور من سائر الأقطار وأقبل أهل العلوم والفلسفة والأدباء والحكماء ودخلوا جميعهم إلى الملك ووصل كل منهم إلى حد مقامه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٩١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك لما دعى أهل المملكة دخل كل منهم على قدر مقامه ثم أشار إلى الوزراء السبعة الكبار الذين رئيسهم شماس أن يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة فى شأن ما هو بصدده فابتدأ رئيسهم الوزير شماس واستأذن فى الكلام فأذن له فقال الحمد لله الذى أنشأنا من العدم إلى الوجود المنعم على عباده الملوك أهل العدل والإنصاف بما أولاهم من الملك والعمل الصالح وبما أجراه على أيديهم لرعيتهم من الرزق وخصوصا ملكنا الذى أحيا الله بهداه أموات بلادنا بما أسداه علينا من النعم ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمأنينة



والعدل وأنت أيها الملك حقيق بأنك أهل لهذه النعمة العظيمة ونحن تحت كنفك وفى ظل جناحك أحسن الله ثوابك وأدام بقاءك لأننا كنا قبل ذلك نجد فى الطلب من الله تعالى أن يمن علينا بالإجابة ويبقيك لنا ويعطيك ولدا صالحا تقربه عيناك والله سبحانه وتعالى قد تقبل منا واستجاب دعاءنا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٩٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شماسا قال للملك إن الله تعالى قد تقبل منا واستجاب دعاءنا وأتانا الفرج القريب مثل ما أتى بعض السمك فى غدير الماء فقال الملك وما حكاية السمك وكيف ذلك فقال شماس أعلم أيها الملك إنه كان فى بعض الأماكن غدير ماء وكان فيه بعض سمكات فعرض لذلك الغدير أنه قل ماؤه وصار يتضم بعضه إلى بعض ولم يبق من الماء ما يسعها فكادت تهلك وقالت ما عسى أن يكون من أمرنا وكيف نحتال ومن نستشيره فى نجاتنا فقامت سمكة منهن وكانت أكبرهن عقلا وسنا وقالت ما لنا حيلة فى خلاصنا إلا الطلب من الله ولكن نلتمس الرأى من السرطان فإنه أكبرنا فهلموا بنا إليه لننظر ما يكون من رأيه لأنه أكبر منا معرفة بحقائق الكلام فاستحسنوا رأيها وجاءوا بأجمعهم إلى السرطان فوجدوه رابضا فى موضعه وليس عنده علم ولا خبر بما هم فيه فسلموا عليه وقالوا يا سيدنا أما يعنيك أمرنا وأنت حاكمنا ورئيسنا فأجابهم السرطان قائلاً وعليكم السلام ما الذى جاء بكم وما تريدون فقصوا عليه قصتهم وما دهاهم من أمر نقص الماء وأنه متى نشف حصل لهم الهلاك ثم قالوا له وقد جئناك منتظرين رأيك وما يكون لنا فيه النجاة لأنك كبيرنا وأعرف منا فعند ذلك أطرق رأسه مليا ثم قال لا شك أن عندكم نقص عقل ليأسكم من رحمة الله تعالى وكفالته بأرزاق خلائقه جميعا ألم تعلموا أن الله سبحانه وتعالى يرزق عباده بغير حساب وقدر أرزاقهم قبل أن يخلق شيئا من الأشياء وجعل لكل شخص عمرا محدودا ورزقا مقسوما بقدرته الإلهية فكيف تحملوا هم شىء هو فى الغيب مسطور فالرأى أن نصبر وننتظر ما يفعله الله بنا

فإن كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا وإن كان يحصل لنا ما يوجب الهرب هربنا ورحنا من أرضنا إلى حيث يريد الله فأجاب السمك جميعه من فم واحد صدقت يا سيدنا جزاك الله عنا خير وتوجه كل واحد منهم إلى موضعه فما مضى إلا أيام قلائل وأتاهم الله بمطر شديد حتى ملأ الغدير فلا ينبغى لأحد أن يقطع رجاءه من رحمة الله تعالى ثم الوزير الثانى سلم على الملك فأجابه الملك قائلا وعليكم السلام . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٨٩٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير الثانى لما دخل على الملك وسلم عليه فرد الملك عليه السلام فقال ذلك الوزير إن الملك لا يسمى ملكًا إلا إذا أعطى وعدل وأحكم وأكرم وأحسن سيرته مع رعيته باقامة الشرائع والسنن المألوفة بين الناس وأنصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكف الأذى عنهم ويكون موصوفا بعدم الغفلة عن فقرائهم وإسعاف أعلاهم وأدناهم وإعطاءهم الحق الواجب لهم حتى يصيروا جميعًا داعين له ممتثلين لأمره لأنه لا شك أن الملك الذى بهذه الصفة محبوب عند الرعية مكتسب من الدنيا علاها ومن الآخرة شرفها ورضا خالقها ونحن معاشر العبيد معترفون لك أيها الملك بأن جميع ما وصفناه عندك فنعم الرجاء رجاؤك وقد صار فيك ما صار للغراب والحية فقال الملك وكيف ذلك وما حكاية الغراب والحية فقال الوزير أيها الملك إنه كان غراب ساكنا فى شجرة هو وزوجته فى أرغد عيش إلى أن بلغا زمان تفريخهما وكان زمن القيظ فخرجت حية من وكرها وقصدت تلك الشجرة وتعلقت بفرعها إلى أن صعدت إلى عش الغراب وربضت فيه ومكثت فيه مدة أيام الصيف وصار الغراب مطرودًا لا يجد له فرصة ولا موضعا يرقد فيه فلما انقضت أيام الحر ذهبت الحية إلى موضعها فقال الغراب لزوجته نشكر الله تعالى الذى نجانا وخلصنا من هذه الآفة وما حرمنا من الزاد فى هذه السنة لأن الله تعالى لا يقطع رجاءً فنشكره على ما من علينا من السلامة وصحة أبداننا وليس لنا تكال إلا عليه وإذا أراد الله وعشنا إلى العام القابل عوض الله علينا نتاجنا

ونحن أيها الملك يجب علينا شكر الله على ما أنعم عليك وعلينا بهذا المولود المبارك السعيد بعد اليأس وقطع الرجاء أحسن الله ثوابك وعاقبة أمرك . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٩٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير الثانى لما فرغ من كلامه ختمه بقوله أحسن الله ثوابك وعاقبة أمرك ثم قام الوزير الثالث وقال أبشر أيها الملك العادل بالخير العاجل والثواب الآجل لأن كل من تحبه أهل السماء والله تعالى قسم تلك المحبة وجعلها فى قلوب أهل مملكتك فله الشكر والحمد منا ومنك لكى يزيد نعمته عليك وعلينا بك وأنت أيها الملك من السعداء الأكابر كما قيل إن أسعد الأبرار من جمع الله له بين خيرى الدنيا والآخرة ويقنع بما قسم الله له ويشكره على ما أقامه فيه ومن تعدى وطلب غير ما قدر الله له وعليه يشبه حمار الوحش والثعلب قال الملك وما حديثهما قال الوزير اعلم أيها الملك أن ثعلبا كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه فبينما هو ذات يوم فى بعض الجبال وإذا بالنهار قد انقضى وقصد الرجوع فاجتمع على ثعلب رآه ماشيًا وصار كل منهما يحكى لصاحبه حكاية مع ما افترسه فقال أحدهما إننى بأمس وقعت فى حمار وحش وكنت جائعا وكان لى ثلاثة أيام ما أكلت ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذى سخره لى ثم إننى عمدت إلى قلبه فأكلته وشبعت ثم رجعت إلى وطنى ومضى على ثلاثة أيام ما أجد شيئًا آكله ومع ذلك أنا شبعان إلى الآن فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه وقال فى نفسه لابد لى من أكل قلب حمار الوحش فترك الأكل أيام حتى انهزل وأشرف على الموت وقصر شبعه واجتهاده وربض فى وطنه فبينما هو فى وطنه ذات يوم من الأيام وإذا بصيادين ماشيين قاصدين الصيد فوقع لهما حمار وحش فأقاما النهار كله فى أثره طرد ثم إن بعضهما رماه بسهم مشعب فأصابه ودخل جوفه واتصل بقلبه فقتله فلما كان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضجر من الضعف والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحا ففرح فرحا شديدا حتى كاد أن يطير من الفرح ثم وثب عليه وشق

بطنه وأدخل رأسه وصار يجول بفمه فى أمعائه إلى أن وجد القلب فالتقمه بفمه وابتلعه فلما صار داخل حلقه اشتبك شعب السهم فى عظم رقبته ولم يقدر على إدخاله فى بطنه ولا على إخراجه من حلقه وأيقن بالهلاك فلهذا أيها الملك ينبغى للإنسان أن يرضى بما قسمه الله له ويشكر نعمه فنسأل الله تعالى أن يرزقه عمرا طويلاً وسعادة دائمة ويجعله خلفا مباركًا موفيًا بعهدك من بعدك بعد طول عمرك ثم قام الوزير الرابع وقال إن الملك إذا كان فهيما عالما بأبواب الحكمة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

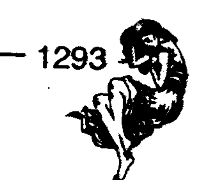
الليلة (٨٩٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير الرابع لما قام وقال إن الملك إذا كان فهيما عالما بأبواب الحكمة والأحكام والسياسة مع صلاح النية والعدل فى الرعية وإكرام من يحب إكرامه وتوقير من يحب توقيره والعفو عند القدرة إلا فيما لابد منه ورعاية الرؤساء والمرؤوسين ويصير فيه ما صار لابن الملك السائح فقال الملك وكيف كان ذلك فقال الوزير اعلم أيها الملك أنه كان فى بلاد الغرب ملك جائر فى حكمه ظالم غاشم عاسف مضيع لرعاية رعيته ومن دخل فى مملكته فكان لا يدخل فى مملكته أحدا إلا وتأخذ عماله منه أربعة أخماس ماله ويبقون له الخمس لا غير فقدر الله أنه كان له ولد سعيد موفق فلما رأى أحوال الدنيا غير مستقيمة تركها وخرج سائحًا عابدًا لله تعالى من صغره ورفض الدنيا وما فيها وخرج فى طاعة الله تعالى يسرح فى البرارى والقفار ويدخل المدن ففى بعض الأيام دخل تلك المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٨٩٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك لما دخل ابن الملك تلك المدينة فلما وقف على المحافظين أخذوه وفتشوه فلم يروا معه شيئا سوى ثوبين أحدهما جديد والآخر عتيق فنزعوا منه الجديد وتركوا له العتيق بعد الإهانة والتحقير فصار يشكو ويقول ويحكم أيها الظالمون



أنا رجل فقير وسائح وما عسى أن ينفعكم من هذا الثوب وإذا لم تعطوه لى ذهبت للملك وشكوتكم إليه فأجابوه قائلين إننا فعلنا ذلك بأمر الملك فما بدا لك أن تفعله فافعله فصار السائح يمشى إلى أن وصل إلى بلاد الملك وأراد الدخول فمنعه الحجاب فرجع وقال فى نفسه مالى إلى أنى أرصده حتى يخرج وأشكو إليه فما شعر إلا والملك خارج فعارضه السائح ودعا له بالنصر وأخبره بما وقع له مع المحافظين وشكا إليه حاله وأخبره أنه رجل من أهل الله رفض الدنيا وخرج طالب رضا الله تعالى فصار سائحا فى الأرض وكل من وفد عليه من الناس أحسن إليه بما أمكنه فلما سمع ذلك الملك الظالم من السائح هذ الكلام حصل عنده تغيير مزاج فقال أيها الجاهل نزعنا عنك ثوبك لكى تذل وحيث وقع منك مثل هذا الصياح عندى فأنا أنزع نفسك منك ثم أمر بسجنه فلما دخل السجن جعل يندم على ما وقع منه من الجواب وعنف نفسه حيث لم يترك ذلك ويفوز بروحه فلما كان نصف الليل قام وصلى صلاة مطولة وقال يا الله إنك الحكم العدل تعلم بحالى وما انطوى عليه أمرى مع هذا الملك الجائر وأنا عبدك المظلوم أسألك من فيض رحمتك أن تنقذنى من يد هذا الملك الظالم وتحل به نقمتك لأنك لا تغفل عن ظلم كل ظالم فلما سمع السجان دعاء هذا المسكين صار جميع ما فيه من الأعضاء مرعوبا فبينما هو كذلك وإذا بنار قادت فى القصر الذى فيه الملك فأحرقت جميع ما فيه حتى باب السجن ولم يخلص سوى السجان والسائح فانطلق السائح وسار هو والسجان ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى غير تلك المدينة وأما مدينة الملك الظالم فإنها احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها وأما نحن أيها الملك السعيد فما نمسى ونصبح إلا ونحن داعون لك وشاكرون الله تعالى على فضله بوجودك مطمئنين بعدلك وحسن سيرتك وكان عندنا غم كثير لعدم وجود ولد لك يرث ملكك خوفا أن يصير علينا ملك غيرك من بعدك والآن قد أنعم الله تعالى بكرمه علينا وأزال عنا الغم وأتانا بالسرور بوجود هذا الغلام المبارك فسأل الله تعالى أن يجعله خلفة صالحة ويرزقه العز والسعادة الباقية والخير الدائم ثم قام الوزير الخامس وقال تبارك الله العظيم . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٨٩٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير الخامس قال تبارك الله العظيم مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية وبعد فإننا تحققنا أن الله ينعم على من يشكره ويحافظ على دينه وأنت أيها الملك السعيد الموصوف بهذه المناقب الجليلة والعدل والإنصاف بين رعيتك بما يرضى الله تعالى فلأجل ذلك أعلى الله شأنك وأسعد أيامك ووهب لك هذه العطية الصالحة التى على هذا الولد السعيد بعد اليأس وصار لنا بذلك الفرح الدائم والسرور الذى لا ينقطع لأننا قبل ذلك كنا فى هم شديد وغم زائد بسبب عدم وجود ولد لك وفى أفكار فيما أنت منطو عليه من عدلك ورأفتك بنا وخوفًا أن يقضى الله عليك بالموت ولم يكن لك من يخلفك ويرث الملك من بعدك فيختلف رأينا ويقع بيننا الشقاق ويصير بيننا ما صار للغراب فقال الملك وما حكاية الغراب فأجابه الوزير قائلاً اعلم أيها الملك السعيد أنه كان فى بعض البرارى واد متسع وكان به انهار وأشجار وأثمار وبه أطيار تسبح الله الواحد القهار خالق الليل والنهار وكان من جملة الطيور غربان وكانوا فى أطيب عيش وكان المقدم عليهم والحاكم بينهم غراب رءوف بهم شفوق عليهم فاتفق أن مقدمهم توفى وجاءه الأمر المحتوم على سائر الخلق فحزنوا عليه حزنا شديدا ومن زيادة حزنهم أنه لم يكن فيهم أحد مثله يقوم مقامه فاجتمعوا جميعا وائتمروا فيما بينهم على من يقوم عليهم بحيث يكون صالحا فطائفة منهم اختاروا غرابا وقالوا إن هذا يصلح أن يكون ملكا علينا وأخرون اختلفوا فيه ولم يريدوه وبعد ذلك حصل بينهم توافق وتعاهدوا على أن يناموا تلك الليلة وعند طلوع الفجر يكونون مجتمعين فى موضع واحد ينظرون إلى كل طير يسبق فى الطيران وقالوا إنه هو الذى يكون مختارا عندنا للملك فنجعله ملكا علينا فبينما هم على ذلك الحال إذ طلع باز فقالوا له يا أبا الخير نحن اخترناك واليا علينا تنظر فى أمرنا فرضى الباز بما قالوه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .



***



الليلــة (٨٩٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير الخامس قال للملك فرضى الباز بما قالوه وقال لهم إن شاء الله تعالى سيكون لكم منى خير عظيم ثم إنهم بعد ما ولوه عليهم صار كل يوم إذا سرح وسرح الغربان ينفرد بأحدهم ويضربه ويأكل دماغه وعينيه ويترك الباقى ولم يزل يفعل معهم هكذا حتى فطنوا به فرأوا غالبهم قد هلك فأيقنوا بالهلاك وقال بعضهم لبعض كيف تصنع وقد هلك أكثرنا وما انتبهنا حتى هلك أكابرنا فينبغى لنا أن نتيقظ لانفسنا فلما أصبحوا نفروا منه وتفرقوا من حوله ونحن الآن نخشى أن يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك فتبارك الله العظيم وله الحمد والشكر والثناء الجميل وبارك الله للملك ولنا معشر الرعية ورزقنا وإياه السعادة العظمى وجه له سعيد الوقت قائم الجد ثم قام الوزير السادس وقال هناك الله أيها الملك بأحسن الهناء فى الدنيا والآخرة فقد تقدم من قول المتقدمين أن من صلى وصام وقام بحقوق الوالدين وعدل فى حكمه لقى ربه وهو راض عنه وقد وليت علينا فعدلت فسكنت بذلك سعيد الحركات فنسأل الله تعالى أن يجزل ثوابك ويأجرك على إحسانك وقد سمعت ما قال هذا العالم فيما نتخوف من حرمان حظنا بعدم الملك ويوجد ملك آخر لا يكون فيعظم اختلافنا بعده ويقع البلاء فى الاختلاف وإذا كان الأمر على ما ذكرناه لواجب علينا أن نبتهل إلى الله تعالى بالدعاء لعله يهب للملك ولدا سعيدا ويجعله وارثا للملك بعده ثم بعد ذلك ربما كان الذى يحبه الإنسان من الدنيا ويشتهيه مجهول العاقبة ويصيبه مثل ما أصاب الحاوى وزوجته وأولاده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٨٩٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير السادس لما قال للملك إن الإنسان لا ينبغى له أن يسأل ربه شيئًا لا يدرى عاقبته ويصيبه ما أصاب الحاوى وأولاده وزوجته وأهل بيته فقال الملك وما حكاية الحاوى وأولاده وزوجته وأهل بيته فقال الوزير اعلم أيها الملك أنه كان إنسانًا حاويًا

وكان يربى الحيات وهذه كانت صنعته وكان عنده سلة كبيرة فيها ثلاث حيات لم يعلم بها أهل بيته وكان كل يوم يخرج يدور بها فى المدينة ويتسبب بها بتحصيل رزقه ورزق عياله ويرجع عند المساء إلى بيته ويضع الأحناش فى السلة سراً وعند الصباح يأخذها ويدور بها فى المدينة فكان هذا دأبه على الدوام ولم يعلم أهل بيته بما فى السلة فجاء إلى بيته على عادته فسألته زوجته وقالت ما فى هذه السلة فقال لها الحاوى وما مرادك منها أليس الزاد عندكم كثيراً فاقنعى بما قسم الله لك ولا تسألى عن غيره فسكتت عنه تلك المرأة وصارت تقول فى نفسها لابد لى أن أفتش هذه السلة وأعرف ما فيها وصممت على ذلك وأعلمت أولادها وأكدت عليهم أن يسألوا والدهم عن تلك السلة ثم اتفقوا معها على أنهم لا يذوقون طعامًا ولا يشربون شرابًا لوالدهم حتى يبلغهم طلبتهم ويفتح لهم السلة فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ حضر الحاوى ومعه شىء كثير من الأكل والشرب فقعد ودعاهم ليأكلوا معه فأبوا الحضور إليه وبينوا له الغيظ فجعل يلاطفهم بالكلام الحسن ويقول لهم انظروا ماذا تريدون حتى أجىء به إليكم أكلاً أو شربًا أو ملبوسًا فقالوا له يا والدنا ما نريد منك إلا فتح هذه السلة لننظر ما فيها وإلا قتلنا أنفسنا فقال لهم يا أولادى ليس لكم فيها خير وإنما فتحها ضرر لكم فعند ذلك ازدادوا غيظًا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٠٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاوى قال لأولاده إن فتح السلة فيه ضرر لكم فازدادوا غيظا فعند ذلك غضب عليهم وأخذ عصا ليضربهم بها فهربوا من قدامه فى الدار وكانت السلة حاضرة لم يخفها الحاوى فى مكان فخلت المرأة الرجل مشغولا مع الأولاد وفتحت السلة بسرعة لكى تنظر ما فيها وإذا بالحيات قد خرجوا من السلة ولدغوا المرأة فقتلوها ثم داروا فى الدار وهلكوا الكبار والصغار ما عدا الحاوى فترك الحاوى الدار وخرج فلما تحققت ذلك أيها الملك السعيد علمت أن الإنسان ليس له أن يتمنى شىء لم يرده الله تعالى ونحن نسأل الله تعالى أن



يجعلك من الخلفاء العادلين المرضين لله تعالى والرعية ثم قام الوزير السابع وقال أيها الملك إنى قد علمت وتحققت ما ذكرة لك إخوتى هؤلاء الوزراء والعلماء والحكماء وما تكلموا به فى حضرتك أيها الملك وما وصفوه من عدلك وحسن سيرتك وما تميزت به عمن سواك من الملوك حيث فضلوك عنهم وذلك من بعض الواجب علينا وأما أنا فأحمد الله تعالى على ذلك حمدا دائما حيث أنعم علينا بوجودك ورزقك هذا الولد المبارك منة من الله تعالى علينا وعليك بحسن سيرتك وجميل صبرك وصار فيك ذلك مثل ما صار فى العنكبوت والريح فقال الملك وما حكاية العنكبوت والريح وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٠١)

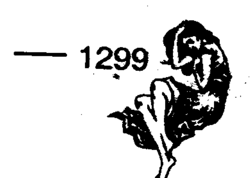
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك قال للوزير وما حكاية العنكبوت والريح فقال الوزير أعلم أيها الملك أن عنكبوتة تعلقت فى باب متنح عال وعملت لها بيتا وسكنت فيه بأمان وكانت تشكر الله تعالى الذى يسر لها هذا المكان وآمن خوفها من الهوام فسكتت على هذا الحال مدة من الزمان وهى شاكرة لله على راحتها واتصال رزقها فامتحنها خالقها بأن أخرجها لينظر شكرها وصبرها فارسل إليها ريحًا عاصفًا شرقيًا فحملها ببيتها ورماها فى البحر فجرتها الأمواج إلى البر فعند ذلك شكرت الله تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلة له أيها الريح لما فعلت بى ذلك وما الذى حصل لك من الخير فى نقلى من مكانى إلى هنا وقد كنت آمنة مطمئنة فى بيتى على ذلك الباب فقال لها الريح انتهى عن العتاب فإنى سأرجع بك وأوصلك إلى مكانك كما كنت أولا فلبثت العنكبوتة صابرة على ذلك راجية أن ترجع إلى مكانها حتى ذهبت ريح الشمال ولم ترجع بها وهبت ريح الجنوب فمرت بها واختطفتها وطارت بها إلى جهة البيت فلما مرت به عرفته فتعلقت به ونحن نسأل الله الذى أثاب الملك على وحدته وصبره ورزقه هذا الغلام بعد يأسه وكبر سنه ولم يخرجه من هذه الدنيا حتى رزقه قرة عين ووهب له ما وهب من الملك والسلطان فرحم رعيته وأولاهم نعمته فقال الملك الحمد لله

والشكر لله تعالى والثناء عليه بسبب نعمته وفضله وأنا أشكر الله لأنى عبد مأمور وقلبى بيده ولسانى تابع له راض بما حكم الله على وعليهم وبأى شىء صار وقد قال واحد منهما ما خطر بباله فى أمر هذا الغلام وذكروا ما كان من متجدد النعمة علينا حين بلغت من السن حدا يغلب معه اليأس وضعف اليقين والحمد لله الذى نجانا من الحرمان واختلاف الحكام كاختلاف الليل والنهار وقد كان ذلك إنعاما عظيما علينا وعليهم فنحمد الله تعالى الذى رزقنا هذا الغلام سميعًا مطيعا وجعله وارثا من الخلافة محلا رفيعا نسأله من كرمه وحلمه أن يجعله سعيد الحركات موفقا للخيرات حتى يصير ملكا وسلطانا على رعيته بالعدل والإنصاف حافظا لهم من هلكات الاعتساف بمنه وكرمه وجوده وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٠٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك بعد ما فرغ من كلامه قام الحكماء والعلماء وسجدوا لله وشكروا الملك وقبلوا يديه وانصرف كل واحد منهم إلى بيته فعند ذلك دخل الملك بيته وأبصر الغلام ودعا له وسماه وردخان فلما تم له من العمر اثنتا عشرة سنة أراد الملك أن يعلمهُ العلوم فبنى له قصرا فى وسط المدينة وبنى فيه ثلثمائة وستين مقصورة وجعل الغلام فيه ورتب له ثلاثة من الحكماء والعلماء وأمرهم ألا يغفلوا عن تعليمه ليلا ونهارا وأن يجلسوا معه فى كل مقصورة يوما ويحرصوا على ألا يكون علم إلا ويعلمونه إياه حتى يصير بجميع العلوم عارفا ويكتبون على باب كل مقصورة ما يعلمونه له فيها من أصناف العلوم ويرفعون إليه فى كل سبعة أيام ما عرفه من العلوم ثم إن العلماء أقبلوا على الغلام وصاروا لا يفترون عن تعليمه ليلا ونهارا ولا يؤخرون عنه شىء مما عندهم من العلوم فظهر للغلام من ذكاء العقل وجودة الفهم وقبول العلم ما لم يظهر لأحد قبله وجعلوا يرفعون للملك فى كل أسبوع مقدار ما تعلمه ولده وأتقنه فكان الملك يستظهر من ذلك علما حسنا وأدبا كاملا وقال العلماء ما رأينا قط من أعطى فهما مثل هذا الغلام فبارك الله لك فيه ومتعك بحياته ففرح الملك بذلك فرحًا شديدًا وزاد فى شكر الله تعالى وخر ساجدا لله عز وجل وقال الحمد لله على نعمه التى لا تحصى ثم دعا



بشماس الوزير وقال له اعلم يا شماس أن العلماء قد أتونى وأخبرونى أن ابنى هذا قد تعلم كل علم ولم يبق من العلوم علم إلا وقد علموه له حتى فاق من تقدمه فى ذلك فما تقول يا شماس فسجد عند ذلك لله عز وجل وقبل يدى الملك وقال أبت الياقوته ولو كانت فى الجبل الأسم إلا أن تكون مضيئة كالسراج وابنك هذا جوهرة فما تمنعه حداثته من أن يكون حكيما والحمد لله على ما أولاه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٩٠٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك جليعاد لما سمع كلام شماس أمر جهابذة العلماء وأذكياء الفضلاء ومهرة الحكماء أن يحضروا إلى قصر الملك فى غد فحضروا جميعا فلما اجتمعوا على باب الملك أذن لهم بالدخول ثم حضر شماس الوزير وقبل يدى ابن الملك فقام ابن الملك وسجد لشماس فقال له شماس لا يجب على شبل الأسد أن يسجد لأحد من الوحوش ولا ينبغى أن يقترن النور بالظلام قال الغلام أن شبل الأسد لما رأى وزير الملك سجد له فعند ذلك قال له شماس أخبرنى أى أهل الدنيا أحمد عملا قال الغلام من يؤثر آخرته على دنياه قال شماس ومن الذى يؤثر آخرته على دنياه قال الغلام من كان يعلم أنه فى دار منقطعة وأنه ما خلق إلا للفناء وأنه بعد الفناء يحاسب ولو كان فى هذه الدنيا أحد مخلدًا أبدًا لا يؤثر الدنيا على الآخرة قال شماس اخبرنى هل تستقيم آخرة بغير دنيا قال الغلام من لم يكن له دنيا فلا آخرة له ولكن رأيت الدنيا وأهلها والمعاد الذى هم سائرون إليه كمثل أهل هؤلاء الضياع الذين ابتنى لهم أمير بيتا ضيقًا وأدخلهم فيه وأمرهم بعمل يعملونه وضرب لكل واحد منهم أجلا ووكل به شخصًا فمن عمل منهم ما أمره به أخرجه الشخص الموكل به من ذلك الضيق ومن لم يعمل ما أمره به وقد انقضى الأجلى المضروب له عوقب فبينما هما كذلك إذ رشح لهم من شقوق البيت عمل فلما أكلوا من العسل وذاقوا طعمه وحلاوته وتوانوا فى العمل الذى أمروا به ونبذوه وراء ظهورهم وصبروا على ما هم فيه من الضيق والغم مع ما علموا من تلك العقوبة

التى هم سائرون إليها وقنعوا بتلك الحلاوة اليسيرة وصار الموكل بهم لا يدع أحد منهم إذا جاء أجله إلا ويخرجه من ذلك البيت فعرفنا أن الدنيا دار تتحير فيها الأبصار وضرب لأهلها فيها الآجال فمن وجد الحلاوة القليلة التى تكون فى الدنيا وأشغل نفسه بها كان من الهالكين حيث أثر أمر دنياه على آخرته ومن يؤثر آخرته على دنياه ولم يلتفت إلى تلك الحلاوة القليلة كان من الفائزين قال شماس قد سمعت ما ذكرت من أمر الدنيا والآخرة وقبلت ذلك منك ولكنى قد رأيتهما مسلطين على الإنسان فلابد له من إرضائهما مما هما مختلفان فإن أقبل العبد على طلب المعيشة فذلك إضرار بروحه فى المعاد وأن أقبل على الآخرة كان ذلك إضرار بجسده وليس له سبيل إلى إرضاء المتخالفين معًا قال الغلام إنه من حصل المعيشة فى الدنيا تقوى على الآخرة فإنى رأيت أمر الدنيا والآخرة مثل ملكين عادل وجائر وكانت أرض الملك الجائر ذات أشجار وأثمار ونبات وكان ذلك الملك لا يدع أحدا من التجار إلا أخذ ماله وتجارته وهم صابرون على ذلك لما يصيبونه من خصب تلك الأرض فى المعيشة وأما الملك العادل فإنه بعث رجلاً من أهل أرضه وأعطاه مالاً وافراً وأمره أن ينطلق به إلى أرض الملك الجبار ليبتاع به جواهر منه فانطلق ذلك الرجل بالمال حتى دخل تلك الأرض فقيل للملك إنه قد جاء إلى أرضك رجل تاجر ومعه مال كثير يريد أن يبتاع به جواهر منها فأرسل إليه وأحضره وقال له ويحك أما علمت صنعى بأهل أرضى من أنى آخذ ما لهم فى كل يوم فكيف تأتينى بمالك وهاأنت مقيم بأرضى منذ كذا وكذا فقال التاجر إن المال ليس لى منه شىء وإنما هو أمانة تحت يدى حتى أوصله إلى صاحبه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٠٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك الجائر قال للتاجر الذى يريد أن يشترى الجواهر من أرضه لا يمكن أن تأخذ معاشا من أرضى حتى تفدى نفسك بهذا المال أو تهلك فقال الرجل فى نفسه وقعت بين ملكين وقد علمت أن جور هذا الملك عام على كل من فى أرضه فإن لم أرضه كان هلاكى وذهاب مالى لابد منهما ولم أصب حاجتى وإن أعطيته جميع المال كان



هلاكى عند الملك صاحب المال لابد منه وليس لى حيلة أن أعطيه من هذا المال جزأ يسير وأرضيه وأدفع عن نفسى وعن هذا المال الهلاك ثم إن التاجر دعا للملك وقال له أيها الملك أنا أفدى مالى وهذا المال بجزء صغير منه منذ دخلت أرضك حتى أخرج منها فقبل الملك منه ذلك وخلى سبيله فلما رأيت ذلك علمت أنه ينبغى لمن طلب المعيشة فى الدنيا ألا يخل يوما عن



(المقعد وهو يجنى ثمار الشجرة والأعمى حامله)

طلب الآخرة فيكون قد أرضى الدنيا بما ناله من خصب الأرض وأرضى الآخرة بما يصرف من حياته فى طلبها قال شماس فأخبرنى عن الجسد والروح سواء فى الثواب والعقاب أو إنما يختص بالعقاب صاحب الشهوات وفاعل الخطيئات قال الغلام قد يكون الميل إلى الشهوات والخطيئات موجبات للثواب يحبس النفس عنها والتوبة منها والأمر بيد من يفعل ما يشاء وبضدها تتميز الأشياء على أن المعاش لابد منه للجسد ولا جسد إلا بالروح وطهارة الروح باخلاص النية فى الدنيا والالتفات إلى ما ينفع فى الآخرة وكذلك الجسد والروح مشتركان فى الأعمال وفى الثواب والعقاب وذلك مثل الأعمى والمقعد الذين أخذهما رجل صاحب بستان وأدخلهما بستان وأمرهما ألا يفسدا فيه ولا يصنع فيه أمرا يضر به فلما طابت أثمار البستان قال المقعد للأعمى ويحك إنى أرى أثمار طيبة وقد اشتهينا لها ولست أقدر على القيام إليها لا كل منها فقم أنت لأنك صحيح الرجلين واتتنا منها بما نأكل فقال الأعمى ويحك قد ذكرتها إلى وقد كنت عنها غافلاً ولست أقدر على ذلك لأنى لست أبصرها فما الحيلة فى تحصيل ذلك فبينما هما كذلك إذ أتاهما الناظر على البستان وكان رجلا عالمًا فقال له المقعد ويحك يا ناظرا ناقد اشتهينا شيئا من هذه الثمار ونحن كما ترى أنا مقعد وصاحبى هذا أعمى لا يبصر شيئا فما حيلتنا فقال لهما الناظر ويحكما لستما تعلمان ما عاهدكما عليه صاحب البستان من أنكما لا تتعرضان لشىء مما يؤثر فيه من الفساد فانتهيا ولا تفعلا فقال له لابد من أن نصيب من هذه الثمار ما نأكله فأخبرنا بما عندك من الحيلة فلما لم ينتهيا عن رأيهما قال لهما الحيلة فى ذلك أن يقوم الأعمى ويحملك أيها المقعد على ظهره ويدنيك من الشجرة التى تعجبك ثمارها حتى إذ أدناك منها تجنى أنت ما أصبت من الثمار فقام الأعمى وحمل المقعد وجعل يديه إلى السبيل حتى أدناه إلى شجرة فصار المقعد يأخذ منها ما أحب ولم يزل ذلك دأبهما حتى أفسد ما فى البستان من الشجر وإذا بصاحب البستان جاء وقال لهما ويحكما ما هذه الفعال ألم أعاهدكما على ألا تفسد فى هذا البستان فقالا له قد علمت أننا لا نقدر أن نصل إلى شىء من الأشياء لأن أحدنا مقعد لا يقوم والآخر أعمى لا يبصر ما بين يديه فما ذنبنا فقال لهما صاحب البستان لعلكما تظنان أنى لست أدرى كيف صنعتما وكيف أفسدتما فى



بستانى فإنى بك أيها الأعمى قد قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى أوصلته إلى الشجر ثم إنه أخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة وأخرجهما من البستان فالأعمى مثال للجد لأنه لا يبصر إلا بالنفس والمقعد مثال النفس التى لا حركة لها إلا بالجسد وأما البستان فإنه مثال للعمل الذى لا يجازى به العبد والناظر مثال للعقل الذى يأمر بالخير وينهى عن الشر فالجسد والروح مشتركان فى الثواب والعقاب قال له شماس قد صدقت قد قبلت قولك هذه فأخبرنى أى العلماء عندك أحمد قال الغلام من كان بالله عالما وينفعه علمه قال شماس ومن ذلك قال الغلام من يلتمس رضا ربه ويتجنب سخطه قال فأيهم أفضل قال الغلام من كان بالله أعلم قال شماس فمن أشدهم اختيارا قال من كان على العمل بالعلم صبارا قال شماس من أرقهم قلبا قال أكثرهم استعدادا للموت وذكروا أقلهم أملاً لأن من أدخل على نفسه طوارق الموت كان مثل الذى ينظر فى المرآة الصافية فإنه يعرف الحقيقة ولا تزداد المرآة إلا صفاء وبريقا قال شماس أى الكنوز أحسن قال تعظيم الله وتحميده قال : فأى كنوز الأرض أفضل قال اصطناع المعروف وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٠٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير شماس لما قال لابن الملك أى كنوز الأرض أفضل قال اصطناع المعروف قال صدقت وقد قبلت قولك هذا فأخبرنى عن الثلاثة المختلفة العلم والرأى والذهن وعن الذى يجمع بينهما قال الغلام إنما العلم من المتعلم وأما الرأى فإنه من التجارب وأما الذهن فإنه من التفكر وثباتهم واجتماعهم فى العقل فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان كاملا ومن جمع اليهن تقوى الله كان مصيبا قال شماس صدقت وقد قبلت منك ذلك قال فأخبرنى متى يكون العلم نافعا والعقل لونان الهوى والشهود دافعا قال الغلام إذا صرفهما صاحبهما فى طلب الآخرة لأن العقل والعلم كليهما نافعان ولكن ليس ينبغى لصاحبهما أن يصرفهما فى طلب الدنيا إلا بمقدار ما يصيب به قوته منها ويدفع عن نفسه شرها ويصرفها فى عمل الآخرة قال فأخبرنى ما أحق أن يلزم الإنسان ويشغل به قلبه قال العمل

الصالح قال فإذا فعل الرجل ذلك شغله عن معاشه فكيف يفعل فى المعيشة التى لا بد له منها قال الغلام إن نهاره وليله أربعة وعشرون ساعة فينبغى له أن يجعل منها جزءاً واحدا فى طلب المعيشة وجزءاً واحدا للطاعة والراحة ويصرف الباقى فى طلب العلم لأن الإنسان إذا كان عاقلا وليس عنده علم فإنه هو كالأرض المجدبة التى ليس فيها موضع للعمل والغرس والنبات فإذا لم تهيأ للعمل وتغرس لا ينفع فيها ثمر وإذا هيئت للعمل وغرست أنبتت ثمرا حسنا كذلك الإنسان بغير علم لا ينفع به حتى يغرس فيه العلم فإذا غرس فيه العلم أثمر قال شماس فأخبرنى ما الذى يفعله الوزير مع الملك قال الغلام إذا كنت وزير الملك وحببت أن تسلم منه فليكن سمعك وكلامك له فوق ما يؤمله منك وليكن طلبك منه الحاجة على قدر منزلتك عنده واحذر أن تنزل نفسك منزلة لم يرك لها أهلا فيكون ذلك منك مثل الجراءة عليه فإذا اغتررت بحلمه ونزلت نفسك منزلة لم يرك لها أهلا تكون مثل الصياد الذى يصطاد الوحوش فيسلخ جلودها لحاجته إليها ويطرح لحومها فجعل الأسد يأتى إلى ذلك المكان فيأكل من ذلك الجيفة فلما كثر تردده إلى ذلك المحل استأنس بالصياد وألفه فأقبل الصياد يرمى إليه ويمسح بيده على ظهره وهو يلعب بذيله فعندما رأى الصياد سكوت الأسد له واستئناسه به وتذلله إليه قال فى نفسه إن هذا الأسد قد خضع إلى وتملكته وما أرى إلا أنى أركبه وأسلخ جلده مثل غيره من الوحوش فتجاسر الصياد ووثب على ظهر الأسد وطمع فيه فلما رأى الأسد ما صنع الصياد غضب غضبا شديدا ثم رفع يده وضرب الصياد فدخلت مخالبه فى امعائه ثم طرحه تحت قوائمه ومزقه تمزيقا فمن ذلك علمت أنه ينبغى للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٠٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام ابن الملك جلعياد قال لشماس الوزير ينبغى للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حالة ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك



عليه قال شماس فأخبرني ما الذى يتزين به الوزير عند الملك قال الغلام داء الأمانة التى فرض إلى أمرها من النصيحة وسداد الرأى وتنفيذه لأوامره قال له شماس أما ما ذكرت من أن حق الملك على الوزير أن يجتنب سخطه ويفعل ما يقتضى رضاه ويهتم بما قلده إياه فإنه أمر واجب ولكن أخبرنى بما الحيلة إذا كان الملك إنما رضاه بالجور وارتكاب الظلم والعسف فما حيلة الوزير إذا هو ابتلى بعشرة ذلك الملك الجائر فإنه إن أراد أن يصرفه عن هواه وشهوته ورأيه لا يقدر على ذلك وأن هو تابعه على هواه وحسن له رأيه حمل وزر ذلك وصار للرعية عدوا فما تقول فى هذا فأجاب الغلام قائلا إن ما ذكرت أيها الوزير من الوزراء والأثم إنما هو تابعه على ما ارتكبه من الخطأ ولكن يجب على الوزير إذا شاوره الملك فى مثل هذا أن يبين له طريق العدل والإنصاف ويحذره من الجور والاعتساف ويعرفه حسن السيرة فى الرعية ويرغبه فيما فى ذلك من الثواب ويحذره عما يلزمه من العقاب فإن مال وعطف إلى كلامه حصل المراد وإلا فلا حيلة له إلا بمفارقته إياه بطريقة لطيفة لأن فى المفارقة لكل واحد منهما الراحة قال الوزير فأخبرنى ما حق الملك على الرعية وما حق الرعية على الملك قال الذى يأمرهم به يعملونه بنية خالصة ويطيعونه فيما يرضيه ويرضى الله ورسوله وحق الرعية على الملك حفظ أموالهم وصون حريمهم كما أن للملك على الرعية السمع والطاعة وبذلك الأنفس دونه وأعطاه واجب حقه وحسن الثناء عليه بما أولاهم من عدله وإحسانه قال شماس قد بينت لى ما سألتك عنه من حق الملك والرعية فأخبرنى هل بقى للرعية شىء على الملك غير ما قلت قال الغلام نعم حق الرعية على الملك أوجب من حق الملك على الرعية وهو أن ضياع حقهم عليه أضر من ضياع حقه عليهم لأنه لا يكون هلاك الملك وزوال ملكه ونعمه إلا من ضياع حق الرعية فمن تولى ملكا يجب عليه أن يلازم ثلاثة أشياء وهى إصلاح الدين واصلاح الرعية واصلاح السياسة فبملازمة هذا ثلاثة يدون ملكه قال فأخبرنى كيف ينبغى أن يستقيم فى إصلاح الرعية قال بأداء حقهم وإقامة سننهم واستعمال العلماء والحكماء لتعليمهم وإنصاف بعضهم من بعض وحقن دمائهم والكف عن أموالهم وتخفيف الثقل عنهم وتقوية جيوشهم قال فأخبرنى ما حق الوزير على الملك قال الغلام ليس على الملك حق لأحد من الناس أوجب من الحق الواجب عليه للوزير

لثلاث خصال الأولى للذى يصيبه معه عند خطأ الرأى والانتفاع العام للملك والرعية عند سداد الرأى والثانية لعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر إليه الرعية بعين الإجلال والتوقير وخفض الجناح والثالثة أن الوزير إذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفى لهم بما يحبونه قال شماس قد سمعت جميع ما قلته لى من صفات الملك والوزير والرعية وقبلته منك فأخبرنى عن حسن الخلق مع الأهل والأقارب قال الغلام إنه لا راحة لبنى آدم إلا بحسن الخلق ولكن ينبغى أن يصرف إلى الأهل ما يستحقونه وإلى إخوانه ما يجب لهم قال فأخبرنى ما الذى يجب أن يصرفه إلى الأهل قال أما الذى يصرفه للوالدين فخفض الجناح وحلاوة اللسان ولين الجانب والإكرام والوقار وأما الذى يصرفه للإخوان فالنصيحة وبذلك المال ومساعدتهم على أسبابهم والفرح لفرحهم والاغضاء عما يقع منهم من الهفوات فإذا عرفوا منه ذلك قابلوه بأعز ما عندهم من النصيحة وبذلوا الأنفس دونه فإذا كنت من أخى على ثقة فابذل له وكن مساعدا له على جميع أموره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٠٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام ابن الملك جليعاد لما سأله الوزير شماس عن المسائل المتقدمة ورد له أجوبتها قال له الوزير شماس إنى أرى الإخوان صنفين إخوان ثقة وإخوان معاشرة أما إخوان الثقة فإنه يجب لهم ما وصفت فأسألك عن غيرهم من إخوان معاشرة أما أخوان الثقافة فإنه يجب لهم ما وصفت فاسألك عن غيرهم من إخوان المعاشرة قال الغلام أما أخوان المعاشرة فإنك تصيب منهم لذة وحسن خلق وحلاوة لفظ وحسن معاشرة فلا تقطع منهم لذتك بل ابذل مثل ما يبذلونه لك وعاملهم بمثل ما يعاملونك به من إطلاق الوجه وعذوبة اللسان فيطيب عيشك ويكن كلامك مقبولا عندهم قال شماس قد عرفنا هذه الأمور كلها فأخبرنى عن باب طلب المعيشة فقال الغلام يستحل الإنسان ما أحله الله ويحرم ما أحرمه الله عز وجل وانقطع بينهما الكلام لما وصل إلى هذا الحد ثم قام شماس هو ومن حضر من



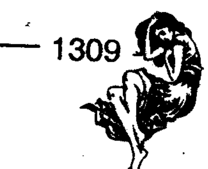
العلماء وسجدوا للغلام وعظموه وضمه أبوه إلى صدره ثم بعد ذلك أجلسه على سرير الملك وقال الحمد لله الذى رزقنى ولدا تقر به عيناى فى حياتى ثم قال الغلام لشماس ومن حضر من العلماء أيها العالم صاحب المسائل الروحانية إن لم يكن فتح الله على من العلم إلا بشىء قليل فإنى قد فهمت قصدك فى قبولك منى ما أتيت به جوابا عن ما سألتنى سواء كنت فيه مصيبا أو مخطئا ولعلك صفحت عن خطئى وأنا أريد أن أسألك عن شىء عجز عنه رأيى وضاق منه ذرعى وكل عن وصفه لسانى لأنه أشكل على أشكل الماء الصافى فى الإناء الأسود فأحب منك أن تشرحه لى حتى لا يكون شىء مبهما على مثلى فيما يستقبل مثل إبهامه على فيما مضى لأن الله كما جعل الحياة بالماء والقوة بالطعام وشفاء المريض بمداوة الطبيب جعل شفاء الجاهل بعلم العالم فأنصت إلى كلامى قال شماس أيها المضى العقل صاحب المسائل الصالحة ومن شهد له العلماء كلهم بالفضل لحسن تفضيلك للأشياء وتقسيمك إياها وحسن إصابتك فى إجابتك عما سألتك عنه قد علمت أنت لست تسألنى عن شىء إلا وأنت فى تأويله أصوب رأيا وأصدق مقالا لأن الله قد آتاك من العلم ما لم يأت أحدا من الناس فأخبرنى عن هذه الأشياء التى تسألنى عنها قال الغلام أخبرنى عن الخالق جلت قدرته من أى الأشياء خلق الخالق ولم يكن قبل ذلك شىء وليس ترى فى هذه الدنيا شىء إلا مخلوق من شىء والبارئ تبارك وتعالى قادر على أن يخلق الأشياء من لا شىء إلا من شاء إذ هم مخلوق وأما الخالق الذى صنع العالم بهذه الصنعة العجيبة فإن شئت أن تعرف قدرته تبارك وتعالى على إيجاد الأشياء فأطل الفكر فى أصناف الخلق فإنك ستجد آيات وعلامات دالة على كمال قدرته وأنه قادر على أن يخلق الأشياء من لا شىء بل أوجد بعد العدم المحض لأن العناصر التى هى مادة الأشياء كانت عدما محضا وقد أوضحت لك ذلك حتى لا تكون فى شك منه وبين لك ذلك آية لليل والنهار فإنهما يتعاقبان حتى إذا ذهب النهار وجاء الليل خفى علينا النهار ولم نعرف له مقرا وإذا ذهب الليل بظلمته ووحشته جاء النهار ولم نعرف لليل مقرا وإذا أشرقت علينا الشمس لا نعرف أى يطوى نورها وإذا غربت لم نعرف مستقر غروبها وأمثال ذلك من أفعال

الخالق عز اسمه وجلت قدرته كثيرة مما يحير أفكار الأذكياء من المخلوقات قال الغلام أيها العالم إنك عرفتنى عن قدرة الخالق ما لا يستطاع إنكاره ولكن أخبرنى كيف إيجاده لخلقه قال شماس إنما الخلق مخلوقة بكلمته التى هى موجودة قبل الدهر وبها خلق جميع الأشياء وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٩٠٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام لما سأل شماسا عن المسائل المتقدمة أجابه عنها ثم قال له يا بنى إنه لا يخبرك أحد من الناس غير ما قلته إلا بتحريف الكلام الوارد فى الشرائع عن موضعه وصرف الحقائق عن وجوهها ومن ذلك قولهم إن الكلمة لها استطاعة أعوذ بالله من هذه العقيدة بل قولنا فى الله عز وجل إنه خلق الخلق بكلمته معناه أنه تعالى واحد فى ذاته وصفاته وليس معناه أن كلمة الله لها قدرة بل القدرة صفة لله كمان الكلام وغيره من صفات الكمال فلا يوصف هو دون كلمته ولا توصف كلمته دون دونه فالله جل ثناؤه خلق بكلمته جميع خلقه وبغير كلمته لم يخلق وإنما خلق الأشياء بكلمته الحق فبالحق نحن مخلوقون قال الغلام قدْ فهمت من أمر الخالق وعزت كلمته ما ذكرت وقبلت ذلك بفهم لكنى سمعتك تقول إنما خلق الخلق بكلمته الحق والحق ضد الباطل فمن أين عرض الباطل وكيف يمكن عرضه للحق حتى يشتبه به ويلتبس على المخلوقين فيحتاجون إلى الفصل بينهما قال الغلام فأخبرنى ما سبب عروض هذا الباطل للحق حتى ألتبس به وكيف وجبت العقوبة على الإنسان حتى أحتاج إلى التوبة قال شماس إن الله خلق الإنسان بالحق وجعله محبا له ولم يكن له عقوبة ولا توبة واستمر كذلك حتى ركب الله فيه النفس التى هى من كمال الإنسانية مع ما هى مطبوعة عليه من الميل إلى الشهوات فنشأ من ذلك عروض الباطل والتباسه بالحق الذى خلق الإنسان وطبع على حبه فلما صار الإنسان إلى هذه الغاية زاغ عن الحق إنما يقع فى الباطل قال الغلام إن الحق إنما دخل عليه الباطل بالمعصية والمخالفة قال شماس وهو كذلك لأن الله يحب الإنسان ومن زيادة محبته له خلق الإنسان محتاجا إليه وذلك هو الحق بعينه ولكن ربما استرخى



الإنسان عن ذلك بسبب ميل النفس إلى الشهوات ومال إلى الخلاف فصار إلى ذلك الباطل بالمعصية التى بها عصى ربه فاستوجب العقوبة وبإزاحة الباطل عنه بتوبته ورجوعه إلى الحق استوجب الثواب قال الغلام أخبرنى عن مبتدأ المخالفة مع أن الخلق مرجعهم جميعا إلى آدم وقد خلقه الله بالحق فكيف جلب المعصية لنفسه ثم قرنت معصيته بالتوبة بعد تركيب النفس فيه قال شماس إن أول نزول هذه المعصية بالخلق إنما كان بسبب إبليس الذى كان أشرف ما خلق الله جل اسمه من الملائكة والإنس والجن وكان مطبوعا على المحبة لا يعرف غيرها فلما انفرد بهذا الأمر داخله العجب والعظمة والتجبر والتكبر عن الإيمان والطاعة لأمر خالقه فجعله الله دون الخلائق جميعهم وأخرجه من المحبة وصير مثواه إلى نفسه فى المعصية فحين علم أن الله جل اسمه لا يحب المعصية ورأى آدم وما هو فيه من ذلك الحق والمحبة والطاعة لخالقه داخله الحسد فاستعمل الحلة فى صرفه لآدم عن الحق ليكون مشتركا معه فى الباطل فلزم آدم العقوبة إلى المعصية التى زينها له عدوه وانقياده إلى هواه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٠٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شماس قال فلزم آدم العقوبة لميله إلى المعصية التى زينها له عدوه وانقياده إلى هواه وحيث خالف وصية ربه بسبب عروض الباطل ولما علم الخالق جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ضعف الإنسان وسرعة ميله إلى عدوه وتركه الحق جعل له الخالق برحمته التوبة لينهض بها من ورطه الميل إلى المعصية ويحمل سلاح التوبة فيقهر به عدوه إبليس وجنوده ويرجع إلى الحق الذى هو مطبوع عليه فلما نظر ابليس أن الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه قد جعل له أمدا بادر إلى الإنسان بالمحاربة وأدخل عليه الحيل ليخرجه من نعمة ربه ويجعله شريكا له فى السخط الذى استوجبه هو وجنوده فجعل الله جل ثناؤه للإنسان استطاعة للتوبة وأمره أن يلزم الحق ويداوم عليه ونهاه عن المعصية والخلاف وألهمه أن

له على الأرض عدوا محاربا لا يفتر عنه ليلا ولا نهارا فبذلك استحق الإنسان ثوابًا إن لازم الحق الذى جبلت طبيعته على حبه وعقابا إن غلبته نفسه ومالت به الشهوات فقال له الغلام بعد ذلك أخبرنى بأى قوة استطاع الخلق أن يخالفوا خالقهم وهو فى غياة العظمة منا وصفت مع أنه لا يقهره شىء ولا يخرج عن إرادته إلا ترى أنه قادر على صرف خلقه عن هذه المعصية والزامهم المحبة دائما قال شماس إن الله تعالى جل اسمه عادل منصف رءوف بأهل محبته قد بين لهم طريق الخير ومنحهم الاستطاعة والقدرة على فعل ما أرادوا من الخير فإن عملوا بخلاف ذلك صاروا فى الهلاك والمعصية ثم قال الغلام هل خلق الله ما يحب وما لا يحب أو إنما خلق ما يحب لا غير قال شماس قد خلق كل شىء ولم يرض إلا ما يحب قال الغلام ما بال هذين الشيئين أحدهما يرضى الله ويوجب الثواب لصاحبه والآخر يغضب الله فيحل العذاب بصاحبه قال شماس بين لى هذين الأمرين وفهمنا حتى أتكلم فى شأنهما قال الغلام هما الخير والشر المركبان فى الجسم والروح قال شماس أيها العاقل أراك قد علمت أن الخير والشر من الأعمال التى يعملها الجسد والروح فسمى الخير منها خيرا لكونه فيه رضا الله وسمى الشر شرا لكونه فيه سخط الله وقد وجب عليك أن تعرف الله وترضيه بفعل الخير لأنه أمرنا بذلك ونهانا عن فعل الشر قال الغلام إنى أرى هذين الشيئين أعنى الخير والشر إنما يعملهما الحواس الخمس المعروفه فى جسد الإنسان بيان ما سألت عنه وهو الحجة الواضحة وضعها فى ذهنك وأشر بها قلبك وهو أن الخالق تبارك وتعالى خلق الإنسان بالحق وطبعه على حبه ولم يصدر عنه مخلوق إلا بالقدرة العلية المؤثرة فى كل حادث ولا ينسب تبارك وتعالى إلا إلى الحكم بالعدل والإنصاف والإحسان وقد خلق الإنسان لمحبته وركب فيه النفس المطبوعة على الميل إلى الشهوات وجعل له الاستطاعة وجعل هذه الحواس الخمس سببا للنعيم أو الجحيم قال الغلام وكيف ذلك قال شماس لأنه خلق اللسان للتعلق واليدين للعمل والرجلين للمشى والبصر للنظر والأذنين للسماع وقد أعطى كل واحد من هذه الحواس استطاعة وهيجُها على العمل والحركة وأمر كل واحدة منها ألا تعمل إلا برضاه والذى يرضيه من النطق الصدق وترك ما هو ضده الذى هو الكذب ومما يرضيه من البصر صرف النظر إلى ما يحبه الله وترك ضده وهو صرف النظر

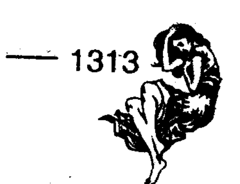


إلى ما يكرهه الله كالنظر إلى الشهوات ومما يرضيه من السمع ألا يسمع إلا إلى الحق كالموعظة وما فى كتب الله وترك ضده وهو أن يسمع ما يوجب سخط الله ومما يرضيه من اليدين إن لا يقصر ما خولهما الله بل يصرفاه على وجه يرضيه وترك ضده وهو الإمساك أو صرف ما خولهما الله فى معصية ومما يرضيه من الرجلين أن يكون سعيهما فى الخير كقصد التعليم وترك ضده وهو أن يمشيا فى غير سبيل الله وما سوى ذلك من الشهوات التى يعملها الإنسان فإنه يصدر من الجسد بأمر الروح ثم الشهوة التى تصدر من الجسد نوعان شهوة التناسل وشهوة البطن فالذى يرضى الله من شهوة التناسل أنها لا تكون إلا حلالا وسخطه أن تكون حراما وأما شهوة البطن فالأكل والشرب والذى يرضى الله من تلك ألا يتعاطى منه كل أحد إلا ما أحله له قليلاً كان أو كثيراً ويحمد الله ويشكره والذى يغضب الله منه أن يتناول ما ليس له بحق وما سوى ذلك من هذه الأحكام باطل وقد علمت أن الله خلق كل شيء ولا يرضى إلا بالخير وأمر كل عضو من أعضاء الجسد أن يفعل ما أوجبه عليه لأنه هو العليم الحكيم قال الغلام فأخبرنى هل سبق فى علم الله جلت قدرته أن آدم يأكل من الشجرة التى نهاه الله عنها حتى كان من أمره ما كان وبذلك خرج من الطاعة إلى المعصية قال شماس نعم أيها العالم قد سبق ذلك فى علم الله تعالى قبل أن يخلق آدم وبيان ذلك ودليله ما تقدم له من التحذير عن الأكل وإعلامه بأنه إذا أكل منها يكون عاصيا وتلك من طريق العدل والإنصاف لئلا يكون لآدم حجة يحتج بها على ربه فلما أن سقط فى الورطة والهفوة وعظمت عليه المعيرة والمعتبة جرى ذلك فى نسله من بعده فبعث الله تعالى الأنبياء والرسل وأعطاهم كتباً فأعلمونا بالشرائع وبينوا لنا ما فيها من المواعظ والأحكام وفصلوه لنا وأوضحوا لنا السبل الموصل وبينوا لنا ما يجب أن نفعله وما يجب أن نتركه فنحن مسلطون بالاستطاعة فمن عمل بهذه الحدود فقد أصاب وربح ومن تعدى هذه الحدود وعمل بغير هذه الوصايا قد خالف وخسر فى الدارين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٩١٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام ابن الملك جليعاد لما سأل الوزير شماسا عن هذه المسائل ورد له أجوبتها قال له ما وصفته لى مما ينسب إلى الله تعالى ومما ينسب إلى خلقه فقد فهمته فاخبرنى عن هذا الأمر الذى حير عقلى فرط التعجب منه فإنى عجبت من ولد آدم وغفلتهم عن الآخرة وتركهم الذكرى لها ومحبتهم للدنيا وقد علموا أنهم يتركونها ويخرجون منها وهم صاغرون قال شماس نعم فإن الذى تراه من تغيرها وغدرها بأهلها دليل على أنه لا يدوم لصاحب النعيم نعيمه ولا لصاحب البلاء بلاؤه فليس يأمن صاحبها تغيرها وإن كان قادرًا عليها ومغتبطًا بها فلابد أن يتغير حاله ويسرع إليه الانتقال وعلمنا أنه لو كان العبد يعرف ما يصيبه عند حضور الموت وفراقه ما هو فيه من اللذات والنعيم لرفض الدنيا وما فيها وتيقنا أن الآخرة خير لنا وأنفع قال الغلام أيها العالم قد زالت هذه الظلمة التى كانت على قلبى بمصاحبتك المضىء وأرشدتنى إلى السبيل التى سلكتها من اتباع الحق وأعطيتنى سراجًا أنظر به فعند ذلك قام أحد الحكماء الذين كانوا بالحضرة وقال إنه إذا كان زمان الربيع فلابد أن يطلب الأرنب مع الفيل مرعى وقد سمعت منكما من المسائل والتفاسير ما لم أرنى أسمعه أبدًا فدعانى ذلك إلى أن أسألكما عن شىء فأخبرانى ما خير مواهب الدنيا قال الغلام صحة الجسم ورزق حلال وولد صالح قال فأخبرنى وما أقبح القبيح قال الغلام إذا أعجب الإنسان بما ليس عنده قال فأى الرجال أحمق قال الغلام من كان ليس له همه إلا فى شىء يضعه فى بطنه قال شماس أيها الملك أنت ملكنا ولكن نحب أن تعهد لولدك بالملك من بعدك ونحن الخول والرعية فعند ذلك حث الملك من حضر من العلماء والناس على أن ما سمعوه منه يحفظونه ويعلمون به وأمرهم أن يمتثلوا أمر ابنه فإنه جعله ولى عهده من بعده ليكون خليفة على ملك والده وأخذ العهد على جميع أهل مملكته من العلماء والشجعان والشيوخ والصبيان وبقية الناس ألا يتخالفوا عليه ولا ينكثوا عليه أمره فلما أتى على ابن الملك سبع عشرة سنة مرض الملك مرضا شديدًا حتى أشرف على الموت فلما أيقن الملك أن الموت قد نزل به قال



لأهله أن مرضى هذا هو الذى فيه القابضة وقد نفذ السهم بما قدره الله تعالى على وأنا الآن فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ثم قال لابنه أدنى منى فدنا منه الغلام وهو يبكى بكاءً شديداً حتى كاد يبل فراشه والملك قد دمعت عيناه وبكى كل من حضر ثم قال الملك لولده لا تبك يا ابنى فإنى لست بأول من جرى له هذا المحترم لأنه جار على جميع ما خلقه الله فاتق الله وأعمل خيراً يسبقك إلى الموضع الذى تقصده جميع الخلائق وهذا آخر كلامى معك والسلام وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩١١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن جليعاد لما أوصى ولده بهذه الوصية وعهد له الملك من بعده قال الغلام لأبيه قد علمت يا أبتى إنى لم أزل لك مطيعًا ولوصيتك حافظًا ولأمرك منفذاً ولرضاك طالبًا وأنت لى الأب فكيف أخرج بعد موتك عما ترضى به وأنت بعد حسن تربيتى مفارق ولا أقدر على ردك فإذا حفظت وصيتك صرت بها سعيد أو صار لى النصيب الأكبر فقال له الملك وهو فى غاية الاستغراق من سكرات الموت يا ابنى الزم عشر خصال ينفعك الله بها فى الدنيا والآخرة وهن إذا اغتظت فاكظم غيظك وإذا بليت فاصبر وإذا نطقت فاصدق وإذا وعدت فأوف وإذا حكمت فاعدل وإذا قدرت فاعف وأكرم قوادك وأصفح عن أعدائك وابذل معروفك لعدوك وكف أذاك عنه ثم قال للحاضرين العلماء والأمراء الذين كانوا حاضرين عهده لولده بالملك من بعده إياكم ومخالفة أمر ملككم وترك الأسماع لكثيركم فإن فى ذلك هلاكًا لأرضكم وتفريقًا لجمعكم وها هو ذا ملككم وولى نعمتكم والسلام ثم بعد هذا اشتدت به سكرات الموت وانعجم لسانه فضم ابنه إليه وقبله وشكر الله ثم قضى نحبه وطلعت روحه فناح عليه جميع رعيته وأهل مملكته ثم إنهم كفنوه ودفنوه بإكرام وتبجيل وأعظام ثم رجعوا والغلام معهم فألبسوه حلة الملك وتوجوه بتاج والده وألبسوه الخاتم فى أصبعه وأجلسوه على سرير الملك فسار الغلام فيهم بسير أبيه من الحكم والعدل والإحسان مدة يسيرة ثم تعرضت له الدنيا

وجذبته بشهواتها فاستغنم لذاته وأقبل على زخارف أمورها وترك ما كان قلده به أبوه من المواثيق ونبذ الطاعة لوالده وأهمل مملكته ومشى فيما فيه هلاكه واشتد به حب النساء فسار لا يسمع بامرأة حسناء إلا ويرسل إليها ويتزوج بها فلما رأوا منه ذلك وعاينوا ما هو منطو عليه من ترك النظر فى أمورهم واهماله لأمور دولته وأمور رعيته تحققوا أنهم عن قليل يحل بهم البلاء فشق ذلك عليهم وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال بعضهم لبعض امشوا بنا إلى شماس كبير وزرائه نقص عليه أمرنا فقاموا وأتوا شماسًا وقالوا له أيها العالم الحكيم إن هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته بأشطانها فأقبل على الباطل وسعى فى فساد مملكته وبفساد المملكة تفسد العامة ويصير أمرنا إلى الهلاك وسببه إننا نمكث شهرًا وأيامًا لا نراه ولا يبرز إلينا من عنده أمر لا للوزير ولا لغيره ولا يمكن أن ترفع إليه حاجة ولا ينظر فى حكومة ولا يتعهد حال أحد من رعيته لغفلته عنهم وإننا قد أتينا إليك لنخبرك بحقيقة الأمور لأنك أكبرنا وأكمل منا وليس ينبغى أن يكون بلاء فى أرض أنت مقيم بها لأنك أقدر الناس على إصلاح هذا الملك فانطلق وكلمه لعله يقبل كلامك ويرجع إلى الله فقام شماس ومضى إلى حيث اجتمع بمن يمكنه الوصول إليه وقال له أيها الولد الجيد أسألك أن تستأذن لى فى الدخول للملك لأن عندى أمر أريد أنظر وجهه وأخبره به واسمع ما يجبنى به عنه فأجاب الغلام قائلا والله يا سيدى من منذ شهرلم يأذن لأحد فى الدخول عليه ولا أنا فطول هذه المدة ما رأيت له وجها ولكن أدلك على من يستأذنه لك وهو إنك تتعلق بالوصيف الفلانى الذى يقوم على رأسه ويأخذ له الطعام من المطبخ فإذا خرج إلى المطبخ ليأخذ الطعام اسأله عما بدا لك فإنه يفعل لك ما تريده فانطلق شماس إلى باب المطبخ وجلس قليلاًو إذا بالوصيف أقبل وأراد الدخول فى المطبخ فكلمه شماس قائلاًله يابنى أحب أن أجتمع بالملك لأخبره بكلام يخصه فمن فضلك إذا فرغ من غذائه وطابت نفسه أن تكلمه لى وتأخذ لى منه إذنًا بالدخول عليه لكى أكلمه بما يليق به فقال الوصيف سمعًا وطاعة فلما أخذ الوصيف الطعام وتوجه به إلى الملك وأكل منه وطابت نفسه قال له الوصيف إن شماسًا واقفًا بالباب يريد منك الإذن فى الدخول عليك ليعلمك بأمور

تختص بك ففزع الملك وارتاب من ذلك وأمر الوصيف بإدخاله عليه . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩١٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك لما أمر الوصيف بإدخال شماس عليه خرج الوصيف إلى شماس ودعاه إلى الدخول فلما دخل على الملك خر لله ساجدًا وقبل يدى الملك ودعا له فقال الملك ما أصابك يا شماس حتى طلبت الدخول على فقال له إن لى مدة لم أر وجه سيدى الملك وقد اشتقت إليك كثيراً فها أنا شاهدت طلعتك وجئت إليك بكلام إذ كره لك أيها الملك المؤيد بكل نعمة فقال له قل ما بدالك فقال شماس اعلم أيها الملك أن الله تعالى رزقك من العلم والحكمة على حداثة سنك ما لم يرزقه أحدا من الملوك قبلك وأن الله تم لك ذلك بالملك وأن الله يحب ألا تخرج عما حولك إلى غيره بسبب عصيانك فلا تحاربه بذخائرك بل ينبغى أن تكون لوصاياه حافظا ولأموره طائعًا لأنى قد رأيتك منذ أيام قلائل نسيت أباك ووصيته ورفضت عهده وأضعت نصحه وكلامه وأهدت فى عدله وأحكامه ولم تذكر نعمة الله عليك ولم تعيذها بشكره قال الملك وكيف ذلك وما سببه إنك تركت تعهد أمور مملكته وما قلدك الله إياه من أمور رعيتك وأقبلت على النفس فيما حسنته لك من قليل شهوات الدنيا وقد قيل أن إصلاح الملك والدين والرعية مما ينبغى للملك إن يحافظ عليه والرأى عندى أن تحسن النظر فى عاقبتك فإنك تجد السبيل الواضح الذى فيه النجاة ولا تقبل على اللذة القليلة الفانية للموصلة إلى ورطة الهلاك قال الملك فما الذى تأمرنى به قال شماس إذا كان فى غد وأنت بخير وعافية فائذن للناس فى الدخول عليك وانظر فى أحوالهم واعتذر إليهم ثم عدهم من نفسك بالخير وحسن السيرة فقال الملك يا شماس إنك تكلمت بالصواب وإنى فاعل ما نصحتنى به فى غد إن شاء الله تعالى فخرج شماس من عنده وأعلم الناس بكل ما ذكره له فلما أصبح الصباح خرج الملك من حجابه وأذن للناس فى الدخول عليه وصار يعتذر إليهم

ووعدهم أن يصنع لهم ما يحبون فرضوا بذلك وانصرفوا وسار كل واحد إلى منزله ثم إن بعض نساء الملك وكانت أحبهن إليه وأكرمهن عنده قد دخلت عليه فرأته متغير اللون متفكرًا فى أموره بسبب ما سمعه من كبير وزرائه فقالت مالى أراك أيها الملك قلق النفس هل تشتكى شيئًا؟ فقال لا وإنما استغرقتنى اللذات عن شؤنى فما لى ولهذه الغفلة عن أحوالى وعن أحوال رعيتى وأن استمريت على ذلك فعن قليل يخرج ملكى من يدى فأجابته قائلة أنى أراك أيها الملك مع عمالك ووزرائك مغشوشًا فإنهم يريدون نكايتك وكيدك حتى لا تحصل لك من ملكك هذه اللذة ولا تغنم نعيما ولا راحة بل يريدون أن تقضى عمرك فى دفاع المشقة عنهم حتى إن عمرك يفنى بالنصب والتعب وتكون مثل الذى قتل نفسه لإصلاح غيره أو تكون مثل الفتى واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك فقالت ذكروا أن سبعة من اللصوص خرجوا ذات يوم يسرقون على عادتهم فمروا على بستان فيه جوز رطب فدخلوا ذلك البستان وإذا هم بولد صغير واقف بينهم فقالوا له يا فتى هل لك أن تدخل معنا هذا البستان وتطلع هذه الشجرة وتأكل من جوزها كفايتك وترمى لنا منها جوزًا فأجابهم الفتى إلى ذلك ودخل معهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٩١٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الفتى لما أجاب اللصوص ودخل معهم قال بعضهم لبعض انظروا إلى أخفنا وأصغرنا فاصعدوه فلما صعد الفتى على الشجرة صار يحرك كل غصن وحده والجوز يتناثر منه واللصوص يجمعونه فبينما هم كذلك وإذا بصاحب الشجرة واقف عندهم وهم على ذلك الحال فقال لهم ما لكم ولهذه الشجرة فقالوا له لم نأخذ منها شيئا غير أننا مررنا بها فرأينا هذا الولد فوقها فاعتقدنا أنه صاحبها فطلبنا منه أن يطعمنا منها فهز به الأغصان حتى انتثر منها الجوز ونحن ما لنا ذنب فقال صاحب الشجرة للغلام فما تقول أنت فقال كذب هؤلاء ولكن أنا أقول لك الحق وهو أننا أتينا جميعًا إلى هنا فامرونى بالصعود على



هذه الشجرة لأهز الأغصان كى ينتثر الجوز عليهم فامتثلت أمرهم فقال صاحب الشجرة لقد ألقيت نفسك فى بلاء عظيم وهل انتفعت بأكل شىء منها فقال الغلام ما أكلت منها شيئا فقال له صاحب الشجرة لقد علمت الآن حماقتك وجهلك وهو أنك سعيت فى تلف نفسك لإصلاح غيرك ثم قال اللصوص مالى عليكم سبيل امضوا إلى حال سبيلكم وقبض على الولد وعاقبه وهكذا وزراؤك وأهل دولتك يريدون أن يهلكوك لإصلاح أمرهم ويفعلوا بك مثل ما فعل اللصوص بالفتى فقال الملك حقا ما قلتيه ولقد صدقت فى خبرك فأنا لا أخرج إليهم ولا أترك لذاتى ثم بات مع زوجته فى أرغد عيش إلى أن أصبح الصباح فلما أصبح الصباح قام الوزير وجمع أرباب الدولة مع من حضر معهم من الرعية ثم جاءوا إلى باب الملك مستبشرين فرحين فلم يفتح لهم الباب ولم يخرج إليهم ولم يأذن لهم بالدخول عليه فلما يئسوا من ذلك قالوا لشماس أيها الوزير الفاضل والحكيم الكامل أما ترى حال هذا الصبى الصغير السن القليل العقل الذى قد جمع إلى ذنوبه الكذب فانظر وعده لك كيف أخلفه ولم يوف بما وعده وهذا ذنب يجب أن نضيفه إلى ذنوبه ولكن نرجوا أن تدخل إليه ثانيًا وتنظر ما السبب فى تأخيره ومنعه عن الخروج فإننا غير منكرين على طباعه الذميمة مثل هذا الأمر فإنه بلغ غاية القساوة ثم إن شماسا توجه إليه ودخل عليه وقال السلام عليك أيها الملك مالى أراك قد أقبلت على شىء يسير من اللذة وتركت الأمر الكبير الذى ينبغى الاعتناء به وكنت مثل الذى له ناقة وهو منطو على لبنها فألهاه حسن لبنها عن ضبط زمامها فأقبل يومًا على حلبها ولم يعتن بزمامها فلما أحست الناقة بترك الزمام جذبت نفسها وطلبت الفضاء فصار الرجل فاقد اللبن والناقة مع أن ضرر ما لقيه أكثر من نفعه فانظر أيها الملك فيما فيه صلاح نفسك ورعيتك فإنه ليس ينبغى للرجل أن يديم الجلوس مع النساء أكثر من ساعتين فإن ذلك فيه مضرة لعقله وبدنه لأنهن لا يأمرن بخير ولا يرشدن إليه ولا ينبغى أن يقبل منهن قولا ولا فعلا وقد بلغنى أن ناسا كثيرة هلكوا بسبب نسائهم فمنهن رجل هلك من اجتماعه بزوجته لكونه أطاعها فيما أمرته فقال الملك وكيف كان ذلك قال شماس زعموا أن رجلا كان له زوجة وكان يحبها وكانت مكرمة عنده فكان يسمع قولها ويعمل برأيها وكان له بستان فقالت له هل لك أن تأخذنى معك

وتفرجنى عليه حتى أراه وأدعوا لك دعوة صالحة فلما أصبح الرجل أخذ زوجته وتوجه بها إلى البستان ودخلا فيه وفى حال دخولهما نظر إليهما اثنان من الشبان على بعد فقال بعضهما لبعض إن هذا الرجل زان وإن هذه المرأة زانية وما دخلا هذا البستان إلا ليزنيا فيه فتبعاهما لينظر إما يكون من أمرهما وإما الرجل وزوجته فإنهما لما دخلا البستان واستقرا فيه قال الرجل لزوجته ادعى لى الدعوة التى وعدتينى بها فقالت لا أدعو لك حتى تقوم بحاجتى الّتى تبتغيها النساء من الرجال فقال لها ويحك أيتها المرأة أما كان منى فى البيت كفاية وهاهنا أخاف على نفسى من الفضيحة وربما أشغلتنى عن مصالحى أما تخافين أن يرانا أحد قالت فلا نبالى من ذلك فعند ذلك نام ونام معها فعندما أبصراهما الشابان المذكوران وثبا عليهما وأمسكاهما وقالا لهما لا نطلقكما لإنكما من الزناة وإن لم نواقع المرأة نرفع أمركما إلى الحاكم فقال لهما الرجل ويحكما إن هذه زوجتى وأنا صاحب البستان فما سمعا له كلامًا بل نهضا على المرأة فعند ذلك صاحت واستغاثت بزوجها قائلة لا تدع الرجال يفضحوننى فأقبل نحوهما وهو يستغيث فرجع إليه واحد منهما وضربه بخنجر فقتله وأتيا المرأة وفضحاها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتن عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩١٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما قتل زوج المرأة رجع الشابان إلى المرأة وفضحاها وإنما قلنا لك هذا أيها الملك لتعلم أنه ليس ينبغى لرجل أن يسمع من امرأة كلاما ولا يطيعها فى أمر ولا يقبل لها رأيا فى مشورة فلما سمع الملك ذلك من شماس قال له إنا فى غد أخرج إليهم إن شاء الله تعالى فخرج شماس إلى الحاضرين من كبراء المملكة وأعلمهم بما قال الملك فبلغ المرأة ما قاله شماس فدخلت على الملك وقالت له إنما الرعية عبيد للملك والآن رأيت إنك أيها الملك عبد لرعيتك بحيث تهابهم وتخاف شرهم وهم إنما يريدون أن يختبر وأباطنك فإن وجدوك ضعيفا نابوك وإن وجدوك شجاعا هابوك وكذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لأن حيلهم



كثيرة وقد أوضحت لك حقيقة كيدهم فإن وافقتهم على ما يريدون أخرجوك من أمرك إلى مرادهم ولم يزالوا ينقلونك من أمر إلى أمر حتى يوقعوك فى الهلكة ويكون مثلك مثل التاجر واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك قالت بلغنى أنه كان تاجر له مال كثير فانطلق بتجارة يبيعها فى بعض المدن فلما انتهى إلى المدينة اكترى له بها منزلا ونزل فيه فنظره لصوص كانوا يراقبون التاجر لسرقة متاعه فانطلقوا إلى منزل ذلك التاجر واحتالوا فى الدخول عليه فلم يجدوا لهم سبيلا إلى ذلك فقال لهم رئيسهم أنا أكفيكم أمره ثم إنه انطلق فلبس ثياب الأطباء وجعل على عاتقه جرابا فيه شيء من الدواء وأقبل ينادى من يحتاج إلى طبيب حتى وصل إلى منزل ذلك التاجر فرآه جالسًا على غذائه فقال له أتريد لك طبيبًا فقال لست محتاجًا طبيب إلى ولكن اقعد وكل معى فقعد اللص مقابله وجعل يأكل معه وكان ذلك التاجر جيد الأكل فقال اللص فى نفسه لقد وجدت فرصتى ثم التفت إلى التاجر وقال له لقد وجب على نصيحتك لما حصل لى من أحسانك وليس يمكن أن أخفى عليك نصيحة وهو إنى أراك رجلا كثير الأكل وهذا سببه مرض فى معدتك فإن لم تبادر بالسعى على دوائك وإلا آل أمرك إلى الهلاك فقال التاجر إن جسمى صحيح ومعدتى سريعة الهضم وإن كنت جيد الأكل فليس ببدنى مرض ولله الحمد والشكر فقال له اللص إنما ذلك بحسب ما يظهر لك وإلا فقد عرفت أن فى باطنك مرضا خفيا فإن أنت أطعتنى فداوى نفسك فقال التاجر وأين أجد ما يعرف دوائى فقال له اللص إنما المداوى هو الله ولكن الطبيب مثلى يعالج المريض على قدر إمكانه فقال له التاجر أرنى دوائى وأعطينى منه شيء فأعطاه سفوفًا فيه صبر كثير وقال له استعمل هذا فى هذه الليلة فأخذه منه ولما كان الليل تعاطى منه شيء فلما رأى اللص أن التاجر اعتنى بقوله واستأمنه على نفسه وتحقق أنه لا يخالفه انطلق وجاء بدواء قاتل وأعطاه له فأخذه منه التاجر وشربه فعندما شرب ذلك الدواء نزل ما كان فى بطنه وتقطعت أمعاؤه وأصبح ميتا فقام اللصوص وأخذوا جميع ما كان للتاجر وأنى أيها الملك ما قلت لك هذا إلا لأجل أنك لا تقبل من هذا المخادع كلا ما فيلحقك أمورا تهلك بها نفسك فقال الملك صدقت فأنا لا أخرج إليهم فلما أصبح الصباح اجتمع الناس وجاءوا إلى باب الملك وقعدوا أكثر النهار حتى يئسوا من خروجه ثم

رجعوا إلى شماس وقالوا له أيها الفيلسوف الحكيم الماهر أما ترى هذا الولد الجاهل لايزداد إلى كذبًا علينا وإن إخراج الملك من يديه واستبدال غيره به فيه الصواب فانطلق الوزير شماس ودخل على الملك المنهمك فى شهواته ولهوه ما هذا الذى تصنعه بنفسك فيا هل ترى من يغريك على هذا فإن كنت أنت الجانى على نفسك فقد زال ما نعهده لك من الصلاحية والحكمة والفصاحة فليت شعرى من الذى حولك ونقلك من العلم إلى الجهل ومن الوفاء إلى الجفاء ومن اللين إلى القسوة ومن قبولك منى إلى اعراضك عنى فكيف نصحتك ثلاث مرات ولم تقبل نصيحتى وأشير عليك بالصواب وتخالف مشورتى فأخبرنى ما هذا اللهو ومن أغراك عليه اعلم أن أهل مملكتك قد تواعدوا على أنهم يدخلون عليك ويقتلونك ويعطون ملكك لغيرك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩١٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير شماسا قال للملك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب فقال الملك وكيف كان ذلك قال زعموا إن جماعة من الثعالب خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون فبينما هم يجولون فى طلب ذلك وإذا هم بجمل ميت فقالوا فى أنفسهم قد وجدنا ما نعيش به زمنا طويلاً ولكن نخاف أن يبغى بعضنا على بعض فبينما هم يتشاورون فى شأن ذلك وإذا بذئب أقبل عليهم فقال بعضهم لبعض إن أصاب رأيكم فاجعلوا هذا الذئب حكما بيننا لأنه أقوى الناس وأبوه سابقًا كان سلطانا علينا ونحن نرجوا من الله أن يعدل بيننا ثم إنهم توجهوا إليه وأخبروه بما سار إليه رأيهم وقالوا لقد حكمناك بيننا لأجل أن تعطى كل واحد منا ما يقوته فى كل يوم على قدر حاجته لئلا يبغى قوينا على ضعيفنا فيهلك بعضنا بعضا فأجابهم الذئب إلى قولهم وتعاطى أمورهم وقسم عليهم فى ذلك اليوم ما كفاهم فلما كان من الغد قال الذئب فى نفسه إن قسمة هذا الجمل بين هؤلاء



العاجزين لا يعود على شيء منها إلا الجزء الذى جعلوه لى فالأحسن لى أن أختص به دونهم ومن هذا الوقت لا أعطيهم شيئاً فلما أصبح الثعالب جاءوا إليه على العادة يطلبون منه قوتهم فقالوا له يا أبا سرحان أعطناه مؤنة يومنا فأجابهم قائلا ما بقى عندى شيء أعطيه لكم فذهبوا من عنده على أسوأ حال ثم قالوا إن الله أوقعنا فى هم عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذى لا يتق الله ولا يخافه وليس لنا حول ولا قوة ثم قال بعضهم لبعض إنما حمله على هذا الأمر ضرورة الجوع فدعوه اليوم يأكل حتى يشبع وفى غد نذهب إليه فلما أصبحوا توجهوا إليه وقالو إله يا أبا سرحان إنما وليناك علينا لأجل أن تدفع لكل واحد منا قوته وتنصف الضعيف من القوى وإذا فرغ تجتهد لنا فى تحصيل غيره ونصير دائماً تحت كنفك ورعايتك وقد مسنا الجوع ولنا يومين ما أكلنا فأعطنا مؤنتنا وأنت فى حل من جميع ما تتصرف فيه من دون ذلك فلم يرد عليهم جواباً بل ازداد قسوة فراجعوه فلم يرجع فقال بعضهم لبعض ليس لنا حيلة إلا أننا ننطلق إلى الأسد ونرمى أنفسنا عليه ونجعل له الجمل فإن أحسن لنا بشيء منه كان من فضله وإلا فهو أحق به من هذا الخبيث ثم انطلقوا إلى الأسد وأخبروه بما حصل لهم مع الذئب ثم قالوا له نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين بك لتخلصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيداً فلما سمع الأسد كلام الثعالب أخذته الحمية وغار ومضى معهم إلى الذئب فلما رأى الذئب الأسد مقبلاً طلب الفرار من قدامه فجرى الأسد خلفه وقبض عليه ومزقه قطعاً ومكن الثعالب من فريستهم فمن هذا عرفنا أنه لا ينبغى لأحد من الملوك أن يتهاون فى أمر رعيته فأقبل نصيحتى فقال الملك إنى سامع منك وفى غد إن شاء الله تعالى أطلع إليهم فخرج شماس من عنده وأخبرهم بأن الملك قبل نصيحته ووعده فى غد أنه يخرج إليهم فلما سمعت زوجة الملك ذلك الكلام منقولاً عن شماس وتحققت أنه لابد من خروج الملك إلى الرعية أقبلت على الملك مسرعة وقالت له ما أكثر تعجبى من إذعانك وطاعتك لعبيدك أما تعلم أن وزراءك هؤلاء عبيد لك فلأى شيء رفعتهم هذه الرفعة العظيمة حتى تجاثروا عليك ونبذوا طاعتك مع أنه ينبغى أن يكونوا مقهورين على طاعتك مجبورين على الانقياد إليك فإن أطعتنى لا ترفع لأحد منهم شأناً ولا تقبل لأحد منهم كلاماً ولا تطمعهم فى التجاسر عليك فتصير مثل الراعى واللص فقال لها

الملك وكيف كان ذلك قالت زعموا أنه كان رجل راعى غنم وكان محافظًا على رعايتها فأتاه لص ذات ليلة يريد أن يسرق من غنمه شيء فرآه محافظًا عليها لا ينام ليلاً ولا يغفل نهارًا صار يحاوله طول ليله فلم يظفر منه بشيء فلما أعيته الحيلة انطلق إلى البرية بحيث يراه الراعى ويتحققه ثم أقبل اللص على الراعى وقال له إن هذا الأسد قد أرسلنى إليك يطلب عشاه من هذه الغنم فقال له الراعى وأين الأسد فقال له اللص ارفع بصرك ها هو واقفٌ فرفع الراعى رأسه فرأى صورة الأسد فلما رآها ظن أنها أسد حقيقية ففزع منها فزعًا شديدًا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٩١٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنها قالت له إن الراعى لما رأى صورة الأسد ظن أنها أسد حقيقة ففزع منها فزعًا شديدًا وأخذه الرعب وقال للص يا أخى خد ما شئت ليس عندى مخالفة فأخذ اللص من الغنم حاجته وازداد طمعه فى الراعى بسبب شدة خوفه فصار كل قليل يأتى إليه ويرعبه ويقول له إن الأسد يحتاج إلى كذا وقصده أن يفعل كذا ثم يأخذ من الغنم كفايته ولم يزل اللص مع الراعى على هذه الحالة حتى زُنى غالب الغنم وإنما قلت لك هذا الكلام أيها الملك لئلا يغتر كبراء دولتك هؤلاء بحلمك ولين جانبك فيطمعوا فيك والرأى السديد أن يكون موتهم أقرب مما يفعلونه فقبل الملك قولها وقال إن قبلت منك هذه النصيحة ولست مطيعا لمشورتهم ولا خارجا إليها فلما أصبح الصباح اجتمع الوزراء وأكابر الدولة ووجهاء الناس وحمل كل واحد منهم سلاحه معه وتوجهوا إلى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولوا غيره فلما وصلوا إلى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولوا غيره تقربوا قريبًا من المنزل وسألوا البواب أن يفتح لهم فلم يفتح لهم فأرسلوا ليحضروا نار فيحرقوا بها الأبواب ثم يدخلوا فسمع البواب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة وأعلم الملك أن الخلق يجتمعون على الباب وقال إنهم سألونى أن أفتح لهم فأبيت فأرسلوا ليحضروا نارًا فيحرقوا بها الأبواب ثم يدخلوا عليك ويقتلوك



فماذا فقال الملك فى نفسه إنى وقعت فى الهلكة العظيمة ثم أرسل خلف المرأة فحضرت فقال لها إن شماسا لم يخبرنى بشىء إلا وقد وجدته صحيحًا وقد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلى وقتلك ولما لم يفتح لهم البواب أرسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا الأبواب فيحترق البيت ونحن داخله فماذا تشيرين على فقالت له الرأى عندى أنك تعصب رأسك بعصابة وتظهر أنك مريض ثم ترسل إلى الوزير شماس فيحضر إليك ويرى حالك الذى أنت فيه فإذا حضر فقل له قد أردت الخروج إلى الناس فى هذا اليوم فمنعنى هذا المرض فاخرج إلى الناس وأخبرهم بما أنا فيه وأخبرهم أنى فى غد أخرج إليهم وأقضى حوائجهم وأنظر فى أحوالهم ليطمئنوا ويسكن غيظهم وإذا أصبحت فاستدع بعشرة من عبيد أبيك ويكونون سامعين لقولك طائعين لأمرك كاتمين لسرك حافظين لردك ثم أوقفهم على رأسك وأمرهم ألا يمكنوا أحدا من الدخول عليك إلا واحد بعد واحد فإذا دخل واحد فقل لهم خذوه واقتلوه وإذا اتفقوا معك على ذلك فأصبح ناصبًا كرسيك فى ديوانك وافتح بابك فإنهم إذا رأوك فتحت الباب طابت نفوسهم وأتوك بقلب سليم واستأذنوا فى الدخول عليك فائذن لهم فى الدخول واحدا بعد واحد كما قلت لك وافعل بهم مرادك ولكن ينبغى أن تبدأ بقتل شماس الكبير أولهم فإنه هو الوزير الأعظم وهو صاحب الأمر فاقتله أولا ثم بعد ذلك اقتل الجميع واحدا بعد واحد ولا تبق منهم من تعرف أنه ينكث لك عهدًا وكذلك كل من تخاف صولته فإنك إذا فعلت بهم ذلك لا يبقى لهم قوة عليك وتستريح منهم الراحة الكلية ويصفو لك الملك وتعمل ما تحب واعلم أنه لا حيلة لك أنفع من هذه الحيلة فقال لها الملك إن رأيك هذا سديد وأمرك رشيد فلابد أن أعمل ما ذكرت ثم أمر بعصابة فشد بها رأسه وتضاعف وأرسل إلى شماس فلما حضر بين يديه قال له يا شماس قد كنت أمرتنى بالخروج إلى الرعية والجلوس لأحكامهم وتحققت أنها نصيحة منك لى وقد أردت الخروج إليهم بالأمس فعرض لى هذا المرض ولست أستطيع الجلوس وقد بلغنى أن أهل المملكة متنغصون من عدم خروجى إليهم وهموا أن يفعلوا بى ما لا يليق من شرهم فإنهم غير عالمين بما أنا فيه من المرض فاخرج إليهم وأعلمهم بحالى وما أضمرته لهم من الخير فى سريرتى فسجد شماس لله ودعا للملك وقبل يديه ورجليه وفرح بذلك وخرج إلى

الناس وأخبرهم بما سمعه من الملك ونهاهم عما أرادوه وأعلمهم بالعذر وسبب امتناع الملك عن الخروج وأخبرهم أنه وعده فى غد بالخروج إليهم . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩١٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شماسا خرج إلى الدولة وقال لهم إن الملك فى غد يخرج إليكم ويصنع لكم ما تحبون فانصرفوا إلى منازلهم هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه بعث إلى العشرة عبيد الجبابرة الذين اختارهم من جبابرة أبيه وكانوا ذوى عزم جليدو بأس شديد وقال لهم قد علمتم ما كان لكم عند والدى من الحظوة ورفعة الشأن والإحسان إليكم مع لطفه بكم وإكرامه إياكم فأنا أنزلكم بعده عندى فى درجة أرفع من تلك الدرجة وسأعرفكم سبب ذلك أنكم قد علمتم ما كان يفعله أبى بأهل مملكته من الإكرام وما عاهدهم عليه من أمرى وإقرارهم بأنهم لا ينكثون لى عهدا ولا يخالفون لى أمرًا وقد نظرتم ما كان منهم بالأمس حيث اجتمعوا جميعًا حولى يريدون قتلى وأنا أريد أن أصنع بهم أمرًا وذلك أنى نظرت ما كان منهم بالأمس فرأيت أنه لا يزجرهم عن مثله إلا نكالهم فلابد أن أوكلكم بقتل من أشير لكم بقتله سرا حتى أدفع الشر والبلاء عن بلادى بقتل أكابرهم ورؤسائهم فقالوا سمعا لقولك وطاعة لأمرك فعند ذلك أحسن إليهم وصرفهم وبات فلما أصبح طلبهم وأمر بنصب السرير ثم لبس ثياب الملك وأخذ فى يده كتاب القضاه وأمر بفتح الباب ففتح وأوقف العشرة عبيد بين يديه ونادى من مكان له خصومه فليحضر إلى بساط الملك فأتى الوزراء والقواد والحجاب ووقف كل واحد فى مرتبته ثم أمر لهم بالدخول واحدًا بعد واحد فدخل شماس الوزير الأكبر فلما دخل واستقر قدام الملك لم يشعر إلا والعشرة عبيد محتاطون به وأخذوه وأدخلوه البيت وقتلوه وأقبلوا على باقى الوزراء ثم العلماء ثم الصلحاء فصاروا يقتلونهم واحدًا بعد واحد حتى فرغوا من الجميع ولم يتركوا إلا سفلة الناس ورعاعهم ثم طردوهم ولحق كل



واحد منهم بأهله ثم بعد ذلك اختلى الملك بلذاته وأعطى نفسه شهواتها وأتبع البغى والجور والظلم حتى سبق من تقدمه من أهل الشر وكانت بلاد هذا الملك معدن الذهب والفضة والياقوت والجواهر وجميع من حوله من الملوك يحسدونه على هذه المملكة ويتوقعون له البلاء فقال بعض الملوك المجاورين له إنى ظفرت بما كنت أريد من أخذ هذه المملكة من يد هذا الولد الجاهل فأنا اليوم أفتح معه باب الشر وهو أنى أكتب له كتابًا وأعبث به فيه وابكته على ما حصل منه وأنظر ما يكون من جوابه فكتب له مكتوبًا مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغنى ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك وما أوقعت نفسك فيه من البلاء حتى لم يبق لك طاقة ولا قوة على دفع من يصول عليك حين طغيت وأفسدت وأن الله قد أعطانى النصر عليك فإن امتثلت أمرى نجوت وإلا أرسلت إليك ما ذكرته لك ثم ختم الكتاب وأعطاه المرسول فسار به حتى وصل إلى تلك المدينة ودخل على الملك وأعطاه الكتاب فلما قرأه الملك ضعفت قوته وضاق صدره والتبس عليه أمره وتحقق الهلاك ولم يجد من يستشيره ولا من يستعين به ولا من ينجده فقام ودخل على زوجته وهو متغير اللون فقالت له ما شأنك أيها الملك فقال لها لست اليوم بملك ولكنى عبد للملك ثم فتح الكتاب وقرأه عليها فلما سمعته أخذت فى البكاء والنحيب وشقت ثيابها فقال لها الملك هل عندك شىء من الرأى والحيلة فى هذا الأمر العسير فقالت له وما عند النساء من الحيلة فى الحروب والنساء لا قوة لهن ولا رأى لهن وإنما القوة والرأى والحيلة للرجال فى مثل هذا الأمر فلما سمع الملك منها هذا الكلام حصل له غاية الندم والتأسف والكآبة على ما فرط منه فى حق جماعته ورؤساء دولته . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩١٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع من زوجته ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف على ما فرط منه من قتل وزرائه وأشراف رعيته وتمنى الموت لنفسه قبل أن يرد

عليه مثل هذا الخبر الفظيع ثم قال لنسائه لقد وقع لى منكن ما وقع للدراج مع السحالف فقلن له وكيف كان ذلك فقال الملك زعموا أن سحالف كانت فى جزيرة من الجزائر وكانت تلك الجزيرة ذات أشجار وأثمار وأنهار فاتفق أن دراجا اجتاز بها يوما وقد أصابه الحر والتعب فلما ضربه ذلك حط من طيرانه فى تلك الجزيرة التى بها تلك السحالف فلما رأى السحالف التجأ إليها ونزل عندها وكانت السحالف ترعى فى جهات الجزيرة ثم ترجع إلى مكانها فلما رجعت من مسارحها إلى مكانها رأت الدراج فيه فلما رأى منها عين المحبة مال إليها واستأنس بها وصار يطير إلى أى جهة أراد وعند المساء يرجع إلى المبيت عندها فلما رأت السحالف أن غيابه عنها يوحشها وتحققت أنها لا تراه إلا فى الليل وإذا أصبح طار مبادراً ولا تشعر به مع زيادة حبها له قال بعضها لبعض إن هذا الدراج قد أحببناه وصار لنا صديقًا وما بقى لنا قدرة على فراقه فما يكون من الحيلة فأشارت عليهن واحدة قائلة استريحوا يا أخواتى وأنا أجعله لا يفارقنا طرفة عين فقال لها الجميع إن فعلت ذلك صرنا لك كلنا عبيداً فلما حضر الدراج من مسرحه وجلس بينهم تقربت منه السلحفة المحتالة ودعت له وهنته بالسلامة وقالت له يا سيدى أعلم أن قد رزقك منا المحبة وكذلك أودع فى قلبك محبتنا وصرت لنا فى هذا القفر أنيسًا وأحسن أوقات المحبين إذا كانوا مجتمعين فقال لها الدراج نعم أنا عندى محبة لكم واشتياق عظيم إليكن زيادة على ما عندكن وفراقكن ليس سهلاً عندى ولكن ما بيدى حيلة فى ذلك لكونى طير ذا أجنحة فلا يمكننى المقام معكن دائما لأن هذا ليس من طبعى فقالت له السلحفة صدقت ولكن ذو الأجنحة فى غالب الأوقات لا راحة له ولكونه لا يناله من الخير ربع ما يحصل له من المشقة فأجابها الدراج قائلاً صدقت ولكن ما عندك من الرأى والحيلة فى أمرى فقالت له الرأى عندى أن تنتف سواعدك التى تسرع بطيرانك وتقعد عندنا مستريحًا ويتمتع كل منا بصاحبه فمال الدراج إلى قولهم وقصد الراحة لنفسه ثم نتف ريشه واحدة بعد واحدة حكم ما استحسنه من رأى السلحفة واستقر عندهن عائشاً معهن ورضى باللذة اليسيرة والطرب الزائل فبينما هم على تلك الحالة وإذا بابن عرس قد مر عليه فرمقه بعينيه وتأمله فرآه مقصوص الجناح لا يستطيع النهوض فلما رآه على تلك الحالة فرح به فرحا شديدا ثم دنا منه ابن عرس وافترسه



فصاح الدراج وطلب النجدة من السحالف فلم ينجدوه بل تباعدون عنه وانكمشن فى بعضهن فحزن الدراج عند ذلك وقطع الرجاء من حياة نفسه وقال لهن ليس لكن ذنب إنما الذنب لى حيث أطعتكن ونتفت أجنحتى التى أطير بها فأنا أستحق الهلاك وأنا الآن لا ألومكن أيتها النساء بل ألوم نفسى وأؤدبها حيث قتلت وزرائى وحكام مملكتى الذين كانوا لى نصحاء فى الأمور وكانوا عدتى وقوتى على كل أمر أهمنى . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩١٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك لأم نفسه وقال إنا الذى أطعتكن بجهلى وقتلت وزرائى ولم أجد عوضا عنهم يقوم مقامهم وإن لم يفتح الله على بمن له رأى سديد يرشدنى إلى ما فيه خلاصى وقعت فى الهلكة العظيمة ولم يزل غريقا فى بحر الهم طول نهاره لا يأكل ولا يشرب فلما جن عليه الليل قام وغير لباسه ولبس ثيابا رديئة وتنكر وخرج يسبح فى المدينة لعله يسمع من أحد كلمة يرتاح بها فبينما هو يطوف فى الشوارع وإذا هو بغلامين مختليين بأنفسهما جالسين بجانب حائط وهما مستويان فى السن عمر كل واحد منهما اثنتا عشرة سنة فسمعهما يتحدثان مع بعضهما فدنا منهما الملك بحيث يسمع كلامهما ويفهمه فسمع واحد منهما يقول للآخر اسمع ما حكاه لى والدى ليلة أمس من أجل ما وقع له فى زرعه ويبسه قبل أوانه بسبب عدم المطر وكثرة البلاء الحاصل فى هذه المدينة فقال الآخر أتعرف ما سبب هذا البلاء قال له لا فإن كنت تعرفه أنت فاذكره لى فأجابه قائلا نعم أعرفه وأخبرك به واعلم أن بعض أصحاب والدى قال لى إن ملكنا قتل وزراءه وعظماء دولته من غير ذنب جنوه بل من أجل حبه للنساء وميله إليهن وأن الوزراء نهوه عن ذلك فلم ينته وأمر بقتلهم طاعة لنسائه حتى إنه قتل شماسا وزيره ووزير والده من قبله وكان صاحب مشورته ولكن سوف تنظر ما يفعل الله به بسبب ذنوبهم فسينتقم لهم منه فقال الغلام وما عسى أن يفعل الله به بعد هلاكهم قال له اعلم أن ملك الهند الأقصى قد استخف بملكنا وبعث إليه كتابا يوبخه فيه فلما جاء رسول ملك الهند

الأقصى بهذا الكتاب أمهله ثلاثة أيام وأعلم يا أخى أن ذلك الملك جبار عنيد ذو قوة وبأس شديد وفى مملكته خلق كثير وإن لم يحتل ملكنا فيما يمنعه وقع فى الهلكة وبعد هلاك ملكنا يأخذ هذا الملك أرزاقنا ويقتل رجالنا ويسبى حريمنا فلما سمع الملك منهما هذا الكلام زاد اضطرابًا ومال إليهما وقال فى نفسه إن هذا الغلام الحكيم لكونه أخبر عن شيء لم يبلغه منى فإن الكتاب الذى جاء من ملك أقصى الهند عندى والسر معى ولم يطلع أحد على هذا الخبر غيرى فكيف علم هذا الغلام به ولكن أنا ألتجئ إليه وأكلمه وأسأل الله أن يكون خلاصنا على يديه ثم إن الملك دنا من الغلام بلطف وقال له أيها الولد الحبيب ما هذا الذى ذكرته من أجل ملكنا فإنه قد أساء كل الإساءة فى قتل وزرائه وكبراء دولته لكنه فى الحقيقة قد أساء لنفسه ورعيته وأنت صدقت فيما قلته ولكن عرفنى أيها الولد من أين عرفت أن ملك الهند الأقصى كتب إلى ملكنا كتابا ووبخه فيه وقال له هذا الكلام الصعب الذى قلته قال له هذا الغلام قد علمت هذا من قول القدماء أنه ليس يخفى على الله خافية والخلق من بنى آدم فيهم روحانية تظهر لهم الأسرار الخفية فقال له صدقت يا ولدى لكن هل لملكنا حيلة وتدبير يدفع به عن نفسه وعن مملكته هذا البلاء العظيم فأجاب الغلام قائلا نعم إذا أرسل الملك إلى وسألنى ماذا يصنعه ليدفع به عدوه وينجو من حيرته بما فيه نجاته بقوة الله تعالى قال له الملك ومن يعلم الملك بذلك حتى يرسل إليه ويدعوك فأجابه قائلا إنى سمعت عنه أنه يفتش على أهل الخبرة والرأى الرشيد وإذا أرسل إلى سرت معهم إليه وعرفته بما فيه صلاحه ودفع البلاء عنها فلما سمع الملك كلام الغلام تحقق حكمته وتبين فضيلته أن النجاة تحصل له ولرعيته على يديه فعند ذلك أعاد الملك الكلام على الغلام وقال له من أين أنت وأين بيتك فقال له الغلام أن هذه الحائط توصل إلى بيتنا فتعهد الملك ذلك المكان ثم إنه ودع الغلام ورجع إلى مملكته مسرورًا فلما استقر فى بيته لبس ثيابه ودعا بالطعام والشراب ومنع عنه النساء وأكل وشرب وشكر الله تعالى وطلب منه النجاة والمعونة والمغفرة والعفو عما فعل بعلماء دولته ورؤسائهم ثم تاب إلى الله تعالى توبة خالصة وافترض على نفسه الصوم والصلاة الكثيرة بالنذر ودعا بأحد غلمانه



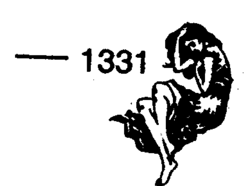
الخواص ووصف له مكان الغلام وأمره أن ينطلق إليه ويحضره بين يديه برفق فمضى ذلك العبد إلى الغلام وقال له الملك يدعوك لخير يصل إليك من قبله ويسألك سؤالا ثم تعود فى خير إلى منزلك فأجاب الغلام قائلا ما حاجة الملك التى دعانى من أجلها قال له الخادم إن حاجة مولاى التى دعاك من أجلها هى سؤال وجواب فقال له الغلام ألف سمع وألف طاعة لأمر الملك ثم سار معه حتى وصل إليه فلما صار بين يديه سجد لله ودعا للملك بعد أن سلم عليه فرد الملك عليه السلام وأمره بالجلوس فجلس . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٢٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام لما جاء إلى الملك وسلم عليه أمره بالجلوس فجلس فقال له هل تعرف من تكلم معك بالأمس قال الغلام نعم قال له فأين هو فأجابه بقوله هو الذى يكلمنى فى هذا الوقت فقال له الملك لقد صدقت أيها الحبيب ثم أمر الملك بوضع كرسى بجانب كرسيه وأجلسه عليه وأمر بإحضار أكل وشرب ثم امتزجا فى الحديث إلى أن قال للغلام أنك أيها الوزير حدثتنى بالأمس حديثا وذكرت فيه أن معك حيلة تدفع بها عنا كيد ملك الهند فما هى الحيلة وكيف التدبير فى دفع شره فأخبرنى لكى أجعلك أول من يتكلم معى فى الملك وأصطفيك وزير إلى وأكون تابعًا لرأيك فى كل ما أشرت به على وأجيزك بجائزة سنية فقال له الغلام أعطنى عهد أنك لا تخالف رأيى فيما أذكره لك وأنى أكون مما أخشاه فى أمان فقال له الملك هذا عهد الله بينى وبينك إنى لا أخرج عن كلامك وأنك عندى صاحب المشورة ومهما أمرتنى به فعلته والشاهد بينى وبينك على ما أقول هو الله تعالى فعند ذلك انشرح صدر الغلام واتسع عنده مجال الكلام فقال أيها الملك إن التدبير والحيلة عندى أنك تنظر الوقت الذى يحضرلك فيه الساعى طالب الجواب بعد المهلة التى أمهلته إياها فإذا حضر بين يديك وطلب الجواب فادفعه عنك وأمهله إلى يوم آخر فعند ذلك يعتذر إليك أن ملكه جدد عليه أياما معلومة فيراجعك فى كلامك فاطرحه وأمهله إلى يوم آخر ولا تعين له ذلك

اليوم فيخرج من عندك غضبان ويتوجه إلى وسط المدينة ويتكلم جهرا بين الناس ويقول يا أهل المدينة أتى ساعى ملك الهند الأقصى وهو صاحب بأس شديد وعزم يلين له الحديد قد أرسلنى بكتاب إلى ملك هذه المدينة وحدد لى أياما وقال لى إن لم تحضر عقب الأيام التى حددتها لك حلت بك نقمتى وها أنا جئت إلى ملك هذه المدينة وأعطيته الكتاب فلما قرأه أمهلنى ثلاثة أيام ثم لم يعطنى جواب ذلك الكتاب فأجبته إلى ذلك وقد مضت الثلاثة أيام وأتيت أطلب منه الجواب فأمهلنى إلى يوم آخر وأنا ليس عندى صبر فها أنا منطلق إلى سيدى ملك الهند الأقصى وأخبره بما وقع لى وأنتم أيها القوم شاهدون بينى وبينه فعند ذلك يبلغك كلامه فأرسل إليه وأحضره بين يديه وكلمه بلطف وقال له أيها الساعى لاتلاف نفسه ما حملك على ملامتنا بين رعيتنا لقد استحقيت منا التلف عاجلاً ولكن قالت القدماء العفو من شيم الكرام وأعلم أن تأخير الجواب عنك ليس عجزاً منا وإنما هو لزيادة اشتغالنا وقلة تفرغنا لكتابة جواب ملككم ثم اطلب الكتاب واقرأه ثانيا وبعد أن تفرغ من قراءته أكثر من الضحك وقل له هل معك كتاب غير هذا الكتاب فنكتب جوابًا له أيضًا فيقول لك ليس معى كتاب غير هذا الكتاب فأعد عليه القول ثانيًا وثالثًا فيقول لك ليس معى غيره أصلا فقل له إن ملككم هذا معدوم العقل حيث ذكر فى هذا الكتاب كلامًا يريد به تقويم نفوسنا لأجل أن نتوجه بعسكرنا إليه فنغزوا بلاده وأظن أن الملك الذى أرسلك أحمق غير مفكر فى العواقب وليس له وزير عاقل سديد الرأى يستشيره ولو كان عاقلاً لاستشار وزيره قبل أن يرسل إلينا مثل هذا الكلام السخرية ولكن له عندى مثل كتابه وأزيد وأنا أدفع كتابه لبعض صبيان المكتب ليجيبه ثم أرسل إلى وأطلبنى فإذا حضرت بين يديك فائذن لى بقراءة الكتاب ورد جوابه فعند ذلك انشرح صدر الملك واستحسن رأى الغلام وأعجبته حيلته فأنعم عليه وخوله رتبة والده وصرفه مسرورًا فلما انقضت الثلاثة أيام التى جعلها مهلة للساعى جاء الساعى ودخل على الملك وطلب الجواب فأمهله الملك إلى يوم آخر فخرج الساعى إلى خارج البساط وتكلم بكلام غير لائق مثل ما قال الغلام فلما بلغ الملك هذا الكلام أرسل إلى ذلك الساعى وأحضره بين يديه وقال له أيها الساعى فى إتلاف نفسه ألست ناقلاً كتابًا من ملك إلى ملك بينهما أسرار فكيف تخرج بين الناس وتظهر



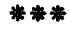
أسرار الملوك على العامة لقد استحقيت منا القصاص ولكن نتحمل ذلك لأجل عود جوابك لهذا الملك الأحمق والأنسب ألا يرد له جوابًا عنا إلا أقل صبيان المكتب ودعا بحضور ذلك الغلام فحضر ولما دخل على الملك والساعى حاضر سجد شكرًا لله ودعا للملك بدوام العز والبقاء فعند ذلك رمى الملك الكتاب للغلام وقال له اقرأ هذا الكتاب واكتب جوابه بسرعة فأخذ الغلام الكتاب وقرأه وتبسم بالضحك وقال للملك هل أرسلت خلفى لأجل جواب هذا الكتاب فقال له نعم فأجاب بمزيد السمع والطاعة وأخرج الدواة والقرطاس وكتب وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٩٢١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام لما أخذ الكتاب وقرأة أخرج دواة وقرطاسًا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من فاز بالإيمان ورحمة الرحمن أما بعد فإنى أعلمك أيها المدعو ملكًا كبيرًا اسمًا لا رسمًا أنه قد وصل إلينا كتابك وقرأناه وفهمنا ما فيه من الخرافات وغريب الهذيانات فتحققنا جهلك وبغيك علينا وقد مددت يديك إلى ما لا تقدر عليه ولولا أن الرأفة أخذتنا على خلق الله والرعية لما تأخرنا عنك وأما زعمك أنك تظفر بى فحاش لله من ذلك كيف يبغى علينا مثلك ويظفر بملكنا بل إن الله تعالى يظفرنى بك لكونك معتديًا باغيًا على بغير حق فاعلم أنك قد استوجبت العذاب من الله ومنى ولكن أنا أخاف الله فيك وفى رعيتك ولا أركب عليك إلا بعد الإنذار فإن كنت تخشى الله فعجل لى بإرسال خراج هذه السنة وإلا لا أرجع عن الركوب عليك ومعى ألف ألف ومائة ألف مقاتل كلهم جبابرة بأفيال فسردهم حول وزيرنا وأمره أن يقيم على محاصرتك ثلاث سنوات نظير الثلاثة أيام التى أمهلتها لقصدك وأتملك مملكتك بحيث لا أقتل منها أحدا غير نفسك ولا أسى منها غير حريمك ثم صور الغلام فى المكتوب صورته وكتب بجانبها إن هذا الكتاب كتبه أصغر أولاد الكتاب ثم سلمه إلى الملك فأعطاه الملك للساعى فأخذه الساعى وقبل يدعى الملك ومضى من

عنده شاكر الله تعالى وللملك على حلمه وانطلق وهو يتعجب بما رأى من حذق الغلام فلما وصل إلى ملكه وكان دخوله عليه فى اليوم الثالث بعد الثلاثة أيام المحدودة له وكان الملك فى ذلك الوقت ناصب الديوان بسبب تأخير الساعى عن المدة المحدودة له فلما دخل سجد بين يديه ثم أعطاه الكتاب فأخذه وسأل الساعى عن إبطائه وعن أحوال الملك وردخان فقص عليه القصة وحكى له جميع ما نظره بعينه وسمعه بإذنه فاندهش عقل الملك وقال للساعى ويحك ما الأخبار التى تخبرنى بها عن مثل هذا الملك فأجابه الساعى قائلاً أيها الملك العزيز ها أنا بين يديك فافتح الكتاب واقرأه يظهر لك الصدق من الكذب فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقرأه ونظر فيه صورة الغلام الذى كتبه فأيقن بزوال ملكه وتحير فيما يكون من أمره ثم التفت إلى وزرائه وعظماء دولته وأخبرهم بما جرى وقرأ عليهم الكتاب فارتاعوا لذلك وارتعبوا رعبًا عظيمًا وصاروا يسكنون روع الملك بكلام من ظاهر اللسان وقلوبهم تتمزق من الخفقان ثم إن الوزير الكبير قال أعلم أيها الملك إن الذى يقوله أخوتى من الوزراء لا فائدة فيه والرأى عندى أنك تكتب لهذا الملك كتابًا وتعتذر إليه فيه فكتب كتابًا مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد أيها الملك العزيز وردخان ولد الأخ العزيز جليعاد رحمه الله وأبقاك لقد حضر لنا كتابك فقرأناه وفهمنا ما فيه فرأينا فيه ما يسرنا وهذا غاية طلبنا لك من الله ونسأل الله أن يعلى شأنك ويشيد أركان مملكتك وينصرك على أعدائك الذين يريدون بك السوء وأعلم أيها الملك أن أباك كان أخًا لى وبينى وبينه عهود ومواثيق مدة حياته وما كان يرى منا إلا خيراً وكنا نحن كذلك لا نرى منه إلا خيراً ولما توفى وجلست أنت على كرسى مملكته حصل عندنا غاية الفرح والسرور ولما بلغنى ما فعلت بوزرائك وأكابر دولتك خشينا أن يصل خبر ذلك إلى ملك غيرنا فيطمع فيك وكنا نظن أنك فى غفلة عن مصالحك وحفظ حصونك مهملاً لأمور مملكتك فكاتبناك بما ننبهك فلما رأيناك قد رددت لنا مثل هذا الجواب اطمأن قلبنا عليك متعك الله بملكتك وجعلك معانا على شأنك والسلام ثم جهز له الهدية وأرسلها إليه مع مائة فارس . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٩٢٢)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن ملك الهند الأقصى لما جهز الهدية إلى الملك وردخان أرسلها له مع مائة فارس فساروا إلى أن أقبلوا على الملك وردخان وسلموا عليه ثم أعطوه الكتاب فقرأه وفهم معناه ثم إنزل رئيس المائة فارس فى محل يصلح له وأكرمه وقبل الهدية منه وشاع خبرها عند الناس وفرح الملك بذلك فرحًا شديدًا ثم أرسل إلى ابن شماس وأحضره بين يديه وأكرمه وأرسل إلى رئيس المائة فارس ثم طلب الكتاب الذى أحضره من ملكه وأعطاه للغلام ففتحه وقرأه فسر الملك بذلك سرورًا كبيرًا وصار يعاتب رئيس المائة فارس وهو يقبل يديه ويعتذر إليه ويدعو له بدوام البقاء وخلود النعم عليه فشكره على ذلك وأكرمه إكرامًا زائدًا وأعطاه وأعطى جميع من معه ما يليق بهم وجهز معهم هدايا وأمر الغلام أن يكتب رد الجواب فعند ذلك كتب الغلام الجواب وأحسن الخطاب وأوجز فى باب الصلح وذكر أدب الرسول ومن معه من الفرسان فلما تم الكتاب عرضه على الملك فقال له الملك اقرأه أيها الولد العزيز لكى نعرف ما كتب فيه فعند ذلك قرأه الغلام بحضرة المائة فارس فأعجب الملك وكل من حضر نظامه ومعناه ثم ختمه الملك وسلمه إلى رئيس المائة فارس وصرفه وأرسل معه من عسكره طائفة توصلهم إلى أطراف بلادهم هذا ما كان من أمر الملك والوزير (وأما) ما كان من أمر رئيس المائة فارس فإنه اندهش عقله مما رآه من أمر الغلام ومعرفته وشكر الله تعالى على قضاء مصلحته بسرعة وعلى قبول الصلح ثم إنه سار إلى أن وصل إلى ملك أقصى الهند وقدم إليه الهدايا والتحف وأوصل إليه العطايا هذا ما كان من أمر ملك أقصى الهند (وأما) ما كان من أمر الملك وردخان فإنه استقام مع الله ورجع عن طريقته الرديئة وتاب إلى الله توبة خالصة ففرحت الرعية بذلك وزال الخوف والرعب عنها واستبشروا بالعدل والإنصاف وابتهلوا بالدعاء للملك والوزير الذى أزال عنه وعنهم هذا الغم وبعد ذلك قال الملك للوزير ما الرأى عندك فى إتقان المملكة وإصلاح الرعية ورجوعها إلى ما كانت عليه أولاً من وجود الرؤساء والمدبرين فعند ذلك أجابه الوزير قائلاً أيها الملك العزيز الشأن الرأى عندى إنك قبل كل شيء تبتدئ بقطع أمر المعاصى

من قلبك وتترك ما كنت فيه من اللهو والعسف والاشتغال بالنساء والميل إليهن وقبول رأيهن وتدبيرهن لأن محبتهن تغير العقول الصافية وتفسد الطباع السليمة والشاهد على قولي من دلائل واضحة لو تفكرت فيها وتتبعت وقائعها بإمعان النظر لوجدت لك ناصحًا من نفسك واستغنيت عن قولي فلا تشغل قلبك بذكرهن وأقطع من ذهنك رسمهن لأن الله تعالى أمر بعدم الإكثار منهن على يد نبيه موسى حتى قال بعض الملوك من الحكماء لولده يا ولدي إذا استقمت في الملك من بعدي فلا تكثر من النساء لئلا يضل قلبك ويفسد رأيك بالجملة فالاستكثار منهن يفضي إلى حبهن وحبهن يفضي إلى فساد الرأي والبرهان على ذلك ما جرى لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام الذي خصه الله بالعلم والحكمة والملك العظيم ولم يعط أحد من الملوك الذين تقدموا مثل ما أعطاه فكانت النساء سببًا لهفوة والده ومثل هذا كثير أيها الملك وإنما ذكرت لك سليمان لتعرف أنه ليس لأحد أن يملك مثل ما ملك حتى أطاعه جميع ملوك الأرض وأعلم أيها الملك أن محبة النساء أصل كل شر وليس لاحداهن رأي فينبغي للإنسان أن يقتصر منهن على قدر الضرورة ولا يميل إليهن كل الميل فإن ذلك يوقعه في الفساد والهلكة فإن أطعت قولي أيها الملك استقامت لك جميع أمورك وإن تركته ندمت حيث لا ينفعك الندم فأجابه الملك قائلاً لقد تركت ما كنت فيه من فرط الميل اليهن . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٢٣)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن الملك وردخان لما قال لوزيره إني قد تركت ما كنت فيه من الميل اليهن وأعرضت عن الاشتغال بالنساء جميعًا ولكن ماذا أصنع إليهن جزاء ما فعلن لأن قتل شماس والدك كان من كيدهن ولم يكن ذلك مرادي ولا عرفت كيف جرى لي في عقلي حتى وافقتهن على قتله ثم تأوه وصاح قائلاً واأسفاه على فقد وزيري وسداد رأيه وحسن تدبيره وعلى فقد نظرائه من الوزراء ورؤساء المملكة وحسن آرائهم الرشيدة فأجابه الوزير قائلاً اعلم أيها الملك إن الذنب ليس للنساء وحدهن لأنهن مثل بضاعة مستحسنة تميل إليها شهوات



الناظرين فمن اشتهى واشترى باعوه ومن لم يشتر لم يجبره أحد على الشراء ولكن الذنب لمن اشترى وخصوصًا إذا كان عارفًا بمضرة تلك البضاعة وقد حذرتك ووالدى من قبلى كان يحذرك ولم تقبل منه نصيحة فأجابه الملك إنتى أوجبت على نفسى الذنب كما قلت أيها الوزير ولا عذر لى إلى التقادير الإلهية فقال له الملك صدقت وإنما كان خطئى منى الميل إلى الشهوات وقد حذرت نفسى من ذلك مرارًا وحذرنى والدك شماس مرارًا فغلبت نفسى على عقلى فهل عندك شىء يمنعنى عن ارتكاب هذا الخطأ حتى يكون عقلى غالبًا على شهوات نفسى فأجاب الوزير نعم إنى أرى شيئًا يمنعك عن ارتكاب هذا الخطأ وهو أنك تنزع عنك ثوب الجهل وتلبس ثوب العدل وتعصى هواك وتطيع مولاك وترجع إلى سيرة الملك العادل أبيك وتعمل ما يجب عليك من حقوق الله وحقوق رعيتك وتحافظ على دينك وعلى رعيتك وعلى سياسة نفسك وعلى عدم قتل رعيتك وتنظر فى عواقب الأمور وتنزل عن الظلم والجور والبغى والفساد وتستعمل العدل والإنصاف فقال له الملك لقد أحييت فؤادى ونورت قلبى بكلامك الحلو وجلوت عين بصيرتى بعد العمى وأنا عازم على أن أفعل جميع ما ذكرته لى بمعونة الله تعالى واترك ما كنت عليه من البغى والشهوات وأخرج نفسى من الضيق إلى السعة ومن الخوف إلى الأمن وينبغى أن تكون بذلك فرحا مسرورًا لأنى صرت لك ابنًا مع كبر سنى وصرت لى أنت ولدًا حبيبًا على صغر سنك وصار من الواجب على بذل المجهود فيما تأمرنى به وأنا أشكر فضل الله تعالى وفضلك فإن الله تعالى أولانى بك من النعم وحسن الهداية وسداد الرأى ما يدفع همى وغمى وقد حصلت سلامة رعيتى على يديك بشرف معرفتك وحسن تدبيرك فإنت الآن مدبرًا لملكى لا أتشرف عليك إلا بسوى الجلوس على الكرسى وكل ما تفعله جائز على ولا أرد لكلمتك وليس يفصلنى منك إلا الموت وجميع ما تملكه يدى لك التصرف فيه وإن لم يكن لى خلف تجلس على تختى عوضًا عنى فإنت أولى من جميع أهل مملكتى فأوليك ملكى بحضرة أكابر مملكتى وأجعلك ولى عهدى من بعدى إن شاء الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٢٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك وردخان قال لابن شماس الوزير سوف أستخلفك عنى وأجعلك ولى عهدى من بعدى وأشهد على ذلك أكابر مملكتى بعون الله تعالى ثم بعد ذلك دعا بكاتبه لحضر بين يديه فأمره أن يكتب إلى سائر كبراء دولته بالحضور إليه وجهر بالنداء فى مدينته للحاضرين الخاص والعام وأمر أن يجتمع الأمراء والقواد والحجاب وسائر أرباب الخدم إلى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء وعمل الملك ديوانًا عظيمًا واختار جملة من العلماء والحكماء بمعرفة ابن شماس وأدخلهم عليه وأمره أن ينتخب منهم سبعة ليجعلهم وزراء من تحت كلمته ويكون هو الرئيس عليهم فعند ذلك اختار الغلام بن شماس منهم أكبرهم سنًا وأكملهم عقلاً وأكثرهم دراية فقدمهم إلى الملك وألبسهم ثياب الوزراء وكلمهم قائلاً أنتم تكونون وزرائى تحت طاعة ابن شماس وجميع ما يقوله لكم أو يأمركم به وزيرى هذا ابن شماس لا تخرجوا عنه أبدًا ولو كان هو أصغركم سنًا إلا إنه أكبركم عقلاً ثم إن الملك أجلسهم على كراسى مزركشة على عادة الوزراء وأجرى عليهم الأرزاق والنفقات ثم أمرهم أن ينتخبوا من أكابر الدولة الذين اجتمعوا عنده فى الوليمة من يصلح لخدمة المملكة من الأجناد ليجعل منهم رؤساء ألوف ورؤساء خمسين ورؤساء عشرات ورتب لهم المرتبات وأجرى عليهم الأرزاق على عادة الكبراء ففعلوا ذلك فى أسرع وقت هذا ما كان من أمر الملك ووزيره ابن شماس فى ترتيب المملكة وأمرائها وعمالها (وأما) ما كان من أمر النساء المحظيات من السرارى وغيرهن اللائى كن سببا لقتل الوزراء وفساد المملكة بحيلهن وخداعهن فإنه لما انصرف جميع من كان فى الإيوان من المدينة والقرى إلى محله واستقامت أمورهم أمر الملك الوزير الصغير السن الكبير العقل الذى هو ابن شماس أن يحضر بقية الوزراء . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٢٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك أمر وزيره ابن شماس أن يحضر بقية الوزراء فلما حضروا جميعًا بين يدى الملك اختلى بهم وقال لهم اعلموا أيها الوزراء إنى كنت حائدًا عن



الطريق المستقيم مستغرقًا فى الجهل معرضًا عن النصيحة ناقضًا للعهود والمواثيق مخالفًا لأهل النصح وسبب ذلك كله ملاعبة هؤلاء النساء وخداعهن إياى فما الرأى السديد فى أهلاكهن فأجابه ابن الوزير شماس قائلاً أيها الملك العظيم الشأن إننى قلت لك أولاً الذنب ليس مختصًا بالنساء وحدهن بل هو مشترك بينهن وبين الرجال الذين يطيعونهن لكن النساء يستوجبن الجزاء على كل حال ثم إن بعض الوزراء أشار على الملك بما قاله ابن شماس وبعض الوزراء تقدم إلى الملك وسجد له وقال أدام الله أيام الملك إن كان لابد أن تفعل بهن فعلة لهلاكهن فافعل ما أقول لك فقال الملك ما الذى تقول لى فقال له إن تأمر إحدى محاظيك بأن تأخذ النساء اللاتى خدعنك وتدخلهن البيت الذى حصل فيه قتل الوزراء والحكماء وتسجنهن هناك فقبل الملك رأيه وفعل كما قال له وأرسل خلف أربع محظيات جبارات وسلم اليهن النساء وأمرهن أن يدخلن فى محل القتلى ويسجنهن فيه وأجرى لهن طعاما دنيئًا قليلاً وشرابًا رديئًا قليلاً حتى هلكن عن آخرهن وشاع خبر هذه الواقعة فى جميع البلاد والأقطار وهذا ما انتهى إليه أمر الملك ووزرائه ورعيته والحمد لله مفنى الأمم ومحيى الرمم المستحق للتبجيل والإعظام والتقديس على الدوام .

﴿حكاية أبى قير وأبى صير﴾

(ومما يحكى أيضًا) أن رجلين كانا فى مدينة الإسكندرية وكان أحدهما صباغًا واسمه أبو قير وكان الثانى مزينًا واسمه أبو صير وكانا جارين لبعضهما فى السوق وكان دكان المزين فى جانب دكان الصباغ وكان الصباغ نصابا كذابا صاحب شر قوى كأنما صدغه منحوت من الجلمود أو مشتق من عتبة كنيسة اليهود لا يستحى من عيبة يفعلها بين الناس وكان من عادته أنه إذا أعطاه أحد قماشًا لصبغه يطلب منه الكراء أولاً ويوهمه أنه يشترى به أجزاء ليصبغ بها فيعطيه الكراء مقدمًا فإذا أخذه منه يصرفه على أكل وشرب ثم يبيع القماش الذى أخذه بعد ذهاب صاحبه ويصرف ثمنه فى الأكل والشرب وغير ذلك ولا يأكل إلا طيبا من أفخر المأكول ولا يشرب إلا من أجود ما يذهب العقول فإذا أتاه صاحب القماش يقول له فى غد تجىء لى من

قبل طلوع الشمس فتلقى حاجتك مصبوغة فيروح صاحب الحاجة ويقول فى نفسه يوم من يوم قريب ثم يأتيه فى ثانى يوم على الميعاد فيقول له تعال فى غد فإنى أمس ما كنت فاضيًا لأنه كان عندى ضيوف فقمت بواجبهم حتى راحوا وفى غد قبل الشمس تعال خذ قماشك مصبوغًا فيروح ويأتيه فى ثالث يوم فيقول له إنى كنت أمس معذورًا لأن زوجتى ولدت بالليل وطوال النهار وأنا أقضى مصالح ولكن فى غد تعالى خذ حاجتك مصبوغة فيأتى له على الميعاد فيطلع له بحلة أخرى من حيث كان ويحلف له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٣٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصباغ صار كلما أتى له صاحب الشىء يطلع له بحيلة من حيث كان ويحلف له ولم يزل يعده ويخلف إذا جاءه حتى يقلق الزبون ويقول له كم تقول لى فى غد أعطنى حاجتى فإنى لا أريد صبغًا فيقول والله يا أخى أنا مستح منك ولكن أخبرك بالصحيح والله يؤذى كل من يؤذى الناس فى أمتعتهم فيقول له أخبرنى ماذا حصل فيقول أما حاجتك فإنى صبغتها صبغًا ليس له نظير ونشرتها على الحبل فسرقت ولا أدرى من سرقها فإن كان صاحب الحاجة من أهل الخير يقول له يعوض الله على وإن كان من أهل الشر يستمر معه فى هتيكة وجرسة ولا يحصل منه شىء ولو اشتكاه إلى الحاكم ودام على هذه الحالة سنين فاتفق له فى يوم من الأيام أنه أخذ حاجة من رجل جبار ثم باعها وصرف ثمنها وصار صاحبها يجىء إليه فى كل يوم فلم يره فى الدكان لأنه متى رأى أحدًا له عنده شىء يهرب منه فى دكان المزين أبى صير فلما لم يجده ذلك الجبار فى دكانه وأعياه ذلك ذهب إلى القاضى وأتاه برسول من طرفه وسمر باب الدكان بحضرة جماعة من المسلمين وختمه لأنه لم ير فيها غير بعض مواجير مكسرة ولم يجد فيها شيئًا يقوم مقام حاجته ثم أخذ الرسول المفتاح وقال للجيران قولوا له يجىء بحاجة هذا الرجل ويأتى ليأخذ مفتاح دكانه ثم ذهب الرجل والرسول إلى حالهما



فقال أبو صير لأبى قير ما دهيتك قال كل من جاء لك بحاجة تعلمه إياها أين راحت حاجة هذا الرجل الجبار قال يا جارى سرقت منى قال أبو صير عجائب كل من أعطاك حاجة يسرقها منك لص هل أنت معاد جميع اللصوص ولكن أظن أنك تكذب فأخبرنى بقصتك يا جارى فقال له ما أحد سرق منى شىء فقال أبو صير وما تفعل فى متاع الناس فقال له كل من أعطانى حاجة أبيعها وأصرف ثمنها فقال له أبو صير أيحل لك هذا من الله قال له أبو صير إنما أفعل هذا من الفقر لأن صنعتى كاسدة وأنا فقير وليس عندى شىء ثم صار يذكر له الكساد وقلة السبب وصار أبو صير يذكر له كساد صنعته أيضا ويقول أنا أسطى ليس لى نظير فى هذه المدينة ولكن لا يحلق عندى أحد لكونى رجل فقيراً وكرهت هذه الصنعة يا أخى فقال له أبو قير الصباغ وأنا أيضًا كرهت صنعتى من الكساد ولكن يا أخى ما الداعى لاقامتنا فى هذه البلد فأنا وأنت نسافر منها نتفرج فى بلاد الناس وصنعتنا فى أيدينا رائجة فى جميع البلاد فإذا سافرنا نشم الهواء ونرتاح من هذا الهَم العظيم ومازال أبو قير يحسن السفر لأبى صير حتى رغب فى الارتحال ثم انهما اتفقا على السفر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٩٢٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا قير مازال يحسن السفر لأبى صير حتى رغب فى الارتحال وحين عزما على السفر قال أبو قير لأبى صير يا جارى نحن صرنا أخوين ولا فرق بيننا فينبغى أننا نقرأ الفاتحة على أن عمالنا يكتسب ويطعم بطالنا قال أبو صير وهو كذلك وقرأ الفاتحة على أن العمال يكتسب ويطعم البطال ثم إن أباصير قفل الدكان وأعطى المفاتيح لصاحبها وأبو قير ترك المفاتيح عند رسول القاضى وترك الدكان مقفولة مختومه وأخذا مصالحهما وأصبحا مسافرين ونزلا فى غليون فى البحر المالح وسافرا فى ذلك النهار وحصل لهما إسعاف ومن تمام سعد المزين أن جميع من كان فى الغليون لم يكن معهم أحد من المزينين وكان فيه مائة وعشرين رجلاً غير الريس والبحرية ولما حلوا قلوع الغليون قام المزين وقال للصباغ يا أخى

هذا بحر نحتاج فيه إلى الأكل والشرب وليس معنا إلا القليل من الزاد وربما يقول لى أحد تعالى يا مزين احلق لى فاحلق له برغيف أو بنصف فضة أو بشربة ماء فانتفع بذلك أنا وأنت فقال له الصباغ لا بأس ثم حط رأسه ونام وقام المزين وأخذ عدته والطاسة وشق بين الركاب فقال له واحد تعال يا أسطى احلق لى فحلق له فلما حلق لذلك الرجل أعطاه نصف فضة فقال له المزين ليس لى حاجة بهذا النصف الفضة ولو كنت أعطيتنى رغيفًا كان أبرك فى هذا البحر لأن لى رفيقًا وزاد ناشىء قليل فاعطاه رغيفًا وقطعة جبن وملأ له الطاسة ماء حلوا فأخذ ذلك وأتى إلى أبى قير وقال له خذ هذا الرغيف وكله بالجبن وأشرب ما فى الطاسة فأخذ ذلك منه وأكل وشرب ثم إن أباصير المزين بعد ذلك حمل عدته وأخذ الخرقة على كتفه والطاسة فى يده وشق فى الغليون بين الركاب فحلق لإنسان برغيفين ولآخر بقطعة جبن ووقع عليه الطلب فما جاء المغرب حتى جمع ثلاثين رغيفًا وثلاثين نصف فضة وصار عنده جبن وزيتون وبطارخ وصار كلما يطلب حاجة يعطونه إياها حتى صار عنده شىء كثير وحلق للقبطان وشكاله قلة الزاد فى السفر فقال له القبطان مرحبًا بك هات رفيقك فى كل ليلة وتعشيا عندى ولا تحملاهما مادمتما مسافرين معنا ثم رجع إلى الصباغ فرآه لم يزل نائمًا فأيقظه فلما أفاق أبو قير رأى عند رأسه شيئًا كثيرًا من عيش وجبن وزيتون وبطارخ فقال له من أين لك ذلك فقال من فيض الله تعالى فأراد أن يأكل فقال له أبو صير لا تأكل يا أخى من هذا وأتركه ينفعنا فى وقت آخر واعلم أنى حلقت للقبطان وشكوت إليه قلة الزوادة فقال لى مرحبًا بك هات رفيقك كل ليلة وتعشيا عندى فأول عشائنا عند القبطان فى هذه الليلة فقال له أبو قير أنا دايخ من البحر ولا أقدر أن أقوم من مكانى فدعنى أتعشى من هذا الشىء ورح أنت وحدك عند القبطان فقال له لا بأس بذلك ثم جلس يتفرج عليه وهو يأكل فرآه يقطع اللقمة كما يقطع الحجارة من الجبل ويبتلعها ابتلاع الغول وينفخ مثل الثور الجائع على التبن والفول وإذا بنوتى جاء وقال يا أسطى يقول لك القبطان هات رفيقك وتعالى للعشاء فقال أبو صير لأبى قير ما تقوم بنا فقال له إنا لا أقدر على المشى فراح المزين وحده فرأى القبطان جالسًا وقدامه سفرة فيها عشرون لونًا أو أكثر وهو وجماعته ينتظرون المزين ورفيقه فلما رآه القبطان قال له أين رفيقك فقال له يا سيدى إنه دايخ

من البحر فقال له القبطان لا بأس عليك ستزول عنه الدوخة تعالى أنت تعش معنا فإنى كنت فى انتظارك ثم إن القبطان عزل صحنا وحط فيه من كل لون فصار يكفى عشرة وبعد أن تعشى المزين قال له القبطان خذ هذا الصحن معك إلى رفيقك فأخذه أبو صير وأتى إلى أبى قير فرآه يطحن بأنيابه فيما عنده من الأكل مثل الجمل ويلحق اللقمة باللقمة على عجل فتركه أبو صير وراح إلى القبطان وشرب القهوة هناك ثم رجع إلى أبى قير فرآه قد أكل جميع ما فى الصحن ورماه فارغًا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٢٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أباصير لما رجع إلى أبى قير رآه قد أكل ما فى الصحن ورماه فارغًا فأخذه وأوصله إلى أتباع القبطان ورجع إلى أبى قير ونام إلى الصباح فلما كان ثانى الأيام صار أبو صير يحلق وكلما جاء له شيء يعطيه لأبى قير وأبو قير يأكل ويشرب وهو قاعد لا يقوم إلا لإزالة الضرورة وكل ليلة يأتى له بصحن ملآن من عند القبطان واستمر على هذه الحالة عشرين يومًا حتى رسى الغليون على مينة مدينة فطلع من الغليون ودخلا تلك المدينة وأخذا لهما حجرة فى خان وفرشها أبو صير واشترى جميع ما يحتاجان إليه وجاء بلحم وطبخه وأبو قير نائم من حين دخل الحجرة ولم يستيقظ حتى أيقظه أبو صير ووضع السفرة بين يديه فلما أفاق أكل وبعد ذلك قال له لا تؤاخذنى فإنى دايخ ثم نام واستمر على هذه الحالة أربعين يومًا وفى اليوم الحادى وأربعين مرض المزين ولم يقدر أن يسرح فسخر بواب الخان فقضى لهما حاجتهما ومازال المزين يسخر بواب الخان فى قضاء حاجته مدة أربعة أيام وبعد ذلك اشتد المرض على المزين حتى غاب عن الوجود من شدة مرضه وأما أبو قير فإنه أحرقه الجوع فقام وفتش فى ثياب أبى صير فرأى معه مقدارًا من الدراهم فأخذه وقفل باب الحجرة على أبى صير ومضى ولم يعلم أحدا وكان البواب فى السوق فلم يره حين خروجه ثم إن أبا قير عمد إلى السوق وكسا نفسه ثيابًا نفيسة وصار يدور فى المدينة ويتفرج فرآها مدينة ما وجد مثلها فى

المدائن وجميع ملبوسها أبيض وأزرق من غير زيادة فأتى إلى صباغ فرأى جميع ما فى دكانه أزرق فأخرج له محرمة وقال له يا معلم خذ هذه المحرمة وأصبغها وخذ أجرتك فقال له إن أجرة صبغ هذه عشرون درهمًا فقال له نحن نصبغ هذه فى بلادنا بدرهمين فقال رح اصبغها فى بلادكم وأما أنا فلا أصبغها إلا بعشرين درهمًا لا تنقص عن هذا القدر شيء فقال له أبو قير أى لون تريد صبغها فقال له الصباغ زرقاء قال له أبو قير أنا مرادى أن تصبغها لى حمراء قال له لا أدرى صباغ الأحمر قال خضراء قال له لا أدرى صباغ الأخضر قال صفراء قال له لا أدرى صباغ الأصفر وصار أبو قير يعدله الألوان لونًا بعد لون فقال له الصباغ نحن فى بلادنا أربعون معلمًا لا يزيدون واحدًا ولا ينقصون واحدًا وإذا مات منا واحد نعلم ولده وإن لم يخلف ولدًا نبقى ناقصين واحدًا والذى له ولدان نعلم واحدًا منهما فإن مات علمنا أخاه فقال له أبو قير الصباغ اعلم أنى صباغ واعرف أنى أصبغ سائر الألوان ومرادى أن تخدمنى عندك بالأجرة فقال له نحن لا نقبل غريبًا يدخل فى صنعتنا أبدًا فتركه وتوجه إلى الثانى فقال له كما قال الأول ولم يزل ينتقل من صباغ إلى صباغ حتى طاف على الأربعين معلمًا فلم يقبلوه لا أجيرًا ولا معلمًا فتوجه إلى شيخ الصباغين وأخبره فقال له إننا لا نقبل غريبًا يدخل فى صنعتنا فحصل عند أبى قير غيظ عظيم وطلع يشكو إلى ملك تلك المدينة وقال له يا ملك الزمان أنا غريب وصنعتى الصباغة وجرى لى مع الصباغين ما هو كذا وكذا وأنا أصبغ الأحمر ألوانًا مختلفة كوردى وعنابى والأخضر ألوانًا مختلفة وصار يذكر له سائر الألوان ثم قال يا ملك الزمان كل الصباغين الذى فى مدينتك لا يخرج من أيديهم أن يصبغوا شيئًا من هذه الألوان ولا يعرفون الأصبغ الأزرق ولم يقبلونى أن أكون عندهم معلمًا ولا أجيرًا فقال له الملك صدقت فى ذلك ولكن أنا أفتح لك مصبغة وأعطيك رأس مال وما عليك منهم وكل من تعرض لك شنقته على باب دكانه ثم أمر البنائين وقال لهم امضوا مع هذا المعلم وشقوا أنتم وإياه فى المدينة وأى مكان عجبه فأخرجوا صاحبه منه سواء كان دكانًا أو خانًا أو غير ذلك وابنوا له مصبغة على مراده ثم إن الملك ألبسه بدلة مليحة وأعطاه ألف دينار وقال له أصرفها على نفسك حتى تتم البناية وأعطاه مملوكين من أجل الخدمة وحصانًا بعدة مزركشة فلبس البدلة وركب الحصان وصار كأنه



أمير وأخلى له الملك بيتاً وأمر بفرشه ففرشوه له . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٢٩)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أخلى بيتاً لأبى قير وأمر بفرسه ففرشوه له وسكن فيه وركب فى ثانى يوم وشق فى المدينة والمهندسون قدامه ولم يزل يتأمل حتى أعجبه مكان فقال هذا المكان طيب فأخرجوا صاحبه منه وأحضروه إلى الملك فأعطاه ثمن مكانه على ما يرضيه ودارت فيه البناية وصار أبو قير يقول للبنائين ابنوا كذا وكذا وافعلوا كذا وكذا حتى بنوا له مصبغة ليس لها نظير ثم حضر إلى الملك وأخبره بأن المصبغة ثم بناؤها وإنما يحتاج لثمن الصباغ من أجل إدارتها فقال له الملك خذ الأربعة آلاف دينار واجعلها رأس مال وأرنى ثمرة مصبغتك فأخذها ومضى إلى السوق فرأى النيلة كثيرة وليس لها ثمن فاشترى جميع ما يحتاج إليه من حوائج الصباغة ثم إن الملك أرسل إليه خمسمائة شقة من القماش فدور الصبغ فيها وصبغها من سائر الألوان ثم نشرها قدام باب المصبغة فلما مر الناس عليها رأوا شيئًا عجيبًا عمرهم ما رأوا مثله فازدحمت الخلائق على باب المصبغة وصاروا يتفرجون ويسألونه ويقولون له يا معلم ما اسم هذه الألوان فيقول لهم هذا أحمر وهذا أصفر وهذا أخضر ويذكر لهم أسامى الألوان فصاروا يأتونه بشيء من القماش ويقولون له اصبغ لنا مثل هذا وهذا وخذ مثل ما تطلب ولما فرغ من صباغ قماش الملك أخذه وطلع به إلى الديوان فلما رأى الملك ذلك الصباغ فرح به وأنعم عليه أنعامًا زائدًا وصار جميع العسكر يأتون إليه بالقماش ويقولون له اصبغ لنا هكذا فيصبغ لهم على أغراضهم ويرمون عليه بالذهب والفضة ثم إنه شاع ذكره وسمت مصبغته مصبغة السلطان ودخل عليه الخير من كل باب هذا ما كان من أمر أبى قير (وأما) ما كان من أمر أبى صير فإنه لما قفل عليه أبو قير باب الحجرة بعد أن أخذ دراهمه وراح وخلاه وهو مريض غائب عن الوجود فصار مرميًا فى تلك الحجرة والباب مقفول عليه واستمر على ذلك ثلاثة أيام

فانتبه بواب الخان إلى باب الحجرة فرآه مقفولاً ولم ير أحداً من هذين الاثنين إلى المغرب ولم يعلم لهما خبراً فقال فى نفسه لعلهما سافروا ولم يدفعا أجرة الحجرة أوماتا أو ما خبرهما ثم إنه أتى إلى باب الحجرة فرآه مقفولاً وسمع أنين المزين فى داخلها ورأى المفتاح فى الضبة ففتح الباب ودخل فرأى المزين يئن فقال له لا بأس عليك أين رفيقك فقال والله إنى ما أفقت من مرضى إلا فى هذا اليوم وصرت أنادى فما أحد رد على جوابًا بالله عليك يا أخى أن تنظر الكيس تحت رأسى وتأخذ منه خمسة أنصاف وتشترى لى بها شيئًا أقتات به فإنى فى غاية الجوع فمد يده وأخذ الكيس فرآه فارغًا فقال للمزين إن الكيس فارغ ما فيه شيء فعرف أبو صير المزين أن أبا قيرا أخذ ما فيه وهرب فقال له بواب الخان الحمد لله على العافية ثم إن المزين خرج من الخان وشق فى الأسواق فاتت به المقادير إلى السوق الذى فيه مصبغة أبى قير فرأى الأقمشة ملونة بالصباغ منشورة فى باب المصبغة والخلائق مزدحمة يتفرجون عليها فسأل رجلاً من أهل المدينة وقال له ما هذا المكان ومالى أراى الناس مزدحمين فقال له المسئول إن هذه مصبغة السلطان التى انشأها رجل غريب اسمه أبو قير وكلما صبغ ثوبًا اجتمعنا عليه وتفرجنا على صبغه لأن بلادنا ما فيها صباغون يعرفون صبغ هذه الألوان وجرى له مع الصباغين الذين فى البلد ما جرى وأخبره بما جرى بين أبى قير وبين الصباغين وأنه شكاهم إلى السلطان فأخذ بيده وبنى له هذه المصبغة وأعطاه كذا وكذا وأخبره بكل ما جرى ففرح أبو صير وقال فى نفسه الحمد لله الذى فتح عليه وصار معلما والرجل معذور لعله تلهى عنك بالصنعة ونسيك ولكن أنت عملت معه معروفًا وأكرمته وهو بطال فمتى رآك فرح بك وأكرمك فى نظير ما أكرمته ثم إنه تقدم إلى جهة باب المصبغة فرأى أبا قير جالسًا على مرتبة عالية فوق فوقف أبو صير قدامه وهو يظن إذا رآه يفرح به ويسلم عليه ويكرمه ويأخذ بخاطره فلما وقعت العين فى العين قال له أبو قير يا خبيث كم مرة وأنا أقول لك لا تقف فى باب هذا الدولاب هل مرادك أن تفضحنى مع الناس يا حرامى أمسكوه فجرت خلفه العبيد وقبضوا عليه وقام أبو قير على حيلة وأخذ عصا وقال ارموه فرموه فضربه على ظهره مائة ثم قلبوه فضربه على بطنه مائة وقال يا خبيث يا خائن إن نظرتك بعد هذا اليوم واقفًا على باب هذه المصبغة أرسلتك إلى الملك فى الحال فيسلمك إلى



الوالى ليرمى عنقك فقال الحاضرون لأبى قير الصباغ أى شىء عمل هذا الرجل فقال لهم إنه حرامى يسرق أقمشة الناس وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٣٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا قير ضرب أباصير وطرده وقال للناس إن هذا حرامى يسرق أقمشة الناس فصار الناس يشتمونه بعد ذهابه هذا ما كان من أمر أبى قير (وأما) ما كان من أمر أبى صير فإنه رجع إلى الخان وجلس يتفكر فيما فعل به أبو قير ولم يزل جالسًا حتى يرد عليه الضرب ثم خرج وشق فى أسواق المدينة فخطر بباله أن يدخل الحمام فسأل رجل من أهل المدينة وقال له يا أخى من أين طريق الحمام فقال له موضع تغتسل فيه الناس ويزلون ما عليهم من الأوساخ وهو من أطيب طيبات الدنيا فقال له عليك بالبحر قال إنا مرادى الحمام قال له نحن لا نعرف الحمام كيف يكون فإننا كلنا نروح إلى البحر حتى الملك إذا أراد أن يغتسل فإنه يروح إلى البحر فلما علم أبو صير أن المدينة ليس فيها حمامًا وأهلها لا يعرفون الحمام ولا كيفيته فمضى إلى الملك ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه ودعا له وقال له إنا رجل غريب البلاد وصنعتى حمامى فدخلت مدينتك وأردت الذهاب إلى الحمام فما رأيت فيها ولا حمامًا واحدًا والمدينة التى تكون بهذه الصفة الجميلة كيف تكون من غير حمام مع أنه أحسن من نعيم الدنيا فقال له الملك أى شىء يكون الحمام فصار يحكى له أوصافه وقال له لا تكون مدينتك مدينة كاملة إلا إذا كان بها حمام فقال له مرحبًا بك وألبسه بدلة ليس لها نظير وأعطاه حصانًا وعبدين ثم إنعم عليه بأربع جوار ومملوكين وهيأ له دار مفروشة وأكرمه أكثر من الصباغ وأرسل معه البنائين وقال لهم الموضع الذى يعجبه ابنوا له فيه حمامًا فأخذهم وشق فى وسط المدينة حتى أعجبه مكان فأشار لهم إليه فدوروا فيه البناية وصار يرشدهم إلى كيفيته حتى بنوا له حمامًا ليس له نظير ثم طلع إلى الملك وأخبره بفراغ بناء الحمام ونقشه وقال له إنه ليس ناقصا غير الفرش فأعطاه الملك عشرة آلاف دينار فأخذها وفرش الحمام وصف فيه الفوط

على الحبال وصار كل من مر على باب الحمام يشخص له ببصره ويحتار فكره فى نقشه وازدحمت الخلائق وصاروا يتفرجون عليه ويقولون أى شىء هذا فيقول لهم أبو صير حمام فيتعجبون منه ثم إنه سخن الماء ودور الحمام وعمل سلسبيلا فى الفسقية يأخذ عقل كل من رآه من أهل المدينة وطلب من الملك عشرة مماليك دون البلوغ فأعطاه عشرة مماليك مثل الأقمار فصار يكبسهم ويقول لهم افعلوا مع الزباين هكذا ثم أطلق البخور وأرسل منادى ينادى فى المدينة ويقول يا خلق الله عليكم بالحمام فإنه يسمى حمام السلطان فأقبلت عليه الخلائق وجعل يأمر المماليك أن يغسلوا أجساد الناس وصارت الناس يغسلون فى المغطس ويطلعون وبعد طلوعهم يجلسون فى الليوان والمماليك تكبسهم مثل ما علمهم أبو صير واستمر الناس يدخلون الحمام ويقضون حاجتهم منه ثم يخرجون بلا أجرة مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع عزم الملك على الذهاب إلى الحمام فركب هو وأكابر دولته وتوجهوا إلى الحمام فقلع ودخل فدخل أبو صير وكيس الملك وأخرج من جسده الوسخ مثل الفتايل وصار يريه له ففرح الملك وصار لوضع يده على بدنه صوت من النعومة والنظافة وبعد أن غسل جسده مزج له ماء الورد بماء المغطس فنزل الملك فى المغطس ثم خرج وجسده قد ترطب فحصل له نشاط عمره ما رآه ثم بعد ذلك أجلسه فى الليوان وصار المماليك يكبسونه والمباخر تفوح بالعود والند فقال الملك يا معلم أهذا الحمام قال نعم فقال له وحياة رأسى إن مدينتى ما صارت مدينة إلا بهذا الحمام ثم قال له إنت تأخذ على كل رأس أى شىء أجرة قال أبو صير الذى تأمر به آخذه فأمر له بألف دينار وقال له كل من اغتسل عندك خذ منه ألف دينار فقال العفو يا ملك الزمان أن الناس ليسوا سواء بل فيهم الغنى وفيهم الفقير وإذا أخذت من كل واحد ألف دينار يبطل الحمام فإن الفقير لا يقدر على ألف دينار قال الملك وكيف تفعل فى الأجرة قال أجعل الأجرة بالمروءة فكل من يقدر على شىء سمحت به نفسه يعطيه فنأخذ من كل إنسان على قدر حاله فصدق عليه أكبار الدولة وقالوا له هذا هو الحق يا ملك الزمان أتحسب أن الناس كلهم مثلك أيها الملك العزيز قال الملك إن كلامكم صحيح ولكن هذا رجل غريب فقيراً وإكرامه واجب علينا فإنه عمل فى مدينتنا هذا الحمام الذى عمرنا ما رأينا مثله ولا تزينت مدينتنا وصار لها شأن إلا به فإذا أكرمناه بزيادة

الأجرة ما هو كثير فقالوا نعم نعطيه ذلك ولكن بعد هذا اليوم كل من دخل لا يعطيه إلا ما تسمح به نفسه فقال لا بأس بذلك فجعلت الأكابر تعطيه كل واحد منهم مائة دينار وجارية ومملوكًا وعبدًا وكان عدد الأكابر الذين اغتسلوا مع الملك فى هذا اليوم أربعمائة نفس . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٣١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان عدد الأكابر الذين اغتسلوا مع الملك فى هذا اليوم أربعمائة نفس فصار جملة ما عطوه من الدنانير أربعين ألف دينار ومن المماليك أربعمائة مملوك ومن العبيد أربعمائة عبد ومن الجوارى أربعمائة جارية وناهيك بهذه العطية وأعطاه الملك عشرة آلاف دينار وعشرة مماليك وعشرة جوارى وعشرة عبيد فتقدم أبو صير وقبل الأرض بين أيادى الملك وقال له أيها الملك المعيد صاحب الرأى الرشيد أى مكان يسعنى بهذه المماليك والجوارى والعبيد فضحك الملك وقال والله إنك صدقت فإنهم صاروا عسكر جرار وأنت ليس لك مقدرة عليهم ولكن أتبيعهم لى كل واحد بمائة دينار فقال بعتك إياهم فأرسل الملك إلى الخازندار ليحضر له المال فأحضره وأعطاه ثمن الجميع بالتمام والكمال ثم بعد ذلك أنعم بهم على أصحابهم وقال كل من يعرف عبده أو جاريته أو مملوكه فليأخذه فإنهم هدية منى إليكم فامتثلوا أمر الملك وأخذ كل واحد منهم ما يخصه فقال أبو صير أراحك الله يا ملك الزمان كما ارحتنى من هؤلاء الغيلان الذين لا يقدر أن يشبعهم إلا الله فضحك الملك من كلامه وتصدق عليه ثم أخذ أكابر دولته وذهب من الحمام إلى سرايته وبات تلك الليلة أبو صير وهو يصر الذهب ويضعه فى الأكياس ويختم عليه وكان عنده عشرون عبدًا وعشرون مملوكًا وأربع جوار برسم الخدمة فلما أصبح الصباح فتح الحمام وأرسل منادى ويقول كل من دخل الحمام واغتسل فإنه يعطى ما تسمح به نفسه وما تقتضيه مروءته وقعد أبو صير عند الصندوق وهجمت عليه الزباين وصار كل من طلع يحط الذى يهون عليه فما امسى المساء حتى امتلا الصندوق من خيرات الله تعالى ثم إن الملكة طلبت دخول الحمام فلما بلغ أبا صير ذلك قسم النهار من أجلها قسمين

وجعل من الفجر إلى الظهر قسم الرجال ومن الظهر إلى المغرب قسم النساء ولما أتت الملكة أوقف جارية خلف الصندوق وكان علم أربع جوار البلانة حتى صرن بلانات ماهرات فلما أعجبها ذلك وانشرح صدرها حطت ألف دينار وشاع ذكره فى المدينة وصار كل من دخل يكرمه سواء غنيا أو فقيراً فدخل عليه الخير من كل باب فاتفق أن قبطان الملك لما دخل عليه فقلعة أبوصير ودخل معه وصار يكبسه ويلاطفه ملاطفة زائدة ولما خرج من الحمام عمل له الشراب



(الملكة وهى تعطى الألف دينار إلى الجارية التى قاعدة بجوار الصندوق فى الحمام)



والقهوة فلما أراد أن يعطيه شيئا حلف أنه لا يأخذ منه شيئا فحمل القبطان جميله هذا ما كان من أمر أبى صير (وأما) ما كان من أمر أبى قير فإنه لما سمع جميع الخلائق يلهجون بذكر الحمام وكل منهم يقول إن هذا الحمام نعيم الدنيا بلا شك إن شاء الله يا فلان تدخل بنا غدا هذا الحمام النفيس فقال أبو قير فى نفسه لابد أن أروح مثل الناس وأنظر هذا الحمام الذى أخذ عقول الناس ثم إنه لبس أفخر ما كان عنده من الملابس وركب بغلته وأخذ معه أربع عبيد وأربعة مماليك يمشون خلفه وقدامه وتوجه إلى الحمام ثم إنه نزل فى باب الحمام فلما صار عند الباب شم رائحة العود والندور أى ناسًا داخلين وناسًا خارجين ورأى المساطب ملآنة من الأكابر والأصاغر فدخل الدهليز فرآه أبو صير فقام إليه وفرح به فقال له أبو قير هل هذا شرط أولاد الحلال وأنا فتحت لى مصبغة وبقيت معلم البلد وتعرفت بالملك وصرت فى سعادة وسيادة وأنت لا تأتى عندى ولا تسأل عنى فقال له أبو صير أما جئت إليك وعملتنى لصا وضربتنى وهتكتنى بين الناس فاغتم أبو قير وقال أى شىء هذا الكلام هل هو أنت الذى ضربتك فقال أبو صير نعم هو أنا فحلف له أبو قير ألف يمين أنه ما عرفه وقال إنما كان واحد شبيهك يأتى فى كل يوم ويسرق قماش الناس فظننت أنك هو وصار يتندم ويضرب كفًا على كف ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قد أسأناك فقال له أبو صير سامحك الله يا رفيقى وهذا الشىء كان مقدراً فى الغيب والجبر على الله ادخل اقلع ثيابك واغتسل وانبسط فقال له بالله عليك أن تسامحنى يا أخى فقال له أبرأ الله ذمتك وسامحك فإنه كان أمرًا مقدراً على فى الأزل ثم قال له أبو قير ومن أين لك هذه السيادة فقال له الذى فتح عليك فتح على فإنى طلعت إلى الملك وأخبرته بشأن الحمام فأمر ببنائه فقال له وكما أنك عرفت الملك أنا الآخر عرفته . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٩٣٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا قير لما تعاتب هو وأبا صير قال له كما أنت عرفت الملك أنا الآخر عرفته وإن شاء الله تعالى أنا أخليه يحبك ويكرمك فقال له ما احتاج إلى وصية

فإن المحنن موجود وقد أحبنى الملك وهو وجميع دولته وأعطانى كذا وكذا وأخبره بالخبر ثم قال له اقلع ثيابك خلف الصندوق وادخل الحمام وأنا أدخل معك لأجل إن أكيسك فخلع ما عليه ودخل الحمام ودخل معه أبو صير وكيسه وصبنه وألبسه واشتغل به حتى خرج ثم بعد ذلك أراد أبو قير أن يعطيه شيئًا فحلف أنه لا يأخذ منه شيئًا وقال له استحى من هذا الأمر وأنت رفيقى وليس بيننا فرق ثم إن أبا قير قال لأبى صير يا رفيقى والله إن هذا الحمام عظيم ولكن صنعتك فيه ناقصة فقال له وما نقصها فقال له الدواء الذى هو عقد الزرنيخ والجير الذى يزيل الشعر بسهولة فاعمل هذا الدواء فإذا أتى الملك فقدمه إليه فقال له صدقت إن شاء الله أصنع ذلك ثم إن أبا قير خرج وركب بغلته وذهب إلى الملك ودخل عليه وقال له إنا ناصح لك يا ملك الزمان فقال له وما نصيحتك فقال بلغنى خبرًا وهو حمام عظيم وقد تزينت مدينتى به وصار يذكر له محاسن ذلك الحمام فقال أبو قير وهل دخلته قال نعم قال الحمد لله الذى نجاك من شر هذا الخبيث عدو الدين وهو الحمامى فقال له الملك وما شأنه قال له أبو قير اعلم يا ملك الزمان أن الحمامى عدوك وعدو الدين فإنه ما حملك على إنشاء هذا الحمام إلا لأن مراده أن يدخل عليك فيه السم فإنه صنع لك شيئًا وإذا دخلته يأتيك به ويقول لك هذا دواء كل من دهن به تحته يُرمى الشعر بسهولة وليس هو بدواء بل هو داء عظيم وسم قاتل وإن هذا الخبيث قد وعده سلطان النصارى أنه أن قتلك يفك له زوجته وأولاده من الأسر فإن زوجته وأولاده مأسورين عند سلطان النصارى وكنت مأسورًا معه فى بلادهم حتى إن ملك النصارى عمل ديوانًا فحضرت فى جملة من حضر وكنت واقفًا من جملة الناس فسمعتهم فتحوا مذاكرة الملوك إلى أن ذكروا ملك هذه المدينة فتأوه ملك النصارى وقال ما قهرنى فى الدنيا إلا ملك المدينة الفلانية فكل من تحيل لى على قتله فإنى أعطيه كل ما يتمنى فتقدمت أنا إليه وقلت له إذا تحيلت لك على قتله هل تعتقنى أنا وزوجتى وأولادى فقال لى نعم اعتقكم وأعطيك كل ما تتمنى ثم إنى اتفقت أنا وإياه على ذلك وأرسلنى فى غليون إلى هذه المدينة وطلعت إلى هذا الملك فبنى لى هذا الحمام وما بقى إلا أن أقتله وأروح إلى ملك النصارى وأفدى أولادى وزوجتى فلما سمع الملك هذا الكلام غضب غضبًا شديدًا وقال للصباغ اكتم هذا السر ثم طلب الرواح إلى الحمام

حتى يقطع الشك باليقين فلما دخل الحمام تعرى أبو صير على جرى عادته وتقيد بالملك وكبسه وبعد ذلك قال له يا ملك الزمان إنى عملت دواء لتنظيف الشعر التحتانى فقال له أحضره لى فأحضره بين يديه فرأى رائحته كريهة فصح عنده أنه سم فغضب وصاح على الأعوان وقال أمسكوه ثم إنه لبس وطلع الديوان ثم أحضر أباصير بين يديه وهو مكتف ثم طلب القبطان فحضر فلما حضر القبطان قال له الملك خذ هذا الخبيث وحطه فى زكيبة وحط فى الزكيبة قنطارين جيراً من غير طفء واربط فمها عليه هو والجير ثم ضعها فى الزورق وتعالى تحت قصرى فترانى حالما فى شباكى وقل لى هل أرميه فأقول لك ارميه فإذا قلت لك ذلك فارمه حتى ينطفئ الجير عليه لأجل أن يموت غريقًا حر يقًا فقال سمعًا وطاعة ثم أخذه من قدام الملك إلى جزيرة قبال قصر الملك وقال لأبى صير يا هذا أنا جئت عندك مرة واحدة فى الحمام فأكرمتنى وقمت بواجبى وانبسطت منك كثيراً وحلفت أنك لم تأخذ منى أجرة وأنا قد أحببتك محبة شديدة فأخبرنى ما قضيتك مع الملك وأى شيء صنعت معه من المكاره حتى غضب عليك وأمر أن تموت هذه الموتة الرديئة هذا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٣٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن القبطان لما سأل أبا صير عن سبب غضب الملك عليه قال له والله يا أخى ما عملت معه شيئًا يستوجب هذا فقال له القبطان إنه كان لك عند الملك مقامًا عظيمًا ما ناله أحد قبلك وكل ذى نعمة محسود فلعل أحدًا حسدك على هذه النعمة ورمى فى حقك بعض كلام عند الملك حتى إن الملك غضب عليك هذا الغضب ولكن مرحبًا بك وما عليك من بأس فكما أنك أكرمتنى من غير معرفة بينى وبينك فأنا أخلصك ولكن إذا خلصتك تقيم عندى فى هذه الجزيرة حتى يسافر من هذه المدينة غليون إلى ناحية بلادك فأرسلك معه فقبل أبو صير يد القبطان وشكره على ذلك ثم إنه أحضر الجير ووضعه فى زكيبة

ووضع فيها حجراً كبيراً قدر الرجل وقال توكلت على الله ثم إن القبطان أعطى أبا صير شبكة وقال له ارم هذه الشبكة فى البحر لعلك تصاد شيئًا من السمك لأن مطبخ الملك مرتب على فى كل يوم وقد اشتغلت عن الصيد بهذه المصيبة التى أصابتك فأخاف أن تأتى غلمان الطباخ ليطلبوا السمك فلم يجدوه فإن كنت تصطاد شيئًا فإنهم يجدونه حتى أروح أعمل الحيلة تحت القصر وأجعل أنى رميتك فقال له أبو صير أنا اصطاد وروح أنت والله يعينك فوضع الزكيبة فى الزورق وسارا إلى أن وصل تحت القصر فرأى الملك جالسًا فى الشباك فقال له يا ملك الزمان هل أرميه فقال له ارمه وأشار بيده وإذا بشىء برق ثم سقط فى البحر وإذا بالذى سقط فى البحر خاتم الملك وكان مرصوداً بحيث إذا غضب الملك على أحد وأراد قتله يشير عليه باليد اليمنى التى فيها الخاتم فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذى يشير عليه فتقع رأسه من بين كتفيه (هذا) ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان من أمر أبى صير فإنه بعد ما تركه القبطان أخذ الشبكة وطرحها فى البحر وسحبها فطلعت ملآنة سمكًا ثم طرحها ثانيًا فطلعت ملآنة سمكًا أيضًا ولم يزل يطرحها وهى تطلع ملآنة سمكًا حتى صار قدامه كوم كبير من السمك فقال فى نفسه والله أن لى مدة طويلة ما أكلت من السمك ثم إنه نقى له سمكة كبيرة سمينة وقال لما يأتى القبطان أقول له يقلى هذه السمكة لا تغذى بها ثم إنه ذبحها بسكين كانت معه فعلقت السكين فى نخشوشها فرأى الخاتم ولبسه فى خنصره وهو لا يعلم ما فيه من الخواص وإذا بغلامين من خدام الطباخ أتيا لطلب السمك فلما صارا عند أبى صير قالا يا رجل أين راح القبطان فقال لا أدرى وأشار بيده اليمنى وإذا برأس الغلامين وقعتا من بين أكتافهما حين أشار إليهما وقال لا أدرى فتعجب أبو صير من ذلك وجعل يقول يا هل ترى من قتلهما وصعبا عليه وصار يتفكر فى ذلك وإذا بالقبطان أقبل فرأى كوما كبيراً من السمك ورأى الإثنين مقتولين ورأى الخاتم فى أصبع أبى صير فقال له يا أخى لا تحرك يدك التى فيها الخاتم فإنك إن حركتها قتلتنى فتعجب من قوله لا تحرك يدك التى فيها الخاتم فإن حركتها قتلتنى فلما وصل إليه القبطان قال له من قتل هذين الغلامين قال له أبو صير والله يا أخى لا أدرى قال صدقت ولكن أخبرنى عن هذا الخاتم من أين وصل إليك قال رأيته فى مخشوش هذه السمكة قال صدقت



ولكن هل تعرف خواص هذا الخاتم قال أبو صير لا أدرى له خواصًا فقال له القبطان اعلم أن عسكر ملكنا ما أطاعوه إلا خوفًا من هذا الخاتم لأنه مرصود فإذا غضب الملك على أحد وأراد قتله يشير به عليه فتقع رأسه من بين كتفيه فلما سمع أبو صير هذا الكلام فرح فرحًا شديدًا وقال للقبطان ردنى إلى المدينة فقال له القبطان أردك فإنى ما بقيت أخاف عليك من الملك ثم إنزله فى الزورق وتوجه به إلى المدينة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٣٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن القبطان لما أنزل أبا صير فى الزورق توجه به إلى المدينة فلما وصل إليها طلع إلى قصر الملك ثم دخل الديوان فرأى الملك جالسًا والعسكر بين يديه وهو فى غم عظيم من شأن الخاتم ولم يقدر أن يخبر أحد من العسكر بضياع الخاتم فلما رآه قال أما رميناك فى البحر كيف فعلت حتى خرجت منه فقال له يا ملك الزمان لما أمرت برميى فى البحر أخذنى قبطانك وسار بى إلى جزيرة وسألنى عن سبب غضبك على وقال لى أى شيء صنعت مع الملك حتى أمر بموتك فقلت له والله ما أعلم أنى عملت معه شيئًا قبيحًا فقال لى إن لك مقامًا عظيمًا عند الملك فلعل أحدًا حسدك ورمى فيك كلامًا عند الملك حتى غضب عليك ولكن أنا جئتك فى حمامك وأكرمتنى ففى نظير إكرامك إياى فى حمامك أنا أخلصك وأرسلك إلى بلادك ثم حط فى الزورق حجرًا عوضًا عنى ورماه فى البحر ولكن حيث أشرت له على وقع الخاتم من يدك فى البحر فابتعلته سمكة وكنت أنا فى الجزيرة اصطاد سمكًا فطلعت تلك السمكة فى جملة السمك فأخذتها وأردت أن أشويها فلما فتحت جوفها رأيت الخاتم فيه فأخذته وجعلته فى أصبعى فأتانى اثنان من خدام المطبخ وطلبا السمك فأشرت إليهما وأنا لا أدرى خاصية الخاتم فوقعت رؤسهما ثم أتى القبطان فعرف الخاتم وهو فى أصبعى وأخبرنى برصده فأتيت به إليك ثم خلع الخاتم من أصبعه وناوله للملك فلما رأى الملك ما فعل أبو صير من الإحسان أخذ الخاتم وتختم به فردت له روحه وقام على أقدامه واعتنق أبا صير وقال يا

رجل أنت من خواص أولاد الحلال فلا تؤاخذنى وسامحنى فافعل يا ملك الزمان إذ أردت أن أسامحك فعرفنى بذنبى الذى أوجب غضبك على حتى أمرت بقتلى فقال له والله إنه ثبت عندى أنك برئ وليس لك ذنب فى شىء حيث فعلت هذا الجميل وإنما الصباغ قال لى كذا وكذا وأخبره بما قاله الصباغ فقال له أبو صير والله يا ملك الزمان أنا لا أعرف ملك النصارى ولا عمرى رحت بلاد النصارى ولا خطر ببالى أنى أقتلك ولكن هذا الصباغ كان رفيقى وجارى فى مدينة إسكندرية وضاق بنا العيش هناك فخرجنا منها لضيق المعاش وقرأنا مع بعضنا الفاتحة على أن العمال يطعم البطال وجرى لى معه كذا وكذا وأخبره بجميع ما جرى له مع أبى قير الصباغ وكيف أخذ دراهمه وتركه ضعيفًا فى الحجرة التى فى الخان وإن بواب الخان كان ينفق عليه وهو مريض حتى شفانى الله وأرسل يا ملك الزمان هات بواب الخان الفلانى وصنايعية المصبغة فلما حضر الجميع سألهم فأخبروه بالواقع فأرسل إلى الصباغ وقال هاتوه حافيًا مكشوف الرأس مكتفًا وكان الصباغ جالسًا فى بيته مسرورًا بقتل أبى صير فلم يشعر إلا وأعوان الملك هجموا عليه وأوقعوا الضرب فى قفاه ثم كتفوه وحضروا به قدام الملك فرأى أبا صير جالسًا جنب الملك وبواب الخان وصنايعية المصبغة واقفين أمامه فقال بواب الخان أما هذا كان رفيقك الذى سرقت دراهمه وقال صنائعية المصبغة أما هذا الذى أمرتنا بالقبض عليه وضربناه فتبين للملك قباحة أبى قير . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٣٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع كلام بواب الخان وصنائعية المصبغة تحقق أن أبى قير عنده خبث فأقام عليه النكير وقال لأعوانه خذوه وجرسوه فى المدينة وحطوه فى زكيبة وارموه فى البحر فقال أبو صير يا ملك الزمان شفعنى فيه فإنى سامحته من جميع ما فعل بى فقال الملك أن كنت سامحته فى حقك فأنا لا يمكن أن أسامحه فى حقى ثم صاح وقال خذوه فأخذوه وجرسوه وبعد ذلك وضعوه فى زكيبة ووضعوا معه الجير ورموه فى البحر



فمات غريقًا حريقًا وقال الملك يا أبا صير تمن على تعط فقال له تمنيت عليك أن ترسلنى إلى بلادى فإنى ما بقى لى رغبة فى القعود هاهنا فأعطاه شيئًا كثيرًا زيادة على ما له ونواله ومواهبه ثم إنه أنعم عليه بغليون مشحون بالخيرات ومازال سائرًا حتى وصل إلى أرض إسكندرية وخرجوا إلى البر فرأى مملوكًا من مماليكه معه زكيبة فى جانب البر فقال يا سيدى إن فى جنب شاطئ البحر زكيبة ثقيلة وفمها مربوط ولا أدرى ما فيها فأتى أبو صير وفتحها فرأى فيها أبا قير قد دفعه البحر إلى جهة إسكندرية فأخرجه ودفنه بالقرب من إسكندرية وعمل له مزارًا وأوقف عليه أوقافًا ثم إن أباصير أقام مدة وتوفاه الله فدفنوه بجوار قبر رفيقه أبى قير ومن أجل ذلك سمى هذا المكان بأبى قير وأبى صير واشتهر الآن بأنه أبو قير وهذا ما بلغنا من حكايتهما فسبحان الباقى على الدوام وبإرادته تصرف الليالى والأيام .

﴿حكاية عبد الله البرى مع عبد الله البحرى﴾

(ومما يحكى أيضًا) أنه كان رجل صياد اسمه عبد الله وكان كثير العيال وله تسعة أولاد وأمهم وكان فقيرًا جدًا لا يملك إلا الشبكة وكان يروح كل يوم إلى البحر ليصطاد فإذا اصطاد قليلاً يبيعه وينفقه على أولاده قدر مارزقه الله وإن اصطاد كثيرًا يطبخ طبخة طيبة ويأخذ فاكهة ولايزل يصرف حتى لا يبق معه شيء ويقول فى نفسه رزق غد يأتى فى غد فلما وضعت زوجته صاروا عشرة أشخاص وكان الرجل فى ذلك اليوم لا يملك شيئًا أبدًا فقالت زوجته يا سيدى انظر لى شيئا أتقوت به فقال لها ها أنا سارح على بركة الله تعالى إلى البحر فى هذا اليوم على بخت هذا المولود الجديد حتى ننظر سعده فقالت له توكل على الله فأخذ الشبكة وتوجه إلى البحر ثم إنه رمى الشبكة على بخت ذلك الطفل الصغير وقال اللهم اجعل رزقه يسيرًا غير عسير وكثير غير قليل وصبر عليها مدة ثم سحبها فخرجت ممتلئة عفشًا وحشيشًا ولم ير فيها شيئًا من السمك لا كثيرًا ولا قليل فرماها ثانى مرة وصبر عليها ثم سحبها فلم ير فيها سمكا فرمى ثالثًا ورابعًا وخامسًا فلم يطلع فيها سمك ولم يزل على هذه الحالة إلى آخر النهار فلم يصطاد ولا صيدة فتعجب فى نفسه وقال هل هذا المولود خلقه الله تعالى من غير رزق فهذا

لا يكون أبداً لأن الذى شق الأشداق تكفل لها بالأرزاق فالله تعالى كريم رزاق ثم إنه حمل الشبكة ورجع مكسور الخاطر وقلبه مشغول بعياله وما زال يمشى وهو يقول فى نفسه كيف العمل وماذا أقول للأولاد فى هذه الليلة ثم إنه وصل إلى فرن خباز فوقف ينظر ويشم رائحة العيش السخن فصارت نفسه تشتهيه من الجوع فنظر إليه الخباز وصاح عليه وقال تعالى يا صياد فتقدم إليه فقال له أتريد عيشا فسكت فقال له تكلم ولا تستح فالله كريم فقال له والله يا معلم أنا ما معى دراهم ولكن أعطنى عيشا كفاية عيالى وارهن عندك هذه الشبكة إلى غد فقال له يا مسكين إن هذه الشبكة دكانك وباب رزقك فإذا رهنتها بأى شىء تصطاد فأخبرنى بالقدر الذى يكفيك قال بعشرة أنصاف فضة فأعطاه خبزاً بعشرة أنصاف ثم أعطاه عشرة أنصاف فضة وقال له فى غدهات لى بها سمكاً وإن لم يحصل لك شىء تعالى خذ عيشك وعشرة أنصاف وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٩٣٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخباز قال للصياد خذ ما تحتاج إليه وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وبعد تلك هات لى بما استحقه عندك سمكاً فقال له أجارك الله تعالى وجزاك عنى كل خير ثم أخذ العيش والعشرة أنصاف فضة وراح مسروراً واشترى له ما تيسر ودخل على زوجته فرآها قاعدة تأخذ بخاطر الأولاد وهم يبكون من الجوع وتقول لهم فى هذا الوقت يأتى أبوكم بما تأكلونه فلما دخل عليهم حط لهم العيش فأكلوا وأخبر زوجته بما حصل له فقالت له الله كريم وفى ثانى يوم حمل شبكته وخرج من داره وهو يقول سألتك يا رب أن ترزقنى فى هذا اليوم بما يبيض وجهى مع الخباز فلما وصل إلى البحر صار يطرح الشبكة فلا يخرج فيها سمك ولم يزل كذلك إلى آخر النهار فلم يحصل شىء فرجع وهو فى غم عظيم وكان طريق بيته على فرن الخباز فقال فى نفسه من أين أروح إلى دارى ولكن أسرع خطاى حتى لا يرانى الخباز فلما وصل إلى فرن الخباز رأى زحمة فأسرع فى المشىء من حيائه من الخباز حتى لا يراه وإذا بالخباز وقع بصره عليه فصاح وقال له يا صياد تعال خذ عيشك



ومصروفك فإنك نسيت قال لا والله ما نسيت وإنما استحيت منك فإني لم أصطد سمكًا في هذا اليوم فقال له لا تستح أما قلت لك على مهلك حتى يأتيك الخير ثم أعطاه العيش والعشرة أنصاف وراح إلى زوجته وأخبرها بالخبر فقالت له الحمد لله الذى عطف قلبه عليك فيعطيك القوت وأي شيء تكره من هذا قال بقي له على قدر عظيم من الدراهم ولابد أنه يطلب حقه فقالت له زوجته هل آذاك بكلام قال لا ولا يرض يحاسبني ويقول لي حتى يأتيك الخير قالت فإذا طالبك قل له حتى يأتي الخير الذى ترجيه أنا وأنت فقال لها متى يجيء الخير الذى نرجيه قالت الله كريم قال صدقت ثم حمل شبكته وتوجه إلى البحر وهو يقول يا رب ارزقني ولو بسمكة واحدة حتى أهديها إلى الخباز ثم إنه رمى الشبكة في البحر وسحبها فوجدها ثقيلة فما زال يعالج فيها حتى تعب تعبًا شديدًا فلما أخرجها وجد فيها حمارًا ميتًا منفوخًا ورائحته كريحة فسئمت نفسه ثم خلصه من الشبكة وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قد عجزت وأنا أقول لهذه المرأة ما بقي لي رزق في البحر دعيني أترك هذه الصنعة وهي تقول الله كريم سيأتيك الخير فهل هذا الحمار الميت هو الخير ثم إنه حصل له غم شديد وتوجه إلى مكان آخر ليبعد عن رائحة الحمار وأخذ الشبكة ورماها وصبر عليها ساعة زمانية ثم جذبها فرآها ثقيلة فلم يزل يعالج فيها حتى خرج الدم من كفيه فلما أخرج الشبكة رأى فيها آدميًا فظن أنه عفريت فهرب منه وصار يقول الأمان يا عفريت سليمان فصاح عليه الآدمي من داخل الشبكة وقال تعالى يا صياد لا تهرب مني فإني آدمي مثلك فقال له أما أنت عفريت من الجن قال لا إنما أنا إنسي مؤمن بالله ورسوله قال له ومن رماك في البحر قال له إنا من أولاد البحر كنت دائرًا فرميت على الشبكة ونحن أقوام مطيعون لأحكام الله ونشفق على خلق الله تعالى ولولا أني أخاف وأخشى أن أكون من العاصين لقطعت شبكتك ولكن رضيت بما قدر الله على وأنت إذا خلصتني تصير مالكًا لي وأنا أصير أسيرك فهل لك أن تعتقني ابتغاء وجه الله تعالى وتعاهدني وتبقى صاحبي أجيئك كل يوم في هذا المكان وأنت تأتيني وتجيء لي معك بهدية من ثمار البر فإن عندكم عنبًا وتينًا وبطيخًا وخوخًا ورمانًا وغير ذلك وكل شيء تجيء به إلى مقبول منك ونحن عندنا مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وجواهر فأنا أملأ لك المشنة التي تجيء لي فيها

بالفاكهة معادن من جواهر البحر فما تقول يا أخى فى هذا الكلام قال له الصياد الفاتحة بينى وبينك على هذا الكلام فقرأ كل منهما الفاتحة وخلصه من الشبكة ثم قال له الصياد ما اسمك قال اسمى عبد الله البحرى فإذا أتيت إلى هذا المكان ولم ترنى فنادى وقل أين أنت يا عبد الله يا بحرى أكون عندك فى الحال . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٩٣٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله البحرى قال له إذا أتيت إلى هذا المكان ولم ترنى فنادى وقل أين أنت يا عبد الله يا بحرى فأكون عندك فى الحال وأنت ما اسمك فقال الصياد اسمى عبد الله قال إنت عبد الله البرى وأنا عبد الله البحرى فقف هنا حتى أروح وآتيك بهدية فقال له سمعًا وطاعة فراح عبد الله البحرى فى البحر فعند ذلك ندم عبد الله البرى على كونه خلصه من الشبكة وقال فى نفسه من أين أعرف أنه يرجع إلى فصار يتندم ويقول لنفسه راح صيدك من يدك فبينما هو يتأسف على خلاصه من يده وإذا بعبدالله البحرى رجع إليه ويداه مملوءتان لؤلؤًا ومرجانًا وزمردًا وياقوتًا وجواهر وقال له خذ يا أخى ولا تؤاخذنى فإنه ما عندى مشنة كنت أملؤها لك فعند ذلك فرح عبد الله البرى وأخذ منه الجواهر وقال له كل يوم تأتى إلى هذا المكان قبل طلوع الشمس ثم ودعه وانصرف ودخل البحر وأما الصياد فإنه دخل المدينة وهو فرحان ولم يزل ماشيًا حتى وصل إلى فرن الخباز فقال له يا صاحبى قد أتانى الخير من فيض الله وقد بقى لك عندى جملة كثيرة ولكن خذ هذا وكبش له كبشة من لؤلؤ ومرجان وياقوت وجواهر وقال له أعطنى شيئًا من المعاملة أصرفه فى هذا اليوم حتى أبيع هذه المعادن فأعطاه كل ما كان تحت يده من الدراهم وقال للصياد أنا عبدك وخدامك وحمل جميع العيش الذى عنده على رأسه ومشى خلفه إلى البيت فأعطى العيش لزوجته وأولاده ثم راح إلى السوق وجاء باللحم والخضار وسائر أصناف الفاكهة وترك الفرن وأقام طول ذلك اليوم وهو يعاطى خدمة عبد الله البرى ويقضى له مصالحه فقال له الصياد يا أخى أتعبت نفسك قال له الخباز هذا واجب لأنى صرت خدامك وإحسانك قد غمرنى فقال له إنت صاحب الإحسان

على فى الضيق والغلاء وبات معه تلك الليلة ثم إن الخباز صار صديقًا للصياد أخبر زوجته بواقعته مع عبد الله البحرى ففرحت وقالت له اكتم سرك لئلا تتسلط عليك الحكام فقال لها إن كتمت سرى عن جميع الناس فلا أكتمه عن الخباز ثم إنه أصبح فى ثانى يوم وكان قد ملأ مشنة فاكهة من سائر الأصناف فى وقت المساء ثم حملها قبل الشمس وتوجه إلى البحر وحطها على جنب الشاطئ وقال أين أنت يا عبد الله يا بحرى وإذا به يقول له لبيك وخرج إليه فقدم له الفاكهة فحملها ونزل بها وغطس فى البحر وغاب ساعة زمانية ثم خرج ومعه المشنة ملآنة من جميع أصناف المعادن والجواهر فحملها عبد الله البرى على رأسه وذهب بها فلما وصل إلى فرن الخباز قال له يا سيدى قد خبزت لك أربعين كف شريك وأرسلتها إلى بيتك وها أنا أخبز العيش الخاص فمتى خلص أوصله إلى البيت وأروح أجىء لك الخضار واللحم فكبش له من المشنة ثلاث كبشات وأعطاه إياها وتوجه إلى البيت وحط المشنة وأخذ من كل صنف من أصناف الجواهر جوهرة نفيسة ثم ذهب إلى سوق الجواهر ووقف على دكان شيخ السوق وقال اشتر منى هذه الجواهر فقال له أرنى إياها فأراه فقال له عندك غير هذا قال عندى مشنة ممتلئة قال له أين بيتك قال فى الحارة الفلانية فأخذ منه الجواهر وقال لاتباعه أمسكوه فإنه هو الحرامى الذى سرق مصالح الملكة زوجة السلطان ثم أمرهم أن يضربوه فضربوه وكتفوه وقام الشيخ هو وجميع أهل سوق الجواهر وصاروا يقولون مسكنًا الحرامى كل ذلك وهو ساكت ولم يرد على أحد منهم جوابًا ولم يبدأ له خطابًا حتى أوقفوه قدام الملك قال الشيخ يا ملك الزمان لما سرق عقد الملكة أرسلت أعلمتنا وطلبت منا وقوع الغريم فاجتهدت أنا من دون الناس وأوقعت لك الغريم وها هو بين يديك وهذه الجواهر خلصناها من يده فقال الملك للطواشى خذ هذه المعادن أورها للملكة وقل لها هل هذا متاعك الذى ضاع من عندك فأخذها الطواشى ودخل بها قدام الملكة فلما رأتها تعجبت منها وأرسلت تقول للملك أنى رأيت عقدى فى مكانى وهذا ما هو متاعى ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدى . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٩٣٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زوجة الملك أرسلت تقول له هذا ما هو متاعى ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدى فلم تظلم الرجل وإن كان يبيعها فاشترها منه لبنتك أم السعود لتضعها لها فى عقد فلما رجع الطواشى وأخبر الملك بما قالته الملكة لعن شيخ الجواهر جية هو وجماعته لعنة عادو ثمود فقالوا يا ملك الزمان إنا كنا نعرف أن هذا الرجل صياد فقير فاستكثرنا ذلك عليه وقد ظننا أنه سرقها فقال يا قبحاء أتستكثرون النعمة على مؤمن فلأى شىء لم تسألوه ربما رزقه الله بها من حيث لا يحتسب فكيف تجعلونه حراميا وتفضحونه بين العالم أخرجوا لا بارك الله فيكم فخرجوا وهم خائفون هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه قال له يا رجل بارك الله لك فيما أنعم به عليك وعليك الأمان ولكن أخبرنى بالصحيح من أين هذه الجواهر فإنى ملك ولا توجد عندى مثلها فقال يا ملك الزمن أنا عندى مشنة ممتلئة منها وهو أن الأمر كذا وكذا وأخبره بصحبته لعبد الله البحرى فقال له يا رجل هذا نصيبك ولكن المال يحتاج إلى الجاه فأنا أدفع عنك تسلط الناس عليك فى هذه الأيام ولكن ربما عزلت ومت وتولى غيرى فإنه يقتلك من أجل حب الدنيا والطمع فمرادى أن أزوجك ابنتى وأجعلك وزيرى وأوصى لك بالملك من بعدى حتى لا يطمع فيك أحد بعد موتى ثم إن الملك قال خذوا هذا الرجل وأدخلوه الحمام فأخذوه وغسلوا جسده وألبسوه ثيابًا من ثياب الملوك وأخرجوه قدام الملك فجعله وزيراً له وأرسل السعاة وأصحاب النوبة وجميع نساء الأكابر إلى بيته فألبسوا زوجته ملابس نساء الملوك هى وأولادها وأركبوها فى تختروان ومشت قدامها جميع نساء الأكابر والعساكر والسعادة وأصحاب النوبة وأتوا بها إلى بيت الملك والطفل الصغير فى حضنها وأدخلوا أولادها الكبار على الملك فأكرمهم وإما الملكة فإنها أكرمت زوجة عبد الله البرى وأنعمت عليها وجعلتها وزيرة عندها وأمر الملك بكتاب عبد الله البرى على ابنته وجعل مهرها جميع ما عنده من الجواهر والمعادن وفتحوا باب الفرح وأمر الملك أن ينادى بزينة المدينة من أجل فرح ابنته وفى اليوم الثانى بعد أن دخل على بنت الملك وأزال بكارتها طل الملك من

الشباك فرأى عبد الله حاملاً على رأسه مشنة ممتلئة فاكهة فقال له ما هذا الذى معك يا نسيبى وإلى أين تذهب فقال إلى صاحبى عبد الله البحرى فقال له يا نسيبى ما هذا وقت الرواح إلى صاحبك فقال أخاف أن أخلف معه الميعاد فيعدنى كذابًا ويقول لى إن الدنيا ألهتك عنى قال صدقت رح إلى صاحبك ثم راح واجتمع بعبدالله البحرى وأعطاه الفاكهة وأبدلها له بالجواهر ولم يزل على هذه الحالة وفى كل يوم يمر على فرن الخباز فيراه مقفولاً فسأل جاره وقال يا أخى أين جارك الخباز فما فعل الله به قال له يا سيدى إنه مريض لا يخرج من بيته قال أين بيته قال فى الحارة الفلانية فعمد إليه وسأل عنه فلما طرق الباب طل الخباز من الطاقة فرأى صاحبه الصياد وعلى رأسه مشنة ممتلئة فنزل إليه وفتح له الباب ورمى روحه عليه وعانقه وقال له كيف حالك يا صاحبى فإن كل يوم أمر على الفرن فأراه مقفولاً ثم سألت جارك فأخبرنى بأنك مريض فسألت على البيت لأجل أن أراك فقال الخباز جزاك الله عنى كل خير فليس بى مرض وإنما بلغنى أن الملك أخذك لأن بعض الناس كذب عليه وادعى أنك حرامى فخفت أنا وقفلت الفرن واختفيت قال صدقت ثم إنه أخبره بقضيته وما وقع له مع الملك وشيخ سوق الجواهر وقال له إن الملك قد زوجنى ابنته وجعلنى وزيره فلا تخف ثم خرج من عنده بعد أن أذهب عنه الخوف وراح إلى الملك بالمشنة فارغة فقال له يا نسيبى كأنك ما اجتمعت برفيقك عبد الله البحرى فى هذا اليوم فقال رحت له والذى أعطاه لى أعطيته إلى صاحبى الخباز فإن له على جميلاً قال من يكون هذا الخباز قال إنه رجل صاحب معروف وجرى لى معه فى أيام الفقر ما هو كذا وكذا ولم يهملنى يومًا ولا كسر خاطرى قال الملك ما اسمه قال اسمه عبد الله الخباز وأنا اسمى عبد الله البرى وصاحبى اسمه عبدالله البحرى قال الملك وأنا اسمى عبدالله وعبيدالله كلهم إخوان فأرسل إلى صاحبك الخباز هاته لتجعله وزير ميسرة فأرسل إليه فلما حضر بين يدى الملك ألبسه بدلة وجعله وزير الميسرة وجعل عبدالله البرى وزير الميمنة . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٣٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك جعل عبد الله البرى نسيبه وزير الميمنة وعبد الله الخباز وزير الميسرة واستمر عبدالله على تلك الحالة سنة كاملة وهو فى كل يوم يأخذ المشنة ممتلئة فاكهة ويرجع بها ممتلئة جواهر ومعادن فاتفق يومًا من الأيام أنه أخذ المشنة ممتلئة نقلاً على عادته فأخذها منه وجلس عبدالله البرى على الشاطئ وجلس عبد الله البحرى فى الماء قرب الشاطئ وصارا يتحدثان مع بعضهما فقال البحرى يا أخى إنهم يقولون فى أن النبى ﷺ مدفون عندكم فى البر فهل تعرف قبره قال نعم قال له فى أى مكان هو قال فى مدينة يقال لها مدينة طيبة قال وهل تزوره الناس أهل البر قال نعم قال هنيئًا لكم يا أهل البر بزيارة هذا النبى الكريم الرءوف الرحيم الذى من زاره استوجب شفاعته وهل أنت زرته يا أخى قال لا لأنى كنت فقير أولاً أجد ما أنفقه فى الطريق وما استغنيت الأمن حين عرفتك وتصدقت على بهذا الخير ولكن قد وجبت على زيارته بعد أن أحج بيت الله الحرام وما منعنى من ذلك إلا محبتك فإنى لا أقدر أن أفارقك يومًا واحداً فقال وهل تقدم محبتى على زيارة قبر سيدنا محمد ﷺ الذى يشفع فيك يوم العرض على الله وينجيك من النار وتدخل الجنة بشفاعته وهل من أجل حب الدنيا تترك زيارة قبر نبيك محمد ﷺ فقال لا والله إن زيارته عندى مقدمة على كل شىء ولكن أريد منك أجازة أن أزوره فى هذا العام قال أعطيك الأجازة بزيارته وإذا وقفت على قبره فاقرئه منى السلام وعندى أمانة فأدخل معى البحر حتى آخذك إلى مدينتى وأدخلك بيتى وأضيفك وأعطيك الأمانة لتضعها على قبر النبى ﷺ وقل له يا رسول الله أن عبد الله البحرى يقرئك السلام وقد أهدى إليك هذه الهدية وهو يرجوا منك الشفاعة من النار فقال له عبدالله البرى يا أخى أنت خلقت من الماء ومسكنك الماء وهو لا يضرك فهل إذا خرجت منه إلى البر يحصل لك ضرر قال نعم ينشف بدنى وتهب على نسمات البر فأموت قال له وأنا كذلك خلقت فى البر ومسكنى البر فإذا دخلت البحر يدخل الماء فى جوفى فيخنقنى فأموت قال لا تخف من ذلك فإنى آتيك بدهن تدهن به جسمك فلا يضرك الماء قال إذا كان الأمر كذلك فلا بأس



هات لى الدهان حتى أجربه قال وهو كذلك وغاب قليلاً ثم رجع ومعه شحم مثل شحم البقر لونه أصفر كلون الذهب ورائحته ذكية فقال له عبد الله البرى ما هذا يا أخى فقال له شحم كبد صنف من أصناف السمك يقال له الدندان وهو أعظم أصناف السمك خلقة وهو أشد أعدائنا علينا وصورته أكبر صورة توجد عندكم من دواب البر ولو رأى الجمل أو الفيل لابتلعه فقال له يا أخى وما يأكل هذا المشئوم فقال يأكل من دواب البحر أما سمعت أنه يقال فى المثل مثل سمك البحر القوى يأكل الضعيف قال صدقت ولكن هل عندكم من هذا الدندان فى البحر كثير قال عندنا شىء لا يحصيه إلا الله تعالى قال عبد الله البرى إنى أخاف إذا نزلت معك أن يصادفنى هذا النوع فيأكلنى قال عبد الله البحرى لا تخف فأى مكان كان فيه ابن آدم إذا كان فيه مائة أو مائتان أو ألف أو أكثر من هذا النوع وسمعوا صيحة ابن آدم فإن الجميع يموتون لوقتهم من صيحته مرة واحدة . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٩٤٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عبدالله البحرى قال لعبد الله البرى وإذا سمع ألف من هذا النوع أو أكثر من بنى آدم صيحة واحدة يموتون لوقتهم ولا يقدر أحد منهم أن ينتقل من مكانه فقال عبد الله البرى توكلت على الله ثم قلع ما كان عليه من الملبوس وحفر فى شاطىء البحر ودفن ثيابه وبعد ذلك دهن جسمه من فوقه إلى قدمه بهذا الدهن ثم نزل فى الماء وغطس وفتح عينه فلم يضره الماء فمشى يميناً وشمالاً ثم إنه جعل إن شاء يعلو وإن شاء ينزل إلى القرار ورأى ماء البحر مخيماً عليه مثل الخيمة ولا يضره ومازال يتفرج على عجائب البحر حتى وصل إلى جبل عال فمشى عبد الله البرى بجانب ذلك الجبل فلم يشعر إلا وصيحة عظيمة فالتفت فرأى شيئاً أسود منحدراً عليه من ذلك الجبل وهو قدر الجمل أو أكبر وصار يصيح فقال ما هذا يا أخى قال له البحرى هذا الدندان فإنه نازل فى طلبى مراده إن يأكلنى فصيح عليه يا أخى قبل أن يصل إلينا فيخطفنى ويأكلنى فصاح عليه عبد الله البرى فوقع ميتاً قال سبحان الله

وبحمده أنا لا ضربته بسيف ولا بسكين كيف هذه العظمة التى فيها هذا المخلوق ولم يحمل صيحتى بل مات فقال البحرى لا تعجب فوالله يا أخى لو كان من هذا النوع ألف أو ألفان لم يحملوا صيحة ابن آدم ثم مشيًا إلى مدينة فرأيا أهلها جميعًا بنات وليس فيهن ذكور فنظر إلى هذه البنات فرأى لهن وجوهًا مثل الأقمار وشعوراً مثل شعور النساء ولكن لهن أياد وأرجل فى بطونهن ولهن أذناب مثل أذناب السمك ثم إنه فرجه على أهل تلك المدينة وخرج به ومشى قدامه إلى مدينة أخرى فرآها ممتلئة خلائق أناثًا وذكوراً صورتهم مثل صورة البنات ولهم أذناب ولكن ليس عندهم بيع ولا شراء مثل أهل البر وليسوا لابسين بل الكل عرايا مكشوفون العورة فقال له يا أخى إنى أرى الإناث والذكور مكشوفون العورة فقال له إن أهل البحر لا قماش عندهم فقال له يا أخى كيف يصنعون إذًا تزوجوا فقال له هم لا يتزوجون بل كل من أعجبته أنثى يقضى مراده منها قال له إن هذا شىء حرام ولأى شىء لم يخطبها ويمهرها ويقيم لها فرحًا ويتزوجها بما يرضى الله ورسوله فاں ليس كلنا ملة واحدة فإن فينا مسلمين موحدين بالله وفينا نصارى ويهود وغير ذلك والذى يتزوج خصوص المسلمين فقال إنتم عزيانون وما عندكم بيع ولا شراء فأى شىء يكون مهر نسائكم هل تعطونهن جواهر ومعادن قال له إن الجواهر أحجار ليس لها عندنا قيمة وإنما الذى يريد أن يتزوج يجعلون شيئًا معلومًا من أصناف السمك يصطاده قدر ألف أو ألفين أو أكثر أو أقل بحسب ما يحصل عليه الاتفاق بينه وبين أبى الزوجة فحين يحضر المطلوب يجتمع أهل العريس وأهل العروسة ويأكلون الوليمة ثم يدخلونه على زوجته وبعد ذلك يصطاد من السمك ويطعمها وإذا عجز تصطاد هى وتطعمه ثم إن عبدالله البحرى أخذه إلى مدينة أخرى وهكذا ومازال يفرجه حتى فرجه على ثمانين مدينة وكل مدينة يرى أهلها لا يشبهون أهل غيرها من المدن ثم رجع به إلى مدينته فلما وصل إليها قال هذه مدينتى فرآها مدينة صغيرة عن المدائن التى تفرج عليها ثم دخل المدينة ومعه عبد الله البحرى إلى أن وصل إلى مغارة قال هذا بيتى وكل بيوت هذه المدينة كذلك مغارات كبار وصغار فى الجبال وكذلك جميع مدائن البحر على هذه الصفة فإن كل من أراد أن يصنع له بيتًا



يروح إلى الملك ويقول له مرادى أن أتخذ بيتًا فى المكان الفلانى فيرسل معه الملك طائفة من السمك يسمون النقارين ويجعل كراهم شيئًا معلومًا من السمك ولهم مناقير تفتت الحجر الجلمود فيأتون إلى الجبل الذى أراده صاحب البيت وينقرون فى البيت وصاحب البيت يصطاد لهم من السمك ويلقمهم حتى تتم المغارة فيذهبون وصاحب البيت يسكنه وجميع أهل البحر على هذه الحالة لا يتعاملون مع بعضهم ولا يخدمون بعضهم إلا بالسمك وكلهم سمك ثم قال ادخل فدخل فقال عبدالله البحرى يا بنتى وإذا ببنته أقبلت عليه ولها وجه مدور مثل القمر ولها شعر طويل وردف ثقيل وطرف كحيل وخصر نحيل لكنها عريانة ولها ذنب فلما رأت عبد الله البرى مع أبيها قالت له يا أبى ما هذا الأزعر الذى جئت به معك فقال لها يا بنتى هذا صاحبى البرى الذى كنت أجىء لك من عنده بالفاكهة البرية تعالى سلمى عليه فتقدمت وسلمت عليه بلسان فصيح وكلام بليغ فقال أبوها هاتى زاد لضيفنا الذى حلت علينا بقدومه البركة فجاءت له بسمكتين كبيرتين كل واحدة منهما مثل الخروف فقال له كل فأكل غصبًا عنه من الجوع لأنه سئم من أكل السمك وما عندهم شىء غير السمك فما مضى حصة إلا وامرأة عبدالله البحرى أقبلت وهى جميلة الصورة ومعها ولدان كل واحد فى يده فرخ سمك يقرش فيه كما يقرش الإنسان فى الخيارة فلما رأت عبدالله البرى قالت أى شىء هذا الأزعر وتقدم الولدان وأختهما وأمهم وصاروا ينظرون إلى دبر عبدالله البرى ويقولون أى والله إنه أزعر ويضحكون عليه فقال عبدالله البرى يا أخى هل أنت جئت بى لتجعلنى سخرية لأولادك وزوجتك . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٤١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله البرى قال لعبدالله البحرى يا أخى هل أنت جئت بى لتجعلنى سخرية لأولادك وزوجتك فقال له عبدالله البحرى العفو يا أخى فإن الذى لا ذنب له غير موجود عندنا وإذا وجد من غير ذنب يأخذه السلطان ليضحك عليه

ولكن يا أخى لا تؤاخذ هؤلاء الأولاد الصغار والمرأة فإن عقولهم ناقصة ثم صرخ عبدالله البحرى على عياله وقال لهم اسكتوا فخافوا منه وسكتوا وجعل يأخذ بخاطره فبينما هو يتحدث معه وإذا بعشرة أشخاص كبار شداد غلاظ أقبلوا عليه وقالوا يا عبدالله إنه بلغ الملك أن عندك أزعر من زعر البر قال نعم وهو هذا الرجل فإنه صاحبى أتانى ضيفًا ومرادى أن أرجعه إلى البر قالوا له إننا لا نقدر أن نروح إلا به ثم أخذه ومضى إلى أن وصل إلى الملك فلما رآه ضحك وقال مرحبًا بالأزعر وصار كل من كان حول الملك يضحك عليه ويقول أى والله إنه أزعر فتقدم عبدالله البحرى إلى الملك وأخبره بأحواله وقال له هذا من أولاد البر وصاحبى وهو لا يعيش بيننا لأنه لا يحب أكل السمك إلا مقليًا أو مطبوخًا والمراد أنك تأذن لى فى أن أرده إلى البر فقال له الملك حيث كان الأمر كذلك وأنه لا يعيش عندنا فقد أذنت لك أن ترده إلى مكانه بعد الضيافة فأتوا له بسمك أشكالاً وألوانًا فأكل امتثالاً لأمر الملك ثم قال له الملك تمن على فقال عبدالله البرى أتمنى عليك أن تعطينى جواهر فأخذوه إلى دار الجواهر ودعوه ينقى ما يحتاج إليه فأخذه صاحبه إلى دار الجواهر ونقى على قدر ما أراد ثم رجع إلى مدينته وأخرج له صرة وقال له خذ هذه أمانة وأوصلها إلى قبر النبى ﷺ فأخذها وهو لا يعلم ما فيها ثم خرج معه ليوصله إلى البر فرأى فى طريقه غناءً وفرحًا وسماطًا ممدودًا من السمك والناس يأكلون ويغنون وهم فى فرح عظيم فقال عبدالله البرى لعبد الله البحرى ما لهؤلاء الناس فى فرح عظيم هل عندهم عرس فقال البحرى ليس عندهم عرس وإنما مات عندهم ميت فقال له هل أنتم إذا مات عندكم ميت تفرحون له وتغنون وتأكلون قال نعم وأنتم يا أهل البر ماذا تفعلون قال البرى إذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكى والنساء يلطمن وجوههن ويشققن جيوبهن حزنًا على من مات فحملق عبدالله البحرى عينيه فى عبدالله البرى وقال له هات الأمانة فأعطاها له ثم أخرجه إلى البر وقال له قد قطعت صحبتك وودك فبعد هذا اليوم لا ترانى ولا أراك فقال له لماذا هذا الكلام فقال له أما أنتم يا أهل البر أمانة الله فقال البرى نعم قال فكيف لا يهون عليكم أن الله يأخذ أمانته بل تبكون

عليها فكيف أعطيك أمانة النبى ﷺ وأنتم إذا أتاكم المولود تفرحون به مع أن الله يضع فيه الروح أمانة فإذا أخذها كيف تصعب عليكم وتبكون وتحزنون فما لنا فى رفقتكم حاجة ثم تركه وراح إلى البحر ثم إن عبدالله البرى لبس حوائجه وأخذ جواهره وتوجه إلى الملك فتلقاه باشتياق وفرح به وقال له كيف أنت يا نسيبى وما سبب غيابك عنى هذه المدة فأخبره بقصته وما رآه من العجائب فى البحر فتعجب الملك من ذلك ثم أخبره بما قاله عبدالله البحرى فقال له إنت الذى أخطأت فى إخبارك له بهذا الخبر ثم إنه استمر مدة من الزمان وهو يروح إلى جانب البحر ويصيح على عبد الله البحرى فلم يرد عليه ولم يأت إليه فقطع عبد الله البرى الرجاء منه وأقام هو والملك نسيبه وأهلهما فى أسر حال وحسن أعمال حتى أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات وماتوا جميعًا فسبحان الحى الذى لا يموت .

﴿من نوادر هارون الرشيد مع الشاب العمانى﴾

(وبما يحكى أيضا) أن الخليفة هارون الرشيد أرق ذات ليلة أرقًا شديدًا فاستدعى مسرورًا فحضر فقال له أئتنى بجعفر بسرعة فمضى وأحضره فلما وقف بين يديه قال يا جعفر قد اعترانى فى هذه الليلة أرق فمنع عنى النوم ولا أعلم ما يزيله عنى قال يا أمير المؤمنين قد قالت الحكماء النظر إلى المرآة ودخول الحمام واستعمال الغناء يزيل الهم والفكر فقال يا جعفر إنى قد فعلت هذا كله فلم يزل عنى شيئًا وأنا أقسم بآبائى الطاهرين أن لم تتسبب فيما يزل عنى تلك لأضربن عنقك قال يا أمير المؤمنين هل تفعل ما أشير به عليك قال وما الذى تشير به على قال إن تنزل بنا فى زورق وننحدر به فى بحر الدجلة مع الماء إلى محل يسمى قرن الصراط لعلنا نسمع ما لم نسمع أو ننظر ما لم ننظر فإنه قد قيل تفريج الهم بواحد من ثلاثة أمور أن يرى الإنسان ما لم يكن رآه أو يسمع ما لم يكن سمعه أو يطأ أرضًا ما لم يكن وطئها فلعل تلك يكون سببًا فى زوال القلق عنك يا أمير المؤمنين فعند تلك قام الرشيد من موضعه وصحبته . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٤٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لما قام من موضعه وصحبته جعفر وباقى جماعته دخلوا حجرة الثياب ولبسوا كلهم ملابس التجار وتوجهوا إلى الدجلة ونزلوا فى زورق مزركش بالذهب وانحدروا مع الماء حتى وصلوا إلى الموضع الذى يريدونه فسمعوا صوت جارية تغنى على العود وتنشد هذه الأبيات :

أقول وقد حضر العقار	وقد غنى على الأيك الهزار
إلى كم ذا التأنى عن سرور	أفق ما العمر إلا مستعار
فخذها من يدى ظبى غرير	بجفنيه فتور وانكسار
يقول لى العزول تسل عنه	فما عذرى وقد تم العذار

فلما سمع الخليفة هذا الصوت قال يا جعفر ما أحسن هذا الصوت قال جعفر يا مولانا ما طرق سمعى أطيب ولا أحسن من هذا الغناء ولكن يا سيدى إن السماع من وراء جدار نصف سماع فكيف بالسماع من خلف ستر فقال انهض بنا يا جعفر حتى نتطفل على صاحب هذه الدار لعلنا نرى المغنية عيانا قال جعفر سمعا وطاعة فصعدوا من المركب واستأذنوا فى الدخول وإذا بشاب خرج إليهم وقال أهلا وسهلا يا سادتى المنعمين على ادخلوا بالرحب والسعة فدخلوا وهو بين أيديهم فرأوا الدار بأربعة أوجه وسقفها بالذهب وحيطانها منقوشة بالأزورد وفيها إيوان به سدلة جميلة وعليها مائة جارية كأنهن أقمار فصاح عليهم فنزلن عن أسرتهن ثم التفت رب المنزل إلى جعفر وقال يا سيدى أنا ما أعرف منكم الجليل من الأجل بسم الله ليتفضل منكم من هو أعلى فى الصدر ويجلس إخوانه كل واحد فى منزلته وقام مسرور فى الخدمة بين أيديهم ثم قال لهم صاحب المنزل يا أضيافى عن إذنكم هل أحضر لكم شيئًا من المأكول قالوا له نعم فأمر الجوارى بإحضار الطعام فأقبل أربع جوار مشدودات الأوساط بين أيديهن مائدة عليها من غرائب الألوان فأكلوا على قدر كفايتهم ثم غسلوا أيديهم فقال الشاب يا سادتى إن كان لكم حاجة فأخبرونا بها حتى نتشرف بقضائها قالوا نعم فإننا ما جئنا منزلك إلا

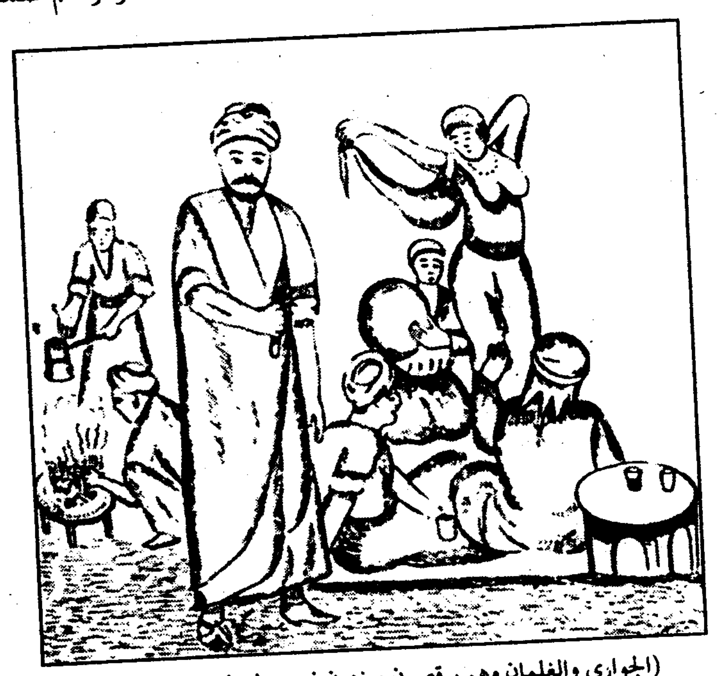


لأجل صوت سمعناه من وراء حائط دارك فاشتهينا أن نسمعه ونعرف صاحبته فإن رأيت أن تنعم علينا بذلك كان من مكارم أخلاقك ثم نعود من حيث جئنا فقال مرحبًا بكم ثم التفت إلى جارية سوداء وقال احضرى سيدتك فلانة فذهبت الجارية ثم جاءت ومعها كرسى فوضعته ثم ذهبت ثانيًا وأتت ومعها جارية كأنها البدر فى تمامه فجلست على الكرسى ثم إن الجارية السوداء ناولتها خرقة من أطلس فأخرجت منها عودًا مرصعًا بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٤٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما أقبلت جلست على كرسى وأخرجت العود من الخرقة وإذا هو مرصع بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب فشدت أوتاره ثم ضمت العود إلى

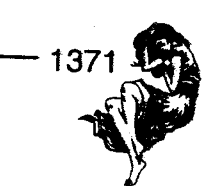


(الجوارى والغلمان وهم يرقصون ويغنون فى منزل طاهر بن العلاء)

صدرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وجست أوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبى بأمه ثم ضربت عليه وجعلت تنشد هذه الأبيات :

جاد الزمان بمن أحب فاعتبا ... يا صاحبى فادر كؤسك وأشربا
من خمرة مازحت قلب امرئ ... إلا وأصبح بالمسرة مطربا
كم ليلة سامرت فيها بدرها ... من فوق دجلة قد أضاء الغيهبا

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديداً أو صاح كل من فى الدار من البكاء حتى كادوا يهلكوا وما منهم أحد إلا وغلب عن وجوده ومزق أثوابه ولطم على وجهه لحسن غنائها فقال الرشيد إن غناء هذه الجارية يدل على أنها عاشقة مفارقة فقال أبو إسحق يا سيدى إنى لأعجب منها غاية العجب ولا أملك نفسى من الطرب وكان الرشيد مع ذلك كله ينظر إلى صاحب الدار ويتأمل فى محاسنه وظرف شمائله فرأى فى وجهه اصفرار فالتفت إليه وقال يا فتى فقال لبيك يا سيدى فقال له هل تعلم من نحن قال لا فقال له جعفر أتحب أن نخبرك كل واحد باسمه فقال نعم فقال جعفر هذا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين وذكر له بقية أسماء الجماعة وبعد ذلك قال الرشيد اشتهى أن تخبرنى عن هذا الاصفرار الذى فى وجهك هل هو مكتسب أو أصلى من حين ولادتك قال يا أمير المؤمنين إن حديثى غريب وأمرى عجيب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر قال اعلمنى به لعل شفاءك يكون على يدى قال يا أمير المؤمنين أو عنى سمعك واخلى لى ذرعك قال هات فحدثنى فقد شوقتنى إلى سماعه فقال اعلم يا أمير المؤمنين إنى رجل تاجر من تجار البحر وأصلى من مدينة عمان وكان أبى تاجراً كثير المال وكان له ثلاثون مركبًا تعمل فى البحر أجرتها فى كل عام ثلاثون ألف دينار وكان رجلاً كريمًا وعلمنى الخط وجميع ما يحتاج إليه الشخص فلما حضرته الوفاة دعانى وأوصانى بما جرت به العادة ثم توفاه الله تعالى إلى رحمته وأبقى الله أمير المؤمنين وكان لأبى شركاء يتاجرون فى ماله ويسافرون فى البحر فاتفق فى بعض الأيام أنى كنت قاعدًا فى منزلى مع جماعة من التجار إذ دخل على غلام من غلمانى وقال يا سيدى إن بالباب رجلاً يطلب



الإذن بالدخول عليك فأذنت له فدخل وهو حامل على رأسه شيئًا مغطى فوضعه بين يدى وكشفه فإذا فيه فواكه بغير أوان وملح وطرائف ليست فى بلادنا فشكرته على ذلك وأعطيته مائة دينار وانصرف شاكراً ثم سألت التجار من أين هذا فقالوا إنه من البصرة وأثنوا عليه وصاروا يصفون حسن البصرة وأجمعوا على أنه ليس فى البلاد أحسن من بغداد ومن أهلها وصاروا يصفون بغداد وحسن أخلاق أهلها وطيب هوائها وحسن تركيبها فاشتاقت نفسى إليها وتعلقت آمالى برؤيتها فقمت وبعت العقار والأملاك وبعت المراكب بمائة ألف دينار واشتريت مركبًا وشحنتها بأموالى وسائر متاعى وسافرت بها أياما وليالى حتى جئت إلى البصرة فأقمت بها مدة ثم استأجرت سفينة وأنزلت مالى فيها وسرنا منحدرين أياما قلائل حتى وصلنا إلى بغداد فسألت أين تسكن التجار فقالوا فى حارة الكرخ فجئت إليها واستأجرت داراً فى درب يسمى درب الزعفران ونقلت جميع مالى إلى تلك الدار وأقمت فيها مدة ثم توجهت فى بعض الأيام إلى الفرجة ومعى شىء من المال وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فأتيت إلى جامع يسمى جامع المنصور تقام فيه الجمعة وبعد أن خلصنا من الصلاة خرجت مع الناس إلى موضع يسمى فرن الصراط فرأيت فى ذلك المكان موضعا عاليا جميلا وله روشن مطل على الشاطئ وهناك شباك فذهبت من جملة الناس إلى ذلك المكان فرأيت شيخًا جالسًا وعليه ثياب جميلة تفوح منه رائحة طيبة فقلت لشخص ما اسم هذا الشيخ وما صنعته فقالوا هذا طاهر بن العلاء وهو صاحب الفتيان وكل من دخل عنده يأكل ويشرب وينظر إلى الملاح فقلت له والله إن لى زمانا وأنا أدور على مثل هذا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٤٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال والله إن لى زمانًا وأنا أدور على مثل هذا ثم قال فتقدمت إليه يا أمير المؤمنين وسلمت عليه وقلت يا سيدى إن لى عندك حاجة فقال ماحاجتك قلت أشتهى أن أكون ضيفك فى هذه الليلة فقال حبًا وكرامة ثم قال يا ولدى عندى جوار كثيرة منهن من ليلتها بعشرة دنانير ومنهن من ليلتها بأكثر فاختر من تريد فقلت أختار

التى ليلتها بعشرة دنانير ثم وزنت له ثلثمائة دينار عن شهر فسلمنى لغلام فأخذنى ذلك الغلام وذهب بى إلى حمام القصر وخدمنى خدمة حسنة فخرجت من الحمام وأتى بى إلى مقصورة وطرق الباب فخرجت له جارية فقال لها خذى ضيفك فتقبلتنى بالرحب والسعة ضاحكة مستبشرة وأدخلتنى داراً عجيبة مزركشة بالذهب فتأملت فى تلك الجارية فرأيتها كالبدر ليلة تمامه وفى خدمتها جاريتان كأنهما كوكبان ثم أجلستنى وجلست بجانبى ثم أشارت إلى الجوارى فأتين بمائدة فيها من أنواع اللحوم من دجاج وسمانى وقطا وحمام فأكلنا حتى اكتفينا وما رأيت فى عمرى ألذ من ذلك الطعام فلما أكلنا رفعت تلك المائدة وأحضرت مائدة الشراب والمشموم والحلوى والفواكه وأقمت عندها شهراً على هذا الحال فلما فرغ الشهر دخلت الحمام وجئت إلى الشيخ وقلت له يا سيدى أريد التى ليلتها بعشرين ديناراً قال أزن الذهب فمضيت وأحضرت الذهب فوزنت له ستمائة ديناراً عن شهر فنادى غلاما وقال له خذ سيدك فأخذنى وأدخلنى الحمام فلما خرجت أتى بى إلى باب مقصورة وطرقه فخرجت منه جارية فقال لها خذى ضيفك فتلقتنى باحسن ملتقى وإذا حولها أربع جوار ثم أمرت بإحضار الطعام فحضرت مائدة عليها من سائر الأطعمة فأكلت ولما فرغت من الأكل ورفعت المائدة فأخذت العود وغنت بهذه الأبيات :

أيا نفحات المسك من أرض بابل	بحق غرامى أن تؤدى رسائلى
عهدت بهاتيك الأراضى منازلا	لأحبابنا أكرم بها من منازل
وفيها التى ما حبها كل عاشق	تغنى ولم يرتد منها بطائل

فأقمت عندها شهراً ثم جئت إلى الشيخ وكنا قد أمسينا فسمعت ضجة عظيمة وأصواتًا عالية فقلت له ما الخبر فقال لى الشيخ إن هذه الليلة عندنا شهر الليالى وجميع الخلائق يتفرجون على بعضهم فيها فهل لك أن تصعد على السطح وتتفرج على الناس فقلت نعم وطلعت على السطح فرأيت ستارة حسنة ووراء الستارة محل عظيم وفيه سدلة وعليها فرش مليح وهناك صبية تدهش الناظرين حسنًا وجمالاً وقداً واعتدالا وبجانبها غلاما يده على عنقها وهو يقبلها فلما رأيتهما يا أمير المؤمنين لم أملك نفسى ولم أعرف أين أنا لما بهرنى من



حسن صورتها فلما نزلت سألت الجارية التى أنا عندها وأخبرتها بصفتها فقالت مالك وما لها فقلت والله إنها أخذت عقلى فتبسمت وقالت يا أبا الحسن ألك فيها غرض فقلت أى والله فإنها تملكت قلبى ولبى فقالت هذه ابنة طاهر بن العلاء وهى سيدتنا وكلنا جواريها أتعرف يا أبا الحسن بكم ليلتها ويومها قلت لا قالت بخمسمائة دينار وهى حسرة فى قلوب الملوك فقلت والله لا أذهبن مالى كله على هذه الجارية وبت أكابد الغرام طوال ليلى فلما أصبحت دخلت الحمام ولبست أفخر ملبوس من ملابس الملوك وجئت إلى أبيها وقلت يا سيدى أريد التى ليلتها بخمسمائة دينار قال أزن الذهب فوزنت له عن كل شهر عشر آلاف دينار فأخذها ثم قال للغلام أعمد به إلى سيدتك فلانة فأخذنى وأتى بى إلى دار لم ترعينى أظرف منها على وجه الأرض فدخلتها فرأيت الصبية جالسة فلما رأيتها اندهش عقلى بحسنها يا أمير المؤمنين وهى كالبدر فى ليلة أربعة عشر ذات حسن وجمال وقد واعتدال وألفاظ تفضح رنات المزاهر وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٤٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما حدث أمير المؤمنين بصفات الجارية ثم إنشد هذه الأبيات :

ولـو أنها للمشركين تعرضت	لباءوا بها من دون أصنامهم ربا
ولو تفلت فى البحر والبحر مالح	لأصبح ماء البحر من ريقها عذبًا
ولو أنها فى الشرق لاحت لراهب	لخلى سبيل الشرق واتبع الغربا

فسلمت عليه وقالت أهلاً وسهلاً ومرحبًا وأخذت بيدى يا أمير المؤمنين وأجلستنى إلى جانبها ثم إنها صارت تؤانسنى بلطف الكلام وأنا غريق فى بحر الغرام خائف فى قرب ألم الفراق من فرط الوجد والاشتياق فأنشدت هذين البيتين :

فكرت ساعة وصلها فى حجرها	فجرت مدامع مقلتى كالعندم
فطفقت أمسح مقلتى فى جيدها	من عادة الكافور أمساك الدم

ثم أمرت بإحضار الأطعمة فأقبلت أربع جوار نهد أبكار فوضعن بين أيدينا من الأطعمة والفاكهة والحلوى والمشموم والمدام ما يصلح للملوك فأكلنا يا أمير المؤمنين وجلسنا على المدام وحولنا الرياحين فى مجلس لا يصلح إلا للملك ثم جاءتها يا أمير المؤمنين جارية بخريطة من



(الشاب العمانى وهو يبكى حين نفدت منه نقوده فى بيت طاهر بن العلاء ويشتكى تخوفه من فراقها وهى توعده خيرًا)



الإبريسم فأخذتها وأخرجت منها عودا فوضعته فى حجرها وجست أوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبى بأمه وأنشدت هذين البيتين :

لا تشرب الراح الأمن يدى رشأ تحكيه فى رقة المعنى ويحكيها
إن المدامة لا يلتذ شاربها حتى يكون نقى الخد ساقيها

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٤٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لما أنشدت هذين البيتين فأقمت يا أمير المؤمنين عندها على هذه الحالة مدة من الزمان حتى نفد جميع مالى فتذكرت وأنا جالس معها مفارقتها فنزلت دموعى على خدى كالأنهار وصرت لا أعرف الليل من النهار فقالت لأى شىء تبكى فقلت لها يا سيدتى من حين جئت إليك وأبوك يأخذ منى فى كل ليلة خمسمائة دينار وما بقى عندى شىء من المال فقالت اعلم أن أبى من عادته أنه إذا كان عنده تاجر وافتقر فإنه يضيفه ثلاثة أيام ثم بعد ذلك يخرجه فلا يعود إلينا أبداً ولكنى أكتم سرك وأخف أمرك وأنا أعمل حيلة فى اجتماعى بك إلى ما شاء الله فإن فى قلبى محبة عظيمة واعلم أن جميع مال أبى تحت يدى وهو لا يعرف قدره فأنا أعطيك فى كل يوم كيسًا فيه خمسمائة دينار وأنت تعطيه لأبى وتقول له ما بقيت أعطى الدراهم إلا يوم بيوم وكل ما دفعته إليه فإنه يدفعه إلى وأنا أعطيه لك وتستمر هكذا إلى ما شاء الله فشكرتها على ذلك وقبلت يدها ثم أقمت عندها يا أمير المؤمنين على هذه الحالة مدة سنة كاملة فاتفق فى بعض الأيام أنها ضربت جاريتها ضربًا وجيعاً فقالت لها والله لا وجعن قلبك كما أوجعتينى ثم مضت تلك الجارية إلى أبيها وأعلمته بأمرها من أوله إلى آخره فلما سمع طاهر بن العلاء كلام الجارية قام من وقته وساعته ودخل على وأنا جالس مع ابنته وقال لى يا فلان قلت له لبيك قال عادتنا إنه إذا كان عند تاجر واتفقنا أننا تضيفه عندنا ثلاثة أيام وأنت لك عندنا سنة تأكل وتشرب وتفعل ما تشاء ثم التفت إلى

غلمانه وقال اخلعوا ثيابه ففعلوا وأعطونى ثيابًا رديئة قيمتها خمسة دراهم ودفعوا إلى عشرة دراهم ثم قال لى أخرج فأنا لا أضربك ولا أشتمك وأذهب إلى حال سبيلك وإن أقمت فى هذه البلدة كان دمك هدرًا فخرجت يا أمير المؤمنين برغم أنفى ولا أعلم أين أذهب وحل فى قلبى كل هم فى الدنيا وشغلنى الوسواس وقلت فى نفسى كيف أجىء فى البحر بألف ألف من جملتها ثمن ثلاثين مركبًا ويذهب هذا كله فى دار هذا الشيخ النحس وبعد ذلك أخرج من عنده عريانًا مكسور القلب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أقمت فى بغداد ثلاثة أيام ولم أذق طعامًا ولا شرابًا وفى اليوم الرابع رأيت سفينة متوجهة إلى البصرة فنزلت فيها واستكريت مع صاحبها إلىَ أن وصلت إلى البصرة فدخلت السوق وأنا فى شدة الجوع فرآنى رجل بقال فقام إلى وعانقنى لأنه كان صاحبًا إلى ولأبى من قبلى وسألنى عن حالى فأخبرته بجميع ما جرى لى قال لى والله ما هذه فعال عاقل ومع هذا الذى جرى لك فأى شىء فى ضميرك تريد أن تفعله فقلت له لا أدرى ماذا أفعل فقال أتجلس عندى وتكتب خرجى ودخلى ولك فى كل يوم درهم زيادة على أكلك وشربك فاجبته وأقمت عنده يا أمير المؤمنين سنة كاملة أبيع واشترى إلى أن صار معى مائة دينار فاستأجرت غرفة على شاطئ البحر لعل مركبًا تأتى ببضاعة فاشترى بالدنانير بضاعة وأتوجه بها إلى بغداد فاتفق فى بعض الأيام أن المراكب جاءت وتوجهوا إليها جميع التجار يشترون فرحت معهم وإذا برجلين قد خرجا من بطن المركب ونصبا لهما كرسيين وجلسا عليهما ثم أقبل التجار عليهما لأجل الشراء فقالا لبعض الغلمان احضروا البساط فأحضروه وجاء واحد بخرج فأخرج منه جرابًا وفتحه وكبه على البساط وإذا به يخطف البصر لما فيه من الجواهر واللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيق من سائر الألوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٤٧)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما أخبر الخليفة بقضية التجار وبالجراب وما فيه من سائر أنواع الجواهر قال يا أمير المؤمنين ثم إن واحدًا من الرجلين الجالسين على الكراسى



التفت إلى التجار وقال لهم يا معاشر التجار أنا ما أبيع فى يومى هذا لأنى تعبان فتزايدت التجار فى الثمن حتى بلغ مقداره أربعمائة دينار فقال لى صاحب الجراب وكان بينى وبينه معرفة قديمة لماذا لم تتكلم ولم تزود مثل التجار فقلت له والله يا سيدى ما بقى عندى شىء من الدنيا سوى مائة دينار واستحيت منه ودمعت عينى فنظر إلى وقد عسر عليه حالى ثم قال للتجار اشهدوا على أنى بعت جميع ما فى الجراب من أنواع الجواهر والمعادن لهذا الرجل بمائة دينار وأنا أعرف أنه يساوى كذا وكذا ألف دينار وهو هدية منى إليه فأعطانى الخرج والجراب والبساط وجميع ما عليه من الجواهر فشكرته على ذلك وجميع من حضر من التجار أثنوا عليه ثم أخذت ذلك ومضيت به إلى سوق الجواهر وقعدت أبيع واشترى وكان من جملة هذه المعادن قرص تعويذ صنعة المعلمين وزنته نصف رطل وكان أحمر شديد الحمرة وعليه أسطر مثل دبيب النمل من الجانبين ولم أعرف منفعته فبعت واشتريت مدة سنة كاملة ثم أخذت قرص التعويذ وقلت هذا له عندى مدة لا أعرفه ولا أعرف منفعته فدفعته إلى الدلال فأخذه ودار به ثم عاد وقال ما دفع أحد من التجار سوى عشرة دراهم قلت ما أبيعه بهذا القدر فرماها فى وجهى وانصرف فبينما أنا جالس يومًا إذ أقبل على رجل فسلم على وقال لى عن أذنك هل أقلب ما عندك من البضائع قلت نعم وأنا يا أمير المؤمنين مغتاظ من كساد قرص التعويذ فقلب الرجل البضاعة ولم يأخذ منها سوى غير قرص التعويذ فلما رآه يا أمير المؤمنين قبل يده وقال الحمد لله ثم قال يا سيدى أتبيع هذا فازداد غيظى وقلت له نعم فقال لى كم ثمنه فقلت له كم تدفع أنت فيه قال أتبيعه بعشرين ألف دينار وأنا أظن أنه يستهزئ بى فاجتمع علينا الناس وكل منهم يقول بعه وإن لم يشترى فنحن الكل عليه ونضربه ونخرجه من البلد فقلت له هل أنت تشتريه أو تستهزى قلت له أبيع قال هو بثلاثين ألف دينار وخذها وامض البيع ثم اخرج الذهب وأقبضنى إياه وأخذ قرص التعويذ ووضعه فى جيبه ثم قال لى هل رضيت قلت نعم ثم إنه التفت إلى وقال يا مسكين والله لو أخرت البيع لزدناك إلى مائة ألف دينار بل إلى ألف ألف دينار فلما سمعت يا أمير المؤمنين هذا الكلام نفر الدم من وجهى وعلا عليه هذا الاصفرار الذى أنت تنظره من ذلك اليوم ثم قلت له أخبرنى ما سبب ذلك وما نفع هذا القرص فقال

اعلم أن ملك الهند له بنت لم ير أحسن منها وبها داء الصداع فأحضر الملك أرباب الأقلام وأهل العلوم والكهان فلم يرفعوا عنها ذلك فقلت له وكنت حاضراً بالمجلس أيها الملك أنا أعرف رجلاً يسمى سعد الله البابلى ما على وجه الأرض أعرف منه بهذه الأمور فإن رأيت أن ترسلنى إليه فافعل فقال اذهب إليه فقلت له أحضر إلى قطعة من العقيق فأحضر لى قطعة كبيرة من العقيق ومائة ألف دينار وهدية فأخذت ذلك وتوجهت إلى بلاد بابل فسألت عن الشيخ فدلونى عليه ودفعت له المائة ألف دينار والهدية فأخذ ذلك منى ثم أخذ القطعة العقيق وأحضر حكاكاً فعملها هذا التعويذ ومكث الشيخ سبعة أشهر يرصد النجم حتى اختار وقتاً للكتابة وكتب عليه هذه الطلاسم التى تنظرها ثم جئت به إلى الملك وأدرك . شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٤٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لأمير المؤمنين إن الرجل قال لى أخذت هذا التعويذ وجئت به إلى الملك فلما وضعه على بنته برئت لوقتها ففرح الملك بذلك فرحًا شديدًا وخلع على وتصدق بمال كثير ثم وضعه فى عقدها فاتفق أنها نزلت يوما فى مركب هى وجواريها تتنزه فى البحر فمدت جارية يدها إليها لتلاعبها فانقطع العقد وسقط فى البحر فعاد من ذلك الوقت العارض لابنة الملك فحصل ما حصل للملك من الحزن فأعطانى مالاً كثيراً وقال لى اذهب إلى الشيخ ليعمل لها تعويذاً عوضًا عنه فسافرت إليه فوجدته قد مات فرجعت إلى الملك وأخبرته فبعثنى أنا وعشرة أنفس نطوف فى البلاد لعلنا نجد لها دواء فأوقعنى الله به عندك فأخذه منى يا أمير المؤمنين وانصرف فكان ذلك الأمر سببًا للاصفرار الذى فى وجهى ثم إنى توجهت إلى بغداد ومعى جميع مالى وسكنت فى الدار التى كنت فيها فلما أصبح الصباح لبست ثيابى وجئت إلى بيت طاهر بن العلاء لعلى أرى من أحبها فإن حبها لم يزل يتزايد فى قلبى فلما وصلت إلى داره رأيت الشباك قد انهدم فسألت غلامًا وقلت له ما فعل الله بالشيخ

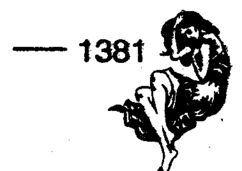
فقال يا أخى إنه قدم عليه فى سنة من السنين رجل تاجر يقال له أبو الحسن العمانى فقام مع ابنته مدة من الزمان ثم بعد أن ذهب ما له أخرجه الشيخ من عنده مكسوراً الخاطر وكانت الصبيه تحبه حبًا شديداً فلما فارقها مرضت مرضا شديداً حتى بلغت الموت وعرف أباها بذلك فأرسل خلفه فى البلاد وقد من لمن يأتى به مائة ألف دينار فلم يره أحد ولم يقع له على أثر وهى الآن مشرفة على الموت قلت وكيف حال أبيها قال باع الجوارى من عظم ما أصابه فقلت له هل أدلك على أبى الحسن العمانى فقال بالله عليك يا أخى أن تدلنى عليه فقلت له اذهب إلى أبيها وقل له البشارة عندك فإن أبا الحسن العمانى واقف على الباب فذهب الرجل يهرول كأنه بغل انطلق من طاحون ثم غاب ساعة وجاء وصحبته الشيخ فلما رآنى رجع إلى داره وأعطى الرجل مائة ألف دينار فأخذها وانصرف وهو يدعولى ثم أقبل الشيخ وعانقنى وبكى وقال يا سيد أين كنت فى هذه الغيبة قد هلكت ابنتى من أجل فراقك فادخل معى إلى المنزل فلما دخل سجد شكراً لله تعالى وقال الحمد لله الذى جمعنا بك ثم دخل لابنته وقال لها شفاك الله من هذا المرض فقالت يا أبت ما أبرأ من مرضى إلا إذا نظرت وجه أبى الحسن فقال إذا أكلت أكلة ودخلت الحمام جمعت بينكما فلما سمعت كلامه قالت أصحيح ما تقول قال لها والله العظيم إن الذى قلته صحيح فقالت والله العظيم إن نظرت وجهه ما احتاج إلى أكل فقال لغلامه أحضر سيدك فدخلت فلما نظرت إلى يا أمير المؤمنين وقعت مغشيًا عليها ثم استوت جالسة وقالت يا سيدى ما كنت أظن أنى أرى وجهك إلا أن كان منامًا ثم إنها عانقتنى وبكت وقالت يا أبا الحسن الآن آكل وأشرب فأحضر والطعام والشراب ثم صرت عندهم يا أمير المؤمنين مدة من الزمان وعادت لما كانت عليه من الجمال ثم إن أباها استدعى بالقاضى والشهود وكتب كتابها علي وعمل وليمة عظيمة وهى زوجتى إلى الآن فقال الخليفة لا إله إلا الله سبحان من غير حال بعد حال وهو باق لا يتغير ثم أتى بمرآة وأراه وجهه فلما رآه سجد شكراً لله تعالى ثم أمر الخليفة أن يحمل إليه المال وسأله أنه لا ينقطع عنه لأجل المنادمة فصار يتردد إليه إلى أن توفى الخليفة إلى رحمة الله تعالى فسبحان الحى الذى لا يموت ذى الملك والملكوت .

(ومما يحكى أيضًا) أيها الملك السعيد أن الخصيب صاحب مصر كان له ولد ولم يكن فى زمانه أحسن منه وكان من خوفه عليه لا يمكنه من الخروج إلا لصلاة الجمعة فمر وهو خارج من صلاة الجمعة على رجل كبير وعنده كتب كثيرة فنزل عن فرسه وجلس عنده وقلب الكتب وتأملها فرأى فيها صورة امرأة تكاد تنطق ولم يرى أحسن منها على وجه الأرض فسلبت عقله وأدهشت لبه فقال له يا شيخ بعلى هذه الصورة فقبل الأرض بين يديه ثم قال له يا سيدى بغير ثمن فدفع له مائة دينار وأخذ الكتاب الذى فيه الصورة وصار ينظر إليها ويبكى ليلة ونهاره وامتنع من الطعام والشراب والمنام فقال فى نفسه لو سألت الكتبى عن صانع هذه الصورة من هو ربما أخبرنى فإن كانت صاحبتها فى الحياة توصلت إليها وأن كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا أعذب نفسى بشىء لا حقيقة له . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٤٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال فى نفسه لو سألت الكتبى عن هذه الصورة ربما أخبرنى فإن كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا أعذب نفسى بشىء لا حقيقة له فلما كان يوم الجمعة مريت على الكتبى فنهض إلى قائمًا فقلت له يا عم أخبرنى من صنع هذه الصورة قال يا سيدى صنعها رجل من أهل بغداد يقال له أبو القاسم الصندلانى فى حارة تسمى حارة الكرخ وما أعلم صورة من هى فقام الغلام من عنده ولم يعلم بحاله أحد من أهل مملكته ثم صلى الجمعة وعاد إلى البيت فأخذ جرابًا وملأه من الجواهر والذهب وقيمة الجواهر ثمانون ألف دينار ثم صبر إلى الصباح وخرج ولم يعلم أحدًا ولحق قافلة فرأى بدويا فقال له يا عم كم بينى وبين بغداد فقال له يا ولدى أين أنت وأين بغداد إن بينك وبينها مسيرة شهرين فقال له يا عم إن أوصلتنى إلى بغداد أعطيتك مائة دينار وهذه الفرس التى تحتى وثمنها مائة دينار فقال له البدوى الله على ما نقول وكيل ولكن لا تنزل فى هذه الليلة إلا عندى فأجابه إلى قوله وبات عنده فلما لاح الفجر أخذه البدوى وسار به سريعًا فى طريق قريب طمعًا فى تلك



الفرس التى وعده بها ومازالا سائرين حتى وصلا إلى حيطان بغداد فقال له البدوى الحمد لله على السلامة يا سيدى هذه بغداد ففرح الغلام فرحًا شديدًا ونزل عن الفرس وأعطاها للبدوى هى والمائة دينار ثم أخذ الجراب وصار يسأل عن حارة الكرخ وعن محل التاجر فساقه القدر إلى درب فيه خمسة عشر حجر تقابل خمسة وفى صدر الدرب باب بمصراعين له حلقة من فضة وفى الباب مصطبتان من الرخام مفروشتان بأحسن الفرش وفى إحداهما رجل جالس وهو مهاب حسن الصورة عليه ثياب فاخر وبين يديه خمس مماليك كأنهم أقمار فلما رأى الغلام ذلك عرف العلامة التى ذكرها له الكتبى فسلم على الرجل فرد عليه السلام ورحب به وأجلسه وسأله عن حاله فقال له الغلام أنا رجل غريب وأريد من إحسانك أن تنظر لى فى هذا الدرب دارًا لأسكن فيها فصاح الرجل وقال يا غزالة فخرجت إليه جارية وقالت لبيك يا سيدى فقال خذى معك بعض خدم واذهبوا إلى حجرة ونظفوها وافرشوها وحطوا فيها جميع ما تحتاج إليه من آنية وغيرها لأجل هذا الشاب الحسن الصورة فخرجت الجارية وفعلت ما أمرها به ثم أخذه الشيخ وأراه الدار فقال له الغلام يا سيدى كم أجرة هذه الدار فقال له يا صبيح الوجه أنا ما آخذ منك أجرة مادمت هنا فشكره على ذلك ثم صار يحييه وأمر بإحضار الطعام فأتوا بمائدة من شغل صنعاء اليمن فوضعت وأتوا بالطعام ألوانًا غريبة لا يوجد أفخر منها ولا ألذ فأكل الغلام حتى اكتفى ثم غسل يديه وصار الغلام ينظر إلى الدار والفرش ثم التفت إلى الجراب الذى كان معه فلم يره فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أكلت لقمة تساوى درهما أو درهمين فذهب منى جراب فيه ثلاثون ألف دينار ولكن استعنت بالله ثم سكت ولم يقدر أن يتكلم. وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

***

الليلة (٩٥٠)

قالت: بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام لما رأى الجراب مفقودًا حصل له غم كبير فسكت ولم يقدر أن يتكلم فقال له مالك يا غلام فقال أريد الجراب فقام ثم قال له يا ولدى أخبرنى من أى البلاد أنت فقال من مصر فقال له وما سبب مجيئك إلى بغداد فاخرج له الصورة وقال يا

عم إنى ابن الخصيب صاحب مصر وقد رأيت هذه الصورة عند رجل كتبى فسلبت عقلى فسألت عن صانعها فقيل لى إن صانعها رجل من بغداد بحارة الكرح يقال له أبو القاسم الصندلانى بدرب يعرف بدرب الزعفران فقال والله يا بنى إنى أنا أبو القاسم الصندلانى وهذا أمر عجيب كيف ساقتك المقادير إلى فلما سمع الغلام كلامه قام إليه وعانقه وقبل رأسه ويديه وقال له بالله عليك أن تخبرنى صورة من هى فقال سمعًا وطاعة ثم قام وفتّح خزانة وأخرج منها عدة كتب كان صور فيها هذه الصورة وقال له اعلم يا ولدى أن صاحبة هذه الصورة ابنة عمى وهى فى البصرة وأبوها حاكم البصرة يقال له أبو الليث وهى يقال لها جميلة وما على وجه الأرض أجمل منها ولكنها زاهدة فى الرجال ولا تقدر أن تسمع ذكر رجل فى مجلسها وقد ذهبت إلى عمى بقصدانه يزوجنى بها وبذلت له الأموال فلم يجيبنى إلى ذلك فلما علمت ابنته بذلك اغتاظت وأرسلت إلى كلاما من جملته أنها قالت إن كان لك عقل فلا تقم بهذه البلدة وإلا تهلك ويكون ذنبك فى عنقك وهى جبارة من الجبابرة فخرجت من البصرة وأنا منكسر الخاطر وعملت هذه الصورة فى الكتب وفرقتها فى البلاد لعلها تقع فى يد غلام حسن الصورة مثلك فيتحيل فى الوصول إليها لعلها تعشقه وأكون قد أخذت عليه العهد إذا تمكن منها يرنئ إياها ولو نظرة من بعيد فلما سمع إبراهيم ابن الخصيب كلامه أطرق برأسه ساعة وهو يتفكر فقال له الصندلانى يا ولدى إنى ما رأيت ببغداد أحسن منك وأظن إنها إذا نظرتك تحبك فهل يمكنك إذا اجتمعت بها أن ترينى إياها ولو نظرة من بعيد فقال نعم فقال إذا كان الأمر كذلك فأقم عندى إلى أن تسافر فقال لا أقدر على المقام فإن فى قلبى من عشقها نارًا زائدة فقال له أصبر حتى أجهز لك مركبًا فى ثلاثة أيام لتذهب فيها إلى البصرة فصبر حتى جهز له مركبًا ووضع فيها كل ما يحتاج إليه من مأكول ومشروب وغير ذلك وبعد الثلاثة أيام قال للغلام تجهز للسفر فقد جهزت لك مركبًا فيها سائر ما تحتاج إليه فنهض الغلام ونزل فى المركب وودعه وسار حتى وصل إلى البصرة فأخرج الغلام مائة دينار للملاحين فقالوا له نحن أخذنا الأجرة من سيدنا فقال لهم خذوها أنعامًا وأنا لا أخبره بذلك فأخذوها منه ودعوا له ثم دخل الغلام البصرة وسأل أين مسكن التجار فقال له فى خان يسمى خان حمدان ثم دخل



الخان مع رجل ملاح وسأل عن البواب فدلوه عليه فرآه شيخًا كبيرًا مهابًا فسلم عليه فرد عليه السلام فقال يا عم هل عندك حجرة ظريفة قال نعم ثم أخذها هو والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة قال نعم ثم أخذه هو والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة مزركشة بالذهب وقال يا غلام إن هذه الحجرة تصلح لك فأخرج الغلام دينارين وقال خذ هذين حلوان المفتاح فأخذهما ودعا له وأمر الغلام الملاح بالذهاب إلى المركب ثم دخل الحجرة فاستمر عنده بواب الخان وخدمه وقال له يا سيدى حصل لنا بك السرور فأعطاه الغلام خمسة دنانير وقال له اشترى لنا بها فاكهة وشرابًا ثم دفع له دنانير أخرى وقال له اشترى لنا بهذه نقلاً ومشمومًا وخمس فراخ سمان وأحضر لى عوداً فخرج واشترى له ما أمره به وقال لزوجته اصنعى هذا الطعام وصفى لنا هذا الشراب ولكن تصنعيه جيداً فإن هذا الغلام قد عمنا بإحسانه فصنعت زوجته ما أمرها به على غاية المراد ثم أخذه ودخل على إبراهيم ابن السلطان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٥١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن بواب الخان لما صنعت زوجته الطعام والشراب أخذه ودخل على ابن السلطان فأكلا وشربًا وأطربا فبكى الغلام وشهق شهقة عظيمة وخر مغشيًا عليه فتنهد بواب الخان فلما أفاق قال له بواب الخان يا سيدى ما يبكيك ومن هى التى تريدها بهذا الشعر فإنها لا تكون الأترابا لاقدامك فقام الغلام وأخرج بقجة من أحسن ملابس النساء وقال له خذ هذه إلى حريمك فأخذها منه ودفعها إلى زوجته فأتت معه ودخلت على الغلام فإذا هو يبكى فقالت له فتت أكبادنا فعرفنا بأى مليحة تريدها وهى لا تكون إلا جارية عندك فقال يا عم اعلم أنى أنا ابن الخصيب صاحب مصر وإنى متعلق بجميلة بنت أبى الليث العميد فقالت زوجة بواب الخان الله الله يا أخى اترك هذا الكلام لئلا يسمع بنا أحد فنهلك فيا ولدى اعدل عنها لغيرها فلما سمع كلامها بكى بكاء شديداً فقال له بواب الخان مالى سوى

روحى فأنا أخاطر بها فى هواك وأدبر لك أمرًا فيه بلوغ مرادك ثم خرجًا من عنده فلما أصبح الصباح دخل الحمام وليس حلة من ملبوس الملوك وإذا ببواب الخان هو وزوجته قدما عليه وقالا يا سيدى اعلم أن هنا رجلاً خياطًا أحدب وهو خياط السيدة جميلة فأذهب إليه وأخبره بحالك فعساه يدلك على ما فيه وصولك إلى أغراضك فقام الغلام وقصد دكان الخياط الأحدب ثم دخل وسلم عليه فرد عليه السلام وأكرمه ورحب به فلما جلس قال للأحدب يا عم خيط لى جيبى فإنه فتق فقال له يا ولدى على الرأس والعين ثم تقدم وخاطه فدفع له عشرة دنانير فأخذها وصار مبهوتًا من حسنه وكرمه ثم قال والله يا غلام إن فعلك لابد له من سبب وما هذا خبر خياطة جيب ولكن أخبرنى عن حقيقة أمرك فقال يا عم ما هذا محل الكلام فإن حديثى عجيب وأمرى غريب قال فإذا كان الأمر كذلك فقم بنا فى خلوة ثم نهض الخياط وأخذه بيده ودخل معه حجرة فى داخل الدكان وقال له يا غلام حدثنى فحدثه بأمره من أوله إلى آخره فبهت من كلامه وقال يا غلام اتق الله فى نفسك فإن التى ذكرتها جبارة راهدة فى الرجال فاحفظ يا أخى لسانك وإلا فإنك تهلك نفسك فلما سمع الغلام كلامه بكى بكاء شديدًا ولزم ذيل الخياط وقال أجرنى يا عم فإنى هالك فلما رأى الخياط ما حل به رحمه وقال يا ولدى ما عندى إلا نفسى فأنا أخاطر بها فى هواك فإنك قد جرحت قلبى ولكن فى غد أدبر لك أمرًا يطيب به قلبك فدعا له وانصرف إلى الخان فحدث بواب الخان بما قاله الأحدب فقال له قد فعل معك جميلاً فلما أصبح الصباح لبس الغلام أفخر ثيابه وأخذ كيسًا فيه دنانير وأتى إلى الأحدب فسلم عليه وجلس ثم قال له يا عم انجز وعدى فقال له قم فى هذه الساعة وخذ ثلاث فراخ سمان وثلاث أواق من السكر النبات وكوزين لطيفين واملأهما شرابًا وخذ قدحًا وضع ذلك فى كارة وانزل بعد صلاة الصبح فى زورق مع ملاح وقل له أريد أن تذهب بى تحت البصرة فإن قال لك ما أقدر أن أعدى أكثر من فرسخ فقل له الرأى لك فإذا رأيته فأذهب إلى بابه ترى درجتين عاليتين عليهما فرش من الديباج وجالس عليهما رجل أحدب مثلى فاشك إليه حالك وتوسل به فعساه أن يرثى لحالك ويوصلك إلى أن تنظرها ولو نظرة من بعيد وما بيدى حيلة غير هذا فقال الغلام استعنت بالله تعالى ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قام من عند



الخياط الأحدب وذهب إلى حجرته وأخذ ما أمره به فى كارة لطيفة ثم إنه لما أصبح جاء إلى شاطئ الدجلة وإذا هو برجل ملاح نائم فأيقظه وأعطاه عشرة دنانير وقال له عدنى إلى تحت البصرة فقال له يا سيدى بشرط أنى لا أعدى أكثر من فرسخ وإن تجاوزته شبراً هلكت أنا وأنت فقال له الرأى لك فأخذه وانحدر به فلما قرب من البستان قال يا ولدى من هنا ما أقدر أن أعدى فإن تعديت هذا الحد هلكت أنا وأنت فأخرج له عشرة دنانير . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٥٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام لما أعطى للملاح العشرة دنانير الأخرى أخذها وقال سلمت أمرى لله تعالى وانحدر به فلما وصل إلى البستان نهض الغلام من فرحته ووثب من الزورق وثبة مقدار رمية رمح ورمى نفسه فرجع الملاح هاربًا ثم تقدم الغلام فرأى جميع ما وصفه له الأحدب من البستان ورأى بابه مفتوحًا وفى الدهليز سرير من العاج جالس عليه رجل أحدب لطيف المنظر عليه ثياب مذهبة وفى يده دبوس من فضة مطلى بالذهب فنهض الغلام مسرعًا وانكب على يده وقبلها فقال له من أنت ومن أين أتيت ومن أوصلك إلى هنا يا ولدى وكان ذلك الرجل لما رأى إبراهيم بن الخصيب انبهر من جماله فقال له إبراهيم يا عم أنا صبى جاهل غريب ثم بكى فرق له وأصعده على السرير ومسح له دموعه وقال له لا بأس عليك إن كنت مديونًا قضى الله دينك وإن كنت خائفًا آمن الله خوفك فقال يا عم لا بى خوف ولا على دين ومعى مال جزيل بحمد الله وعونه فقال له يا ولدى ما حاجتك حتى خاطرت بنفسك وجمالك إلى محل فيه الهلاك فحكى له حكايته وشرح له أمره فلما سمع كلامه أطرق برأسه ساعة إلى الأرض وقال هل الذى دلك على الخياط الأحدب قال له نعم قال هذا أخى وهو رجل مبارك ثم قال يا ولدى لولا أن محبتك نزلت فى قلبى ورحمتك لهلكت أنت وأخى وبواب الخان وزوجته ثم قال اعلم أن هذا البستان ما على وجه الأرض مثله وأنه يقال له بستان

اللؤلؤة وما دخله أحد مدة عمرى إلا السلطان وأنا وصاحبته جميلة وأقمت فيه عشرين سنة فما رأيت أحد جاء إلى هذا المكان وكل أربعين يومًا تأتى فى المركب إلى هنا وتصعد بين جواريها فى حلة أطلس تحمل أطرافها عشر جوار بكلاليب من الذهب إلى أن تدخل فلم أر منها شيئًا ولكن أنا مالى إلا نفسى فأخاطر بها من أجلك فعند ذلك قبل الغلام يده فقال له اجلس عندى حتى أدبر لك أمر ثم أخذ بيد الغلام وأدخله البستان فلما رأى إبراهيم ذلك البستان ظن أنه الجنة ورأى الأشجار ملتفة والنخيل باسقة والمياه متدفقة والأطيار تناغى بأصوات مختلفة فلما رأى الغلام ذلك أخذه الطرب وقعد فى باب البستان وقعد البستانى بجانبه فقال له كيف ترى بستانى فقال له الغلام هو جنة الدنيا فضحك البستانى ثم قام وغاب عنه ساعة وعاد ومعه طبق فيه دجاج وسمان ومأكول مليح وحلوى من السكر فوضعه بين يدى الغلام وقال له كل حتى تشبع قال إبراهيم فأكلت حتى اكتفيت فلما رآنى أكلت فرح وقال هكذا شأن الملوك أولاد الملوك ثم قال يا إبراهيم أى شىء معك فى هذه الكارة فحللتها بين يديه فقال احملها معك فإنها تنفعك إذا حضرت السيدة جميلة فإنها إذا جاءت لا أقدر أن أدخل لك بما تأكل ثم قام وأخذ بيدى وأتى بى إلى مكان قبال قبة جميلة فعمل عريشة بين الأشجار وقال لى أصعد هنا فإذا جاءت فإنك تنظرها وهى لا تنظرك وهذا أكثر ما عندى من الحيلة وعلى الله الاعتماد فشكره الغلام وأراد أن يقبل يده فمنعه ثم إن الغلام وضع الكارة فى العريشة التى عملها له ثم قال له البستانى يا إبراهيم تفرج فى البستان وكل من أثماره فإن ميعاد حضور صاحبتك فى غد فصار إبراهيم يتنزه فى البستان ويأكل من أثماره وبات ليلته عنده فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ، صلى إبراهيم الصبح وإذا بالبستانى جاء وهو مصفر اللون وقال له يا ولدى قم وأصعد إلى العريشة فإن الجوارى قد أتين ليفرشن المكان وهى تأتى بعدهن واحذر من أن تبصق أو تمخط أو تعطس فنهلك أنا وأنت فقام الغلام وصعد إلى العريشة وذهب الخولى وهو يقول رزقك الله السلامة يا ولدى فبينما الغلام قاعد وإذا بخمس جوار أقبلن لم ير مثلهن أحد فدخلن القبة وقلعن ثيابهن وغسلن القبة ورششنها بماء الورد وأطلقن العود والعنبر وفرشن



الديباج وأقبل بعدهن خمسون جارية ومعهن آلات الطرب وجميلة بينهن من داخل خيمة حمراء من الديباج والجوارى رافعات أذيال الخيمة بكلاليب من الذهب حتى دخلت القبة فلم يرمنها ومن أثوابها شيئًا فقال فى نفسه والله إنه ضاع جميع تعبى ولكن لابد من أن أصبر حتى أنظر كيف يكون الأمر فقدمت الجوارى الأكل والشرب ثم أكلن وغسلن أيديهن ونصبن لها كرسيًا فجلست عليه ثم ضربن بآلات الملاهى جميعهن وغنين بأصوات مطربة لا مثيل لها ثم خرجت عجوز قهرمانة فصفقت ورقصت فجذبها الجوارى وإذا بالستر قد رفع وخرجت جميلة وهى تضحك قال إبراهيم بن الخصيب فلما رأيتها غبت عن وجودى واندهش عقلى وتحير فكرى بما بها من جمال لم يكن على وجه الأرض مثله فقالت العجوز للجوارى ليقم منكن عشرة يرقصن ويغنين فلما رآهن إبراهيم قال فى نفسه أشتهى أن ترقص السيدة جميلة فلما انتهى رقص العشر جوارى أقبلن حولها وقلن يا سيدتنا نشتهى أن ترقصى فى هذا المجلس ليتم سرورنا بذلك لأننا ما رأينا أطيب من هذا اليوم فقال إبراهيم بن الخصيب فى نفسه لاشك أن أبواب السماء قد فتحت واستجاب الله دعائى ثم قبل الجوارى أقدامها وقلن لها والله ما رأينا صدرك مشروحًا مثل هذا اليوم فمازلن يرغبتها حتى قلعت أثوابها وصارت بقميص من نسيج الذهب مطرزًا بأنواع الجواهر وأبرزت نهودًا كأنهن الرمان وأسفرت عن وجه كالبدر ليلة تمامه فرأى إبراهيم من الحركات ما لم ير فى عمره مثله وأتت فى رقصها بأسلوب غريب وابتداع عجيب حتى أنست رقص الحبب فى الكؤس وأذكرت ميل العمائم عن الرؤوس قال إبراهيم فبينما أنا أنظر إليها إذ لاحت منها التفاتة فرأتنى فلما نظرتنى تغير وجهها فقالت لجواريها غنوا أنتم حتى أجئ إليكن ثم عمدت إلى سكين قدر نصف ذراع وأخذتها وأتت نحوى ثم قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فلما قربت منى غبت عن الوجود فلما رأتنى ووقع وجهها فى وجهى وقعت السكين من يدها وقالت سبحان مقلب القلوب . ثم قالت لى يا غلام أخبرنى من أنت وما جاء بك إلى هذا المكان فقبلت الأرض بين يديها ولزمت ذيلها فقالت لا بأس عليك فوالله ما ملأت عينى من ذكر غيرك فقل من أنت قال إبراهيم فحدثتها بحديثى من أوله

إلى آخره فتعجبت من ذلك وقالت لى يا سيدى أناشدك هل أنت إبراهيم بن الخصيب قلت نعم فانكبت على وقالت يا سيدى أنت الذى زهدتنى فى الرجال فالحمد لله الذى أرانى وجهك والله لو كان أحد غيرك لكنت صلبت البستانى وبواب الخان والخياط ومن يلوذ بهم ثم قامت وقالت قم الآن هى لك مركبًا وانتظرنى فى المحل الفلانى حتى أجئ إليك فما بقى لى صبر على فراقك فقلت يا سيدتى إن معى مركبًا وهى مليكى والملاحون فى إجازتى وهم فى انتظارى فقالت هذا هو المراد ثم مضت إلى الجوارى . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٥٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة جميلة لما مضت إلى الجوارى قالت لهن فمن بنا لنروح إلى قصرنا فقلن لها سمعًا وطاعة فلبسن ثيابهن ثم توجهن إلى الشاطئ ونزلن فى الزورق وإذا بالبستانى قد أقبل على إبراهيم وما عنده علم بالذى جرى له فقال له يا إبراهيم مالك حظ فى التلذذ برؤيتها فقال إبراهيم ما رأيتها ولا رأتنى ولا خرجت من القبة قال صدقت يا ولدى فإنها لو رأتك لكنا هلكنا ولكن أقعد عندى حتى تأتى فى الأسبوع الثانى وتراها وتشبع من النظر إليها فقال إبراهيم أن معى مالاً وأخاف عليه وورائى رجال فأخاف أن يستغيبونى فقال يا ولدى إنه يعز على فراقك ثم عانقه وودعه ثم إن إبراهيم توجه إلى الخان الذى كان نازلاً فيه وقابل بواب الخان وأخذ ماله فقال بواب الخان خير إن شاء الله فقال له إبراهيم إنى ما وجدت إلى حاجتى سبيلاً وأريد أن أرجع إلى أهلى فبكى بواب الخان وودعه وحمل أمتعته وأوصله إلى المركب وبعد ذلك توجه إلى المحل الذى قالت له عليه وانتظرها فيه فلما جن الليل وإذا بها قد أقبلت عليه وهى فى زى رجل شجاع بلحية مستديرة ووسط مشدود بمنطقة وقالت له هل أنت بن الخصيب صاحب مصر فقال لها إبراهيم هو أنا فقالت قم كلم السلطان قال إبراهيم



فوقعت مغشيًا على وأما الملاحون فإنهم ماتوا فى جلدهم من الخوف فلما رأت ما حل بى خلعت تلك اللحية ورمت السيف وحلت المنطقة فرأيتها هى السيدة جميلة فقلت لها والله إنك قطعت قلبى ثم قلت للملاحين أسرعوا فى سير المركب فحلوا الشراع وأسرعوا فى السير فما كان إلا أيام قلائل حتى وصلنا إلى بغداد وإذا بمركب واقفة على جانب الشط فلما رآنا الملاحون الذين معنا وصاروا يقولون يا فلان ويا فلان نهنيكم بالسلامة ودفعوا مراكبهم على مركبنا فنظرنا فإذا فيها أبو القاسم الصندلانى فلما رآنا قال لى الحمد لله على السلامة هل قضيت حاجتك قلت نعم قال اذهبوا فى أمان الله أنا رائح إلى البصرة ثم أحضر علبة من الحلويات ورماها فى مركبنا وكان فيها البنج فقال إبراهيم يا قرة عينى كلى من هذا فبكت وقالت يا إبراهيم أتدرى من هذا قلت نعم هذا فلان قالت إنه ابن عمى وكان سابقًا خطبنى من والدى فما رضيت به وهو متوجه إلى البصرة فربما يعرف أبى بنا فقلت يا سيدتى هو لا يصل إلى البصرة حتى نصل نحن إلى مصر ولم يعلما بما هو مخبوء لهما فى الغيب فأكلت شيئًا من الحلاوة فما نزلت جوفى حتى ضربت الأرض برأسى فلما كان وقت السحر عطست فخرج البنج من منخرى وفتحت عينى فرأيت نفسى عريانًا مرمى فى الخراب فلطمت على وجهى وقلت فى نفسى إن هذه حيلة عملها فى الصندلانى فسرت لا أدرى أين أذهب وما على سوى سروال فقمت وتمشيت قليلاً وإذا بالوالى أقبل على ومعه جماعة بسيوف ومطارق فخفت فرأيت حمامًا خربًا فتواريت فيه فعثرت رجلى فى شىء فوضعت يدى عليه فتلوثت بالدم فمسحتها فى سروالى ولم أعلم ما هو ثم مددت يدى إليه ثانيًا فجاءت على قتيل وطلعت رأسه فى يدى فرميتها وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم دخلت زاوية من زوايا الحمام وإذا بالوالى واقف على باب الحمام وقال فتشوا جهات الحمام فدخلوا الموضع الذى أنا فيه فنظرنى رجل منهم فجاءنى وبيده سكين طولها نصف ذراع فلما قرب منى قال سبحان الله خالق هذا الوجه الحسن يا غلام من أين أنت ثم أخذ بيدى وقال يا غلام لأى شىء قتلت هذه المقتولة فقلت والله ما قتلتها وما أعرف من قتلها وقلت له بالله عليك لا تظلمنى فإنى مشغول بنفسى فأخذنى وقدمنى إلى الوالى فلما

رأى على يدى أثر الدم قال هذا لا يحتاج إلى بينة فاضربوا عنقه . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٥٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ابن الخصيب قال فلما قدمونى إلى الوالى ورأى على يدى أثر الدم قال هذا لا يحتاج إلى بينة فاضربوا عنقه فلما سمعت هذا الكلام بكيت بكاء شديداً ثم شهقت شهقة فوقعت مغشيًا على فرق لى قلب الجلاد وقال والله هذا وجه من لا يقتل فقال الوالى اضربوا عنقه فأجلسونى فى نطع الدم وشدوا على عينى غطاء وأخذ السياف سيفه واستأذن الوالى وأراد أن يضرب عنقى فصحت واغربتاه وإذا بخيل قد أقبلت وإذا بقائل يقول دعوه امنع يدك يا سياف وكان لذلك سبب عجيب وأمر غريب وهو أن الخصيب صاحب مصر كان قد أرسل حاجبه إلى الخليفة هارون الرشيد ومعه هدايا وتحف وصحبته كتاب يذكر له فيه إن ولدى قد فقد من منذ سنة وقد سمعت أنه ببغداد والمقصود من إنعام خليفة الله أن يفحص عن خبره ويجتهد فى طلبه فخرج من ساعته فوجد الغلام فى نطع الدم مع الوالى فقال له الحاجب أخبرنى بقضيتك يا غلام وما شأن هذه المقتولة معك فلما نظر إبراهيم إلى الحاجب عرفه فقال له ويلك أما تعرفنى أما أنا إبراهيم بن سيدك فلعلك جئت فى طلبى فأمعن الحاجب فيه النظر فعرفه غاية المعرفة فلما عرفه انكب على أقدامه فلما رأى الوالى ما حصل من الحاجب اصفر لونه فقال له الحاجب ويلك إنك لا تصلح للولاية هذا غلام له من العمر خمسة عشر عامًا وما قتل عصفوراً فكيف يقتل قتيلاً هلا أمهلته وسألته عن حاله ثم قال الحاجب والوالى فتشوا على قاتل الصبية فدخلوا الحمام ثانيًا فرأوا قاتلها فأخذوه وأتوا به إلى الوالى فأرسله إلى دار الخلافة وأعلم الخليفة بما جرى فأمر الرشيد بقتل قاتل الصبية ثم أمر بإحضار ابن الخصيب فلما تمثل بين يديه تبسم الرشيد فى وجهه وقال له أخبرنى بقضيتك وما جرى لك فحدثه بحديثه من أول إلى آخره فعظم ذلك عنده فنادى مسرور السياف وقال اذهب فى



هذه الساعة واهجم على دار أبى القاسم الصندلانى وائتنى به والصبية فمضى من ساعته وهجم على داره فرأى الصبية فى وثاق من شعرها وهى فى حالة التلف فحلها مسرور وأتى بها وبالصندلانى فلما رآها الرشيد تعجب من جمالها ثم التفت إلى الصندلانى وقال خذوه واقطعو يديه اللتين ضرب بهما هذه الصبية وأصلبوه وسلموا أمواله وأملاكه إلى إبراهيم ففعلوا ذلك فبينما هم كذلك وإذا بأبى الليث عامل البصرة والد السيدة جميلة قد أقبل عليهم يستغيث بالخليفة من إبراهيم بن الخصيب صاحب مصر ويشكو إليه أنه أخذ ابنته فقال له الرشيد أنه كان سببًا فى خلاصها من العذاب والقتل وأمر بإحضار ابن الخصيب فلما حضر قال لأبى الليث ألا ترضى أن يكون هذا الغلام ابن سلطان مصر بعلا لابنتك فقال سمعًا وطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين فدعا الخليفة بالقاضى والشهود وزوج الصبية بإبراهيم بن الخصيب ووهب له جميع أموال الصندلانى وجهزه إلى بلاده وعاش معها فى أتم سرور وأوفى حبور إلى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحى الذى لا يموت.

﴿حكاية أبى الحسن الخراسانى﴾

(ومما يحكى أيضًا) أيها الملك السعيد أن المعتضد بالله كان عالى الهمة شريف النفس وكان له ببغداد ستمائة وزير ما كان يخفى عليه من أمور الناس شىء فخرج يومًا هو وابن حمدون يتفرجا على الرعايا ويسمعان ما يتجدد من أخبار الناس فحمى عليهما الحر والهجير وقد انتهيا إلى زقاق لطيف فى شارع فدخلا ذلك الزقاق فرأيا فى صدر الزقاق دارًا حسنة شامخة البناء تفصح عن صاحبها بلسان الثناء فقعدا على الباب يستريحان فخرج من تلك الدار خادمان وجه كل منهما كالقمر ليلة أربعة عشرة فقال أحدهما لصاحبه لو استأذن اليوم ضيف لأن سيدى لا يأكل إلا مع الضيفان وقد صرنا إلى هذا الوقت ولم أر أحدًا فتعجب الخليفة من كلامهما وقال إن هذا دليل على كرم صاحب الدار ولابد أن ندخل داره وننظر مروءته ويكون ذلك سببًا فى نعمة تصل إليه منا ثم قال للخادم استأذن سيدك فى قدوم جماعة أغراب وكان الخليفة فى ذلك الزمان إذا أراد الفرجة على الرعية تنكر فى زى التجار فدخل الخادم على سيده وأخبره

ففرح وقام وخرج إليهما بنفسه وإذا به جميل الوجه حسن الصورة وعليه قميص نيسابورى ورداء مذهب وهو مضمخ بالطيب وفى يده خاتم من الياقوت فلما رآهما قال أهلاً وسهلاً بالسادة المنعمين علينا غاية الإنعام بقدومهم فلما دخلا تلك الدار رأياها تنسى الأهل والأوطان كأنها قطعة من الجنان . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٥٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لما دخل الدار هو ومن معه رأياها تنسى الأهل والأوطان كأنها قطعة من الجنان ومن داخلها بستان فيه من سائر الأشجار وهى تدهش الأبصار وأماكنها مفروشة بنفائس الفرش فجلسوا وجلس المعتضد يتأمل الدار والفرش قال ابن حمدون فنظرت إلى الخليفة فرأيت وجهه قد تغير وكنت أعرف من وجهه حال الرضا والغضب فلما رأيته قلت فى نفسى يا ترى ما باله حتى غضب ثم جاءوا بطشت من الذهب فغسلنا أيدينا ثم جاءوا بسفرة من الحرير وعليها مائدة من الخيزران فلما انكشفت الأغطية عن الأوانى رأينا طعامًا كزهر الربيع فى عز الأوان صنوان وغير صنوان ثم قال صاحب الدار بسم الله يا سادتنا والله إن الجوع قد أضنانى فانعموا على بالأكل من هذا الطعام قال ابن حمدون فأكلنا وشربنا ثم نقلنا إلى مجلس آخر يدهش الناظرين ثم جاءوا بطبق الشراب ومجمع شمل الأحباب وأحضروا الشراب المروق وبواطى الذهب والبلور والفضة وضرب صاحب الدار على باب مقصورة بقضيب من الخيزران وإذا بباب المقصورة قد فتح وخرج منه ثلاث جوار نهد أبكار وجوههن كالشمس فى رابعة النهار وتلك الجوارى ما بين عوادة وجنكية ورقاصة ثم قدم لنا النقل والفواكه قام ابن حمدون فضرب بيننا وبين الثلاث جوار ستارة من الديباج وشراريبها من الإبريسم وحلقاتها من الذهب فلم يلتفت الخليفة إلى هذا جميعه وصاحب الدار لم يعلم من هو الذى عنده فقال الخليفة لصاحب الدار أشريف أنت قال لا يا سيدى إنما أنا رجل من أولاد التجار أعرف بين الناس بأبى الحسن على بن أحمد الخراسانى فقال له الخليفة أتعرفنى يا رجل



قال له والله يا سيدى ليس لى معرفة بأحد من جنابكم الكريم فقال له ابن حمدون يا رجل هذا أمير المؤمنين المعتضد بالله حفيد المتوكل على الله فقام الرجل وقبل الأرض بين يدى الخليفة وهو يرتعد من خوفه وقال يا أمير المؤمنين بحق آبائك الطاهرين إن كنت رأيت منى تقصيراً أو قلة أدب بحضرتك أن تعفوا عنى فقال الخليفة أما ما صنعته معنا من الإكرام فلا مزيد عليه وأما ما أنكرته عليك فإن صدقتنى حديثه واستقر ذلك بعقلى نجوت منى وإن لم تعرفنى حقيقته أخذتك بحجة واضحة وعذبتك عذابًا أليمًا لم أعذب أحدًا مثله قال معاذًا لله أن أحدث بالمحال وما الذى أنكرته علي يا أمير المؤمنين فقال الخليفة أنا من حين دخلت الدار وأنا انظر الى حسنها وأوانيها وفراشها وزينتها حتى ثيابك ولماذا عليها اسم جدى المتوكل على الله قال نعم اعلم يا أمير المؤمنين أيدك الله بنصره وحفك بلطائف أمره أنه لم يكن فى بغداد أحد أيسر منى ولا من أبى ولكن أخل لى ذهنك وسمعك وبصرك حتى أحدثك بسبب ما أنكرته على فقال له الخليفة قل حديثك فقال اعلم يا أمير المؤمنين إنه كان أبى بسوق الصيارف والعطارين والبزازين وكان له فى كل سوق حانوت ووكيل بضائع من سائر الأصناف وكان له حجرة من داخل الدكان التى أسوق الصيارف لأجل الخلوة فيها وجعل الدكان لأجل البيع والشراء وكان ماله يكثر عن العدو يزيد على الحد ولم يكن له ولد غيرى وكان محبًا لى وشفيقًا على فلما حضرته الوفاة دعانى وأوصانى بوالدتى وبتقوى الله تعالى ثم مات رحمه الله تعالى وأبقى أمير المؤمنين فاشتغلت باللذات وأكلت وشربت ثم اتخذت الأصحاب والأصدقاء وكانت أمى تنهانى عن ذلك وتلومنى عليه فلم أسمع منها كلامًا حتى ذهب المال جميعه وبعت العقار ولم يبق لى شىء غير الدار التى أنا فيها وكانت داراً حسنة يا أمير المؤمنين فقلت لأمى أريد أن أبيع الدار فقالت يا ولدى قد نهيتك عن بيعها لعلمى أنك محتاج إليها فقلت لها لا تطيلى على الكلام لابد من بيعها فقالت بعنى إياها بخمسة عشر ألف دينار بشرط أن أتولى أمورك بنفسى فبعتها لها بهذا المبلغ على أن تتولى أمورى بنفسها فطلبت وكلاء أبى وأعطت كل واحد منهم ألف دينار وجعلت المال تحت يدها والأخذ والعطاء معها وأعطتنى بعضًا من المال لا تجرفيه وقالت لى اقعد أنت فى دكان أبيك ففعلت ما قالت أمى يا أمير المؤمنين وجئت إلى

الحجرة التى فى سوق الصيارف وجاء أصحابى وصاروا يشترون منى وأبيع لهم وطاب لى الربح وكثر مالى فلما رأتنى أمى على تلك الحالة أظهرت لى ما كان مدخراً عندها من جوهر ومعدن ولؤلؤ وذهب ثم عادت لى أملاكى التى كان وقع فيها التفريط وكثر مالى كما كان ومكثت على هذه الحالة مدة وجاء وكلاء أبى فأعطيتهم البضائع ثم بنيت حجرة ثانية من داخل الدكان فبينما أنا قاعد فيها على عادتى يا أمير المؤمنين وإذا بجارية قد أقبلت لم تر العيون أجمل منها منظراً فقالت هذه حجرة أبى الحسن على بن أحمد الخراسانى قلت نعم قالت أين هو فقلت هو أنا ولكن اندهش عقلى من فرط جمالها يا أمير المؤمنين ثم إنها جلست وقالت لى قل لغلامك يزن لى ثلثمائة دينار فأمرته أن يزن لها ذلك المقدار فوزنه لها فأخذته وانصرفت وأنا ذاهل العقل فقال لى غلامى أتعرفها قلت لا والله قال فلم قلت لى زن لها فقلت والله إنى لم أدرى ما أقول مما بهرنى من حسنها وجمالها فقام الغلام وتبعها من غير علمى ثم رجع وهو يبكى وبوجهه أثر ضربة فقلت له ما بالك فقال إنى تبعت الجارية لأنظر أين تذهب فلما أحست بى رجعت وضربتنى هذه الضربة فكادت تتلف عينى ثم مكثت شهراً لم أرها ولم تأت وأنا ذاهل العقل فى هواها يا أمير المؤمنين فلما كان آخر الشهر وإذا بها جاءت وسلمت على فكدت أن أطير فرحًا فسألتنى عن خبرى وقالت لعلك قلت فى نفسك ما شأن هذه المحتالة كيف أخذت مالى وانصرفت فقلت والله يا سيدتى إن مالى وروحى ملك لك فأسفرت عن وجهها وجلست لتستريح والحلى والحلل تلعب على وجهها وصدرها ثم قالت زن ثلثمائة دينار فقلت سمعًا وطاعة ثم وزنت لها الدنانير فأخذتها وانصرفت فقلت للغلام اتبعها فتبعها وعاد وهو مبهوت ومضت مدة لم تأت فبينما أنا جالس فى بعض الأيام وإذا بها قد أقبلت على وتحدثت ساعة ثم قالت لى إن لى خمسمائة دينار فإنى قد احتجت إليها فأردت أن أقول لها على أى شيء أعطيك مالى فمنعنى فرط الغرام من الكلام وأنا يا أمير كلما رأيتها ترتعد مفاصلى ويصفر لونى وأنسى ما أريد أن أقول ثم وزنت لها الخمسمائة دينار فأخذتها وانصرفت فقمت وتبعتها بنفسى إلى أن وصلت إلى سوق الجواهر فوقفت على إنسان فأخذت منه عقداً والتفتت فرأتنى فقالت إن لى خمسمائة دينار فلما اظرنى صاحب العقد قام إلى وعظمنى فقلت له أعطها العقد وثمنه



على فقال سمعاً وطاعة فأخذت العقد وانصرفت . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٩٥٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا الحسن الخراسانى قال فقلت له أعطها العقد وثمنه على فأخذت العقد وانصرفت فتبعتها حتى جاءت إلى الدجلة ونزلت فى مركب ومكثت أنظرها إلى أن دخلت قصراً فتأملته فإذا هو قصر الخليفة المتوكل فرجعت يا أمير المؤمنين وقد حل بقلبى كل هم فى الدنيا وكانت قد أخذت منى ثلاثة آلاف دينار فقلت فى نفسى قد أخذت مالى وسلبت عقلى وربما تلفت نفسى فى هواها ثم رجعت إلى دارى وقد حدثت أمى بجمع ما جرى فقالت لى يا ولدى إياك أن تتعرض لها بعد ذلك فتهلك فلما رجعت إلى دكانى جاءنى وكيلى الذى بسوق العطارين وكان شيخاً كبيراً فقال لى يا سيدى مالى أراك متغير الحال يظهر عليك أثر الكآبة فحدثنى بخبرك فحدثته بجميع ما جرى لى معها فقال لى يا ولدى احذر أن تتعرض لها واعلمنى بذلك حتى أبر لك أمر لئلا يحصل لك تلف ثم تركنى وذهب وفى قلبى لهيب النار فلما كان آخر الشهر إذا بها قد أقبلت على ففرحت بها غاية الفرح فقالت لى ما حملك على أنك تبعتنى فقلت لها حملنى على ذلك الوجد الذى بقلبى وبكيت بين يديها فبكت رحمة لى وقالت والله ما فى قلبك شىء من الغرام إلا وفى قلبى أكثر منه ولكن كيف أعمل والله مالى من سبيل غير أنى أراك فى كل شهر مرة ثم دفعت إلى ورقة وقالت خذ هذه إلى فلان الفلانى فإنه وكيلى وأقبض منه ما فيها ثم ودعتنى وانصرفت فجئت إلى الشيخ العطار وأخبرته بما جرى فجاء معى إلى دار المتوكل فرأيتها هى والمكان الذى دخلت فيه الجارية فصار الشيخ العطار متحيراً فى حيلة يفعلها ثم التفت فرأى خياطاً قبل الشباك المطل على الشاطئ وعنده صناع فقال بهذا تنال مرادك ولكن افتق جيبك وتقدم إليه وقل له أن يخيطه لك فإذا خاطه فادفع له عشرة دنانير فقلت سمعا وطاعة ثم توجهت إلى الخياط وأخذت معى

شقتين من الديباج الرومى وقلت له فصل هاتين أربعة ملابس اثنين فرجية واثنين غير فرجية فلما فرغ من تفصيل الملابس وخياطتها أعطيته أجرتها زيادة على العادة بكثير ثم مد يده إلى تلك الملابس فقلت خذها لك ولمن حضر عندك وصرت أقعد عنده وأطيل القعود معه فقال الخياط يوماً من الأيام أريد يا ولدى أن تصدقنى حديثك لأنك فصلت عندى حللا ثمينة وكل حلة تساوى جملة من المال ووهبت غالبها للناس وهذا ما هو فعل تاجر فأخبرنى خبرًا صحيحًا حتى أعاونك على مرادك ثم قال إناشدك الله أما أنت عاشق قلت نعم فقال لمن قلت لجارية من جوارى الخليفة فقال قبحهن الله كم يفتن الناس ثم قال هل تعرف اسمها قلت لا فقال صفها لى فوصفتها له فقال ويلاه هذه عوادة الخليفة المتوكل والحظية عنده لكن لها مملوك فاجعل بينك وبينه صداقة لعله يكون سببًا فى اتصالك بها فبينما نحن فى الحديث وإذا بالمملوك مقبل من قصر الخليفة وهو كأنه القمر فى ليلة أربعة عشرة وبين يدى الثياب التى الخياط خاطها لى فصار ينظر إليها ويتأمل ثم أقبل على فقمت إليه وسلمت عليه فقال من أنت فقلت رجل من التجار قال اتبيع هذه الثياب قلت نعم فأخذ منها خمسة وقال بكم الخمسة فقلت هى هدية منى إليك عقد صحبة بينى وبينك ففرح بها ثم قال ما اسمك بين التجار فقلت له رجل منهم فقال قد رابنى أمرك فقلت لماذا قال إنك أهديت لى شيئًا كثيراً ملكت به قلبى وقد صح عندى أنك أبو الحسن الخراسانى أكثر الصيرفى فبكيت يا أمير المؤمنين فقال لى لم تبكى فوالله التى تبكى من أجلها عندها من الغرام بك أكثر مما عندك بها وأعظم فقلت أريد أن تساعدنى على بليتى فوعدنى إلى غد فلما جاء قال إنها لما فرغت من خدمتها عند الخليفة بالأمس ودخلت حجرتها حدثتها بحديثك جميعه وقد عزمت على الاجتماع بك فاقعد عندى إلى آخر النهار فقعدت عنده فلما جن الليل إذا بالمملوك أتى ومعه قميص منسوج من الذهب وحلة من حلل الخليفة فألبسنى إياها وبخرنى فصرت أشبه الخليفة ثم أخذنى إلى محل فيه الحجر صفين من الجانبين وقال لى هذه حجر الجوارى الخواص فإذا مررت عليها فضع على كل باب حبة من الفول لأن من عادة الخليفة أن يفعل هكذا فى كل ليلة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٩٥٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن المملوك لما قال لأبى الحسن فإذا مررت عليها فضع على كل باب من الأبواب حبة من الفول لأن من عادة الخليفة أن يفعل هكذا إلى أن تأتى إلى الدرب الثانى الذى على يدك اليمنى فترى حجرة عتبة بابها من المرمر فإذا وصلت إليها فمسها بيدك وإن شئت فعد الأبواب فهى كذا وكذا بابًا فادخل الباب الذى علامته كذا وكذا فتراك صاحبتك وتأخذك عندها وأما خروجك فالله يهون على فيه ولو أخرجك فى صندوق ثم تركنى ورجع وصرت أمشى وأعد الأبواب وأضع على كل باب حبة فول فلما صرت فى وسط الحجر سمعت ضجة عظيمة ورأيت ضوء شموع وأقبل ذلك الضوء نحوى حتى قرب منى فتأملته فإذا هو الخليفة وحوله الجوارى ومعهن الشمع وإذا بخادم يصيح على الجوارى ويقول ههنا فانعطفوا إلى حجرة من الحجر ودخلوا ثم خرجوا ومشوا حتى وصلوا إلى بيت صاحبتى فسمعت الخليفة يقول حجرة من هذه فقالوا هذه حجرة شجرة الدر فقال نادوها فنادوها فخرجت وقبلت أقدام الخليفة فقال لها أتشربين الليلة فقالت إن لم يكن لحضرتك والنظر إلى طلعتك فلا أشرب فإننى لا أميل إلى الشراب فى هذه الليلة فقال للخازن أدفع لها العقد الفلانى ثم أمرها بالدخول إلى حجرتها فدخلت بين الشموع وإذا بجاريتها أمامهم وضوء وجهها غالب على ضوء الشمعة التى بيدها فقربت منى وقالت من هذا ثم قبضت على وأخذتنى إلى حجرة من الحجر وقالت لى من أنت فقبلت الأرض بين يديها وقلت لها أناشدك الله يا مولاتى أن تحقنى دمى وترحمينى وتتقربى إلى الله بإنقاذ مهجتى فقالت أصدقنى خبرك وأنا أجعلك فى أمان فقلت أنا عاشق جاهل أحمق قد حملتنى الصبابة وجهلى على ما ترين منى حتى وقعت فى هذه الورطة فقالت قف هنا حتى أجىء اليك ثم خرجت وجاءتنى بثياب جارية من جواريها والبستنى تلك الثياب فى تلك الزاوية وقالت أخرج خلفى فخرجت خلفها حتى وصلت حجرتها وقالت ادخل هنا فدخلت حجرتها فجاءت بى إلى سرير وعليه فرش عظيم وقالت اجلس لا بأس عليك أما أنت أبو الحسن الخرسانى الصيرفى قلت بلى قالت قد حقن الله دمك فإنك قد أمنت ولا بأس عليك فإنك صاحب شجرة الدر التى هى أختى فإنها لا تقطع ذكرك

أبداً وتخبرنا كيف أخذت منك المال ولم تتغير وكيف جئت خلفها ولكن كيف وصلت إلى ههنا بأمرها أم بغير أمرها بل خاطرت بنفسك وما مرادك من الاجتماع بها فقلت يا سيدتى الله شهيد على ما أقول إن نفسى لم تحدثنى فى شأنها بمعصية فقالت بهذه النية نجاك الله ووقعت رحمتك فى قلبى ثم قالت لجاريتها يا فلانة امضى إلى شجرة الدر وقولى لها إن أختك تسلم عليك وتدعوك فتفضلى عندها فى هذه الليلة فتوجهت إليها الجارية وبعد ساعة جاءت مع الجارية ووجهها يضىء كأنه البدر فقابلتها واعتنقتها وقالت يا أبا الحسن اخرج إليها وقبل يديها وكنت فى مخدع فى داخل الحجرة فخرجت إليها يا أمير المؤمنين فلما رأتنى ألقت نفسها على وضمتنى إلى صدرها وقالت لى كيف صرت بلباس الخليفة وزينته وبخوره ثم قالت حدثنى بما جرى لك فحدثتها بما جرى لى وبما قاسيته ثم أخذتنى إلى حجرتها وقالت لأختها إنى قد عاهدته أنى لا أجتمع معه فى الحرام وأدرك . شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٩٥٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لأختها إنى قد عاهدته أنى لا أجتمع معه فى الحرام فقالت لها أختها بهذه النية تجاه الله تعالى فقالت سوف ترينَ ما أصنع حتى أجتمع معه فى الحلال فلابد أن أبذل مهجتى فى التحيل على ذلك فبينما نحن فى الحديث وإذا بضجة عظيمة فالتفتنا فرأينا الخليفة قد جاء يريد حجرتها من كثرة ما هو كلف بها فأخذتنى يا أمير المؤمنين وحطتنى فى سرداب وطبقته على وخرجت تقابل الخليفة فلاقته ثم جلس فوقفت بين يديه وخدمته ثم أمرت بإحضار الشراب وكان الخليفة يحب جارية اسمها البنجة وهى أم المعتز بالله وكانت الجارية قد هجرته وهجرها مع أنه فى قلبه منها لهيب النار ولكنه تشاغل عنها بنظائرها من الجوارى والدخول اليهن فى حجراتهن وكان يحب غناء شجرة الدر فأمرها بالغناء وأخذت العود وشدت أوتاره وغنت بهذه الأشعار :

عجبت لسعـى الدهر بينى وبينها	فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى	وزرتك حتى قيل ليـس لـه صبر



فيا حبها زدني جوى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا هراء ولانزر
وعينان قال الله كوني فكانتا ... فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

فطرب الخليفة وقال تمنى على يا شجرة الدر فقالت أتمنى عليك عتقى يا أمير المؤمنين لما فيه من الثواب فقال إنت حرة لوجه الله تعالى فقبلت الأرض بين يديه فقال خذى العود وقولى لنا شيئًا فى شأن جاريتى التى أنا متعلق بهواها والناس تطلب رضاى وأنا أطلب رضاها فأخذت العود وأنشدت هذين البيتين :

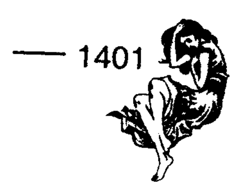
أيا ربة الحسن التى أذهبت نسكى ... على كل أحوالى فلابد منك
فأما بذل وهو أليق بالهوى ... وأما بعز وهو أليق بالملك

فتعجب الخليفة من موافقة هذا الشعر لحاله غاية العجب ومال به إلى مصالحة الجارية الهاجرة الطرب ثم خرج وقصد حجرتها فسبقت جارية وأخبرتها بقدوم الخليفة فاستقبلته وقبلت الأرض بين يديه ثم قبلت قدميه فصالحها وصالحته هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر شجرة الدر فإنها جاءت إلى وهى فرحانة وقالت إنى صرت حرة بقدومك المبارك ولعل الله يعيننى على ما أبره حتى أجتمع بك فى الحلال فقلت الحمد لله فبينما نحن فى الحديث وإذا بخادمها قد دخل علينا فحدثناه بما جرى لنا فقال الحمد لله الذى جعل آخره خيرًا ونسأل الله أن يتم ذلك بخروجك سالمًا فبينما نحن فى الحديث وإذا بالجارية أختها وقد جاءت وكان اسمها فاترة فقالت يا أختى كيف نعمل حتى نخرجه من القصر سالمًا فإن الله تعالى من على العتق وصرت حرة ببركة قدومه فقالت لها ليس لى حيلة فى خروجه إلا بأن ألبسه ثياب النساء ثم جاءت ببدلة من ثياب النساء فألبستنيها ثم خرجت يا أمير المؤمنين فى ذلك الوقت فلما جئت إلى وسط القصر إذا بأمير المؤمنين جالس والخدم بين يديه فنظر إلى وأنكرنى غاية الإنكار وقال لحاشيته أسرعوا وائتونى بهذه الجارية فلما أتوابى رفعوا نقابى فلما رآنى عرفنى وسألنى فأخبرته بالخبر ولم أخف عليه شيئًا فلما سمع حديثى تفكرفى أمرى ثم قام من وقته

وساعته ودخل حجرة شجرة الدر فقال كيف تختارين على بعض أولاد التجار فقبلت الأرض بين يديه وحدثته بحديثها من أوله إلى آخره على وجه الصدق فلما سمع كلامها رحمها ورق قلبه لها وعذرها فى العشق وأحواله ثم انصرف ودخل عليها خادمها وقال طيبى نفسًا إن صاحبك لما حضر بين يدى الخليفة سأله فأخبره كما أخبرتيه حرفًا بحرف ثم رجع الخليفة وأحضرنى بين يديه وقال ما حملك على التجارى على دار الخلافة فقلت يا أمير المؤمنين حملنى على ذلك جهلى والصبابة والإقبال على عفوك وكرمك ثم بكيت وقبلت الأرض بين يديه فقال عفوت عنكما ثم أمرنى بالجلوس فجلست فدعا بالقاضى أحمد بن أبى دؤواد وزوجنى بها وأمر يحمل جميع ما عندها إلى وزفوها على فى حجرتها وبعد ثلاثة أيام خرجت ونقلت جميع ذلك إلى بيتى فجميع ما تنظره يا أمير المؤمنين فى بيتى وتنكره كله من جهازها وهذه حكايتى يا أمير المؤمنين لا زدتها حرفًا ولا نقصتها حرفًا فجميع ما نظرته فى بيتى يا أمير المؤمنين مما عليه اسم جدك المتوكل هو من نعمته علينا لأن أصل نعمتنا من أصولك الأكرمين وأنتم أهل النعم ومعدن الكرم فرح الخليفة بذلك فرحًا شديدًا وتعجب من حديثه ثم أخرجت للخليفة الجارية وأولادى منها فقبلوا الأرض بين يديه فتعجب من جمالها واستدعى بدواة وكتب لنا برفع الخراج عن أملاكنا عشرين سنة ثم خرج الخليفة واتخذه نديمًا إلى أن فرق الدهر بينهم وسكنوا القبور بعد القصور فسبحان الملك الغفور.

﴿حكاية قمر الزمان مع معشوقته﴾

(ومما يحكى أيضاً أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان رجل تاجر اسمه عبد الرحمن قد رزقه الله بنتا وولدا فسمى البنت كوكب الصباح لشدة حسنها وجمالها وسمى الولد قمر الزمان لشدة حسنه ولما نظر ما أعطاهما الله من الحسن والجمال والبهاء والاعتدال خاف عليهما من أعين الناظرين والسنة الحاسدين ومكر الماكرين وتحيل الفاسقين فحجبهما عن الناس فى قصره مدة أربعة عشر سنة ولم يرهما أحد غير والديهما وجارية تتعاطى خدمتهما وكان والدهما يقرأ القرآن كما انزله الله وكذلك أمهما تقرأ القرآن فصارت الأم تقرئ بنتها والرجل يقرأ ولده حتى حفظ القرآن وتعلما الخط والحساب والفنون والآداب من أبيهما وأمهما ولم يحتاجا إلى



معلم فلما بلغ الولد مبلغ الرجال قالت للتاجر زوجته إلى متى وأنت حاجب ولدك قمر الزمان عن أعين الناس أهو بنت وغلام فقال لها غلام قالت حيث كان غلامًا لما لم تأخذه معك إلى السوق وتقعده فى الدكان حتى يعرف الناس ويعرفوه لأجل أن يشتهر عندهم أنه ابنك وتعلمه البيع والشراء وربما يحصل لك أمر فيكون الناس قد عرفوا أنه ولدك فيضع يده على مخلفاتك وأما إذا مت على هذه الحالة وقال للناس أنا ابن التاجر عبد الرحمن فإنهم لا يصدقونه بل يقولون ما رأيناك ولا نعرف إن له ولد وتأخذ أموالك الحكام ويصير ولدك محرومًا وكذلك البنت مرادى أن أشهرها عند الناس لعل أحد يكون كفؤا لها يخطبها فنزوجها له ونفرح بها فقال لها إنما فعلت ذلك محافظة عليهما من أعين الناس وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٥٩)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن زوجة التاجر لما قالت له ذلك الكلام قال لها إنما فعلت ذلك مخافة عليهما من أعين الناس لأنى محب لهما فقالت له زوجته توكل على الله ولا بأس على من يحفظه الله وخذه فى هذا اليوم معك إلى الدكان ثم إنها ألبسته بدلة من أفخر الملابس فصار فتنة للناظرين وحسرة فى قلوب العاشقين وأخذه أبوه معه ومضى به إلى السوق فصار كل من رآه يفتتن به ويتقدم إليه ويبوس يده ويسلم عليه وصار أبوه يشتم الناس حيث يتبعنه لقصد الفرجة وصار البعض من الناس يقولون إن الشمس قد طلعت فى المحل الفلانى وأشرقت فى السوق والبعض يقولون مطلع البدر فى الجهة الفلانية والبعض يقولون ظهر هلال العيد على عباد الله وصاروا يلمحون للولد بالكلام ويدعون له وقد حصل لأبيه خجل من كلام الناس ولا يقدر أن يمنع أحدًا منهم عن الكلام وصار يشتم أمه ويدعوا عليها لأنها هى التى كانت سببًا فى خروجه فلما رأى التاجر عبد الرحمن الناس مزدحمين عليه وواقفين صفوفًا نساء ورجالاً لديه شاخصين لولده خجل غاية الخجل وصار متحيرًا فى أمره ولم يدر ماذا يصنع فلم يشعر إلا ورجل درويش من السياحين وعليه شعار عباد الله الصالحين قد أقبل عليه من

طرف الشوق ثم تقدم إلى التاجر وصار يمشى الهوينا ويمسح شيبته بيده اليمنى فانشق لهيبته قلب الزحام فلما نظر إلى الغلام اندهش منه العقل والنظر وانطبق عليه قول الشاعر:

فبينما ذاك المليح فى محل   من وجه هلال عيد الفطر هل
إذا بشيخ ذى وقار قد أهل   معتمدًا فى مشيه على مهل

يرى عليه أثر للزهد

قد مارس الأيام والليالى   وخاض فى الحرام والحلال
وهام بالنساء والرجال   ورق حتى صار كالخلال

وعاد عظما بالياقى جلدًا

وكان فى ذا الفن مغربيًا   الشيخ يرى عنده صبيًا
وفى محبة النساء عذريًا   فى الخصلتين ماهرًا عويًا

فزينب لديه مثل زيد

ثم تقدم إلى الولد وأعطاه عرق ريحان فمد أبوه يده إلى جيبه وأخرج له ما تيسر من الدراهم وقال خذ نصيبك يا درويش واذهب إلى حال سبيلك فأخذ منه الدراهم وجلس على مصطبة الدكان وصار ينظر إلى الولد ويبكى ويتحسر حسرات متتابعة وعيونه كالعيون النابعة فصارت الناس تنظر إليه وتعترض عليه وبعضهم يقول إن كل الدراويش فساق وبعضهم يقول إن الدرويش فى قلبه من عشق الولد احتراق وأما أبوه فإنه لما عاين هذا الحال قام وقال قم يا ولدى حتى نقفل الدكان ونروح إلى بيتنا ولا ينبغى لنا فى هذا اليوم بيع ولا شراء الله تعالى يجازى أمك بما فعلت معنا فإنها هى التى تسببت فى هذا كله ثم قال يا درويش قم حتى أقفل الدكان فقام الدرويش وقفل التاجر دكانه وأخذ ولده ومشى فتبعهما الدرويش والناس إلى أن وصلا إلى منزلهما فدخل الولد المنزل والتفت التاجر إلى الدرويش وقال له ما تريد يا درويش ومالى أراك تبكى فقال يا سيدى أريد أن أكون ضيفك فى هذه الليلة والضيف ضيف الله تعالى فقال مرحبًا بضيف الله ادخل يا درويش . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٩٦٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الدرويش لما قال للتاجر والد قمر الزمان أنا ضيف الله قال التاجر مرحبًا بضيف الله ادخل يا درويش وقال التاجر فى نفسه إن كان هذا الدرويش عاشقًا للولد وطلب منه فاحشة فلابد أن أقتله فى هذه الليلة وأخفى قبره وإن كان ما عنده فساد فإن الضيف يأكل نصيبه ثم إنه أدخل الدرويش هو وقمر الزمان قاعة وقال سرًا لقمر الزمان يا ولدى اجلس بجانب الدرويش وناغشه ولاعبه بعد أن أخرج من عندكما فإن طلب منك فسادًا فأنا أكون ناظرًا لكما من الطاقة المطلة على القاعة فإنزل إليه واقتله ثم خرج وخلاهما وقعد فى قاعة ثانية فيها طاقة تطل على القاعة التى هما فيها هذا ما كان من أمر التاجر (وأما) ما كان من أمر



(الدرويش الذى أضافه والد قمر الزمان)

الولد فإنه تقدم إلى الدرويش وصار يناغشه ويعرض نفسه عليه فاغتاظ الدرويش وقال له ما هذا الكلام يا ولدى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم إن هذا منكراً ألا يرضيك ابعد عنى يا ولدى ثم قام الدرويش من مكانه وقعد بعيداً عن الولد فتبعه الولد ورمى روحه عليه وقال له لأى شىء يا درويش تحرم نفسك من لذة وصالى وأنا قلبى يحبك فازداد غيظ الدرويش وقال له إن لم تمتنع عنى ناديت أباك وأخبرته بخبرك فقال له إن أبى يعرف أننى بهذه الصفة ولا يمكن أن يمنعنى فأجبر بخاطرى لأى شىء تمتنع عنى أما أعجبتك فقال له والله يا ولدى ما أفعل ذلك ولو قطعت بالسيوف البواتر ثم بكى وقال قم افتح لى الباب حتى أروح إلى حال سبيلى أنا ما بقيت أنام فى هذا المكان ثم قام على قدميه فتعلق به الولد وصار يقول له انظر لإشراق وجهى وحمرة خدى ولين معاطفى ورقة شفائفى ثم كشف له عن ساق يخجل الخمر والساقى بلحظ يعجز السحر والراقى وكان بديع الجمال كثير الدلال ثم بين له الغلام صدره وصار يقول له انظر إلى نهودى فإنها أحسن من نهود البنات وريقى أحلى من السكر النبات فدع الدرع والزهادة وخلنا من النسك والعبادة واغتنم وصالى وتملى بجمالى ولا تخف والدرويش يلفت وجهه ويقول أعوذ بالله استحى يا ولدى إن هذا حرام لا أفعله ولا فى المنام فشدد عليه الغلام فانفلت الدرويش واستقبل القبلة وصار يصلى فلما رآه تركه حتى صلى ركعتين وسلم وأراد أن يتقدم إليه فنوى الصلاة ثانى مرة وصلى ركعتين ولم يزل يفعل هكذا ثالثًا ورابعًا وخامسًا ثم إن الغلام ارتمى عليه وصار يبوسه بين عينيه فقال له يا ولدى اخز عنك الشيطان وعليك بطاعة الرحمن فقال له إن لم تفعل بى ما أريد أنادى أبى وأقول له إن الدرويش يريد أن يفعل بى الفاحشة فيدخل عليك ويضربك حتى يكسر عظمك على لحمك كل هذا وأبوه ينظر بعينه ويسمع بأذنه فثبت عند أبى الولد أن الدرويش ما عنده فساد وقال فى نفسه لو كان هذا الدرويش مفسد ما كان يتحمل هذه المشقة كلها ثم إن الولد صار يحاول الدرويش وكلما نوى الصلاة قطعها عليه حتى اغتاظ الدرويش غاية الغيظ وأغلظ على الولد وضربه فبكى الولد فدخل عليه أبوه ومسح دموعه وأخذ بخاطره وقال للدرويش يا أخى حيث إنك على هذه الحالة لأى شىء تبكى وتتحسر حين رأيت ولدى أهل لهذا من سبب فقال له نعم أنا لما رأيتك تبكى



عند رؤيته ظننت فيك السوء فأمرت الولد بهذا الأمر حتى أجربك وأضمرت أنى إذا رأيتك تطلب منه فاحشة أدخل عليك وأقتلك فلما رأيتك ما وقع منك عرفت أنك من الصلاح على غاية ولكن بالله عليك أن تخبرنى بسبب بكائك فتنهد الدرويش وقال له يا سيدى لا تحرك على ساكن الجراح فقال لابد أن تخبرنى بسبب بكائك فتنهد الدرويش وقال له يا سيدى لا تحرك على ساكن الجراح فقال لابد أن تخبرنى فقال له إعلم أننى درويش سياح فى البلاد



(الجوارى اللاتى رآهن الدرويش فى مدينة البصرة وقد أمرت سيدتهن إحداهن بضرب عنق الرجل الذى كان متخفيًا فى الدكان)

والأقطار لاعتبر بآثار خالق الليل والنهار فاتفق أنني دخلت مدينة البصرة في يوم جمعة ضحوة النهار فرأيت الدكاكين مفتوحة وفيها من سائر الأصناف والبضائع والمأكول والمشروب وهي خالية ليس فيها رجل ولا امرأة ولا بنت ولا ولد وليس في الشوارع كلاب ولا قطط ولا حس حسيس ولا انس أنيس فتعجبت من ذلك وقلت إن هذا الشيء عجيب كان أهل هذه المدينة أتاهم الموت فماتوا كلهم في هذه الساعة أو خافوا من شيء نزل بهم فهربوا وما قدروا أن يقفلوا دكاكينهم فبينما أنا أفكر في هذا الأمر وإذا بصوت نوبة تدق فخفت واختفيت حصة من الزمان وصرت أنظر من خلال الخروق فرأيت جواري كأنهن الأقمار قد مشين في السوق زوجًا من غير غطاء بل مكشوفات الوجوه وهن أربعون زوجًا بثمانين جارية ورأيت وليدة راكبة على جواد لا يقدار أن ينقل أقدامه مما عليه وعليها من الذهب والفضة والجواهر وبين يديها جارية مقلدة بسيف عظيم قبضته زمرد وعلائقه من ذهب مرصع بالجواهر فلما وصلت تلك الصبية إلى الجهة التي قدامي حست عنان الجواد وقالت يا بناتي قد سمعت حس شيء في داخل الدكان ففتشته لئلا يكون فيه أحد مستخف ومراده يتفرج علينا ونحن مكشوفات الوجوه ففتشن الدكان الذي قدام القهوة التي أنا مستخف فيها وبقيت أنا خائفًا فرأيتهن قد خرجن برجل وقلن لها يا سيدتنا قد رأينا هنا رجل وها هو بين يديك فقالت للجارية التي معها السيف يرمي عنقه فتقدمت إليه الجارية وضربت عنقه ثم تركته مطروحًا على الأرض ومضين ففزعت أنا لما رأيت هذه الحالة ولكن تعلق قلبي بعشق الصبية وبعد ساعة ظهر الناس وصار كل من كان له دكان يدخلها ودرجت الناس في الأسواق والتموا على المقتول يتفرجون عليه فخرجت أنا من المكان الذي كنت فيه سرًا ولم ينتبه إلى أحد ولكن تمالك قلبي عشق تلك الصبية فسرت أبحث عليها سرًا فلم يخبرني أحد عنها بخبر ثم إنه بكى بكاءً شديدًا ما عليه من مزيد وقال له يا سيدي بالله عليك أن تفتح لي الباب حتى أروح إلى حال سبيلي ففتح له الباب فخرج هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لما سمع كلام الدرويش اشتغل باله بعشق تلك الصبية وتمكن منه الغرام وهاج به الوجد والهيام فلما أصبح الصباح قال لأبيه كل أولاد التجار يسافرون البلاد لتحصيل المراد وليس منهم واحد إلا وأبوه يجهز له بضاعة فيسافر بها

ويربح فيها ولأى شىء يا أبى لم تجهز لى تجارة حتى أسافر بها وأنظر سعدى فقال له يا ولدى إن التجار مقلون من المال فيسفرون أولادهم لأجل الفوائد والمكاسب وجلب الدنيا وأما أنا فعندى أموال كثيرة وليس عندى طمع فكيف أغربك وأنا لا أقدر على فراقك ساعة خصوصًا وأنت فريد فى الجمال والحسن والكمال وأخاف عليك فقال له يا أبى لا يمكن إلا أن تجهز لى متجر إلا سافر به وإلا غافلك وأهرب ولو كان من غير مال ولا تجارة وإن أردت أن تطيب خاطرى فجهز لى بضاعة حتى أسافر واتفرج على بلاد الناس فلما رآه أبوه متعلقًا بالسفر أخبر زوجته بهذا الخبر وقال لها إن ولدك يريد أن أجهز له متجرًا ليسافر به إلى بلاد الغربة مع أن الغربة كربة فقالت له زوجته ماذا يضرك من ذلك أن هذه عادة أولاد التجار كلهم يتفاخرون بالأسفار والمكاسب فقبل التاجر كلام زوجته وجهز متجرًا لولده بتسعين ألف دينار وأعطته أمه كيسًا فيه أربعين فصًا من ثمين الجواهر أقل قيمة الواحد خمسمائة ألف دينار وقالت يا ولدى احتفظ على الجواهر فإنها تنفعك فأخذ قمر الزمان جميع ذلك وسافر إلى البصرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٦١)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أخذ جميع ذلك وسافر إلى البصرة وكان قد وضع الجواهر فى كمر وشده على وسطه ولم يزل مسافرًا حتى لم يبقى بينه وبين البصرة إلا مرحلة واحدة فخرجوا عليه العرب وعروه وقتلوا رجاله وخدمه فرقد بين قتيلين ولطخ روحه بالدم فظن العرب أنه مقتول فتركوه قام قمر الزمان من بين القتلى ومشى وهو لا يملك شيئًا غير القصوص التى على حزامه ولم يزل سائرًا حتى دخل البصرة فاتفق أن دخوله كان فى يوم جمعة وكانت المدينة خالية من الناس كما أخبر الدرويش فبينما هم كذلك إذ سمع النوبة تدق فاختفى فى دكان إلى أن جاءت البنات فتفرج عليهم ولما رأى الصبية راكبة أخذه العشق والغرام ومسكه الوجد والهيام حتى لا يستطيع القيام وبعد حصة من الزمان ظهرت الناس

وملأت الأسواق فذهب إلى السوق وتوجه إلى رجل جوهرى وأخرج له حجراً من الأربعين يساوى ألف دينار فباعه له ورجع إلى محله ثم بات تلك الليلة ولما أصبح الصباح غير حوائجه ودخل الحمام وطلع كأنه البدر التمام ثم باع أربعة فصوص بأربعة آلاف دينار وصار يتفرج على شوارع البصرة وهو لابس أفخر الملابس حتى وصل إلى سوق فرأى فيه رجلاً مزيناً فدخل عنده وحلق رأسه وعمل معه صاحبه ثم قال له يا والدى أنا غريب البلاد وبالأمس دخلت هذه المدينة فرأيتها خالية من السكان وما فيها أحد من إنس ولا جان ثم إنى رأيت بنات وبينهن صبية راكبة فى موكب وأخبره بما رآه فقال له يا ولدى هل أخبرت غيرى بهذا الخبر قال لا قال إياك أن تذكر هذا الكلام قدام غيرى فإن كل الناس لا يكتمون الكلام والأسرار وأنت ولد صغير فأخاف عليك أن ينتقل الكلام من ناس إلى ناس حتى يصل إلى أصحابه فيقتلوك واعلم يا ولدى أن الذى رأيته ما أحد رآه ولا يعرفه فى غير هذه المدينة وأنا أهل البصرة فإنهم يموتون بهذه الحسرة وفى كل يوم جمعة عند ضحوة النهار يحبسون الكلاب والقطط ويمنعوها عن المشى فى الأسواق وجميع أهل المدينة يدخلون الجوامع ويغلقون عليهم الأبواب ولا يقدر أحد منهم أن يمر فى السوق ولا يطل من طاقة ولا يعرف أحد ما سبب هذه البلية ولكن يا ولدى فى هذه الليلة اسأل زوجتى عن سببها فإنها داية تدخل بيوت الأكابر ثم تركه فى الدكان وراح إلى زوجته وأخبرها بشأن الغلام وقال لها مرادى أن تخبرينى بحقيقة أمر هذه المدينة حتى أخبر بها هذا الشاب التاجر فقالت له رح هاته وقل له تعالى كلم أمك زوجتى فذهب إلى الدكان فرأى قمر الزمان قاعداً ينتظره فأخبره بالخبر وقال له يا ولدى اذهب بنا إلى أمك زوجتى فإنها تقول لك أن الحاجة مقضية ثم أخذه وسار به حتى دخل على زوجته فرحبت به وأجلسته ثم إنه أخرج مائة دينار وأعطاها لها وقال لها يا أمى أخبرينى عن هذه الصبية من تكون فقالت يا ولدى اعلم أن سلطان البصرة قد جاءته جوهرة من عند ملك الهند فأراد أن يثقبها فأحضر جميع الجوهرية وقال لهم أريد منكم أن تثقبوا لى هذه الجوهرة والذى يثقبها له على تمنية فمهما تمناه أعطيته له وإن كسرها فإنى أرمى رأسه فخافوا وقالوا يا ملك الزمان إن الجوهر سريع العطب وقبل أن يثقبه أحد ويسلم فقال الملك ومن شيخكم قالوا له المعلم عبد فأرسل إليه وأحضره بين

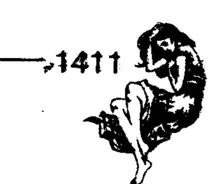
يديه وأمره أن يثقب له هذه الجوهرة وشرط عليه الشرط المذكور فأخذها وثقبها على مزاج الملك فقال تمنا على يا معلم فقال يا ملك الزمان أمهلنى إلى غد والسبب فى ذلك أنه أراد يشاور زوجته وكانت زوجته تلك الصبية التى رأيتها فى الموكب فلما أتى إليها قال لها إنا ثقبت للملك جوهرة وأعطانى ثمنية وقد أمهلته حتى أشاورك فأى شيء تريدين حتى أتمنى قالت نحن عندنا أموال لا تأكلها النيران ولكن إن كنت تحبنى فتمن على الملك أنه ينادى فى شوارع البصرة أن أهلها يدخلون الجوامع يوم الجمعة قبل الصلاة بساعتين ولا يبقى فى البلد كبير ولا صغير إلا ويكون فى المسجد أوفى البيت وتقفل عليهم أبواب المساجد والبيوت ويتركون دكاكين البلد مفتوحة واركب بجوارى وأشق فى المدينة ولا ينظرنى أحد من طاقة ولا من شباك وكل من عثرت به قتلته فراح إلى الملك وتمنى عليه هذه الأمنية فأعطاه ما تمناه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٦٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه راح إلى الملك وتمنى عليه هذه الأمنية فأعطاه ما تمناه ونادى بين أهل البصرة بما تمناه قالوا إننا نخاف على البضائع من القطط والكلاب فأمر الملك بحبسها فى ذلك اليوم حتى تخرج الناس من صلاة الجمعة وصارت تلك الجارية تخرج فى كل يوم جمعة قبل الصلاة بساعتين وتركب بجواريها فى شوارع البصرة ولا يقدر أحد أن يمر فى السوق ولا أن يطل من طاقة ولا من شباك فهذا هو السبب وقد عرفتك بالجارية ولكن يا ولدى هل مرادك معرفة خبرها أو مرادك الاجتماع بها فقال يا أمى مرادى الاجتماع بها فقالت أخبرنى بما عندك من الذخائر الفاخرة فقال يا أمى عندى من ثمين المعادن أربعة أصناف صنف ثمن كل واحد منه خمسمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه سبعمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه ثمانمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه ألف دينار قالت له تسمح نفسك بأربعة منهم قال نفسى تسمح بالجميع قالت قم يا ولدى من غير مطرود واخرج منها فصًا يكون ثمنه

خمسمائة دينار واسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية واذهب إليه تراه جالسًا فى دكانه وعليه ثياب فاخرة وتحت يده الصناع فسلم عليه واجلس على الدكان وأخرج الفص وقل له يا معلم خذ هذا الحجر واصنع لى خاتمًا بالذهب ولا تجعله كبيرًا بل اجعله على قدر مثقال من غير زيادة واصنعه صنعًا جيدًا ثم أعطه عشرين دينارًا واعط الصناع كل واحد دينارًا واقعد عنده حصة وتحدث معه وإذا أتاك سائل فأعطه دينارًا واظهر الكرم حتى يتولع بمحبتك ثم قم من عنده ورح إلى منزلك وبت هناك فإذا أصبحت فهات معك مائة دينار وأعطها لأبيك فإنه فقير قال وهو كذلك ثم خرج من عندها وذهب إلى الوكالة وأخذ فصًا ثمنه خمسمائة دينار وعمد به إلى سوق الجواهر وسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية فدلوه على دكانه فلما وصل إلى الدكان رأى شيخ الجوهرية رجلاً مهابًا وعليه ثياب فاخرة وتحت يده أربعة صناع فقال السلام عليكم فرد عليه السلام ورحب به وأجلسه فلما جلس أخرج له الفص وقال له يا معلم أريد منك أن تصوغ لى هذا الحجر خاتمًا بالذهب ولكن اجعله على قدر مثقال من غير زيادة وصغه لى صياغة طيبة ثم أخرج له عشرين دينارًا وقال له خذ هذه فى نظير نقشه والأجرة باقية ثم أعطى كل صانع دينارًا فأحبه الصناع وأحبه المعلم عبيد وقعد يتحدث معه وصار كل من أتاه من السائلين يعطيه دينارًا فتعجبوا من كرمه ثم إن المعلم عبيد كان عنده عدة فى بيته مثل العدة التى فى الدكان وكان من عادته إذا أراد أن يصنع شيئًا غريبًا يشتغله فى بيته حتى إن الصناع لا يتعلمون منه الصنعة الغريبة وكانت الصبية زوجته تجلس قدامه فإذا كانت قدامه ونظر إليها فإنه يصنع كل شىء غريب صناعته بحيث لا يليق إلا بالملوك فقعد يصنع هذا الخاتم صنعة عجيبة فى البيت فلما رأته زوجته قالت ما مرادك أن تصنع بهذا الفص قال أريد أن أصوغه خاتمًا بالذهب فإن ثمنه خمسمائة دينار فقالت له لمن قال لغلام تاجر جميل الصورة له عيون تجرح وخدود تقدح وله فم كخاتم سليمان ووجنتان كشقائق النعمان قالت له هل يوجد فيه شىء من محاسنى فقال لها جميع محاسنك كلها فيه وهو شبيهك فى الصفة وربما كان عمره قدر عمرك ولولا أنى أخاف على خاطرك لقلت إنه أحسن منك ألف مرة فسكتت ولكن التهبت نار محبته فى قلبها ثم إن الصائغ لم يزل يتحدث معها فى تعداد محاسنه حتى فرغ من صياغة هذا الخاتم



ثم ناوله لها فلبسته فجاء على قدر أصبعها فقالت له يا سيدى إن قلبى حب هذا الخاتم أشتهى أن يكون لى ولا أنزعه من أصبعى فقال لها اصبرى فإن صاحبه كريم وأنا أطلب أن اشتريه منه فإن باعنى إياه جئت به إليك وإن كان عنده حجراً آخر اشتريه لك وأصوغه . مثله وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٦٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى قال لزوجته اصبرى فإن صاحبه كريم وأنا أطلب أن أشتريه منه فإن باعنى إياه جئت به إليك وإن كان عنده حجر آخر اشتريه وأصوغه لك مثله هذا ما كان من أمر الجوهرى وزوجته (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه بات فى منزله فلما أصبح أخذ ما ئة دينار وأتى إلى العجوز زوجة المزين وقال لها خذى هذه المائة دينار فقالت له أعطها لأبيك فأعطاها له ثم إنها قالت له هل فعلت كما قلت قال نعم قالت له قم وتوجه الآن إلى شيخ الجواهرجية فإذا أعطاك الخاتم فضعه فى رأس أصبعك وانزعه بسرعة وقل له يا معلم أخطأت إن الخاتم جاء ضيقاً فيقول لك يا تاجر هل أكسره وأصوغه واسعا فقل له ما أحتاج إلى كسره وصياغته ثانيًا ولكن خذه وأعطه لجارية من جواريك ثم أخرج له فصا آخر ثمنه سبعمائة دينار . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٦٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه أخرج له فصًا آخر ثمنه سبعمائة دينار وقال له اصنع هذا ثم أعطاه ثلاثين دينار وأعطى كل صانع دينارين فقال له يا سيدى لما نصوغ الخاتم نأخذ أجرته قال هذه فى نظير نقشه والأجرة باقية ثم تركه ومضى فاندهش الجوهرى من شدة كرم قمر الزمان وكذلك الصناع ثم إن الجوهرى ذهب إلى زوجته وقال لها يا فلانة ما رأت عينى أكرم من هذا الشاب وأنت بختك طيب لأنه أعطانى الخاتم بلا ثمن وقال لى أعطه لبعض جواريك وحكى لها القصة هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه أصبح متوجهًا إلى

العجوز زوجة المزين وأعطاها مائتى دينار فقالت له توجه إلى الجوهرى فإذا أعطاك الخاتم فضعه فى إصبعك وانزعه سريعًا وقل له اخطأت يا معلم إن الخاتم جاء واسعًا والمعلم الذى يكون مثلك إذا أتاه مثلى بشغل ينبغى له أن يأخذ القياس فلو كنت أخذت قياس أصبعى ما أخطأت وأخرج له حجرًا آخر يكون ثمنه ثمانمائة دينار وقل له خذ هذا اصنعه واعط هذا الخاتم إلى جارية من جواريك ثم أعطه أربعين دينارًا وأعط كل صانع ثلاثة دنانير وقل له هذا فى نظير نقشه وأما الأجرة فإنها باقية وانظر ماذا يقول لك ثم تعالى ومعك ثلثمائة دينار وأعطها لأبيك يستعين بها على وقته فإنه رجل فقير الحال فقال سمعًا وطاعة ثم توجه إلى الجوهرى فرحب به وأجلسه ثم أعطاه الخاتم فوضعه فى أصبعه ونزعه بسرعة وقال له ينبغى للمعلم الذى مثلك إذا أتاه مثلى بشغل أن يأخذ قياسه فلو كنت أخذت قياس أصبعى ما أخطأت ولكن خذه وأعطه لبعض جواريك ثم أخرج له حجرًا ثمنه ثمانمائة دينار وقال له خذ هذا واصنعه لى خاتمًا على قدر أصبعى فقال صدقت والحق معك فأخذ القياس وأخرج له أربعين دينارًا وقال له خذ هذه فى نظير نقشه والأجرة باقية وبعد ذلك تركه وانصرف هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الجوهرى فإنه توجه إلى بيته وقال لزوجته ما أكرم هذا الشاب التاجر فما رأيت أكرم منه ولا أجمل منه ولا أحلى من لسانه وصار يذكر لها محاسنه وكرمه ويبالغ فى مدحه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٦٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى صار يذكر لها محاسنه وكرمه ويبالغ فى مدحه فقالت له يا عديم الذوق حيث كنت تعرف فيه هذه الصفات وقد أعطاك خاتمين مثمنين ينبغى لك أن تعزمه وتعمل له ضيافة وتتودد إليه فقال لها على الرأس والعين ثم إنه صاغ الخاتم ونام وأصبح فى ثالث يومًا متوجهًا إلى الدكان وجلس فيها هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه أخذ ثلثمائة دينار وتوجه إلى العجوز وأعطاها لزوجها فقالت له ربما يعزم عليك فى هذا اليوم فإذا عزم عليك وبت عنده فمهما جرى لك فأخبرنى به فى الصبح وهات



معك أربعمائة دينار وأعطها لأبيك فقال سمعًا وطاعة وصار كلما فرغت منه الدراهم يبيع من الأحجار ثم إنه توجه لى الجوهرى فقام له وأخذه بالأحضان وسلم عليه وعقد معه صحبة ثم إنه أخرج الخاتم فرآه على قدر أصبعه فقال له بارك الله فيك يا سيد المعلمين إن الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادى وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٩٦٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما قال للجوهرى إن الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادى لأن عندى أحسن منه فخذه وأعطه لبعض جواريك وأخرج له غيره وأخرج له مائة دينار وقال له خذ أجرتك ولا تؤاخذنا فإننا أتعبناك فقال له الذى تعبنا فيه قد أعطيتنا إياه وتفضلت علينا بشىء كثير وأنا قلبى تعلق بحبك ولا أقدر على فراقك فبالله عليك أن تكون ضيفى فى هذه الليلة وتجبر خاطرى فقال لا بأس ولكن لابد أن أتوجه إلى الخان لأجل أن أوصى أتباعى وأخبرهم بأننى غير بائت فى الخان حتى لا ينتظرونى فقال له إنت بائت فى أى خان قال فى الخان الفلانى فقال أجىء إليك هناك فقال لا بأس ثم إن الجوهرى توجه إلى ذلك الخان قبل المغرب خوفًا من غضب زوجته عليه إن دخل البيت بدونه ثم إنه أخذه ودخل به فى بيته وجلسا فى قاعة ليس لها نظير وكانت الصبية رأته حين دخوله فافتتنت به ثم صارا يتحدثان إلى أن جاء العشاء فأكلا وشربا وبعد ذلك جاءت القهوة والشربات ولم يزل يسامره إلى وقت العشاء فصليا الفريضة ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٩٦٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب فلما شربا غلب عليهما النوم فناما ثم جاءت الصبية فرأتهما نائمين فنظرت فى وجه قمر الزمان

فاندهش عقلها من جماله وقالت كيف ينام من عشق الملاح ثم قلبته على قفاه وركبت على صدره ومن شدة غيظها من غرامه نزلت على خدوده بعلقة بوس حتى أثر ذلك فى خده فاشتدت حمرته وذهبت وجنته ونزلت على شفته بالمص ولم تزل تمص شفته حتى خرج الدم من فمها ومع ذلك لم تنطفئ نارها ولم يروا وارها ولم تزل معه بين بوس وعناق والتفاف ساق على ساق حتى أشرق جبين الصباح وتبلج الفجر ولاح ثم وضعت فى جيبه أربعة عواشق وتركته وراحت وبعد ذلك أرسلت جارية بشىء مثل النشوق فوضعته فى مناخيرها فعطسا وأفاقا فقالت لهم الجارية اعلموا يا أسيادى إن الصلاة وجبت فقوموا لصلاة الصبح وأتت لهما بالطشت والإبريق ثم قال قمر الزمان يا معلم إن الوقت جاء وقد تجاوزنا الحد فى النوم فقال الجوهرى للتاجر يا صاحبى إن نوم هذه القاعة ثقيل كلما أنام فيها يجرى لى هذا الأمر فقال صدقت ثم إن قمر الزمان أخذ يتوضأ فلما وضع الماء على وجهه أحرقته خدوده وشفته فقال عجائب إذا كان هوى القاعة ثقيلا واستغرقنا فى النوم فما بال خدودى وشفتى تحرقنى ثم قال يا معلم إن خدودى وشفتى تحرقنى فقال أظن أن هذا من أكل الناموس فقال عجائب وهل يجرى لك فيها مثلى قال لا ولكن إذا كان عندى ضيف مثلك يصبح يشكوا من قرص الناموس ولا يكون ذلك إلا إذا كان الضيف مثلك أمرد فقال له صدقت ثم إن الجارية جاءت لهما بالفطور فأفطرا وخرج وراح قمر الزمان إلى العجوز فلما رأته قالت له إنى أرى آثار الحظ على وجهك بما رأيت فقال ما رأيت شيئًا وإنما تعشيت أنا وصاحب المحل فى قاعة وسلينا العشاء ونمنا فما أفقنا إلا الصبح فضحكت وقالت ما هذا الأثر الذى على خدك وعلى شفتك فقال لها إن نموس القاعة فعل معى هذه الفعال فقالت صدقت فهل رأيت شيئًا غير هذا قال رأيت فى جيبى أربعة عواشق قالت أرنى إياه فأعطاها لها فأخذتها وضحكت وقالت إن معشوقتك قد وضعت هذه العواشق فى جيبك قال وكيف ذلك قالت إنها تقول لك بالإشارة لو كنت عاشقًا ما نمت فإن الذى يعشق لا ينام ولكن أنت لم تزل صغيراً ولا يليق بك إلا اللعب بهذه العواشق فما حملك على عشق الملاح هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر زوجة الجوهرى فإنها قالت لزوجها هل راح الضيف قال نعم ولكن يا فلانة إن الناموس شوش عليه فى هذه الليلة وقطع



خدوده وشفته وأنا استحيت منه فقالت إن هذه عادة ناموس قاعتنا فإنه لا يهوى إلا المرد ولكن اعزمه فى الليلة الآتية فتوجه إلى الخان الذى هو فيه وعزمه وأتى به إلى القاعة فأكلا وشربا وشربًا وصليا العشاء فدخلت عليهما الجارية وأعطت كل واحد فنجانًا وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٦٨)

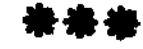
قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما دخلت عليهما وأعطت كل واحد فنجانًا فشربا وناما فأتت الصبية وقالت له يا علق كيف تنام وتدعى أنك عاشق والعاشق لا ينام ثم ركبت على صدره ومازالت نازلة عليه ببوس وعض ومص وهراش إلى الصباح ثم حطت له فى جيبه سكينًا وأرسلت جاريتها عند الصباح فنبهتهما وخدوده كأنها ملتهبة بالنار من شدة الإحمرار وشفاهه كالمرجان بسبب المص والتقبيل فقال له الجوهرى لعل الناموس شوش عليك قال لا لأنه لما عرف النكتة ترك الشكاية ثم إنه لما رأى السكين فى جيبه فسكت ولما فطر وشرب القهوة خرج من عند الجوهرى وتوجه إلى الخان وأخذ خمسمائة دينار وذهب إلى العجوز وأخبرها بما رأى وقال لها إنى نمت غصبًا عنى ولما أصبحت ما رأيت شيئًا غير سكين فى جيبى فقالت اخبرنى بما تأكله وما تشربه قبل النوم قال نتعشى على عادة الناس ثم تدخل علينا جارية بعد العشاء وتعطى كل واحد فنجانًا فمتى شربت فنجانى نمت ولا أفيق إلا فى الصباح فقالت له إن الداهية فى الفنجان فخذه منها ولا تشربه فقال لها سمعًا وطاعة ثم توجه إلى الخان هذا ما كان من أمره (وإما) ما كان من أمر زوجة الجوهرى فإنها قالت لزوجها إكرام الضيف ثلاث ليال فاعزمه مرة ثالثة فتوجه إليه وعزمه وأخذه ودخل به إلى القاعة فلما تعشيا وصليا العشاء إذا بالجارية دخلت وأعطت كل واحد فنجانًا فشرب سيدها ورقد وأما قمر الزمان فإنه لم يشرب فقالت له الجارية أما تشرب يا سيدى فقال لها إنا عطشان هات القلة فذهبت لتجىء إليه بالقلة فسكب الفنجان خلف المخدة ورقد فلما رجعت الجارية رأته راقدًا فأخبرت سيدتها بذلك وقالت

إنه لما شرب الفنجان رقد فقالت الصبية فى نفسها إن موته أحسن من حياته . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٦٩)

قالت: بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية قالت فى نفسها إن موته أحسن من حياته ثم أخذت سكيناً ماضية ودخلت عليه وهى تقول ثلاث مرات وأنت لم تلحظ الإشارة يا أحمق الآن أشق بطنك فلما رآها مقبلة عليه وفى يدها السكين فتح عينيه وقام ضاحكاً فقالت له ما فهمت هذه الإشارة بفطنتك بل بدلالة ماكرة فأخبرنى من أين لك هذه المعرفة قال من عجوز وجرى لى معها كذا وكذا وأخبرها بالخبر فقالت له فى غد اخرج من عندنا ورح إلى العجوز وقل لها اجتهدى فى الوصول إليها جهاراً وإن قالت مالى مقدرة وهذا آخر ما معى فاتركها عن بالك وفى ليلة غد يأتى زوجى ويعزمك فتعالى معه وأخبرنى وأنا أعرف بقية التدبير فقال لا بأس ثم بات معها بقية الليلة على ضم وعناق إلى الصباح ثم قالت له إنا ما يكفينى منك ليلة ولا يوم ولا شهر ولا سنة وإنما قصدى أن أقيم معك بقية العمر ولكن اصبر حتى أعمل لك مع زوجى حيلة تحير ذو الألباب ونبلغ بها الأرب وأدخل عليه الشك حتى يطلقنى فقال سمعاً وطاعة وما عندى خلاف فقالت له رح إلى الخان وأن جاء زوجى وعزمك فقل له يا أخى أن ابن آدم ثقيل ومتى أكثر التردد اشمأز منه الكريم والبخيل فإن كان مرادك عشرتى فخذ لى بيتاً بجانب بيتك وتبقى أنت تارة تسهر عندى إلى وقت النوم وأنا تارة أسهر عندك إلى وقت النوم ثم أروح إلى منزلى وأنت تدخل حريمك ثم إنها قالت له رح الآن وافعل كما أمرتك فقال لها سمعاً وطاعة ثم تركته وراحت وهو جعل نفسه نائماً وبعد ذلك أتت الجارية فنبهتهما فلما أفاق الجوهرى وشربا القهوة وخرجا إلى أشغالهما وتوجه قمر الزمان إلى العجوز وأخبرها بما جرى وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٩٧٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما توجه إلى العجوز وأخبرها بما جرى وقال إنها قالت لى كذا وكذا وقلت لها كذا وكذا فهل عندك أكثر من هذا التدبير حتى يوصلنى إلى الاجتماع بها جهاراً فقالت يا ولدى إلى هنا انتهى تدبيرى وفرغت حيلى فعند ذلك تركها وتوجه إلى الخان ولما أصبح الصباح توجه إليه الجوهرى عند المساء وعزمه فقال له لا يمكن إنى أروح معك فقال له لماذا وأنا أحبيتك ولا أقدر على فراقك فبالله عليك أن تمض معى فقال له إن كان مرادك طول العشرة معى ودوام الصحبة بينى وبينك فخنلى بـ-ا بجانب بيتك وإن شئت أسهر عندى وأنا أسهر عندك وعند النوم يروح كل منا إلى بيته وينام فيه فقال إن عندى بيتا بجانب بيتى وهو ملكى فامض معى فى هذه الليلة وفى غد خليه لك فمضى معه وتعشيا وصليا العشاء وشرب زوجها الفنجان الذى فيه العمل فرقد وفنجان قمر الزمان لا غش فيه فشربه ولم يرقد فجاءته وقعدت تسامره إلى الصباح وزوجها مرمى مثل الميت ثم إنه صحا من النوم على العادة وأرسل أحضر الساكن وقال له يا رجل اخلى لى بيتى فإنى قد احتجت إليه فقال على الرأس والعين فأخلاه له وسكن فيه قمر الزمان ونقل جميع مصالحه فيه وفى تلك الليلة سهر الجوهرى عند قمر الزمان ثم راح إلى بيته وفى ثانى يوم أرسلت الصبية إلى معمارى ماهر فأحضرته وأرغبته بالمال حتى عمل لها سرداباً فى قصرها يوصل إلى بيت قمر الزمان وجعل له طابقاً تحت الأرض فما يشعر قمر الزمان إلا وهى داخلة عليه ومعها كيسان من المال فقال لها من أين جئت فأرته السرداب وقالت له خذ هذين الكيسين من ماله وقعدت تهارشه إلى الصباح ثم قالت له انتظرنى حتى أروح له وانبهه ثم إن الجارية نبهت سيدها وأسقته القهوة وكل منهما راح إلى حال سبيله وفى ثالث يوم أخرجت له سكيناً كانت لزوجها وهى صياغته بيده كلفها خمسمائة دينار ولم يوجد لها مثيل فى حسن الصياغة ومن كثرة ما طلبها منه الناس وضعها فى صندوق ولم تسمح نفسه ببيعها لأحد من المخلوقين ثم قالت له خذ هذه السكين فى حزامك وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٧١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية قالت له خذ هذه السكين فى حزامك ورح إلى زوجى وأجلس عنده وأخرجها من حزامك وقل له يا معلم انظر هذه السكين فإنى اشتريتها فى هذا اليوم وأخبرنى هل أنا مغلوب فيها أو غالب فإنه يعرفها ويستحى أن يقول لك هذه سكينى فإن قال لك من أين اشتريتها وبكم أخذتها فقل له رأيت اثنين من اللاوندية يتقاتلان مع بعضهما فقال واحد منهما للآخر أين كنت قال كنت عند صاحبتى وكلما اجتمع معها تعطينى دراهم وفى هذا اليوم قالت لى إن يدى لا تطول دراهم فى هذا الوقت ولكن خذ هذه السكين فإنها سكين زوجى فأخذتها منها ومرادى بيعها فأعجبتنى السكين ولما سمعته يقول ذلك قلت له أتبيعها لى فقال اشتر فأخذتها منه بثلثمائة دينار فياترى هل هى رخيصة أو غالية وانظر ما يقول لك ثم تحدث معه مدة وقم من عنده وتعال إلى بسرعة فترانى قاعدة فى فم السرداب انتظرك فأعطنى السكين فقال لها سمعًا وطاعة ثم أخذ تلك السكين وحطها فى حزامه وراح إلى دكان الجوهرى فسلم عليه ورحب به وأجلسه فرأى السكين فى حزامه فتعجب وقال فى نفسه يا ترى هى سكينى أو سكين تشابهها وإذا بقمر الزمان أخرجها وقال يا معلم خذ هذه السكين تفرج عليها فلما أخذها من يده عرفها حق المعرفة وأستحى أن يقول هذه سكينى ثم قال له من أين اشتريتها فأخبره بما أوصته به الصبية فقال له بهذه الثمن رخيصة لأنها تساوى خمسمائة دينار وانقادت النار فى قلبه وارتبطت أياديه عن الشغل فى صنعته فلما رآه تغيرت حالته قال له لعلك مشغول فى هذه الساعة ثم قام من عنده وتوجه إلى البيت بسرعة فرآها واقفة فى باب السرداب تنتظره فلما رأته قالت له هل فعلت كما أمرتك قال نعم هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الجوهرى فإنه بعد ذهاب قمر الزمان من عنده التهبت النار بقلبه وكثر عنده الوسواس وقال فى نفسه لابد أن أقوم وأتفقد السكين وأقطع الشك باليقين فقام وأتى البيت ودخل على زوجته وهو ينفخ مثل الثعبان فقالت له مالك يا سيدى فقال لها أين سكينى قالت فى الصندوق ثم دقت صدرها بيدها وقالت يا همى . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٩٧٢)

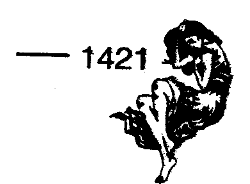
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية دقت صدرها بيدها وقالت يا همى لعلك تخاصمت مع أحد فأتيت تطلب السكين لتضربه قال لها هات السكين أرينى إياها قالت حتى تحلف إنك لا تضرب بها أحداً فحلف لها ففتحت الصندوق وأخرجتها له فصار يقلبها ويقول إن هذا شىء عجيب ثم قالت له أخبرنى ما سبب ذلك قال لها إنى رأيت مع صاحبنا سكينًا مثلها وأخبرها بالخبر كله ثم قال لها لما رأيتها فى الصندوق قطعت الشك باليقين فقالت له لعلك ظننت بى وجعلتنى صاحبة اللاوندى وأعطيته السكين فقال لها نعم إنى شككت فى هذا الأمر فقالت له يا رجل أنت ما بقى فيك خير فصار يعتذر إليها حتى أرضاها ثم خرج وتوجه إلى دكانه وفى ثانى يوم أعطت قمر الزمان ساعة زوجها وكان صنعها بيده ولم يكن عند أحد مثلها ثم قالت له رح إلى دكانه واجلس عنده وقل له أن الذى رأيته بالأمس رأيته فى هذا اليوم وفى يده ساعة وقال لى أتشترى هذه الساعة فقلت له من أين لك هذه الساعة قال كنت عند صاحبتى فاعطتنى إياها فاشتريتها منه بثمانية وخمسين دينار فانظر هل هى رخيصة بهذا الثمن أو غالية وانظر ما يقول لك وإذا قمت من عنده فأتنى بسرعة وأعطنى إياها فراح قمر الزمان وفعل معه ما أمرته فلما رآها الجوهرى قال هذه تساوى سبعمائة دينار وداخله الوهم ثم إن الغلام تركه وراح إلى الصبية وأعطاها تلك الساعة وإذا بزوجها دخل ينفخ وقال لها أين ساعتى قالت له ها هى حاضرة قال لها هاتيها فأتته بها فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالت له يا راجل ما أنت بلا خبر فأخبرنى بخبرك فقال لها ماذا أقول أنى تحيرت فى هذه الحالات ثم قال يا امرأة إنى وجدت مع التاجر صاحبنا أولاً سكينى وقد عرفتها لأن صياغتها اختراع من عقلى ولا يوجد مثلها وأخبرنى بأخبار تغم القلب وأتيت فرأيتها ورأيت معه الساعة ثانيًا وصياغتها أيضًا اختراع من عقلى وليس يوجد مثلها فى البصرة وأخبرنى أيضًا بأخبار تغم القلب فتحيرت فى عقلى وما بقيت أعرف ما جرى لى فقالت له مقتضى كلامك أنى أنا خليلة ذلك التاجر وصاحبته وأعطيته مصالحك وجوزت خيانتى فجئت تسألنى ولو كنت ما

رأيت السكين والساعة عندى كنت أثبت خيانتى لكن يا رجل حيث إنك ظننت بى هذا الظن ما بقيت أوكلك فى زاد ولا أشارِبك فى ماء بعد هذا فإنى كرهتك كراهة التحريم فصار يأخذ بخاطرها حتى أرضاها ثم خرج وتندم على مقابلتها بمثل هذا الكلام وتوجه إلى دكانه . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٩٧٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان كشف له عن وجهها فرآها زوجته وهى لابسة أفخر ملبوسها ومتزينة بأحسن الزينة ومكحلة ومخضبة كما كانت تتزين قدامه فى بيته فعرفها حق المعرفة بوجهها وملبوسها وصيغتها لأنه صاغها بيده ورأى الخواتم التى صاغها جديد القمر الزمان فى أصبعها وتحقق عنده أنها زوجته من سائر الجهات فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اسمى حليمة وزوجته اسمها حليمة فذكرت له الاسم بعينه فتعجب من ذلك وقال له بكم اشتريتها قال بألف دينار قال إنك أخذتها بلا ثمن فقال له بشرك الله بالخير وحيث أعجبتك فأنا أذهب بها إلى بيتى فقال أفعل مرادك هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الجوهرى فإن النار اشتعلت فى قلبه وقال فى نفسه أنا أروح أنظر زوجتى ثم قام يجرى إلى أن دخل البيت فرآها قاعدة بملبسها وزينتها التى رآها بها فى الدكان فضرب يد على يد وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالت له يا راجل هل حصل لك جنون أو ما خبرك فقال لها إذا كان مرادك أن أخبرك فلا تغتمى فقالت قل فقال لها إن التاجر صاحبنا اشترى جارية قدها مثل قدك وطولها مثل طولك واسمها مثل اسمك فلما فرجنى عليها ظننت أنها أنت وقد تحيرت ليتنا ما رأينا هذا التاجر ولا صحبناه ولا جاء من بلاده ولا عرفناه فإنه كدر عيشى بعد الصفاء وكان سبباً فى الجفاء بعد الوفاء وأدخل الشك فى قلبى فقالت له تأمل فى وجهى لعلى أكون أنا التى كنت معه والتاجر صاحبى وقد لبست بصفة جارية واتفقت معه على أن يفرجك على حتى يكيدك فقال أى شىء هذا الكلام أنا ما أظن بك أن تفعلى مثل هذه الفعال وكان ذلك



الجوهري مغفلاً عن مكايدة النساء وما يفعلن مع الرجال ثم قالت ها أنا قاعدة في قصري ورح أنت إليه في هذه الساعة وأطرق الباب واحتل على الدخول عليه بسرعة فإذا دخلت ورأيت الجارية عنده تكون جاريته تشبهني وجل من ليس له شبيه وأن لم تر الجارية عنده أكون أنا الجارية التي رأيتها معه ويكون ظنك السوء بي محققا فقال صدقت ثم تركها وخرج فقامت هي ونزلت من السرداب وقعدت عند قمر الزمان وأخبرته بذلك وقالت له افتح الباب بسرعة وفرجه على فبينما هم في الكلام وإذا بالباب يطرق فقال من بالباب قال إنا صاحبك فإنك فرجتني على الجارية في السوق وفرحت لك بها ولكن ما كملت فرحتي بها فافتح الباب وفرجني عليها قال لا بأس بذلك ثم فتح له الباب فرأى زوجته قاعدة عنده فقامت وقبلت يده ويد قمر الزمان وتفرج عليها وتحدث معه مدة فرآها لم تتميز عن زوجته بشيء فقال يخلق الله ما يشاء ثم إنه خرج وكثر في قلبه الوسواس ورجع إلى بيته فرأى زوجته جالسة لأنها سبقته من السرداب حين خرج من الباب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية سبقت زوجها من السرداب حين خرج من الباب ثم قعدت في قصرها فلما دخل زوجها قالت له أي شيء رأيت قال رأيتها عند سيدها وهي تشبهك فقالت توجه إلى دكانك وحسبك سوء الظن فما بقيت تظن بي سوء فقال الأمر كذلك فلا تؤاخذيني بما صدر مني قالت سامحك الله ثم قبلها ذات اليمين وذات الشمال وراح إلى دكانه فنزلت من السرداب إلى قمر الزمان ومعها أربعة أكياس وقالت جهز حالك للسفر واستعد لتحميل المال بلا إمهال حتى افعل لك ما عندي من الحيل فطلع واشترى بغالا وحمل أحمالا وجهز تختروانًا واشترى مماليك وخدمًا وأخرج الجميع من البلد وما بقي له عاقة وأتى لها وقال إني تممت أموري فقالت وأنا الأخرى قد نقلت بقية ماله وجميع ذخائره عندك وما خليت له قليلاً ولا كثيراً ينتفع به وكل هذا محبة فيك يا حبيب قلبي فأنا أفديك ألف مرة بزوجي

ولكن ينبغى لك أن تذهب إليه وتودعه وتقول له أنا أريد المفر بعد ثلاثة أيام وجئت لأودعك فاحسب ما تجمل لك عندى من أجرة البيت حتى أو رده لك وتبرأ ذمتى وانظر ما يكون من جوابه وارجع إلى وأخبرنى وأنا احتال عليه وأغيظه لأجل أن يطلقنى فما أراه إلا متعلقًا بى وما بقى لنا أحسن من السفر إلى بلادك فقال لها يا حبذا إن صحت الأحلام ثم راح إلى دكانه وجلس عنده وقال إنا مسافر بعد ثلاثة أيام وما جئت إلا لأودعك والمراد أنك تحسب ما تجمل لك عندى من أجرة البيت حتى أعطيه لك وتبرأ ذمتى فقال له ما هذا الكلام إن فضلك على والله ما آخذ منك شيئًا من أجرة البيت وحلت علينا البركات ولكنك توحشنا بسفرك ولو أنه يحرك على لتعرضت لك ومنعتك عن عيالك وبلادك ثم ودعه وتباكيا بكاءً شديدًا ما عليه من مزيد وقفل الدكان من ساعته وقال ينبغى أن أشبع من صاحبى وصار كلما راح يقضى حاجة يروح بيته يراها قاعدة هناك ولم يزل يراها فى بيته إذا دخله مدة الثلاثة أيام ثم إنها قالت له إنى نقلت جميع ما عنده من الذخائر والأموال والفرش ولم يبق عنده إلا الجارية التى تدخل عليكما بالشراب ولكنى لا أقدر على فراقها لأنها قريبتى وعزيزة عندى وكاتمة لسرى ومرادى أن أضربها وأغضب عليها وإذا أتى زوجى أقول له أنا ما بقيت أقبل هذه الجارية ولا أقعد أنا وإياها فى بيت فخذها وبعها فيأخذها ليبعها فاشتريها أنت حتى نأخذها معنا فقال لا بأس بذلك ثم إنها ضربتها فلما دخل زوجها رأى الجارية تبكى فسألها عن سبب بكائها فقالت إن سيدتى ضربتنى فدخل وقال ما فعلت هذه الجارية الملعونة حتى ضربتيها فقالت له يا رجل أنى أقول لك كلمة واحدة أنا ما بقيت أقدر انظر هذه الجارية فخذها وبعها وإلا طلقنى فقال أبعها ولا أخالف لك أمرًا ثم إنه أخذها معه وهو خارج إلى الدكان ومر بها على قمر الزمان فلما وصل إليه ورأى قمر الزمان الجارية معه قال له ما هذه قال جاريتى التى كانت تسقينا الشراب ولكنها خالفت سيدتها فغضبت عليها وأمرتنى أن أبعها فقال حيث أبغضتها سيدتها ما بقى لها قعود عندها ولكن بعها لى حتى أشم رائحتك فيها وأجعلها خادمة لجاريتى حليمة فقال لا بأس خذها فقال بكم فقال إنا لآخذ منك شيئًا لأنك تفضلت على فقبلها منه وقال للصبية قبلى يد



سيدك فبرزت له من التختروان وهو ينظر إليها ثم قال له قمر الزمان استودعك الله يا معلم عبيد أبرئ ذمتى فقال له ابرأ الله ذمتك وحملك بالسلامة إلى عيالك وودعه وتوجه إلى دكانه وهو يبكى هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإن الصبية قالت له إن أردت السلامة فسافر بنا على طريق معهودة . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٧٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما سافر قالت له الصبية إن أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهود فقال سمعًا وطاعة ثم سلك طريقًا غير الطريق التى تعهد الناس المشى فيها ولم يزل مسافراً من بلاد إلى بلاد حتى وصل إلى حدود قطر مصر ثم كتب كتابًا وأرسله إلى والده مع ساع وكان والد التاجر عبد الرحمن قاعدًا فى السوق بين التجار فبينما هو كذلك وإذا بالساعى مقبل وقال لهم يا سادتى من فيكم اسمه التاجر عبدالرحمن فقالوا له ما تريد منه قال لهم إن معى كتابًا من عند ولده قمر الزمان وقد فارقته عند العريش ففرح وانشرح وفرح له التجار وهنوه بالسلامة ثم أخذ الكتاب وقرأه فرآه من عند قمر الزمان إلى التاجر عبدالرحمن وبعد السلام عليك وعلى جميع التجار فإن سألتم عنا فلله الحمد والمنة فقد بعنا واشترينا وكسبنا ثم قدمنا بالصحة والسلامة والعافية فعند ذلك فتح باب الفرح وعمل الولائم وأكثر الضيافات والغنائم وأحضر آلات الطرب وأتى فى الفرح بأنواع العجب فلما وصل ولده الصالحية خرج إلى مقابلة أبوه وجميع التجار فقابلوه واعتنقه والده وضمه إلى صدره وبكى حتى أغمى عليه ولما أفاق قال له يوم مبارك يا ولدى حيث جمعنا بك المهيمن القادر ثم إن التجار قدموا إليه وسلموا عليه فرأوا معه أحمالاً كثيرة وخدما وتختر وأنا وهو فى دائرة واسعة فأخذوه ودخلوا به البيت فلما خرجت الصبية من التختروان رآها أبوه فتنة لمن يراها ففتحوا لها قصرًا عاليًا كأنه كنز انحلت عنه الطلاسم ولما رأتها أمه افتتنت بها وسألتها عن حالها فقالت لها أنا زوجة ولدك قالت حيث تزوج بك ينبغى لنا أن نقيم لك فرحًا عظيمًا حتى نفرح بك

وبولدى هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر التاجر عبدالرحمن فإنه بعد انفضاض الناس وراح كل واحد إلى حال سبيله اجتمع بولده وقال له يا ولدى ما تكون هذه الجارية عندك وبكم اشتريتها فقال له يا والدى ليست جارية وإنما هى التى كانت سبب غربتى ولا طليت السفر إلا من أجلها حتى تعريت فى الطريق وأخذت العرب أموالى وصار يحكى لوالده من المبتدا إلى



(قمر الزمان يقبل يد والده وقد وقفت الجارية خلفه)



المنتهى فلما فرغ من حديثه قال له يا ولدى وبعد ذلك كله تزوجتها قال لا ولكن وعدتها أن أتزوج بها قال له إن تزوجت بها أكون بريئًا منك فى الدنيا والآخرة وأغضب عليك غضبًا شديدًا كيف تتزوج بها وهى عملت هذه الفعال مع زوجها وكما عملتها مع زوجها على شأنك تعمل معك مثلها على شأن غيرك فإنها خائنة والخائن ليس له أمان فإن كنت تخالفنى أكون غضباناً عليك وأن سمعت كلامى أفتش على بنت أحسن منها تكون طاهرة زكية أزوجك بها ولو أنفق عليها جميع مالى وأعمل لك فرحًا ليس له نظير وأفتخر بك وبها وإذا قال الناس فلان تزوج بنت فلان أحسن من أن يقولوا تزوج جارية معدومة النسب والحسب وصار يرغب ولده فى عدم زواجها ويذكر له فى شأنه ذلك عبارات ونكتًا وأشعارًا وأمثالاً ومواعظ فقال قمر الزمان يا والدى حيث كان الأمر كذلك فلا علاقة لى بزواجها فلما قال قمر الزمان ذلك الكلام قبله أبوه بين عينيه وقال له إنت ولدى حقًا وحياتك يا ولدى لابد من أن أزوجك بنتاليس لها نظير ثم إن التاجر عبدالرحمن حط زوجة عبيد الجوهرى وجاريتها فى قصر عال وقفل عليها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه أرسل الخطاب يخطبون بنتًا ذات حسب ونسب لولده فمازلن يفتشن وكلما رأين واحدة يسمعن بأحسن منها حتى دخلن بيت شيخ الإسلام فرأينا بنته ليس لها نظير فى مصر وهى ذات حسن وجمال وقد واعتدال لأنها أحسن من زوجة عبيد الجوهرى بألف طبقة فأخبرته بها فذهب هو والأكابر إلى والدها وخطبوها منه وكتبوا الكتاب وعملوا لها فرحًا عظيمًا ثم عمل الولائم ولم يزل الفرح قائمًا مدة أربعين يومًا وكل يوم يقعد التاجر ويستقبل الناس وولده يقعد بجانبه ليتفرج على الناس وهم يأكلون من السماط وكان فرحًا ليس له نظير وفى آخر يوم عزم الفقراء والمساكين غريبًا وقريبًا فبينما هم كذلك وإذا بالشيخ عبيد زوج الصبية داخل فى جملة الفقراء وهو عريان تعبان وعلى وجهه أثر السفر فلما رآه قمر الزمان عرفه فقال لأبيه انظر يا أبى إلى هذا الرجل الفقير الذى دخل من الباب فنظر إليه فرآه رث الثياب وعليه خلق جلباب يساوى درهمين قال يا ولدى من هذا قال له هذا المعلم عبيد الجوهرى زوج المرأة المحبوسة عندنا فقال أهذا الذى كنت تحدثنى عنه قال نعم وقد عرفته معرفة جيدة وكان السبب فى مجيئه أنه لما ودع قمر الزمان توجه إلى دكانه فجاءته

دقة شغل فأخذها واشتغلها فى بقية النهار وعند المساء قفل الدكان وذهب إلى البيت ووضع يده على الباب فانفتح فدخل فلم ير زوجته ولا الجارية ورأى البيت فى أسوأ الحال منطبقًا عليه فلما رأى الدار خالية التفت يمينًا وشمالاً . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٧٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى لما رأى الدار خالية التفت يمينًا وشمالاً ثم دار فيه مثل المجنون فلم يجد أحدًا وفتح باب خزينة فلم يجد فيها شيئًا من ماله ولا من ذخائره فعند ذلك أفاق من سكرته وتنبه من غشيته وعرف أن زوجته هى التى كانت تنقلب عليه بالحيل حتى غدرت به فبكى على ما حصل له ولكنه كتم أمره حتى لا يشمت به أحد من أعدائه ولا يتكدر أحد من أحبابه ثم إنه قفل بيته وقصد الدكان ووكل بها صانعًا من صناعه وقال له إن الغلام التاجر صاحبى عزم على أن أروح معه إلى مصر بقصد الفرجة وحلف أنه ما يرحل حتى يأخذنى معه بحريمى وأنت يا ولدى وكيلى فى الدكان وأن سألكم عنى الملك فقولوا له إنه توجه بحريمه إلى بيت الله الحرام ثم باع بعض مصالحه واشترى له جمالا وبغالاً ومماليك واشترى له جارية وحطها فى تختروان وخرج من البصرة بعد عشرة أيام فودعه أحبابه وسار والناس يظنون أنه أخذ زوجته وتوجه إلى الحج وفرحت الناس وقد أنقذهم الله من حبسهم فى المساجد والبيوت فى كل يوم جمعة فاجتمعوا جميعًا وتوجهوا إلى الديوان ووقفوا بين يدى الملك وقالوا له يا ملك الزمان إن الجوهرى أخذ حريمه وسافر إلى حج بيت الله الحرام وزال السبب الذى كنا نحبس لأجله فبأى سبب الآن فقال الملك يكف سافر هذا الخائن ولم يعلمنى لكن إذا جاء من سفره لا يكون إلا خيرًا روحوا إلى دكاكينكم وبيعوا وشتروا فقد ارتفعت عنكم هذه الحالة هذا ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان من أمر المعلم عبيد الجوهرى فإنه سافر عشرة مراحل فحل به ما حل بقمر الزمان قبل دخوله البصرة وطلعت عليه عرب بغداد فعروه وأخذوا ما كان معه وجعل نفسه ميتًا حتى خلص وبعد ذهاب العرب قام وهو



عريان إلى أن دخل بلد فحنن الله عليه أهل الخير فستروا عورته بقطع من الثياب الخلقة وصار يسأل ويتقوت من بلد إلى بلد حتى وصل إلى مصر المحروسة . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٩٧٧)

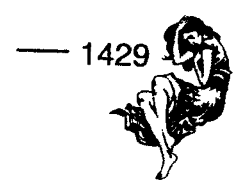
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى صار يسأل ويتقوت من بلد إلى بلد حتى وصل إلى مصر المحروسة فأحرقه الجوع فدار يسأل فى الأسواق فقال له رجل من أهل مصر يا فقير عليك ببيت الفرح كل وأشرب فإنه هناك فى هذا اليوم سماط للفقراء والغرباء فادخل ولا تخف فما على باب الفرح من حجاب فلما دخل رآه قمر الزمان فعرفه وأخبر أباه ثم إن التاجر عبدالرحمن قال لولده يا ولدى اتركه فى هذه الساعة ربما يكون جائعًا فدعه يأكل حتى يشبع ويمكن روعه وبعد ذلك نطلبه فصبراً عليه حتى أكل واكتفى وغسل يديه وشرب القهوة والشربات السكر الممزوجة بالمسك والعنبر وأراد أن يخرج فأرسل خلفه والد قمر الزمان فقال له الرسول تعالى يا غريب كلم التاجر عبدالرحمن فقال ما يكون هذا التاجر فقال له صاحب الفرح فرجع وظن أنه يعطيه إحسانًا فلما أقبل التاجر رأى صاحبه قمر الزمان فغاب عن الوجود من الحياء منه وقام له قمر الزمان على الإقدام وأخذه بالأحضان وسلم عليه وتباكيا بكاءً شديدًا ثم إنه أجلسه بجانبه فقال له يا عديم الذوق ما هذا شأن ملاقاة الأصحاب أرسله أولاً إلى الحمام وأرسل إليه بدلة تليق به وبعد ذلك اقعد معه وتحدث أنت وإياه فصاح على بعض الغلمان وأمرهم أن يدخلوه الحمام وأرسل إليه بدلة من خاص الملبوس تساوى ألف دينار وأكثر من ذلك المبلغ وغسلوا جسده وألبسوه البدلة فصار كأنه شاه بندر التجار وكان الحاضرون سألوا قمر الزمان حين غيابه فى الحمام وقالوا له من هذا ومن أين تعرفه فقال هذا صاحبى وقد أنزلنى فى بيته وله على إحسان لا يحصى وصار يبالغ لهم فى مدحه ويقول إنه فعل معى كذا وكذا وأنا صرت فى حياء منه ولا أدرى ما أجازيه به فى مقابلة ما أصنعه من الإكرام ولم يزل يثنى عليه حتى

عظم قدره عند الحاضرين وصار مهابًا فى أعينهم فقالوا نحن كلنا نقوم بواجبه وإكرامه من شأنك ولكن مرادنا أن نعرف ما سبب مجيئه إلى مصر وما سبب خروجه من بلاده وما فعل الله به حتى صار فى هذه الحالة فقال لهم يا ناس لا تتعجبوا إن ابن آدم تحت القضاء والقدر ومادام فى هذه الدنيا لا يسلم من الآفات اعلموا أنى أنا دخلت البصرة فى أسوأ من هذا الحال وأشد من هذا النكال لأن هذا الرجل دخل فى مصر مستور العورة بالخلقان وأما أنا فإنى دخلت بلاده مكشوف العورة يد من خلف ويد من قدام ولا نفعنى إلا الله وهذا الرجل العزيز والسبب فى ذلك أن العرب عرونى وأخذوا جمالى وبغالى وأحمالى وقتلوا غلمانى ورجالى ورقدت بين القتلى فظنوا أنى ميت فذهبوا وفاتونى وبعد ذلك قمت ومشيت عريانًا إلى أن دخلت البصرة فقابلنى هذا الرجل وكسانى وأنزلنى فى بيته وقوانى بالمال وجميع ما أتيت به معى ليس الأمن الله ومن خيره فعندما سافرت أعطانى شيئًا كثيراً ورجعت إلى بلادى مجبور الخاطر وفارقته وهو فى سيادة وسعادة فلعله حدث له بعد ذلك نكبة من نكبات الزمان أوجبت له فراق الأهل والأوطان وجرى له فى الطريق مثل ما جرى لى ولا عجب فى ذلك ولكن ينبغى لى الآن أن أجازيه على ما صنع معى من كريم الفعال فبينماهم فى هذا الكلام وإذا بالمعلم عبيد مقبل عليهم كأنه شاه بندر التجار فقام إليه الجميع وسلموا عليه وأجلسوه فى الصدر وقال له قمر الزمان يا صاحبى نهارك سعيد مبارك لا تحكى على شىء جرى على قبلك فإن كان العرب عروك وأخذوا منك مالك فإن المال فداء الأبدان فلا تغم نفسك فإنى دخلت بلادك عريانًا وقد كسوتنى وأكرمتنى ولك على الإحسان الكثير فأنا أجازيك . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٩٧٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما قال للمعلم عبيد الجوهرى إنى دخلت بلادك عريانًا وقد كسوتنى ولك على الإحسان الكثير فأنا أجازيك وأفعل معك كما فعلت معى



بل أكثر من ذلك فطب نفسًا وقر عينا ثم إن قمر الزمان ووالده التاجر عبد الرحمن أخذ الجوهري ودخلا به في قاعة الحريم واختليا به فقال له التاجر عبدالرحمن نحن الآن في خلوة فأخبرني بما جرى بينك وبين زوجتك وولدي فأخبره بالقضية من المبتدا إلى المنتهى فلما فرغ من قصته قال له هل الذنب من زوجتك أو من ولدي قال والله إن ولدك ما عنده ذنب لأن الرجال لها الطمع في النساء والنساء عليهن أن يمتنعن من الرجال فالعيب عند زوجتي التي خانتني وفعلت معي هذه الفعال فقام التاجر واختلى بولده وقال له يا ولدي إننا اختبرنا زوجته وعرفنا إنها خائنة ومرادي الآن أن اختبره وأعرف هل هو صاحب عرض ومروءة أو هو ديوث فقال له وكيف ذلك فقال له مرادي أن أحمله على الصلح مع زوجته فإن رضي بالصلح وسامحها فإني أضربه بالسيف فاقتله وبعد ذلك أقتلها هي وجاريتها لأنه لا خير في حياة الديوث والزانية وأن نفر منها فأتي أزوجه اختك وأعطيه أكثر من ماله الذي اخذته منه ثم إنه رجع إليه وقال له يا معلم أن معاشرة النسا تحتاج إلى طول البال ومن كان يهواهن فإنه يحتاج إلى سعة الصدر لأنهن يعربدن الرجال ويؤذينهن لعزتهن عليهم بالحسن والجمال فيستعظمن انفسهن ويستحقرن الرجال ولاسيما إذا بانت لهن المحبة من بعولتهن فيقابلنهن بالتية والدلال وكريه الفعال من جميع الجهات من قدر وعفا كان أجره على الله وهذه المرأة زوجتك ورفيقتك وطالت عشرتها معك فينبغي أن يكون عندك لها السماح وهذا في العشرة من علامات النجاح والنساء ناقصات عقل ودين وهي اساءت فإنها قد تابت وإن شاء الله لا ترجع إلى فعل ما كانت تفعله أولاً فالرأى عندي أنك تصطلح أنت وإياها وأنا أرد لك أكثر من مالك فقال الجوهري يا سيدي وأين زوجتي فقال له ها هي في هذا القصر فاطلع إليها واستوص بها من شأني ولا تشوش عليها فإن ولدي لما جاء بها وطلب زواجها منعته عنها ووضعتها في هذا القصر وقفلت عليها الباب وقلت في نفسي ربما يجيء زوجها فأسلمها إليه لأنها جميلة الصورة والتي مثل هذه لا يمكن زوجها أن يفوتها والذي حسبته حصل والحمد لله تعالى على اجتماعك بزوجتك وأما من جهة ابني فإني خطبت له وزوجته غيرها وهذه الولائم والضيافات من أجل فرحه وفي هذه الليلة أدخله على زوجته وها هو مفتاح القصر الذي فيه زوجتك فخذه وافتح

الباب وادخل على زوجتك وجاريتك وانبسط هذا ما كان من أمر التاجر عبدالرحمن (وأما) ما كان من أمر الجوهرى فإنه دخل على زوجته فرآها تبكى بكاء شديداً بسبب أن قمر الزمان تزوج بغيرها ورأى الجارية تقول لها كم نصحتك يا سيدتى وقلت لك إن هذا الغلام لا ينالك منه خيراً فاتركى عشرته فما سمعت كلامى فقالت لها اسكتى يا ملعونه فإنه وأن تزوج بغيرى لابد أن أخطر يوماً على باله فأنا لا أسلو مسامرته وأنا على كل حال أتسلى بقول من قال :

يا سادتى هـل يخطرنا ببالكم ... من ليس يخطر غيركم فى باله

حاشاكم أن تغفلوا عن حال من ... هـو غافل فى حبكم عن حاله

فلابد أن يتذكر عشرتى وصحبتى ويسأل عنى وأنا لا أرجع عن محبته ولا أحول عن هواه ولو مت فى السجن فإنه حبيبى وطبيبى وعشمى منه أن يرجع إلى ويعمل معى انبساط فلما سمعها زوجها تقول هذا الكلام دخل عليها وقال لها يا خائنة أن عشمك فيه مثل عشم إبليس فى الجنة كل هذه العيوب فيك وأنا ما عندى خبر ولو علمت أن فيك عيبًا من هذه العيوب ما كنت قنيتك عندى ساعة واحدة ولكن حيث تيقنت فيك ذلك ينبغى أن اقتلك ولو قتلونى فيك يا خائنة ثم قبض عليها بيديه الاثنين ثم اتكأ على زمارة حلقها وكسرها فصاحت الجارية واسيُدتاه فقال يا عاهرة العيب كله منك حيث كنت تعرفين أن فيها هذه الخصلة ولم تخبرينى ثم قبض على الجارية وخنقها كل ذلك حصل والتاجر ممسك السيف بيده وهو واقف خلف الباب يسمع باذنه ويرى بعينه ثم إن عبيد الجوهرى لما خنقهما فى قصر التاجر كثرت عليه الأوهام وخاف عاقبة الأمر وقال فى نفسه أن التاجر إذا علم أنى قتلتهما فى قصره لابد أن يقتلنى ولكن اسأل الله أن يجعل قبض روحى على الإيمان وصار متحيراً فى أمره ولم يدر ماذا يفعل فبينما هو كذلك وإذا بالتاجر عبدالرحمن دخل عليه وقال له لا بأس عليك إنك تستاهل السلامة وانظر هذا السيف الذى فى يدى فأنا كنت مضمراً على أن أقتلك إن صالحتها ورضيت عليها ثم إنه أخذه ونزل به وأمر بإحضار الغاسلة وشاع الخبر أن قمر الزمان ابن التاجر عبدالرحمن جاء بجاريتين معه من البصرة فماتتا فصار الناس يعزونه هذا ما كان من أمر عبيد

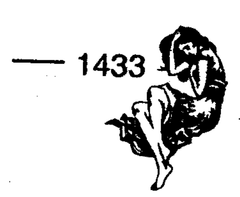


الجوهرى (وأما) ما كان من أمر التاجر عبدالرحمن فإنه أحضر شيخ الإسلام وجميع الأكابر وقال يا شيخ الإسلام اكتب كتاب بنتى كوكب الصباح على المعلم عبيد الجوهرى ومهرها قد وصلنى بالتمام والكمال فكتب الكتاب وسقاهم الشربات وجعلوا الفرح واحداً وزفوا بنت شيخ الإسلام زوجة قمر الزمان وأخته كوكب الصباح زوجة المعلم عبيد الجوهرى فى تختروان واحد فى ليلة واحدة وفى المساء زفوا قمر الزمان والمعلم عبيد سواء وأدخلوا قمر الزمان على بنت شيخ الإسلام وأدخلوا المعلم عبيد الجوهرى على بنت التاجر عبدالرحمن فلما دخل عليها رآها أحسن من زوجته وأجمل منها بألف طبقة ثم إنه زال بكارتها ولما أصبح دخل الحمام مع قمر الزمان ثم أقام عندهم مدة فى فرح وسرور وبعد ذلك اشتاق إلى بلاده فدخل على التاجر عبد الرحمن وقال يا عم إنى اشتقت إلى بلادى ولى فيها أملاك وأرزاق وكنت أقمت فيها صانعًا من صناعى وكيلا عنى وفى خاطرى أن أسافر إلى بلادى لا بيع أملاكى وأرجع إليك فهل تأذن لى فى التوجه إلى بلادى من أجل ذلك فقال له يا ولدى قد أذنت لك ولا لوم عليك فى هذا الكلام فإن حب الوطن من الإيمان والذى ماله خير فى بلاده ماله خير فى بلاد الناس وربما إنك إذا سافرت بغير زوجتك ودخلت بلادك يطيب لك فيها القعود وتصير متحيراً بين رجوعك إلى زوجتك وقعودك فى بلادك فالرأى الصواب أن تأخذ زوجتك معك فقال يا عم أخاف أن ابنتك لا ترضى بالسفر معى إلى بلادى فقال له يا ولدى نحن ما عندنا نساء تخالف بعولتهن ولا نعرف امرأة تغضب على بعلها فقال له بارك الله فيكم وفى نسائكم ثم إنه دخل على زوجته وقال لها إنا مرادى السفر إلى بلادى فما تقولين قالت إن أبى يحكم على مادمت بكرًا وحيث تزوجت فقد صار الحكم كله فى يد بعلى وأنا لا أخالفه فقال لها بارك الله فيك وفى أبيك ورحم الله بطنا حملتك وظهراً ألقاك ثم بعد ذلك قطع علائقه وأخذ فى السفر فأعطاه عمه شيئًا كثيراً وودعا بعضهما ثم أخذ زوجته وسافر ولم يزل مسافراً حتى دخل البصرة هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه لما علم بقدومه غضب عليه وأرسل إليه وأحضره بين يديه عنفه وقال له كيف تسافر ولم تعلمنى بسفرك فهل كنت عاجزاً عن شىء أعطيه لك لتستعين به على الحج إلى بيت الله الحرام فقال له العفو يا سيدى والله ما حججت ولكن

جرى لى كذا وكذا وأخبره بما جرى له مع زوجته ومع التاجر عبدالرحمن المصرى وكيف زوجه ابنته إلى أن قال له وقد جئت بها إلى البصرة فقال له والله لولا أنى أخاف من الله تعالى لقتلتك وتزوجت بهذه البنت الأصيلة من بعدك ولو كنت أنفق عليها خزائن الأموال لأنها لا تصلح إلا للملوك ولكن جعلها الله من نصيبك وبارك الله لك فيها فاستوص بها خيرًا ثم إنه أنعم على الجوهرى ونزل من عنده وقعد معها خمس سنوات وبعد ذلك توفى إلى رحمة الله تعالى فخطبها الملك فما رضيت أن تبدل زوجها بعد موته بسلطان كيف تسوى بمن تبدله فى حال حياته بغلام مجهول الأصل والنسب وخصوصًا إذا كان ذلك فى السفاح وعلى غير طريق سنة النكاح ومن ظن أن النساء كلهن سواء فإن داء جنونه ليس له دواء فسبحان من له الملك والملكوت وهو الحى الذى لا يموت.

﴿حكاية عبدالله بن فاضل عامل البصرة مع أخويه﴾

(ومما يحكى أيضًا) أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد تفقد خراج البلاد يومًا من الأيام فرأى خراج جميع الأقطار والبلاد جاء إلى بيت المال الإخراج البصرة فإنه لم يأت فى ذلك العام فنصب ديوانًا لهذا السبب وقال على بالوزير جعفر فحضر بين يديه فقال له إن خراج جميع الأقطار جاء إلى ببيت المال الإخراج البصرة فإنه لم يأت منه شىء فقال يا أمير المؤمنين لعل نائب البصرة حصل له أمر لهاه عن إرسال الخراج فقال له إن مدة حضور الخراج عشرين يومًا فما عذره فى هذه المدة حتى لم يرسل الخراج فقال له يا أمير المؤمنين إن شئت أرسلنا إليه رسولاً فقال أرسل له أبا إسحق الموصلى النديم فقال سمعًا وطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين ثم إن الوزير جعفر نزل إلى داره وأحضر أبا إسحق الموصلى النديم وكتب له خطًا شريفًا وقال له امض إلى عبد الله بن فاضل نائب مدينة البصرة وانظر ما الذى ألهاه عن ارسال الخراج ثم تسلم منه خراج البصرة بالتمام والكمال وائتنى به سريعًا فأجاب بالسمع والطاعة وأخذ خمسة آلاف فارس من عسكر الخليفة وسافر حتى وصل إلى مدينة البصرة فعلم بقدومه عبدالله بن فاضل فخرج بعسكره إليه ولاقاه ودخل به البصرة وطلع به قصره وبقية العسكر نزلوا فى الخيام



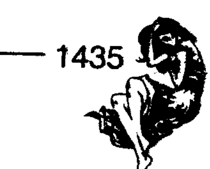
خارج البصرة وقد عين لهم بن فاضل جميع ما يحتاجون إليه ولما دخل أبو إسحق الديوان جلس على الكرسى وأجلس عبد الله ابن فاضل بجانبه وجلس الأكابر حوله على قدر مراتبهم ثم بعد السلام قال له بن فاضل يا سيدى هل لقدومك علينا من سبب قال نعم إنما جئت لطلب الخراج فقال يا سيدى يا ليتك ما تعبت ولا تحملت مشقة السفر فإن الخراج حاضر بالتمام والكمال وقد كنت عازمًا أن أرسله فى غدو لكن حيث أتيت فأنا أسلمه إليك بعد ضيافتك فقال له لا بأس بذلك ثم إنه فض الديوان ودخل به قصرا فى داره ليس له نظير ثم قدم له ولأصحابه سفرة الطعام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ثم رفعت المائدة وغسلوا الأيادى وجاءت القهوة والشربات وقعدوا فى المنادمة إلى ثلث الليل ثم فرشوا له سريرًا من العاج مرصعًا بالذهب الوهاج فنام عليه ونام نائب البصرة على سرير آخر بجانبه فغلب السهر على أبى إسحق الموصلى رسول أمير المؤمنين وصار يفكر فى بحور الشعر والنظام ولم يزل سهرانًا فى انشاد الشعر إلى نصف الليل فبينما هو كذلك وإذا بعبدالله بن فاضل قام وشد حزامه وفتح دولابًا وأخذ منه سوطًا وأخذ شمعة مضيئة وخرج من باب القصر وهو يظن أن أبا إسحق نائم وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٩٧٩)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عبدالله بن فاضل لما خرج من باب القصر وهو يظن أن أبا إسحق النديم نائمًا فلما خرج تعجب أبو إسحق وقال فى نفسه إلى أين يذهب عبدالله ابن فاضل بهذا السوط فلعل مراده أن يعذب أحدًا ولكن لابد لى من أن اتبعه وانظر ما يصنع فى هذه الليلة ثم إن أبا إسحق قام وخرج وراءه قليلاً بحيث إنه لم يره فرأى عبدالله فتح خزانة وأخرج منها مائدة فيها أربعة أصحن من الطعام وخبزًا وقلة فيها ماء ثم إنه حمل المائدة والقلة ومشى فتبعه أبو إسحق مستخفيًا إلى أن دخل قاعة فوقف أبو إسحق خلف باب القاعة من داخل وصار ينظر من خلال ذلك الباب فرأى هذه القاعة واسعة ومفروشة فرشًا فأخرًا وفى

وسط تلك القاعة سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وذلك السرير مربوط فيه كلبان فى سلسلتين من الذهب ثم إنه رأى عبدالله حط المائدة على جانب فى مكان وشمر عن أياديه وفك الكلب الأول فصار يتلوى فى يده ويضع وجهه فى الأرض كأنه يقبل الأرض بين يديه ويعوى عواء خفيفًا بصوت ضعيفًا ثم إنه كتفه ورماه فى الأرض وسحب السوط ونزل به عليه وضربه ضربًا وجيعًا من غير شفقة وهو يتلوى بين يديه ولا يجد له خلاصًا ولم يزل يضربه بذلك السوط حتى قطع الأنين وغاب عن الوجود ثم إنه أخذه وربطه فى مكانه وبعد ذلك أخذ الكلب الثانى وفعل به كما فعل بالأول ثم إنه أخرج محرمة وصار يمسح لهما دموعهما ويأخذ بخاطرهما ويقول لا تؤاخذانى والله ما هذا بخاطرى ولا يسهل على ولعل الله يجعل لكما من هذا الضيق فرجًا مخرجًا وحصل كل هذا وأبو إسحق النديم واقف يسمع بأذنه ويرى بعينه وقد تعجب من هذه الحالة ثم إنه قدم لهما سفرة الطعام وصار يلقمهما بيده حتى شبعا ومسح أفواههما وحمل القلة وسقاهما وبعد ذلك حمل المائدة والقلة والشمعة وأراد أن يخرج فسبقه أبو إسحق وجاء إلى سريره ونام ولم يره ولم يعرف أنه تبعه وأطلع عليه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر أبى إسحق فإنه بقى تلك الليلة يفكر فى شأن هذا الأمر ولم يأته نوم من كثرة العجب ولم يزل يتعجب إلى الصباح ثم قاموا وصلوا الصبح ووضع لهم الفطور فأكلوا وشربوا القهوة وطلعوا إلى الديوان واشتغل أبو إسحق بهذه النكتة طول النهار ولكنه كتمها ولم يسأل عبدالله عنها ثم إنه أخرج الخراج إلى أبى إسحق النديم فأخذه وسافر ولم يبطله شيئًا ولم يزل مسافرًا حتى وصل إلى مدينة بغداد وسلم الخراج إلى الخليفة ثم إن الخليفة سأله عن سبب تأخير الخراج فقال له يا أمير المؤمنين رأيت عامل البصرة قد جهز الخراج وأراد إرساله ولو تأخرت يومًا لقابلنى فى الطريق لكن رأيت من عبدالله بن فاضل عجبًا عمرى ما رأيت مثله يا أمير المؤمنين فقال الخليفة وما هو يا أبا إسحق قال رأيت ما هو كذا وكذا وأخبره بما فعله مع الكلبين فقال له الخليفة فهل سألته عن السبب فقال لا وحياة رأسك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة يا أبا إسحق أمرتك أن ترجع إلى البصرة وتأتينى بعبدالله بن فاضل وبالكلبين فقال يا أمير المؤمنين دعنى من هذا فإن عبدالله بن فاضل أكرمنى إكرامًا زائدًا وقد اطلعت على هذه الحالة اتفاقًا من



غير قصد فاخبرتك بها فكيف أرجع إليه وأجيء به فإن رجعت إليه لا القى لى وجهًا حياء منه فاللائق ارسال غيرى إليه بخط يدك فيأتيك به وبالكلبين فقال له أمير المؤمنين أن أرسلت له غيرك ربما ينكر هذا الأمر . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٨٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين قال لأبا إسحق إن أرسلت له غيرك ربما ينكر هذا الأمر ويقول ما عندى كلاب وأما إذا أرسلتك أنت وقلت له أنى رأيتك بعينى فإنه لا يقدر على انكار ذلك فلابد من ذهابك إليه واتيانك به وبالكلبين وإلا فلابد من قتلك فقال له أبا إسحق سمعًا وطاعة يا أمير المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصدق من قال آفة الإنسان من اللسان فأنا الجانى على نفسى حيث أخبرتك ولكن أكتب خطًا شريفًا وأنا أذهب إليك وآتيك به فكتب له خطًا شريفًا وتوجه به إلى البصرة فلما دخل على عامل البصرة قال له كفانا الله شر رجوعك يا أبا إسحق فما لى أراك رجعت سريعًا لعل الخراج ناقص فلم يقبله الخليفة فقال يا أمير عبد الله ليس رجوعى من أجل نقص الخراج فإنه كامل وقبله الخليفة ولكن أرجو منك عدم المؤاخذة فإنى أخطأت فى حقك وهذا الذى وقع منى مقدر من الله تعالى فقال له وما وقع منك فقال له أعلم إنى لما كنت عندك أتبعتك وأنت تقوم كل ليلة فى نصف الليل وتعذب الكلاب وترجع فتعجبت من ذلك واستحييت أن أسألك عنه . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٨١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا إسحق قال لعبد الله لما رأيت عذابك للكلبين استحييت أن أسألك عنه وقد أخبرت الخليفة بخبرك اتفاقًا من غير قصد فألزمنى بالرجوع إليك وهذا خط يده ولو كنت أعلم أن الأمر يحوج إلى ذلك ما كنت أخبرته ولكن جرى القدر بذلك

وصار يعتذر إليه فقال له حيث أخبرته فأنا أصدق خبرك عنده لئلا يظن بك الكذب فقال له الله يسترك كما سترت وجهى عند الخليفة ثم إنه أخذ هدية تليق بالخليفة وأخذ الكلبين فى جنازير من الذهب وحمل كل كلب على جمل وسافر إلى إن وصل إلى بغداد ودخلوا على الخليفة فقبل الأرض بين يديه فإذن له بالجلوس فجلس وأحضر الكلبين بين يديه فقال الخليفة ما هذان الكلبان يا أمير عبدالله فصار الكلبان يقبلان الأرض بين يديه ويحركان أذنابهما ويبكيان كأنهما يشكوان إليه فتعجب الخليفة من ذلك وقال له أخبرنى بخبر هذين الكلبين فقال له يا خليفة ما هذان كلبان وإنما هما رجلان شبان . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٨٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد فقال له يا خليفة ما هذان كلبان وإنما هما رجلان شبان ذو حسن وجمال وقد واعتدال وهما أخواى وولد أمى وأبى فقال الخليفة وكيف كانا آدميين وصارا كلبين قال إن أذنب لى يا أمير المؤمنين أخبرك بحقيقة الخبر فقال أخبرنى وإياك والكذب فإنه صفة أهل النفاق وعليك بالصدق فإنه سفينة النجاة وسيمة الصالحين فقال له اعلم يا خليف الله أنا نحن ثلاثة أخوة أمنا واحدة وأبونا واحد وكان اسم أبينا فاضل وما سمى بهذا الاسم ألا لكون أمه وضعت ولدين توأمين فى بطن واحد فمات أحدهما لوقته وساعته وفضل الثانى فسماه أبوه فاضل ثم رباه وأحسن تربيته إلى أن كبر فزوجه أمنا ومات فوضعت أخى هذا فسماه منصوراً وحملت ثانى مرة ووضعت أخى هذا فسماه ناصراً وحملت ثالث مرة ووضعتنى فسمانى عبدالله وربانا حتى كبرنا وبلغنا مبلغ الرجال فمات وخلف لنا بيتا ودكانًا ملآنًا قماشًا ملونًا من سائر أنواع القماش الهندى والرومى والخرسانى وغير ذلك وخلف لنا ستين ألف دينار فلما مات أبونا غسلناه وعملنا له مشهدًا عظيمًا ودفناه وذهب لرحمة مولاه ثم إنى بعد ذلك جمعت التجار وإشراف الناس وعملت لهم يومًا عظيمًا وبعدما أكلوا قلت لهم يا تجار إن الدنيا



فانية والآخرة باقية وسبحان الدائم بعد فناء خلقه هل تعلمون لأى شىء جمعتكم فى هذا اليوم المبارك عندى قالوا سبحان علام الغيوب فقلت لهم إن أبى مات عن جملة من المال وأنا خائف أن يكون عليه تبعة لأحد من دين أو رهن أو غير ذلك ومرادى خلاص ذمة أبى من حقوق الناس فمن كان له شىء فليقل إن لى عليه كذا وكذا وأنا أرده له لأجل براءة ذمة أبى فقال لى التجار نحن كلنا نشهد أنه ليس لأحد عنده شىء . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٨٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن التجار قالوا نحن كلنا نشهد أنه ليس لأحد عنده شىء فقلت بارك الله فيكم ثم إنى التفت إلى أخوى هذين وقلت لهما يا أخوى إن أبانا ليس عليه لأحد شىء وقد خلف لنا هذا المال والقماش والبيت والدكان ونحن ثلاثة أخوة كل واحد منا يستحق ثلث هذا الشىء فهل تتفق على عدم القسمة ويستمر ما لنا مشتركًا بيننا ونأكل سواء ونشرب سواءً ونقسم القماش والأموال ويأخذ كل واحد منا فابيا إلا القسمة فاحضرت قساما من طرف القاضى يا أمير المؤمنين فقسم بيننا المال والقماش وجميع ما خلفه لنا أبونا وجعلوا البيت والدكان من قسمى فى نظير بعض ما استحقه من الأموال ورضينا بذلك وصار البيت والدكان فى قسمى وهما أخذ اقسمهما مالاً وقماشًا ثم إنى فتحت دكانًا ووضعت فيها القماش واشتريت بجانب من المال الذى خصنى زيادة على البيت والدكان قماشًا حتى ملأت الدكان وقعدت أبيع واشترى وأما أخواى فإنهما اشتريا قماشًا واكتريا مركبا وسافر فى البحر إلى بلاد الناس فقلت الله يساعدهما وأنا رزقى بأثينى وليس للراحة قيمة ودمت على ذلك مدة سنة كاملة ففتح الله على وصرت اكتسب مكاسب كثيرة حتى صار عندى مثل الذى خلفه لنا أبونا فاتفق لى يومًا من الأيام أننى كنت جالسًا فى الدكان وعلى فروتان أحدهما سمور والآخرى سنجاب لأن ذلك الوقت كان فى فصل الشتاء فى أوان اشتداد البرد فبينما أنا كذلك وإذا باخواى قد اقبلا وعلى بدن كل واحد منهما قميص خلق من غير زيادة شفاههما من البرد

وهما يتنفضان فلما رأيتهما عسر على ذلك وحزنت عليهما وطار عقلى من رأسى فقمت إليهما واعتنقتهما وبكيت على حالهما وخلعت على واحد منهما الفروة السمور وعلى الآخر الفروة السنجاب وأدخلتهما الحمام وأرسلت إلى كل واحد منهما فى الحمام بدلة تاجر ألفى ثم أخذتهما إلى البيت فرأيتهما فى غاية الجوع فوضعت لهم سفرة الأطعمة فأكلا وأكلت معهما ولا طفتهما وأخذت بخاطرهما ثم التفت إلى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يا أخوى فنكسا رؤسهما وغمضا عيونهما ثم إنه قال يا خليفة الله ثم إنى سألتهما وقلت لهما ما الذى جرى لكما فقال سافرنا فى البحر ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكوفة وصرنا نبيع قطعة القماش التى ثمنها علينا نصف دينار بعشرة دنانير والتى بدينار بعشرين دينار واكتسبنا مكاسب عظيمة فلما جمعنا تلك الأموال والخيرات وسقنا متاعنا فى مركب وسافرنا فى البحر بقصد التوجه إلى مدينة البصرة وقد سافرنا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع رأينا البحر قام وارغى وازبد وتحرك وهاج وتلاطم بالأمواج وصار الموج يقدح الشرار كلهيب النار واختلفت علينا الأرياح والتطمت بنا المركب فى سن جبل فانكسرت وغرقنا وراح جميع ما كان معنا فى البحر وصرنا على وجه الماء يومًا وليلة فأرسل الله لنا مركبًا فأخذتنا ركابها وصرنا من بلاد إلى بلاد ونحن نسأل ونتقوت عما نحصله بالسؤال وقاسينا الكرب العظيم ثم قال أخوهم يا أخوى نحن نقدر أن أبانا قد مات فى هذا اليوم وخلف لنا جميع هذا المال الذى عندى وقد طابت نفسى على أننا نقسمه بيننا بالسوية ثم إنه أحضر قساما من طرف القاضى واحضرت له جميع مالى فقسمته بيننا وأخذ كل منا ثلث المال فقلت لهما يا أخوى بارك الله للإنسان فى رزقه إذا كان فى بلده فكل واحد منكما يفتح له دكانًا ويقعد فيه لتعاطى الأسباب والذى له شىء فى الغيب لابد أن يحصل ثم سعيت لكل واحد منهما فى فتح دكانًا وملأته له بالبضائع ثم قمت باكرامهما وصار يبيعا ويشتريان فى النهار وعند المساء يبيتان فى بيتى ولم أدعهما يصرفان شيئًا من أموالهما وكلما جلست معهما للحديث يمدحان الغربة ويذكران محاسنها ويصفان ما حصل لهما فيها من المكاسب ويغربانى على أن أوافقهما على التغريب فى بلاد الناس ثم قال يا خليفة الله فمازالا يرغبانى ويذكران لى كثرة الربح والمكاسب فى الغربة ويأمرانى بالسفر معهما حتى قلت لهما



لابد أن أسافر معكما من أجل خاطركما ثم إنى عقدت الشركة بينى وبينهما وحملنا قماشا من سائر الأصناف النفيسة واكترينا مركبًا وشحناها بالبضائع من أنواع المتاجر وأنزلنا فى تلك المركب جميع ما تحتاج إليه ثم سافرنا من مدينة البصرة ومازلنا مسافرين حتى طلعنا إلى مدينة من المدائن فبعنا واشترينا وظهر لنا كثرة المكسب حتى صار عندنا مال جسيم وربح عظيم ثم إننا وصلنا إلى جبل فألقى الريس المرساة وقال لنا يا ركاب أطلعوا إلى البر تنجوا من هذا اليوم وفتشوا فيه لعلكم تجدون ماء فخرج جميع من فى المركب وخرجت أنا بجملتهم . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٨٤)

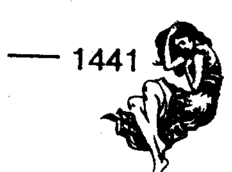
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه خرج جميع من فى المركب وخرجت أنا بجملتهم وصرنا نفتش على الماء وتوجه كل واحد منا فى جهة وصعدت أنا على أعلى الجبل فبينما أنا سائر إذ رأيت حية بيضاء تسعى هاربة ووراءها ثعبان أسود يسعى خلفها وهو مشوه الخلقة هائل المنظر ثم إن الثعبان لحقها وضايقها ومسكها من رأسها ولف ذيله على ذيلها فصاحت فعرفت أنه مفتر عليها فأخذتنى الشفقة عليها وتناولت حجرًا من الصوان قدر خمسة أرطال أو أكثر وضربت به الثعبان فجاء فى رأسه فما أشعر إلا وتلك الحية انقلبت وصارت بنتا ثم قالت يا إنسى أنت سترت عرض وصار لك الجميل ووجب جزاؤك ثم أشارت بيدها إلى الأرض فانشقت ونزلت فيها ثم انطبقت عليها الأرض فعرفت أنها من الجن وأما الثعبان فإن النار قادت فيه وأحرقته وصار رمادًا فتعجبت من ذلك ثم إنى رجعت إلى إخوتى وأخبرتهم بما رأيت وبتنا تلك الليلة وعند الصباح قلع الريس الخطاف ونشر القلوع وطوى الأطراف ثم سافر حتى غاب البر عنا ولم نزل مسافرين مدة عشرين يومًا ولم نر برًا ولا طيرًا وفرغ ماؤنا فقال الريس يا ناس أن الماء الحلو قد فرغ منا فقلنا نطلع البر لعلنا نجد ماء فقال إنى تهت عن الطريق ولا أعرف طريقًا يؤدينا إلى جهة البر فحصل لنا غم شديد وبكينا ودعونا الله تعالى أن يهدينا إلى الطريق ثم باتوا تلك الليلة فى أسوأ حال فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح رأينا جبلاً عاليًا فلما رأينا

ذلك الجبل فرحنا فقال الريس يا ناس أطلعوا البر حتى نفتش على ماء فطلعنا كلنا نفتش على ماء فلم نر فيه ماء فحصل لنا مشقة بسبب قلة وجود الماء ثم إنى صعدت على أعلى ذلك الجبل فرأيت خلفه دائرة واسعة مسافة سير ساعة وأكثر فناديت أصحابى فأقبلوا على فلما أتوا قلت لهم انظروا إلى هذه الدائرة التى خلف هذا الجبل فإنى أرى فيها مدينة عالية البنيان مشيدة الأركان فسيروا بنا نمضى إلى هذه المدينة فقالوا نخاف أن يكون أهل هذه المدينة كفارا مشركين أعداء الدين فيقبضوا علينا ونكون أسرى تحت أيديهم أو يقتلونا فنحن لا نغر بأنفسنا فقلت لهم يا ناس لا حكم لى عليكم ولكن آخذ أخواى وأتوجه إلى هذه المدينة فقال لى أخواى نحن نخاف من هذا الأمر ولا نروح معك فقلت أما أنا فقد عزمت على الذهاب إلى هذه المدينة وتوكلت على الله ورضيت بما قدره الله على فانتظرانى حتى أذهب إليها . وأرجع إليكما وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٨٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله قال فانتظرانى حتى أذهب إليها وأرجع إليكما ثم تركتهما ومشيت حتى وصلت إلى باب تلك المدينة فرأيتها مدينة عجيبة البناء غريبة الهندسة أسوارها عالية وأبراجها محصنة وقصورها شاهقة وأبوابها من الحديد الصينى وهى مزخرفة منقوشة تدهش العقول فلما دخلت الباب رأيت دكة من الحجر وهناك رجل قاعد عليها وفى ذراعه سلسلة من النحاس الأصفر وفى تلك السلسلة أربعة عشر مفتاحًا فعرفت أن ذلك الرجل بواب المدينة والمدينة لها أربعة عشر بابا ثم إنى دنوت منه وقلت له السلام عليكم فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثانيًا وثالثًا فلم يرد على الجواب فوضعت يدى على كتفه وقلت له يا هذا الأى شىء لا ترد على السلام هل أنت نائم أو أصم أو غير مسلم حتى تمنع رد السلام فلم يجبنى ولم يتحرك فتأملت فيه فرأيته حجراً فقلت إن هذا شىء عجيب ثم إنى دخلت السوق فرأيت زياتا ميزانه منصوبة وقدامه أصناف البضائع من الجبن وغيره وكل ذلك من الحجر فصرت أتفرج عليها وكلما صرت مسكت ثوبًا من القماش يصير بين يدى هباء منثورًا ورأيت صناديق ففتحت واحدًا فوجدت فيه ذهبًا أكياس فأمسكت الأكياس فذابت فى يدى والذهب



لم يزل على حاله فحملت منه ما لا أطيقه وبقيت أتندم حيث لم يكن أخواى معى حتى يأخذا من تلك الجواهر ما أراداه ثم إنى خرجت من سوق الجواهر فمررت على باب كبير مزخرف بأحسن زينة ومن داخل الباب دكك وجالس على تلك الدكك خدم وجند وأعوان وعساكر وحكام وهم لابسون أفخر الملابس وكلهم أحجار فلمست واحد منهم فتناثرت ملابسه من على بدنه مثل نسيج العنكبوت ثم إنى مشيت فى ذلك الباب فرأيت سراية ليس لها نظير فى بنائها وإحكام صنعتها ورأيت فى تلك السراية ديوانا مشحونًا من الأكابر والوزراء والأعيان والأمراء وهم جالسون على كراسى وكلهم أحجار ثم إنى رأيت كرسيًا مرصعًا بالدر والجوهر وجالس فوقه آدمى عليه أفخر الملابس وعلى رأسه تاج كسروى مكلل بنفيس الجواهر التى لها شعاع مثل شعاع النهار فلما وصلت إليه رأيته من الحجر ثم إنى توجهت من ذلك الديوان إلى باب الحريم ودخلت فيه فرأيت ديوانا من النساء ورأيت فى ذلك الديوان كرسيًا من الذهب الأحمر مرصعًا بالدر والجوهر وفوقه ملكة وعلى رأسها تاج مكلل بنفيس الجواهر وحولها نساء مثل الأقمار جالسات على كراسى ولابسات أفخر الملابس الملونة بسائر الألوان وواقف هناك طواشية أيديهم على صدورهم كأنهم واقفون من أجل الخدمة وذلك الديوان يدهش عقول الناظرين مما فيه من الزخرفة وغريب النقش وعظيم الفرش ومعلق فيه أبهج التعاليق من البلور الصافى وفى كل قدرة من البلور جوهرة يتيمة لا يفى بثمنها مال فرميت ما معى يا أمير المؤمنين وصرت آخذ من هذه الجواهر وحملت منها على قدر ما أطيق وبقيت متحيرًا فيما أحمله وفيما أتركه لأنى رأيت ذلك المكان كأنه كنز من كنوز المدن ثم إنى رأيت بابا صغيرًا مفتوحًا وفى داخله سلالم فدخلت ذلك الباب وطلعت أربعين سلما فسمعت إنسانًا يتلو القرآن بصوت رخيم فمشيت جهة ذلك الصوت حتى وصلت إلى ذلك الباب فرأيت قصرًا كأنه كنز على وجه الدنيا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٨٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه قال لما سمعت نغماتها فى تلاوة القرآن العظيم وقد قرأ قلبى من فاتك لحظاتها سلام قولاً من رب رحيم تلجلجت فى الكلام ولم أحسن السلام

واندهش منى العقل والنظر ثم تجلدت على هول الغرام وقلت لها السلام عليك أيتها السيدة المصونة والجوهرة المكنونة أدام الله قوائم سعدك ورفع دعائم مجدك فقالت وعليك منى السلام والتحية والإكرام يا عبد الله يا ابن فاضل أهلاً وسهلاً ومرحبًا بك يا حبيبى وقرة عينى فقلت لها يا سيدتى من أين علمت اسمى ومن تكونى أنت وما شأن أهل هذه المدينة حتى صاروا أحجارًا فمرادى أن تخبرينى بحقيقة الأمر فإنى تعجبت من هذه المدينة ومن أهلها ومن كونها لم يوجد فيها أحدًا إلا أنت فبالله عليك أن تخبرينى بحقيقة ذلك على وجه الصدق فقالت لى اجلس يا عبد الله وأنا إن شاء الله تعالى أحدثك وأخبرك بحقيقة أمرى وبحقيقة أمر هذه المدينة وأهلها على التفصيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فجلست إلى جانبها فقالت لى أعلم يا عبد الله يرحمك الله إننى بنت ملك هذه المدينة ووالدى هو الذى رأيته جالسًا فى الديوان على الكرسى العالى والذى حوله أكابر دولته وأعيان مملكته وكان أبى ذا بطش شديد ويحكم على ألف ألف ومائة ألف وعشرين ألف جندى وعدد أمراء دولته أربعة وعشرون ألفا كلهم حكام وأصحاب مناصب وتحت طاعته من المدن ألف مدينة غير البلدان والضياع والحصون والقلاع والقرى وأمراء العربان الذين تحت يده ألف أمير كل أمير يحكم على عشرين ألف فارس وعنده من الأموال والدخائر والمعادن والجواهر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وكان يقهر الملوك ويبيد الأبطال والشجعان ومع ذلك كان كافرًا مشركًا بالله يعبد الصنم دون مولاه وجميع عساكره كفار يعبدون الأصنام دون الملك العلام فاتفق أنه كان يومًا من الأيام جالسًا على كرسى مملكته وحوله أكابر دولته فلم يشعر إلا وقد دخل عليه شخص فأضاء الديوان من نور وجهه فنظر إليه أبى فرآه لابسًا حلة خضراء وهو طويل القامة وأياديه نازلة إلى تحت ركبتيه وعليه هيبة ووقار والنور يلوح من وجهه فقال لأبى يا باغى يا مفترى إلى متى وأنت مغرور بعبادة الأصنام وتترك عبادة الملك العلام قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فقال من أنت أيها الرجل الجاحد لعبادة الأصنام حتى تتكلم بهذا الكلام أما تخشى أن تغضب عليك الأصنام فقال له إن الأصنام أحجار لا يضرنى غضبها ولا ينفعنى رضاها فاحضر لى صنمك الذى أنت تعبده وأمر كل واحد من قومك يحضر صنمه فإذا حضرت جميع



أصنامكم فادعوهم ليغضبوا على وأنا أدعوا ربى أن يغضب عليكم وتنظرون غضب الخالق من غضب المخلوق فأمر الملك كل من كان يعبد ربًا من الأصنام أن يأتى به . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح :

***

الليلة (٩٨٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك أمر كل من كان يعبد ربا من الأصنام أن يأتى به فأحضر جميع العساكر أصنامهم فى الديوان هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمرى فإنى كنت جالسة فى داخل ستارة تشرف على ديوان أبى وكان لى صنم من زمردة خضراء جسمه قدر جسم ابن آدم فطلبه أبى فأرسلته إليه فى الديوان فوضعوه فى جانب صنم أبى وكان صنم أبى من الياقوت وصنم الوزير من جوهر الألماس وأما أكابر العساكر والرعية فإن بعض أصنامهم من البلخش وبعضها من العنبر وكل الأصنام مختلفة الألوان ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأسود وأبيض ثم قال ذلك الشخص لأبى أدع صنمك وهؤلاء الأصنام تغضب على فقام أبى وسجد لصنمه وقال يا إلهى أنت الرب الكريم وليس فى الأصنام أكبر منك وأنت تعلم أن هذا الشخص أتانى طاعنا فى ربو بيتك مستهزئًا بك ويزعم أن له إلها أقوى منك ويأمرنا بترك عبادتك ونعبد إلهه فأغضب عليه يا إلهى وصار يطلب من الصنم والصنم لا يرد عليه جوابًا ولا يخاطبه بخطاب فقال ذلك الشخص لأبى مالى أرى صنمك لا يتكلم قال له أظن أنه غافل أو نائم فقال له يا عدو الله كيف تعبد إلها لا ينطق وليس له قدرة على شىء ولا تعبد إلهى الذى هو قريب مجيب وحاضر لا يغيب ولا يغفل ولا ينام ولا تدركه الأوهام يرى ولا يرى وهو على كل شىء قدير وأما إلهك هذا فإنه لا يقدر على دفع الشر عن نفسه فكيف يقدر على دفعه عنك فانظر بعينك عجزه ثم تقدم وصار يصكه على رقبته حتى وقع على الأرض فغضب الملك وقال للحاضرين إن هذا الجاحد قد صك إلهى فاقتلوه فأرادوا القيام ليضربوه فلم يقدر أحد منهم أن يقوم من مكانه فعرض عليهم الإسلام فلم يسلموا فقال أريكم غضب ربى فقالوا أرنا فبسط يديه وقال إلهى وسيدى أنت ثقتى ورجائى فاستجب دعائى على هؤلاء القوم الفجار الذين

يأكلون خيرك ويعبدون غيرك يا حق يا جبار يا خالق الليل والنهار أسألك أن تقلب هؤلاء القوم أحجارًا فإنك قادر ولا يعجزك شيء وأنت على كل شيء قدير فمسخ الله أهل هذه المدينة أحجارًا وأما أنا فإني حين رأيت برهانه أسلمت وجهي لله فسلمت مما أصابهم ثم إن ذلك الشخص دنا مني وقال لي سبقت لك من الله السعادة ولله في ذلك إرادة وصار يعلمني وأخذت عليه العهد والميثاق وكان عمري سبع سنين في ذلك الوقت وفي هذا الوقت صار عمري ثلاثين عامًا ثم إني قلت له يا سيدي جميع ما في هذه المدينة وجميع أهلها صاروا أحجارًا بدعوتك الصالحة وقد نجوت أنا حين أسلمت على يديك فإنت شيخي فأخبرني باسمك ومدني بمددك وتصرف لي في شيء أقتات منه فقال لي اسمي أبو العباس الخضر ثم غرس لي شجرة من الرمان بيده فكبرت وأورقت وأزهرت وأثمرت رمانة واحدة في الحال فقال كلي مما رزقك الله تعالى وأعبديه حق عبادته ثم علمني شروط الإسلام وشروط الصلاة وطريق العبادة وعلمني تلاوة القرآن وصار لي ثلاثة وعشرون عامًا وأنا أعبد الله في هذا المكان وهو الذي عرفني باسمك وبشرني بأنك سوف تأتيني في هذا المكان وقد قال لي إذا أتاك فأكرميه وأطيعي أمره ولا تخالفيه وكوني له أهلا ويكون لك بعلاً وإذهبي معه حيث شاء فلما رأيتك عرفتك فقلت لها الملك رضيت بما أمرك به شيخك الخضر عليه السلام أن تكوني لي أهلاً وأكون لك بعلاً وتذهبي معي إلى بلادي وأمكث بك في مدينة البصرة فقالت نعم إن شاء الله تعالى ثم إني أخذت عليها العهد الوثيق وأدخلتني إلى خزانة أبيها وأخذنا منها على قدر ما استطعنا حمله وخرجنا من تلك المدينة ومشينا حتى وصلنا إلى أخواي فرأيتهما يفتشان على فقالا أين كنت فإنك أبطأت علينا وقلبنا مشغول عليك فقلت لهم لا ضرر في ذلك ولعل التأخير خير لأن غيابي لم يكن فيه غير الإصلاح وقد حصل لي فيه بلوغ الآمال ثم قلت لهم انظروا ما حصل في هذه الغيبة وفرجتهم على ما معي من الذخائر وأخبرتهم بما رأيت في مدينة الحجر وقلت لهم لو كنتم أطعتموني ورحتم كان تحصل لكم من هذا شيء كثير فقالوا له والله لو رحنا ما كنا نستجرى أن ندخل على ملك المدينة فقلت لاخواى لا بأس عليكما فالذي معي يكفينا جميعًا وهذا نصيبنا ثم إني قسمت ما معي اقسامًا على قدر الجميع ففرحوا ودعوا لي ورضوا بما أعطيته لهم إلا أخواى فإنهما تغيرت أحوالهما ولاجت عيونهما فلحظت أن الطمع

تمكن منهما فقلت لهما يا أخواى أظن أن الذى أعطيته لكما لم يقنعكما ولكن أنا أخو كما وأنتما أخواى ولا فرق بينى وبينكما وما لى ومالكما شىء واحد وإذا مت لا يرثنى غيركما وصرت آخذ بخاطرهما ثم إنى أنزلت البنت فى الغليون وأدخلتها فى الخزنة وأرسلت لها شيئًا تأكله وقعدت أتحدث أنا وأخواى فقالا لى يا أخانا ما مرادك أن تفعل بهذه البنت البديعة الجمال فقلت لهما مرادى أن أكتب كتابى عليها فقال أحدهما يا أخى اعلم أن هذه الصبية بديعة الحسن والجمال . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٨٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ثم قال أحدهما يا أخى اعلم أن هذه الصبية بديعة الحسن والجمال وقد وقعت محبتها فى قلبى فمرادى أن تعطيها لى فاتزوج بها أنا وقال الثانى وأنا الآخر كذلك فاعطها لى لأتزوج بها فقلت لهما يا أخواى أنها قد أخذت على عهدا وميثاقًا أنى أتزوج بها فإذا أعطيتها لواحد منكما أكون ناقضًا للعهد الذى بينى وبينها وأما من جهة أنكما تحبانها فأنا أحبها أكثر منكما على أنها لقيتى وكونى أعطيها لواحد منكما هذا شىء لا يكون أبدًا ثم إننا سافرنا متوجهين إلى أرض البصرة وصرت أرسل إليها ما تأكل وما تشرب وهى لا تخرج من خزنة المركب وأنا أنام بين أخواى على ظهر الغليون ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى فنمت تلك الليلة فبينما أنا مستغرق فى النوم لم أشعر إلا وأنا محمول بين يدى أخواى هذين واحد قابض على سيقانى والآخر من يدى لكونهما اتفقا على تفريقى فى البحر من شأن تلك البنت فلما رأيت روحى محمولاً بين أيديهما قلت لهما يا أخواى لأى شىء تفعلان معى هذه الفعال فقالا يا قليل الأدب كيف تبيع خاطرنا ببنت فنحن نرميك فى البحر من أجل ذلك ثم رمونى فيه ثم قال يا أمير المؤمنين فلما رمونى فى البحر وصلت إلى القرار ثم نقضنى الماء على وجه البحر فما أشعر إلا وطائر كبير قدر الآدمى نزل على وخطفنى وطار بى فى الجوالا على ففتحت عينى فرأيت روحى فى قصر مشد الأركان عالى البنيان منقوش بالنقوشات الفاخرة وفيه جوار واقفات واضعات الإيادى على الصدور وإذا بامرأة جالسة بينهن على كرسى من

الذهب الأحمر موصع بالدر والجوهر وعليها ملابس لا يقدر الإنسان أن يفتح عينه فيها لا يفى بثمنها مال وعلى رأسها تاج ثلاث دورات يحير العقول والأفكار ويخطف القلوب والأبصار ثم إن الطير الذى خطفنى انتفض فصار صبية كأنها الشمس المضيئة فأمعنت النظر فيها فإذا هى الصبية التى كانت فى الجبل بصفة حية وكان الثعبان يقاتلها ولف ذيله على ذيلها وأنا حين رأيت الثعبان قهرها وتغلب عليها قتلته بالحجر فقالت لها المرأة التى هى جالسة على الكرسى لأى شىء جئت هنا بهذا الأنسى فقالت لها يا أمى أن هذا هو الذى كان سببًا فى ستر عرضى بين بنات الجان ثم قالت لى هل تعرف من أنا قلت لا فقالت أنا التى كنت حية بيضاء ولكنى بنت الملك الأحمر ملك الجان واسمى سعيدة وهذه الجالسة هى أمى واسمها مباركة زوجة الملك الأحمر ملك الجان والثعبان الذى كان يقاتلنى ويريد هتك عرضى هو وزير الملك الأسود واسمه درفيل وهو قبيح الخلقة واتفق أنه لما رآنى عشقنى ثم إنه خطبنى من أبى فأرسل إليه أبى يقول له وما مقدارك يا قطاعة الوزراء حتى تتزوج بنات الملوك فاغتاظ من ذلك وحلف يمينًا أنه لابد أن يفضح عرضى كيدًا فى أبى وصار يقفو أثرى ويتبعنى أينما رحت ومراده أن يفضح عرضى وقد وقع بينه وبين أبى حروب عظيمة ومشقات جسيمة ولم يقدر عليه أبى لكونه جبارًا مكارا ثم إن أبى كلما ضايقه وأراد أن يظفر به يهرب منه وقد عجز أبى وصرت أنا فى كل يوم اتقلب أشكالاً وألوانًا وكلما انقلبت فى صفة انقلب هو فى صفة ضدها حتى قاسيت منه مشقة عظيمة ثم انقلبت فى صفة حية وذهبت إلى ذلك الجبل فانقلب هو فى صفة ثعبان وتبعنى فيه فوقعت فى يده وعالجنى وعالجته حتى اتعبنى وركب على فأتيت أنت وضربته بالحجر فقتلته وأنا انقلبت بنتًا وأريتك روحى وقلت لك على جميل لا يضيع إلا مع أولاد الزنا فلما رأيت أخويك فعلا بك هذه المكيدة ورمياك فى البحر بادرت إليك وخلصتك من الهلاك ووجب لك الإكرام من أمى وأبى ثم إنها قالت يا أمى أكرميه فى نظير ماستر عرضى فقالت مرحبًا بك يا أنسى فإنك فعلت معنا جميلاً تستحق عليه الإكرام وأمرت لى ببدلة كنوزية تساوى جملة من المال وأعطتنى جملة من الجوهر والمعادن ثم إنها قالت خذوه وادخلوه على الملك فأخذونى وأدخلونى على الملك فى الديوان فرأيته جالسًا على كرسى وبين يديه المردة



والأعوان فلما رأيته زاغ بصرى مما رأيته عليه من الجواهر فلما رآنى قام على الأقدام وقامت العساكر إجلالاً له ثم حيانى ورحب بى وأكرمنى غاية الإكرام وأعطانى مما عنده من الخيرات وبعد ذلك قال لبعض أتباعه خذوه إلى بنتى توصله إلى المكان الذى جاءت به منه فأخذونى وذهبوا بى إلى سعيدة بنته فحملتنى ثم طارت بى وبما معى من الخيرات هذا ما كان من أمرى وأمر سعيدة (وأما) ما كان من أمر ريس الغليون فإنه آفاق على الخبطة حين رمونى فى البحر فقال ما الذى وقع فى البحر فبكى أخواى وصارا يخبطان على صدورهما ويقولان يا ضيعة اخينا فإنه أراد أن يزيل ضرورة فى الغليون فوقع فى البحر ثم إنهما وضعا إيديهما على مالى ووقع بينهما الاختلاف من جهة البنت وصار كل واحد منهما يقول ما يأخذها غيرى واستمرا على الخصام مع بعضهما ولم يتذكرا أخاهما ولا غرقه وزال حزنهما عليه فبينما هما فى هذه الحالة وإذا بسعيدة نزلت فى وسط الغليون . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٩٨٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله بن فاضل قال فبينما هما فى هذه الحالة وإذا بسعيدة نزلت بى فى وسط الغليون فرآنى أخواى فعا نقانى وفرحا بى وصارا يقولان يا أخانا كيف حالك فيما جرى لك أن قلبنا مشغول عليك فقالت سعيدة إن كان قلبكما عليه أو كنتما تحبانه ما كنتمار ميتماه فى البحر وهو نائم ولكن اختارا لكما موتة تموتانها وقبضت عليهما وأرادت قتلهما فصاحا وقالا فى عرضك يا أخانا فصرت أتداخل عليها وأقول لها أنا واقع فى عرضك لا تقتلى أخواى وهى تقول لابد من قتلهما لأنهما خائنان فمازلت ألاطفها واستعطفها حتى قالت من شأن خاطرك لا اقتلهما ولكن أسحرهما ثم أخرجت طاسة وحطت فيها ماء من ماء البحر وتكلمت عليه بكلام لا يفهم وقالت أخرجا من الصورة البشرية إلى الصورة الكلبية ثم رشتهما بالماء فانقلبا كلبين كما تراهما يا خليفة الله ثم إنها قالت لى اربطهما فى الحبال حتى تدخل البصرة فوضعت فى رقبة كل واحد منهما حبلاً ثم ربطتهما فى الصارى وتوجهت هى إلى حال سبيلها وفى ثانى يوم دخلنا البصرة وطلع التجار لمقابلتى وسلموا على ولم يسأل

أحدعن أخواى وإنما صاروا ينظرون إلى الكلاب ويقولون لى يا فلان ماذا تصنع بهذين الكلبين الذين جئت بهما معك فأقول لهم إنى ربيتهما فى هذه السفرة وجئت بهما معى فيضحكون عليهما ولم يعرفوا أنهما أخواى ثم إنى وضعتهما فى خزانة والتهيت تلك الليلة فى توزيع الأحمال التى فيها القماش والمعادن وكان عندى التجار لأجل السلام فاشتغلت ولم أضربهما ولم أربطهما بالسلاسل ولم أعمل معهما ضررا ثم نمت فما أشعر إلا وسعيدة بنت الملك الأحمر قالت لى أما قلت لك ضع فى رقابهما السلاسل واضرب كل واحد منهما علقة ثم إنها قبضت على وأخرجت السوط وضربتنى علقة حتى غبت عن الوجود وبعد ذلك ذهبت إلى المكان الذى فيه أخواى وضربت كل واحد منهما بالسوط حتى أشرفا على الموت وقالت كل ليلة أضرب كل واحد منهما علقة مثل هذه العلقة وأن مضت ليلة ولم تضربهما فإنى أضربك فقلت يا سيدتى فى غدا حطِ السلاسل فى رقابهما والليلة الآتية اضربهما ولا أرفع الضرب عنهما ليلة واحدة فأكدت على الوصية بضربهما فلما أصبح الصباح لم يهن على أن أضع السلاسل فى رقابهما فذهبت إلى صائغ وأمرته أن يعمل لهما غلين من الذهب فعملهما وجئت بهما ووضعتهما فى رقابهما وربطتهما كما أمرتنى وفى ثانى ليلة ضربتهما قهراً عنى ثم إنى قلت فى نفسى لعل غيظهاُ قد برد فتركتهما ليلة من غير ضرب فأتتنى وضربتى علقة لم أنس حرارتها بقية عمرى فمن ذلك الوقت لم أقطع عنهما الضرب فعند ذلك تعجب الخليفة هارون الرشيد من حال هذين الكلبين ثم قال وهل أنت فى هذه الحالة سامحت أخويك مما صدر منهما فى حقك وعفوت عنهما أم لا فقال يا سيدى سامحهما الله وأبرأ ذمتهما فى الدنيا والآخرة وأنا محتاج لكونهما يسامحانى لأنه مضى لى اثنا عشر عاما وأنا اضربهما كل ليلة علقة فقال له الخليفة يا عبدالله إن شاء الله أنا أسعى فى خلاصهما ورجوعهما آدميين كما كانا أولاً وأصلح بينكم وتعيشون بقية أعماركم أخوة متحابين وكما إنك سامحتهما يسامحانك فخذهما وأنزل إلى منزلك وفى هذه الليلة لا تضربهما وفى غد ما يكون إلا الخير فقال له يا سيدى وحيات رأسك إن تركتهما ليلة واحدة من غير ضرب تأتينى سعيدة وتضربنى وأنا مالى جسد يتحمل ضربًا فقال لا تخف فأنا أعطيك خط يدى فإذا أتتك فاعطها الورقة فإذا قرأتها وعفت عنك كان



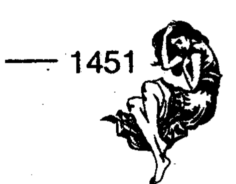
الفضل لها وإن لم تطع أمرى كان أمرك إلى الله ودعها تضربك علقة وقدر أنك نسيتهما من الضرب وضربتك بهذا السبب وإذا حصل ذلك وخالفتنى فإن كنت أنا أمير المؤمنين فإنى أعمل خلاصى معها ثم إن الخليفة كتب لها ورقة مقدار أصبعين وبعد ما كتبهما ختمها وقال يا عبد الله إذا اتتك سعيدة فقل لها أن الخليفة ملك الأنس أمرنى بعدم ضربهما وكتب لى هذه الورقة وهو يقرئك السلام وأعطها المرسوم ولا تخش بأسا ثم أخذ عليه العهد والميثاق أنه لا يضربهما فأخذهما وراح بهما إلى منزله وقال فى نفسه يا ترى ما الذى يصنعه الخليفة فى حق بنت سلطان الجن إذا كانت تخالفه وتضربنى فى هذه الليلة ولكن أنا صابر على ضربى علقة وأريح أخواى فى هذه الليلة ولو كان يحصل لى من أجلهما العذاب ثم إنه تفكر فى نفسه وقال له عقله لولا أن الخليفة مستند إلى سند عظيم ما كان يمنعك عن ضربهما ثم إنه دخل منزله ونزع الغلال من رقاب أخويه وقال توكلت على الله وصار يأخذ بخاطرهما ويقول لهما لا بأس عليكما فإن الخليفة الخامس من بنى العباس قد تكفل بخلاصكما وأنا قد عفوت عنكما وأن شاء الله تعالى يكون الأوان قد آن وتخلصان فى هذه الليلة المباركة فأبشرا بالهناء والسرور فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عواء الكلاب . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٩٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عبدالله بن فاضل قال لأخويه أبشرا بالهناء والسرور فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عواء الكلاب ويمرغان خدودهما على أقدامه كأنهما يدعوان له ويتواضعان بين يديه فحزن عليهما وصار يملس بيده على ظهورهما إلى أن جاء وقت العشاء فلما وضعوا السفرة قال لهما أجلسا فجلسا يأكلان معه على السفرة فصارت أعوانه باهتين ويتعجبون من أكله مع الكلاب ويقولون هل هو مجنون أو مختل العقل كيف يأكل نائب

مدينة البصرة مع الكلاب وهو أكبر من وزير أما يعلم أن الكلب نجس وصاروا ينظرون إلى الكلبين وهما يأكلان معه أكل الحشمة ولا يعلمون أنهما أخواه ومازالوا يتفرجون على عبد الله والكلبين حتى فرغوا من الأكل ثم صرف الخدام وناموا ونام كل كلب على سرير وصار الخدام يقولون لبعضهم إنه نام ونام معه الكلبان وبعضهم يقول حيث أكل مع الكلاب على السفرة فلا بأس إذا ناما معه وما هذا إلا حال المجانين هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر عبد الله بن فاضل فإنه لم يشعر إلا والأرض قد انشقت وطلعت سعيدة وقالت يا عبد الله لأى شىء ما ضربتهما فى هذه الليلة ولأى شىء نزلت الأغلال من أعناقهما هل فعلت ذلك عنادًا لى أو استخفافًا بأمرى ولكن الآن أضربك وأسحرك كلبًا مثلهما فقال لها يا سيدتى أقسمت عليك بالنقش الذى على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تمهلى على حتى أخبرك بالسبب ومهما أردتيه بى فافعليه فقالت له أخبرنى فقال لها أما سبب عدم ضربهما فإن ملك الأنس الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد أمرنى ألا أضربهما فى هذه الليلة وقد أخذ على مواثيق وعهود على ذلك وهو يقرئك السلام وأعطانى مرسومًا بخط يده وأمرنى أن أعطيك إياه فامتثلت أمره وطاعت أمير المؤمنين واجبة وها هو المرسوم فخذيه واقرئيه وبعد ذلك افعلى مرادك فقالت هاته فناولتها المرسوم ففتحته وقرأته وقرأت مكتوبًا بسم الله الرحمن الرحيم من ملك الأنس هارون الرشيد إلى بنت الملك الأحمر سعيدة أما بعد فإن هذا الرجل قد سامح أخويه وأسقط حقه عنهما وقد حكمت عليهما بالصلح وإذا وقع الصلح ارتفع العقاب فإن اعترضتمونا فى أحكامنا اعترضنا كم فى أحكامكم وخرقنا قانونكم وإن امتثلتم أمرنا ونفذتم أحكامنا فإننا ننفذ أحكامكم وقد حكمت عليك بعدم التعرض لهما فإن كنت تؤمنين بالله ورسوله فعليك بطاعة ولى الأمر وأن عفوت عنهما فأنا أجازيك بما يقدرنى عليه ربى وعلامة الطاعة أن ترفعى سحرك عن هذين الرجلين حتى يقابلانى فى غد خالصين وأن لم تخلصيهما فأنا أخلصهما قهرًا عنك بعون الله تعالى فلما قرأت ذلك الكتاب قالت يا عبدالله لا أفعل شيئًا حتى أذهب إلى أبى وأعرض عليه مرسوم ملك الأنس وأرجع إليك بالجواب بسرعة ثم أشارت بيدها إلى الأرض



فانشقت ونزلت فيها فلما ذهبت طار قلب عبد الله فرحًا وقال أعز الله أمير المؤمنين ثم إن سعيدة دخلت على أبيها وأخبرته بالخبر وعرضت عليه مرسوم أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم قرأه وفهم ما فيه وقال يا بنتى أمر ملك الإنس علينا ماش وحكمه فينا نافذ ولا نقدر أن نخالفه فامضى إلى الرجلين وخلصيهما قبل أن يحيق بنا غضب أمير المؤمنين فرجعت إلى عبدالله بن فاضل وأخبرته بما قال أبوها وقالت له قَبِّل لنا أيادى أمير المؤمنين واطلب لنا رضاه ثم إنها أخرجت الطاسة ووضعت فيها الماء وعزمت عليها وتكلمت بكلمات لا تفهم ثم رشتهما بالماء وقالت أخرجا من الصورة الكلبية إلى الصورة البشرية فعاد ابشرين كما كانا وانفك عنهما السحر وقالا أشهدان لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله ثم وقعا على يد أخيهما وعلى رجليه يقبلانها ويطلبان منه السماح فقال لهما سامحانى انتما ثم إنهما تابوا توبة نصوحًا وقالا قد غرنا إبليس اللعين وأغوانا الطمع وربنا جازانا بما نستحقه والعفو من شيم الكرام وصارا يستعطفان أخاهما ويبكيان ويتندمان على ما وقع منهما ثم إنه قال لهما ما فعلتما بزوجتى التى جئت بها من مدينة الحجر فقالوا لما أغوانا الشيطان ورميناك فى البحر وقع الخلاف بيننا وصار كل منا يقول أنا أتزوج بها فلما سمعت كلامنا قالت لا تختصما من أجلى فإنى لست لواحد منكما أن زوجى راح البحر وأنا أتبعه ثم إنها رمت نفسها فى البحر فقال إنها ماتت شهيدة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم إنه بكى عليها بكاء شديدًا وقال لهما لا يصح منكما أن تفعلا معى هذا الفعال وتعدمانى زوجتى فقالا إننا أخطأنا وربنا جازانا على فعلنا هذا شىء قدره الله علينا قبل أن يخلقنا فقبل عذرهما ثم إن سعيدة قالت ايفعلان معك هذه الفعال وأنت تعفو عنهما فقال يا أختى من قدر وعفى كان أجره على الله فقالت خذ حذرك منهما فإنهما خائنين ثم ودعته وانصرفت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٩١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله لما حذرته سعيدة من أخويه ودعته وانصرفت إلى حال سبيلها فبات عبدالله بقية تلك الليلة هو واخواه على أكل وشرب وبسط وانشرح

صدرهم فلما أصبح الصباح أدخلهما الحمام وعند خروجهما ألبس كل واحد منهما بدلة تساوى جملة من المال ثم إنه طلب سفرة طعام فقدموها بين يديه فأكل هو وأخواه فلما نظرهما الخدام وعرفوا أنهما أخواه سلموا عليهما وقالوا للأمير عبدالله يا مولانا هناك الله باجتماعك على أخويك العزيزين ثم إنه أخذهما وتوجه إلى ديوان الخليفة هارون الرشيد ودخل بهما عليه وقبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم فقال له الخليفة مرحبًا بك أعز الله قدرك أنى لما أخذت أخواى وذهبت بهما إلى منزلى اطمأنيت عليهما بسببى حيث تكلفت بخلاصهما وقلت فى نفسى أن الملوك لا يعجزون عن أمر يجتهدون فيه أن العناية تساعدهم ثم نزعت الأغلال من رقابهما وتوكلت على الله وأكلت أنا وإياهما على السفرة فلما رآنى أتباعى آكل معهما وهما فى صورة كلبين استخفوا عقلى وقالوا لبعضهم لعله مجنون كيف يأكل نائب البصرة مع الكلاب وهو أكبر من الوزير وصاروا يسفهون رأيى وأنا اسمع كلامهم ولا أرد عليهم جواً بالعدم معرفتهم أنهما أخواى ثم صرفتهم وعندما جاء وقت النوم فما أشعر إلا والأرض قد انشقت وخرجت سعيدة بنت الملك الأحمر وهى غضبانة على وعيناها مثل النار ثم أخبر الخليفة بجميع ما وقع منها ومن أبيها وليف أخرجتهما من الصورة الكلبية إلى الصورة البشرية ثم قال وها هما بين يديك يا أمير المؤمنين فالتفت الخليفة فرآهما شابين كالقمرين فقال الخليفة جزاك الله عنى خيراً يا عبد الله حيث اعلمتنى بفائدة ما كنت أعلمها إن شاء الله لا أترك صلاة هاتين الركعتين ثم إنه عنف أخواى عبدالله بن فاضل على ما سلف منهما فى حقه فاعتذرا قدام الخليفة فقال لهم تصافحوا وسامحوا بعضكم وعفا الله عما سلف ثم التفت إلى عبدالله وقال يا عبدالله اجعل أخويك معينين لك وتوص بهما وأوصاهما بطاعة أخيهما . هذا ما كان من أمرهم مع الخليفة (وأما) ما كان من أمر عبدالله بن فاضل فإنه سافر من مدينة بغداد ومعه أخواه بالأعزاز والإكرام وعلو المقام إلى أن دخلوا مدينة البصرة فخرج الأكابر والأعيان لملاقاتهم وزينوا لهم المدينة وادخلوهم بموكب ليس له نظير وصار الناس يدعون له وهو ينثر الذهب والفضة وصار جميع الناس يصيحون بالدعاء له ولم يلتفت أحد إلى أخويه



فدخلت الغيرة والحسد فى قلوبهما ومع ذلك كان عبدالله يداريهما مداراة العين الرمداء وكلما داراهما ازدادا بغضاً له وحسداً فيه ثم إنه أعطى كل واحد منهما سراية ليس لها نظير وجعلهما يخدم وحشم وجوار وعبيد سود وبيض من كل نوع أربعين وأعطى كل واحد منهما خمسين جواد من الخيل الجياد وصار لهما جماعة واتباع ثم إنه عين لهما الخراج ورتب لهما الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما يا أخواى أنا وانتما سواء ولا فرق بينى وبينكما . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٩٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عبدالله رتب لأخويه الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما يا أخواى أنا وأنتما سواء ولا فرق بينى وبينكما فالحكم بعد الله والخليفة لى ولكما ثم إنه ركن اليهما وبالغ فى إكرامه لهما ما ازداد إلا حسداً له وبغضاً فيه ثم إن أخويه ناصرا ومنصوراً اجتمعا مع بعضهما فقال ناصر لمنصور يا أخى إلى متى ونحن تحت طاعة أخينا عبدالله وهو فى هذه السيادة والإمارة وبعدما كان تاجراً صار أميراً وبعدما كان صغيراً صار كبيراً ونحن لم نكبر ولم يبق لنا قدر ولا قيمة وها هو ضحك علينا وعملنا معينين له ما معنى ذلك أليس إننا خدمه ومن تحت طاعته ومادام طيباً لا ترتفع درجتنا ولا يبق لنا شأن فلا يتم غرضنا إلا أن قتلناه وأنت تكون نائب البصرة وأنا أكون نائب الكوفة أو أنك تكون نائب الكوفة وأنا أكون نائب البصرة ويبقى لكل واحد منا صولة وشأن ثم نسامره بالكلام ونحكى له حكايات ونكاتا ونوادر إلى أن يذوب قلبه من السهر ثم نفرش له حتى يرقد فإذا رقد نبرك عليه وهو نائم فنخنقه ونرميه فى البحر ونصيح ونقول إن أخته الجنية أتته وهو قاعد يتحدث بيننا وقالت له يا قطاعة الإنس ما مقدارك حتى تشكونى إلى أمير المؤمنين أتظن أننا نخاف منه فكما أنه ملك نحن ملوك وأن لم يلزم أدبه فى حقنا قتلناه أقبح قتلة ولكن بقيت أنا أقتلك حتى ننظر ما يخرج من يد أمير المؤمنين ثم خطفته وشقت الأرض ونزلت به فلما رأينا ذلك غشى علينا ثم استفقنا ولم ندرما

حصل له وبعد ذلك نرسل إلى الخليفة ونعلمه فإنه يولينا مكانه وبعد مدة نرسل إلى الخليفة هدية سنية ونطلب منه حكم الكوفة وواحد منا يقيم فى البصرة والآخر يقيم بالكوفة وتطيب لنا البلاد ونقهر العباد ونبلغ المراد فقال نعم ما أشرت به يا أخى فلما اتفقا على قتل أخيهما صنع ناصر ضيافة وقال لأخيه عبدالله يا أخى اعلم أنى أنا أخوك ومرادى أن تجبر بخاطرى أنت وأخى منصور وتأكلا ضيافتى فى بيتى حتى أفتخر بك ويقال إن الأمير عبدالله أكل ضيافة أخيه ناصر لأجل أن يحصل لى بذلك جبر خاطر فقال له عبدالله لا بأس يا أخى ولا فرق بينى وبينك وبيتك بيتى ولكن حيث عزمتنى فما يأبى الضيافة إلا لئيم وفى ثانى يوم ركب عبدالله وأخذ معه جملة من العسكر وأخاه منصور وتوجه إلى دار أخيه ناصر فدخل وجلس هو وجماعته وأخوه قدم لهم السماط ورحب بهم فأكلوا وشربوا وتلذذوا وأطربوا وارتفعت السفرة والزبادى وغسلت الأيادى وأقاموا ذلك اليوم على أكل وشرب وبسط ولعب إلى الليل فلما تعشوا صلوا المغرب والعشاء ثم جلسوا على منادمة وصار منصور يحكى حكايته وناصر يحكى حكايته وعبدالله يسمع وكانوا فى قصر وحدهم وبقية العسكر فى مكان آخر ولم يزالوا فى نكت وحكايات ونوادر وأخبار حتى ذاب قلب أخيهم عبدالله من السهر وغلب عليه النوم . وأدركُ شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٩٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عبدالله لما طال عليه السهر وأراد النوم فرشوا له الفرش ثم قلع ثيابه ونام وناما بجانبه على فرش آخر وصبراً عليه حتى استغرق فى النوم فلما عرفا أنه استغرق فى النوم قاما وبركا عليه فأفاق فرآهما باركين على صدره فقال لهما ما هذا يا أخواى فقالا له ما نحن أخواك ولا نعرفك يا قليل الأدب وقد صار موتك أحسن من حياتك وخطا أيديهما فى رقبته وخنقاه فغاب عن الدنيا ولم يبق فيه حركة فظنا أنه مات وكان القصر على البحر فرموه فى البحر فلما وقع فى البحر سخر الله له درفيلا فلما سمع الخبطة فى البحر أتى



سريعًا فرآه ابن آدم فهداه الهادى وحمله على ظهره وشق به فى وسط البحر ولم يزل ماشيا حتى وصل إلى البر من الجهة الثانية وألقاه على البر وكان ذلك المكان الذى أطلعه فيه على قارعة الطريق فمرت به قافلة فرأوه مرميًا على جانب البحر فقالوا هنا غريق ألقاه البحر على الشاطىء واجتمع عليه جماعة من تلك القافلة يتفرجون عليه وكان شيخ القافلة رجلاً من أهل الخير وعارفًا بجميع العلوم وخبير بعلم الطب وصاحب فراسة صادقة فقال لهم يا ناس ما الخبر فقالوا هذا غريق ميت فأقبل عليه وتأمله وقال يا ناس هذا الشاب فيه الروح وفيه الرجا إن شاء الله تعالى ثم إنه أخذه وألبسه بدلة وأدفاه وصار يعالجه ويلاطفه مدة ثلاث مراحل حتى أفاق ولكن حصلت له خضة فغلب عليه الضعف وصار شيخ القافلة يعالجه بأعشاب يعرفها ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثين يومًا حتى بعدوا عن البصرة بهذه المسافة وهو يعالج فيه ثم دخلوا مدينة يقال لها مدينة عوج وهى فى بلاد العجم فنزلوا فى خان وفرشوا له ورقد فبات تلك الليلة يئن وقد أقلق الناس من أنينه فلما أصبح الصباح أتى بواب الخان إلى شيخ القافلة وقال له ما شأن هذا الضعيف الذى عندك فإنه أقلقنا فقال هذا رأيته فى الطريق على جانب البحر غريقًا فعالجته وعجزت ولم يشف فقال له اعرضه على الشيخة راجحة فقال له وما تكون الشيخة راجحة فقال عندها بنت بكر شيخة وهى عذراء جميلة اسمها الشيخة راجحة كل من كان به داء يأخذونه إليها فيبيت عندها ليلة واحدة فيصبح معافى كأنه لم يكن فيه شىء يضره فقال له شيخ القافلة دلنى عليها فقال له أحمل مريضك فحمله ومشى بواب الخان قدامه إلى أن وصل إلى زاوية فرأى خلائق داخلين بالنذور وخلائق خارجين فرحانين فدخل بواب الخان حتى وصل إلى الستارة وقال دستور يا شيخة راجحة خذى هذا المريض فدخل ونظر إليها فرآها زوجته التى جاء بها من مدينة الحجر فعرفها وعرفته وسلمت عليه وسلم عليها فقال لها من أتى بك إلى هذا المكان فقالت له لما رأيت أخويك رمياك فى البحر وتخاصما على رميت نفسى فى البحر فتناولنى شيخى الخضر أبو العباس وأتى بى إلى هذه الزاوية وأعطانى الإذن بشفاء المرضى ونادى فى هذه المدينة كل من كان به داء فعليه بالشيخة راجحة وقال لى أقيمى فى هذا المكان

حتى يؤن الأوان ويأتى إليك زوجك فى هذه الزاوية فسار كل مريض يأتى إلى أكبسه فيصبح طيباً وشاع ذكرى بين العالم وأقبلت على الناس بالنذور وعندى الخير كثير وأنا فى عز وإكرام ثم إنها كبسته فشفى بقدرة الله تعالى وكان الخضر عليه السلام يحضر عندها فى كل ليلة جمعة وكانت تلك الليلة التى اجتمع بها فيها ليلة الجمعة فلما جن الليل جلست هى واياه بعدما تعشيا من أفخر المأكول ثم قعدا ينتظران حضور الخضر فبينما هما جالسان وإذا به قد أقبل عليهما فحملهما من الزاوية ووضعها فى قصر عبدالله بن فاضل بالبصرة ثم تركهما وذهب فلما أصبح الصباح تأمل عبدالله فى البصرة فرأه قصره فعرفه وسمع الناس فى ضجة فنظر من الشباك فرأى أخويه مصلوبين كل واحد منهما على خشبة هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر عبدالله فإنه أمر بدفن أخويه ثم ركب وتوجه إلى بغداد وأخبر الخليفة بحكايته وما فعل معه أخواه من الأول إلى الآخر فتعجب الخليفة من ذلك وأحضر القاضى والشهود وكتب كتابه على البنت التى جاء بها من مدينة الحجر ودخل بها وأقام معها فى البصرة إلى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحى الذى لا يموت

﴿حكاية معروف الإسكافى﴾

(ومما يحكى) أيها الملك السعيد أنه كان فى مدينة مصر المحروسة رجل إسكافى يرقع الزرابين القديمة وكان اسمه معروفاً وكان له زوجة اسمها فاطمة ولقبها العرة وما لقبوها بذلك إلا أنها كانت فاجرة شرانية قليلة الحياء كثيرة الفتن وكانت حاكمة على زوجها وفى كل يوم تسبه وتلعنه ألف مرة وكان يخشى شرها ويخاف من أذاها لأنه كان رجلاً عاقلاً يستحى على عرضه ولكنه كان فقير الحال فإذا اشتغل بكثير صرفه عليها وإذا اشتغل بقليل انتقمت من بدنه فى تلك الليلة وأعدمته العافية وتجعل ليلته مثل صحيفتها وهى كما قال فى حقها الشاعر :

كم ليلة بت مع زوجتى   فى أشأم الأحوال قضيتها
يا ليتنى هند دخولى بها   أحضرت سمائم سميتها



ومن جملة ما اتفق لهذا الرجل مع زوجته أنها قالت له يا معروف أريد منك فى هذه الليلة أن تجيء لى معك بكنافة عليها عسل نحل قال لزوجته الله يسهل بكلفتها وأنا أجيء بها إليك فى هذه الليلة والله ليس معى دراهم فى هذا اليوم لكن ربنا يسهل فقالت له ما أعرف هذا الكلام أن سهل أو لم يسهل لا تجئنى إلا بالكنافة التى بعسل نحل فقال لها الله كريم ثم خرج ذلك الرجل والغم يتناثر من بدنه فصلى الصبح وفتح الدكان وقال اسألك يا رب أن ترزقنى بحق هذه الكنافة وتكفينى شر هذه الفاجرة فى هذه الليلة وقعد فى الدكان إلى نصف النهار



(معروف الإسكافى وزوجته قابضة على لحيته)

فلم يأته شغل فاشتد خوفه من زوجته فقام وقفل الدكان وصار متحيرًا فى أمره من شأن الكنافة مع أنه لم يكن معه من حق الخبز شيء ثم إنه مر على دكان الكنفانى ووقف قدامه باهتا وغرغرت عيناه بالدموع فلحظ عليه الكنفانى وقال يا معلم معروف مالك تبكى فأخبره بقصته وقال له إن زوجتى جبارة وطلبت منى كنافة وقد قعدت فى الدكان حتى مضى نصف النهار

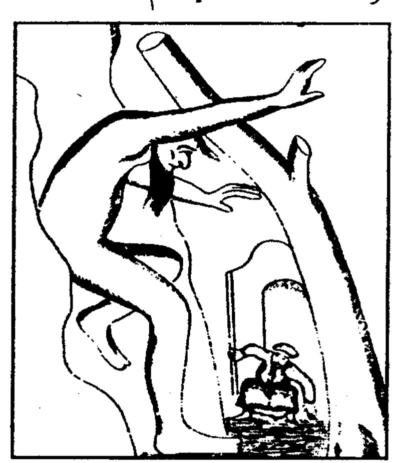
فلم يجئنى ولا ثمن الخبز وأنا خائف منها فضحك الكنفانى وقال لا بأس عليك كم رطلاً تريد فقال له خمسة أرطال وقال له السمن عندى ولكن ما عندى عسل نحل وإنما عندى عسل قصب أحسن من عسل النحل وماذا يضر إذا كانت بعسل قصب فاستحى منه لكونه يصبر عليه بثمنها فقال له هاتها بعسل قصب فقلى له الكنافة بالسمن وغرقها بعسل قصب فصارت تهدى للملوك فأخذ الكنافة وانصرف داعيًا له وروح مجبور الخاطر وهو يقول سبحانك ربى ما أكرمك ثم إنه دخل عليها فقالت له هل جئت بالكنافة قال نعم ثم وضعها قدامها فنظرت إليها فرأتها بعسل قصب فقالت له أما قلت له هاتها بعسل نحل تعمل على خلاف مرادى وتعملها بعسل قصب فاعتذر إليها وقال لها إنا ما اشتريتها إلا مؤجلاً ثمنها فقالت له هذا كلام باطل وقالت له قم يا معرص هات لى غيرها ولكمته فى صدغه فقلعت سنة من أسنانه ونزل الدم على صدره ومن شدة الغيظ ضربها ضربة واحدة لطيفة على رأسها فقبضت على لحيته وصارت تصيح وتقول يا مسلمين فدخل الجيران وخلصوا لحيته من يدها قاموا عليها باللوم وعيبوها ومازالوا يلاطفونها حتى أصلحوا بينها وبينه ولكنها بعد ذهاب الناس حلفت ما تأكل من الكنافة شيئًا فأخرفه الجوع فقال فى نفسه هى حلفت ما تأكل فأنا آكل ثم أكل فلما رأته يأكل صارت تقول له إن شاء الله يكون أكلها سمًا يهرى بدن البعيد ولم تزل تسبه وتشتمه إلى الصُبح فلما أصبح الصباح شمرت عن ساعدها لضربه فقال لها أمهلينى وأنا أجىء إليك بغيرها ثم خرج إلى المسجد وصلى وتوجه إلى الدكان وفتحها وجلس فلم يستقر به الجلوس حتى جاءه اثنان من طرف القاضى وقالا له قم كلم القاضى فإن امرأتك شكتك إليه ثم قام ومشى معهما إلى أن دخل على القاضى فرأى زوجته رابطة ذراعها وبرقعها ملوث بالدم وهى واقفة تبكى وتمسح دموعها فقال له القاضى يا رجل ألم تخف من الله كيف تضرب هذه الحرمة وتكسر ذراعها وتقلع سنها وتفعل بها هذه الفعال فقال له إن كنت ضربتها أو قلعت سنها فاحكم بما تختار وإنما القصة كذا وكذا وأخبره بالقصة من الأول إلى الآخر وكان ذلك القاضى من أهل الخير فأخرج له ربع دينار وقال له يا رجل خذ هذا واعمل لها كنافة بعسل نحل واصطلح أنت وإياها فقال له أعطه لها فأخذته وأصلح بينهما وقال يا حرمة أطيعى زوجك وأنت يا رجل ترفق





(الرسل الذين جاءوا من قبل القاضى)

بها وخرجا مصطلحين على يد القاضى وذهبت المرأة من طريق وزوجها من طريق آخر إلى دكانه وجلس وإذا بالرسل أتوا له وقالوا هات خدمتنا فإن لم تعطنا خدمتنا أخذناها قهرًا عنك فباع



(المارد الذى خرج من الحائط عندما سمع معروف الإسكافى يبكى ويتضجر)

عدته وأعطاهم نصف دينار ورجعوا عنه ووضع يده على خده فبينما هو قاعد وإذا برجلين قبيحى المنظر أقبلا عليه وقال له يا رجل قم كلم القاضى فقال لهما قد أصلح بينى وبينها فقالا له نحن من عند قاض آخر فإن زوجتك اشتكتك إلى قاضينا فقام معهما فلما رآها قال لها ما اصطلحنا يا بنت الحلال قالت ما بقى بينى وبينك صلح فتقدم وحكى للقاضى حكايته وقال إن القاضى فلانًا أصلح بيننا فى هذه الساعة فقال لها القاضى يا عاهرة حيث اصطلحتما لماذا تشكين إلى قالت إنه ضربنى بعد ذلك فقال لهما القاضى اصطلحا ولا تعد إلى ضربها وهى لا تعود إلى مخالفتك فاصطلحا وقال له القاضى اعط الرسل خدمتهم فاعطى الرسل خدمتم وتوجه إلى الدكان وفتحها فبينما هو قاعد وإذا برجل أقبل عليه وقال له يا معروف قم واستخف فإن زوجتك شكتك إلى الباب العالى ونازل عليك أبو طبق فقام وقفل الدكان وهرب فى جهة باب النصر وكان ذلك فى فصل الشتاء وقت العصر فلما خرج بين الكيمان نزل عليه المطر فابتلت ثيابه فدخل العادلية فرأى موضعًا خربا فيه حاصل مهجور من غير باب فدخل يستكن فيه من المطر وحوائجه مبتلة بالماء فنزلت الدموع من أجفانه وصار يتضجر مما به فبينما هو جالس يبكى وإذا بالحائط قد انشقت وخرج منها شخص طويل القامة رؤيته تقشعر منها الأبدان وقال له يا رجل مالك أقلقتنى فى هذه الليلة,أنا ساكن فى هذا المكان منذ مائتى عام فمارأيت أحد دخل هذا المكان وعمل مثل ما عملت أنت فأخبرنى بمقصودك فقال له من أنت وما تكون فقال له إنا عامر هذا المكان فأخبره بجميع ما جرى له من زوجته فقال له أتريدان أوصلك إلى بلاد لا تعرف لك زوجتك فيها طريقًا قال نعم قال له أركب فوق ظهرى فركب وحمله وطار به من بعد العشاء إلى طلوع الفجر وأنزله على رأس جبل عال . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٩٩٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن معروف الإسكافى لما حمله المارد وطار به وأنزله على جبل عال وقال يا إنسى انحدر من فوق هذا الجبل ترى عتبة مدينة فادخلها فإن زوجتك لا تعرف لك طريقًا ولا يمكنها أن تصل إليك فصار معروفا باهتا متحيرًا فى نفسه إلى أن طلعت



الشمس فقال فى نفسه أقوم وأنزل من على هذا الجبل إلى المدينة فإن قعودى هنا ليس فيه فائدة فنزل إلى أسفل الجبل فرأى مدينة بأسوار عالية فدخل من باب المدينة فرآها تشرح القلب الحزين فلما مشى فى السوق صار أهل المدينة ينظرون إليه ويتفرجون عليه فقال له رجل من أهل المدينة يا راجل هل أنت غريب قال نعم قال له من أى مدينة قال من مدينة مصر السعيدة قال ألك زمان مفارقها قال له البارحة العصر فضحك عليه وقال يا ناس تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا ما يقول فقالوا ما يقول قال إنه يزعم أنه من مصر وخرج منها البارحة العصر فضحكوا كلهم واجتمع عليه الناس وقالوا يا رجل أأنت مجنون فقال لهم ما مجنون إلا أنتم وأما أنا فإنى صادق فى قولى وهذا عيش مصر لم يزل معى طريًا وأراهم العيش فصاروا يتفرجون عليه وصاروا يقولون لبعضهم هذا عيش مصر اتفرجوا عليه وصارت له شهرة فى تلك المدينة فبينما هم فى تلك الحالة وإذا بتاجر أقبل عليهم وهو راكب بغلة وخلفه عبدان ففرق الناس وقال يا ناس أما تستحون وأنتم ملتمون على هذا الرجل الغريب وتسخرون منه وتضحكون عليه فقال له تعالى يا أخى ما عليك بأس من هؤلاء أنهم لا حياء عندهم ثم أخذه وسار به إلى أن أدخله دارًا واسعة مزخرفة وأجلسه فى مقعد ملوكى وأمر العبيد ففتحوا له صندوق وقال أخرجوا له بدلة تاجر الفى وألبسه إياها وكان معروف وجيها فصار كأنه شاه بندر التجار ثم إن ذلك التاجر طلب السفرة فوضعوا قدامهما سفرة فيها جميع الأطعمة الفاخرة من سائر الألوان فأكلا وشربا وبعد ذلك قال له يا أخى ما اسمك قال اسمى معروف وصنعتى إسكافى أرقع الزرابين القديمة قال له من أى البلاد أنت قال من مصر قال من أى الحارات قال له هل أنت تعرف مصر قال له إنا من أولادها فقال له إنا من الدرب الأحمر قال من تعرف من الدرب الأحمر قال له فلانًا وفلانًا وعدله ناسًا كثيرًا قال له هل تعرف الشيخ أحمد العطار قال هو جارى الحيط فى الحيط قال له هل تعرف هو طيب قال نعم قال له كم له من الأولاد قال ثلاثة مصطفى ومحمد وعلى قال له ما فعل الله بأولاده قال أما مصطفى فإنه طيب وهو عالم مدرس وأما محمد فإنه عطار وقد فتح له دكانًا بجنب دكان أبيه بعد أن تزوج وولدت زوجته ولدًا اسمه حسن قال بشرك الله بالخير وأما على فإنه رفيقى ونحن صغار وكنت دائمًا ألعب أنا وأياه وبقينا نروح بصفة أولاد النصارى

وندخل الكنيسة ونسرق كتب النصارى ونبيعها ونشترى بثمنها نفقة فاتفق فى بعض المرات أن النصارى رؤنا وأمسكونا بكتاب فاشتكونا إلى أهلنا وقالوا لأبيه إذا لم تمنع ولدك من أذا ناشكو ناك إلى الملك فأخذ بخاطرهم وضربه علقة فبهذا السبب هرب من تلك الوقت ولم يعرف له طريقا وهو غائب له عشرون سنة ولم يخبر عنه أحد بخبر فقال له هو أنا على ابن الشيخ أحمد العطار وأنت رفيقى يا معروف وسلما على بعضهما وبعد السلام قال يا معروف اخبرنى بسبب مجيئك من مصر إلى هذه المدينة فأخبره بخبر زوجته فاطمة العرة وما فعلت معه وقال له إنه لما اشتد على أذاها هربت منها وهذا سبب خروجى من مصر وأنت ما سبب مجيئك هنا قال له غلب على الطيش وعمرى سبع سنين فمن ذلك الوقت وأنا دائر من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة حتى دخلت هذه المدينة واسمها اختيان الختن فرأيت أهلها ناسا كراما وعندهم الشفقة ورأيتهم يأتمنون الفقير ويداينونه وكل ما قاله يصدقونه فقلت لهم أنا تاجر وقد سبقت الحملة ومرادى من فيكم يداينني ألف دينار حتى تجيء حملتى أرد له ما آخذه منه فإنى محتاج لى بعض مصالح قبل دخول الحملة فأعطونى ما أردت وتوجهت إلى سوق التجار فرأيت شيئا من البضاعة فاشتريته وفى ثانى يوم بعته فربحت فيه خمسين دينار واشتريت غيره وصرت أعاشر الناس وأكرمهم فأحبونى وصرت أبيع وأشترى فكثر مالى واعلم يا أخى أن صاحب المثل يقول الدنيا فشر وحيلة البلاد التى لا يعرفك أحد فيها مهما شئت فافعل فيها وأنت إذا قلت لكل من سألك أنا صنعتى إسكافى وفقير وهربت من زوجتى والبارحة طلعت من مصر فلا يصدقونك وتصير عندهم مسخرة مدة إقامتك فى هذه المدينة وإن قلت حملنى عفريت نفروا منك ولا يقرب منك أحد ويقولون هذا رجل معفرت قال وكيف أصنع قال إنا أعلمك كيف تصنع إن شاء الله تعالى أعطيك فى غد ألف دينار وبغلة تركبها وعبد يمشى قدامك حتى يوصلك إلى باب سوق التجار فأدخل عليهم وأكون أنا قاعداً بين التجار فمتى رأيتك أقوم لك وأسلم عليك وأقبل يديك وأعظم وإن سألونى عنك أشكرك وأعظمك فى أعينهم ثم إنى أقول لهم خلوا له حاصلا ودكانًا وأصفك بكثرة المال والكرم وإذا أتاك سائل فأعطه ما تيسر فيثقون بكلامى ويعتقدون عظمتك وكرمك ويحبونك وبعد ذلك أعزمك وأعزم جميع التجار من



شأنك وأجمع بينك وبينهم حتى يعرفك جميعهم وتعرفهم . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٩٩٥)

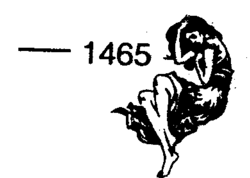
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن التاجر عليا قال لمعروف أعزمك وأعزم جميع التجار من شأنك واجمع بينك وبينهم حتى يعرفك جميعهم وتعرفهم لأجل أن تبيع وتشترى وتأخذ وتعطى معهم فما تمضى عليك مدة حتى تصير صاحب مال فلما أصبح الصباح أعطاه ألف دينار وألبسه بدلة وأركبه بغلة وأعطاه عبداً وقال أبرأ الله ذمتك من الجميع لأنك رفيقى فواجب على إكرامك ولا تحمل هماً ودع سيرة زوجتك ولا تذكرها لأحد فقال له جزاك الله خيراً ثم إنه ركب البغلة ومشى قدامه العبد إلى أن وصله إلى باب سوق التجار وكانوا جميعًا قاعدين والتاجر على قاعد بينهم فلما رآه قام ورمى روحه عليه وقال له نهارك مبارك يا تاجر معروف يا صاحب الخيرات والمعروف ثم قبل يده قدام التجار وقال يا أخواننا آنسكم التاجر معروف فسلموا عليه وصار يشير لهم بتعظيمه فعظم فى أعينهم ثم إنزله من فوق ظهر البغلة وسلموا عليه وصار يختلى بواحد بعد واحد منهم ويشكره عنده فقالوا له هل هذا تاجر فقال لهم نعم بل هو أكبر التجار ولا يوجد واحد أكثر مالاً منه فقال له تاجر من التجار يا سيدى هل جئت معك بجوخ أصفر قال كثير قال وأحمر دم الغزال قال كثير وصار كلما يسأله عن شىء يقول له كثير فعند ذلك قال يا تاجر على أن بلديك لو أراد أن يحمل ألف حمل من القماشات المثمنة يحملها فقال له يحملها من حاصل من جملة حوامله ولا ينقص منه شىء فبينما هم قاعدون وإذا برجل سائل دار على التجار فمنهم من أعطاه نصف فضة ومنهم من أعطاه جديدًا وغالبهم لم يعطه شيئًا حتى وصل إلى معروف فكبش له كبشةِ ذهب وأعطاه إياها فدعا له وذهب فتعجب التجار منه وقالوا إن هذه عطايا ملوك فإنه أعطى السائل ذهبا من غير عدد ولولا أنه من أصحاب النعم الجزيلة وعنده شىء كثير ما كان أعطى السائل كبشة ذهب وبعد حصة أتته امرأة فقيرة فكبش وأعطاها وذهبت تدعوا له وحكت للفقراء فأقبلوا عليه وصار كل من أتى له

يكبش ويعطيه حتى أنفتى الألف دينار وبعد ذلك ضرب كفا على كف وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فقال له شاه بندر التجار مالكِ يا تاجر معروف قال كأن غالب هذه المدينة فقراء ولو كنت



(التاجر على وهو يكلم معروف ، ومعروف متكئ لا يعتنى به)

أعرف أنهم كذلك كنت جئت معى فى الخرج بجانب من المال وأحسن به إلى الفقراء وأنا خائف أن تطول غربتى ومن طبعى أنى لا أهين السائل وما بقى معى ذهب فإذا أتانى سائل ماذا أقول له قال له قل له الله يرزقك قال ما هى عادتى وقد ركبنى الهم بهذا السبب وكان مرادى ألف دينار أتصدق بها حتى تجيئ حملتى فقال لا بأس وأرسل بعض أتباعه فجاء له بألف دينار فأعطاه إياها فصار يعطى كل من مر به من الفقراء حتى أذن الظهر فدخلوا الجامع وصلوا الظهر والذى بقى معه من الألف دينار نثره على رؤس المصلين فانتبه له الناس وصاروا يدعون له وصارت التجار تتعجب من كثرة كرمه وسخائه ثم مال على تاجر آخر وأخذ منه ألف دينار وفرقها وصار التاجر على ينظر فعله ولا يقدر أن يتكلم ولم يزل على هذه الحالة مدة عشرين يومًا حتى أخذ من الناس ستين ألف دينار ولم تأته حملة ولا كبة حامية فضجت



الناس على أموالهم فقال واحد منهم الرأى أن نتكلم مع بلديه التاجر على فأتوه وقالوا له يا تاجر على أن حملة التاجر معروف لم تأت فقال لهم اصبروا فإنها لابد أن تأتى عن قريب ثم إنه اختلى به وقال له يا معروف ما هذه الفعال هل أنا قلت لك قمر الخبز أو احرقه أن التجار ضجوا على أموالهم وأخبرونى أنه صار عليك ستون ألف دينار فقال له أى شىء يجرى وما مقدار الستون ألف دينار لما تجىء الحملة أعطيهم أن شاؤا قماشًا وان شاؤا ذهبا وفضة فقال له التاجر على الله أكبر وهل أنت لك حملة . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٩٩٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن التاجر على قال الله أكبر وهل أنت لك حملة قال كثير قال له الله عليك وعلى سماجتك هل أنا علمتك هذا الكلام حتى تقوله لى فأنا أخبر بك الناس قال رح بلا كثرة كلام هل أنا فقير أن حملتى فيها شىء كثير فإذا جاءت يأخذون متاعهم المثل مثلين أنا غير محتاج إليهم ثم إن التجار أتوه وقالوا يا تاجر على هل كلمته قال لهم يا ناس أنا أستحى منه ولى عنده ألف دينار ولم أدر أن أكلمه عليها وأنتم لما اعطيتموه ما شاورتمونى وليس لكم على كلام فطالبوه منكم له وإن لم يعطكم فاشكوه إلى ملك المدينة وقولوا له إنه نصاب ينصب علينا فإن الملك يخلصكم منه فتوجهوا للملك وأخبروه بما وقع وقالوا يا ملك الزمان إننا تحيرنا فى أمرنا مع هذا التاجر الذى كرمه زائد فإنه يفعل كذا وكذا وكل شىء أخذه يفرقه على الفقراء وصاروا يشكرونه ويمدحون كرمه وكان ذلك الملك طماعًا أطمع من أشعب فلما سمع بكرمه وسخائه غلب عليه لطمع وقال لوزيره أنا أحق منهم بهذا المال فمرادى أن أعاشره واتودد إليه حتى تأتى حملته والذى يأخذه منه هؤلاء التجار آخذه أنا وأزوجه ابنتى واضم ماله إلى مالى فقال له الوزير يا ملك الزمان ما أظنه إلا نصابا والنصاب قد أخرب بيت الطماع . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٩٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك ما أظنه إلا نصابا والنصاب قد أخرب بيت الطماع قال له الملك يا وزير أنا امتحنه وأعرف هل هو نصاب أو صادق وهل هو تربية نعمة أو لا قال الوزير بماذا تمتحنه قال الملك إن عندى جوهرة فأنا أبعث إليه وأحضره عندى وإذا جلس اكرمه واعطيه الجوهرة فإن عرفها وعرف ثمنها يكون صاحب خير ونعم وإن لم يعرفها فهو نصاب محدث فاقتله أقبح قتلة ثم إن الملك أرسل وأحضره فلما دخل عليه سلم عليه فرد عليه السلام وأجلسه إلى جانبه وقال له هل أنت التاجر معروف قال نعم قال له إن التجار يزعمون أن لهم عندك ستين ألف دينار فهل ما يقولونه حق قال نعم قال له لِمَ لم تعطهم أموالهم قال يصبرون حتى تجئ حملتى وأعطيهم المثل مثلين ثم إن الملك قال له يا تاجر خذ هذه وانظر ما جنسها وما قيمتها وأعطاه جوهرة قدر البندقة فأخذها معروف وفرط عليها بالإبهام والشاهد فكسرها لأن الجوهر رقيق لا يتحمل فقال له الملك لأى شىء كسرت الجوهرة فضحك وقال يا ملك الزمان ما هذه جوهرة وإنما يقال على هذه قطعة معدن والجوهرة ما لم تكن قدر الجوزة لا قيمة لها عندى ولا أعتنى بها كيف تكون ملكًا وتقول على هذه جوهرة وهى قطعة معدن قيمتها ألف دينار ولكنْ أنتم معذورون لكونكم فقراء وليس عندكم دخائر لها قيمة فقال له الملك يا تاجر هل عندك جواهر من الذى تخبرنى به قال كثير فغلب الطم على الملك فقال له هل تعطينى جواهر صحاحا قال له حتى تجئ الحملة ففرح الملك وقال للتجار اذهبوا إلى حال سبيلكم وأصبروا عليه حتى تجئ الحملة هذا ما كان من أمر معروف والتجار (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه أقبل على الوزير وقال له لاطف التاجر معروفًا وخذ واعط معه فى الكلام واذكر له ابنتى حتى يتزوج بها ونغتنم هذه الخيرات التى عنده فقال الوزير يا ملك الزمان إن حال هذا الرجل لم يعجبنى وأظن أنه نصاب وكذاب فاترك هذا الكلام لئلا تضيع بنتك بلا شىء وكان الوزير سابقا ساق على الملك أن يزوجه البنت وأراد زواجها له فلما بلغها ذلك لم ترض ثم إن الملك قال له يا خائن أنت لا تريد لى خير لكونك خطبت ابنتى سابقًا ولم ترض أن تتزوج بك قصرت الآن تقطع طريق زواجها ومرادك أن بنتى تبور تأخذها أنت فاسمع منى هذه الكلمة ليس لك علاقة بهذا



الكلام كيف يكون نصابًا أو كذابًا مع أنه عرف ثمن الجوهرة مثل ما اشتريتها وكسرها لكونها لم تعجبه وعنده جواهر كثيرة فمتى دخل على ابنتى يراها جميلة فتأخذ عقله ويحبها ويعطيها جواهر وذخائر وأنت مرادك أن تحرم بنتى وتحرمنى من هذه الخيرات فسكت الوزير وخاف من غضب الملك وقال فى نفسه أغر الكلاب على البقر ثم ميل على التاجر معروف وقال له إن حضرة الملك أحبك وله بنت ذات حسن وجمال يريد أن يزوجها لك فما تقول فقال له لا بأس ولكن يصبر حتى تأتى حملتى فإن مهر بنات الملوك واسع ومقامهن أن لا يمهرن إلا بمهر يناسب حالهن فراح الوزير وأخبر الملك بما قاله فقال الملك حيث كان مراده ذلك كيف تقول عنه إنه نصاب كذاب قال الوزير ولم أزل أقول ذلك ففزغ فيه الملك ووبخه وقال له وحيات رأسى أن لم تترك هذا الكلام لا اقتلنك فارجع إليه وهاته عندى فذهب إليه الوزير وقال له تعالى كلم الملك فقال سمعًا وطاعة ثم جاء إليه فقال له الملك لا تعتذر بهذه الأعذار فإن خزنتى ملآنة فخذ المفاتيح عندك وانفق جميع ما تحتاج إليه وإذا جاءت حملتك فاعمل مع زوجتك ما تشاء من الإكرام ونحن نصبر عليك بصداقها حتى تجىء الحملة وليس بينى وبينك فرق أبد ثم أمر شيخ الإسلام أن يكتب الكتاب فكتب كتاب بنت الملك على التاجر معروف وشرع فى عمل الفرح وأمر بزينة البلد ودقت الطبول ومدت الأطعمة من سائر الألوان وأقبلت أرباب الملاعيب وصار التاجر معروف يجلس على كرسى فى مقعد وتأتى قدامه أرباب الملاعب والشطار والجنك وأرباب الحركات الغريبة والملاهى العجيبة وصار يأمر الخازندار ويقول له هات الذهب والفضة فيأتيه بالذهب والفضة وصار يدور على المتفرجين ويعطى كل من لعب بالكيشة ويحسن للفقراء والمساكين ويكسوا العريانين وصار فرحًا عجابًا وما بقى الخازندار يلحق أن يجىء بالأموال من الخزانة وكاد قلب الوزير أن ينفقع من الغيظ ولم يقدر أن يتكلم وصار التاجر على يتعجب من بذل هذه الأموال ويقول للتاجر معروف الله والرجال على صدغك أما كفاك أن أضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك فقال التاجر معروف لا علاقة لك وإذا جاءت الحملة أعوض ذلك على الملك باضعافه وصار يبذر الأموال ويقول فى نفسه كبة حامية الذى يجرى على يجرى والمقدر ما منه مفر ولم يزل الفرح مدة أربعين يومًا وفى ليلة الحادى والأربعين عملوا

الزفة للعروسة ومشى قدامها جميع الأمراء والعساكر ولما دخلوا بها صار ينثر الذهب على رءوس الخلائق وعملوا لها زفة عظيمة وصرف أموالاً لها مقدار عظيم وأدخلوه على الملكة فقعد على المرتبة العالية وأرخوا الستائر وقفلوا الأبواب وخرجوا وتركوه عند العروسة فخبط يد على يد وقعد حزينًا فقالت له الملكة يا سيدى سلامتك ما لك مغمومًا فقال كيف لا أكون مغمومًا وأبوك قد شوش على وعمل معى عملة مثل حرق الزرع الأخضر قالت وما عمل معك أبى قل ليقال أدخلنى عليك قبل أن تأتى حملتى فقالت لا تهتم بذلك ولا تغم نفسك بهذا السبب قم اقلع ثيابك وأعمل انبساطًا ومتى جاءت الحملة فإننا نتحصل على تلك الجواهر وغيرها فقام وقلع ما كان عليه من الثياب وجلس على الفراش وطلب النغاش ووقع الهراش وحط يده على ركبتها فجلست هى فى حجره وألقمته شفتها فى فمه وصارت هذه الساعة تنسى الإنسان أباه وأمه فحضنها وضمها إليه وعصرها فى حضنه وضمها إلى صدره ومص شفتها حتى سال العسل من فمها ووضع يده تحت إبطها الشمال فحنت أعضاؤه وأعضاؤها للوصال ولكزها بين النهدين فراحت يده بين الفخذين وتحزم بالساقين ومارس العملين وزعقت الزعقة التى لابد منها . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٩٩٨)

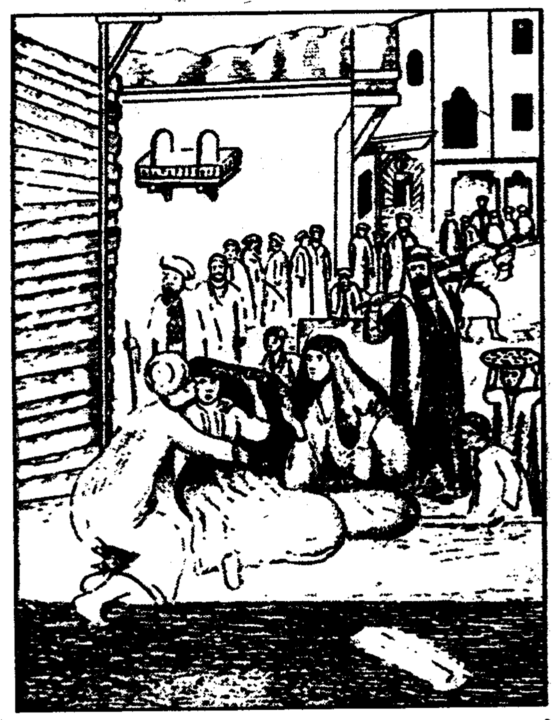
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن بنت الملك لما زعقت الزعقة التى لابد منها أزال التاجر معروف بكارتها وصارت تلك الليلة لا تعد من الأعمار لاشتمالها على وصل الملاح من عناق وهراش ومص ورضع إلى الصباح ثم دخل ولبس بدلة من ملابس الملوك وطلع من الحمام ودخل ديوان الملك فقام له من فيه على الأقدام وقابلوه باعزاز وإكرام وهنوه وباركوا له وجلس بجانب الملك وقال أين الخازندار فقالوا ها هو حاضر بين يديك فقال هات الخلع وألبس جميع الوزراء والأمراء وأرباب المناصب فجاء له بجميع ما طلب وجلس يعطى كل من أتى له ويهب لكل إنسان على قدر مقامه واستمر على هذه الحالة مدة عشرين يومًا ولم يظهر له حملة ولا غيرها ثم إن الخازندار تضايق منه غاية الضيق ودخل على الملك فى غياب معروف وكان الملك جالسًا هو



والوزير لا غير فقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان أنا أخبرك بشيء لأنك ربما تلومني على عدم الإخبار به أعلم أن الخزانة فرغت ولم يبق فيها شيء من المال إلا القليل وبعد عشرة أيام تقفلها على الفارغ فقال الملك يا وزيران حملة نسيبي تأخرت ولم يبن عنها خبر فضحك الوزير وقال الله يلطف بك يا ملك الزمان ما أنت إلا مغفل عن فعل هذا النصاب الكذاب وحيات راسك إنه لا حملة له ولا كبة تريحنا منه وإنما هو مازال ينصب عليك حتى أتلف أموالك وتزوج بنتك بلا شيء وإلى متى وأنت غافل عن هذا الكذاب فقال له يا وزير كيف العمل حتى نعرف حقيقة حاله فقال له يا ملك الزمان لا يطلع على سر الرجل إلا زوجته فأرسل إلى بنتك لتأتي خلف الستارة حتى أسألها عن حقيقة حاله لأجل أن تختبره وتطلعنا على حاله فقال لا بأس بذلك وحيات راسي إن ثبت أنه نصاب كذاب لأقتلنه أشأم قتلة ثم إنه أخذ الوزير ودخل إلى قاعة الجلوس وأرسل إلى بنته فأتت خلف الستارة وكان ذلك في غياب زوجها فلما أتت قالت يا أبي ما تريد قال كلمي الوزير قالت أيها الوزير ما بالك قال يا سيدتي اعلمي أن زوجك أتلف مال أبيك وقد تزوج بك بلا مهر وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ولم يبن لحملته خبر وبالجملة نريد أن تخبرينا عنه فقالت له إن كلامه كثير وهو في كل وقت يجيء ويعدني بالجواهر والذخائر والقماشات المثمنة ولم أر شيئًا فقال يا سيدتي هل تقدرين في هذه الليلة أن تأخذي وتعطي معه في الكلام وتقولي له أخبرني بالصحيح ولا تخف من شيء فإنك صرت زوجي ولا أفرط فيك فأخبرني بحقيقة الأمر وأنا أدبر لك تدبيرًا ترتاح به ثم قربي وبعدي له في الكلام وأريه المحبة وقرريه ثم بعد ذلك أخبرينا بحقيقة أمره فقالت يا أبت أنا أعرف كيف أختبره ثم إنها دخلت وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جري عادته فقامت له وأخذته من تحت إبطه وخادعته خداعًا زائدًا وناهيك بمخادعة النساء إذا كان لهن عند الرجال حاجة يردن قضائها ومازالت تخادعه وتلاطفه بكلام أحلى من العسل حتى سرقت عقله فلما رأته مال إليها بكليته قالت له يا حبيبي يا قرة عيني ويا ثمرة فؤادي لا أوحشني الله منك ولا فرق الزمان بيني وبينك فإن محبتك سكنت فؤادي ونار غرامك أحرقت أكبادي وليس فيك تفريط أبدًا ولكن مرادي أن تخبرني بالصحيح لأن حيل الكذب غير نافعة

ولا تنطلى فى كل الأوقات وإلى متى وأنت تنصب وتكذب على أبى وأنا خائفة أن يفتضح أمرك عنده قبل أن تدبر له حيلة فيبطش بك فأخبرنى بالصحيح ومالك إلا ما يسرك ومتى أخبرتنى بحقيقة الأمر لا تخش من شىء يضرك فكم تدعى إنك تاجر وصاحب أموال ولك حملة وقد مضت لك مدة طويلة وأنت تقول حملتى حملتى ولم يبن عن حملتك خبر ويلوح على وجهك الهم بهذا السبب فإن كان كلامك ليس له صحة فأخبرنى وأنا أدبر لك تدبير تخلص به إن شاء الله فقال لها يا سيدتى أنا أخبرك بالصحيح ومهما أردت فافعلى فقالت قل وعليك بالصدق فإن الصدق سفينة النجاة وإياك والكذب فإنه يفضح صاحبه فقال اعلمى يا سيدتى أنى لست تاجراً ولا لى حملة ولا كبة حامية وإنما كنت فى بلادى رجلاً إسكافيًا ولى زوجة اسمها فاطمة العرة وجرى لى معها كذا وكذا وأخبرها بالحكاية من أولها إلى آخرها فضحكت وقالت إنك ماهر فى صناعة الكذب والنصب فقال يا سيدتى الله تعالى يبقيك لستر العيوب وفك الكروب فقالت أعلم أنك نصبت على أبى وغررته بكثرة فشرك حتى زوجنى بك من طمعه ثم اتلفت ماله والوزير منكر ذلك عليك ثم إن المدة طالت وقد تضايق أبى وقال لى قرريه وقد قررتك وانكشف المغطى وأبى مصر لك على الضرر بهذا السبب ولكنك صرت زوجى وأنا لا أفرط فيك فإن أخبرت أبى بهذا الخبر ثبت عنده أنك نصاب كذاب وقد نصبت على بنات الملوك وأذهبت أموالهم فذنبك عنده لا يغفر ويقتلك بلا محالة ويشيع بين الناس أنى تزوجت برجل نصاب كذاب وتكون فضيحة فى حقى وإذا قتلك أبى ربما يحتاج أن يزوجنى إلى آخر وهذا شىء لا أقبله ولو مت ولكن قم الآن والبس بدلة مملوك وخذ معك خمسين ألف دينار من مالى واركب على جواد وسافر إلى بلاد يكون حكم أبى لا ينفذ فيها وأعمل تاجرًا هناك واكتب لى كتابًا وأرسله مع ساعى يأتينى به خفية لا علم فى أى البلاد أنت حتى أرسل إليك كل ما طالته يدى ويكثر مالك فإن مات أبى أرسلت إليك فتجىء بإعزاز وإكرام وإذا مت أنت أو مت أنا إلى رحمة الله تعالى فالقيامة تجمعنا وهذا هو الصواب ومادمت طيبًا وأنا طيبة لا أقطع عنك المراسلة فقال لها يا سيدتى أنا فى عرضك أن تودعينى بوصالك فقالت لا بأس ثم واصلها واغتسل ولبس بدلة مملوك وأمر السياس أن يشدوا له جواد من الخيل الجياد فشدوا له





(التاجر عندما عثر على الكنز)

جواد ثم ودعها وخرج من المدينة في آخر الليل فصار وصار كل من رآه يظن أنه مملوك من مماليك السلطان مسافر في قضاء حاجة فلما أصبح الصباح جاء أبوها هو والوزير إلى قاعة الجلوس وأرسل إليها أبوها فأتت خلف الستارة فقال لها يا بنتي ما تقولين قالت أقول سود الله وجه وزيرك فإنه كان مراده أن يسود وجهي من زوجي قال وكيف ذلك قالت إنه دخل على أمس قبل أن أذكر له هذا الكلام وإذا بفرج الطواشي دخل على وبيده كتاب وقال إن عشرة مماليك واقفون تحت شباك القصر واعطوني هذا الكتاب وقالوا لي قبل لنا أيادي سيدي معروف التاجر واعطيه هذا الكتاب فإننا من مماليكه الذين مع الحملة وقد بلغنا إنه تزوج بنت الملك فأتينا لنخبره بما حل بنا في الطريق فأخذت الكتاب وقرأته فرأيت فيه من المماليك الخمسمائة إلى حضرة سيدنا التاجر معروف وبعد فالذي نعلمك به أنك بعد ما تركتنا خرج العرب علينا وحاربونا وهم قدر الفين من الفرسان ونحن خمسمائة مملوك ووقع بيننا وبين العرب حرب عظيم ومنعونا عن الطريق ومضى لنا ثلاثون يومًا ونحن نحاربهم وهذا سبب تأخيرنا عنك وقد أخذوا منا مائتي حمل قماش من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكًا فلما بلغه الخبر قال جميعهم الله كيف يتحاربون مع العرب لأجل مائتي حمل بضاعة وما مقدار مائتي حمل فما كان ينبغي لهم أن يتأخروا من أجل ذلك فإن قيمة الحملة سبعة آلاف دينار ولكن ينبغي أن أروح إليهم واستعجل والذي أخذه العرب لا تنقص به الحملة ولا يؤثر عندي شيئًا وأقدر أني تصدقت به عليهم ثم نزل من

عندى ضاحكاً ثم توجه مع المماليك الذين جاءوا له بالمكتوب ليجيء بحملته والحمد لله الذى منعنى أن أذكر له شيئًا من الكلام الذى أمرتنى به فإنه كان يستهزئ بى وبك وربما كان يرانى بعين النص ويبغضنى هذا ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان من أمر التاجر معروف فإنه ركب الجواد وسار فى البر الأقفر وقد انسدت الطرقات فى وجهه واختار الممات على الحياة ثم إنه مشى كالسكران من شدة حيرته ولم يزل سائراً إلى وقت الظهر حتى أقبل على بلد صغيرة فرأى رجلاً حراثًا قريبًا منها يحرث على ثورين وكان قد اشتد به الجوع فقصد الحراث وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وقال مرحبًا بك يا سيدى هل أنت من مماليك السلطان قال انزل عندى للضيافة فعرف أنه من الأجاويد فقال له يا أخى ما أنا ناظر عندك شيئًا حتى تطعمنى اياه فكيف تعزم على فقال الحراث يا سيدى الخير موجود انزل أنت وها هى البلد قريبة وأنا أذهب وآتى لك بغداء وعليق لحصانك قال حيث كانت البلد قريبة فأنا أصل إليها فى مقدار ما تصل أنت إليها واشترى مرادى منها وآكل فقال له يا سيدى إن البلد كفر صغير وليس فيها سوق ولا بيع ولا شراء سألتك بالله أن تنزل عندى وتجبر بخاطرى وأنا أذهب إليها وأرجع بسرعة فنزل ثم إن الفلاح تركه وراح البلد ليجيء له بالغداء فقعد معروف ينتظره ثم قال فى نفسه أنا شغلنا هذا الرجل المسكين عن شغله ولكن أنا أقوم وأحرث عوضًا عنه حتى يأتى فى نظير ما عوقته عن شغله ثم أخذ المحراث وساق الثيران فحرث قليلاً وعثر المحراث فى شيء فوقفت البهائم فساقها فلم تقدر على المشى فنظر إلى المحراث فرآه مشبوكًا فى حلقة من الذهب فكشف عنها التراب فوجد تلك الحلقة فى وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون فعالج فيه حتى قلعه من مكانه فبان من تحته طبق بسلالم فنزل فى تلك السلالم فرأى مكانًا مثل الحمام بأربعة لواوين الليوان الأول ملآن من الأرض إلى السقف بالذهب والليوان الثانى ملآن زمرداً ولؤلؤاً ومرجانًا من الأرض إلى السقف والليوان الثالث ملآن ياقوتًا وبلخشًا وفيروزًا والليوان الرابع ملآنًا بالألماس ونفيس المعادن من سائر أصناف الجواهر وفى صدر ذلك المكان صندوق من البلور الصافى ملآن بالجواهر اليتيمة التى كل جوهرة منها قدر الجوزة وفوق ذلك الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهى من الذهب فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحًا شديدًا وقال يا هل ترى أى شيء فى هذه العلبة ثم إنه فتحها فرأى فيها خاتمًا من الذهب مكتوبًا عليه أسماء وطلاسم



مثل دبيب النمل فدعك الخاتم وإذا بقائل يقول لبيك لبيك يا سيدى فاطلب تعط هل تريد أن تعمر بلدًا وتخرب مدينة أو تقتل ملكًا أو تحفر نهرًا أو نحو ذلك فمهما طلبته فإنه قد صار بإذن الملك الجبار خالق الليل والنهار فقال له يا مخلوق ربى من أنت وما تكون قال إنا خادم هذا الخاتم القائم بخدمة مالكه فمهما طلبه من الأغراض قضيته له ولا عذر لى وأنا مرصود لهذا الخاتم لا أدر على مخالفة من ملكه وها أنت قد ملكته وصرت أنا خادمك فاطلب ما شئت فإنى سميع لقولك مطيع لأمرك وإذا احتجت إلى فى أى وقت فى البر أو البحر فإدعك الخاتم تجدنى عندك وقد عرفت بحالى والسلام . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٩٩٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن خادم هذا الخاتم لما أخبر معروفًا بأحواله قال معروف ما اسمك قال اسمى أبو السعادات فقال يا أبو السعادات ما هذا المكان ومن أرصدك فى هذه العلبة قال له يا سيدى هذا المكان كنز يقال له كنز شداد بن عاد وهذا خاتمه وقد وضعه فى كنزه ولكنه من نصيبك فقال له معروف هل تقدر أن تخرج ما فى هذا الكنز على وجه الأرض قال نعم أسهل ما يكون قال أخرج جميع ما فيه ولا تبق منه شيئًا فأشار بيده إلى الأرض فانشقت ثم نزل وغاب مدة لطيفة وإذا بغلمان لطاف صغار ظراف بوجوه حسان قد خرجوا وهم حاملون مشنات من الذهب وتلك المشنات ممتلئة ذهب وفرغوها ثم راحوا وجاءوا بغيرها ومازالوا ينقلون من الذهب والجواهر فلم تمضى ساعة حتى قالوا ما بقى فى الكنز شىء ثم طلع له أبو السعادات وقال له يا سيدى قد رأيت أن جميع ما فى الكنز قد نقلناه فقال له ما هذه الأولاد الحسان قال هؤلاء أولادى لأن هذه الشغل لا تستحق أن أجمع لها الأعوان وأولادى قضوا حاجتك وتشرفوا بخدمتك فاطلب ما تريد غير هذا قال تقدر أن تجىء لى ببغال وصناديق وتحط هذه الأموال فى الصناديق وتحمل الصناديق على البغال قال هذا أسهل ما يكون ثم إنه زعق زعقة فحضرت أولاده بين يديه وكانوا ثمانمائة فقال لهم لينقلب بعضكم فى صورة البغال وبعضكم فى صورة المماليك الحسان الذين أقل من فيهم لا يوجد مثله عند الملوك وبعضكم فى صورة المكارية

وبعضكم فى صورة الخدامين ففعلوا كما أمرهم ثم صاح على الأعوان فحضروا بين يديه فأمرهم أن ينقلب بعضهم فى صورة الخيل المسرجة بسروج الذهب المرصع بالجواهر فلما رأى معروف ذلك قال أين الصناديق فأحضروهم بين يديه قال عبوا الذهب والمعادن كل صنف وحده فعبوها وحملوها على ثلثمائة بغل فقال معروف يا أبا السعادات هل تقدر أن تجيء لى بأحمال من نفيس القماش قال أتريد قماشًا مصريًا أو شاميًا أو أعجميًا أو هنديًا أو روميًا قال هات لى من قماش كل بلدة مائة حمل على مائة بغل قال يا سيدى أعطنى مهلة قال ما قدر زمن المهلة قال مدة سواد الليل فلا يطلع النهار إلا وعندك جميع ما تريد قال له أمهلتك هذه المدة ثم أمرهم أن ينصبوا له خيمة فنصبوها وجلس وجاؤا له بسماط وقال له أبو السعادات يا سيدى اجلس فى الخيمة وهؤلاء أولادى بين يديك يحرسونك ولا تخش من شيء فبينما هو جالس على تلك الحالة وإذا بالرجل الفلاح قد أقبل وهو حامل قصعة عدس كبيرة ومخلاة مملوءة شعيرًا فرأى الخيمة منصوبة والمماليك واقفة وأيديهم على صدورهم فظن أنه السلطان أتى ونزل فى تلك المكان فوقف باهتًا وقال فى نفسه يا ليتنى كنت ذبحت فرختين وحمرتهما بالسمن البقرى من شأن السلطان وأراد أن يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان فرآه معروف فزعق عليه وقال للمماليك أحضروه فحملوه هو والقصعة العدس وأتوابهما قدامه فقال له ما هذا قال هذا غداؤك وعليق حصانك فلا تؤاخذنى فإنى ما كنت أظن أن السلطان يأتى إلى هذا المكان فقال له معروف إن السلطان لم يجيء وإنما أنا نسيبه وكنت مغمومًا منه وقد أرسل إلى مماليكه فصالحونى وأنا الآن أريد أن أرجع إلى المدينة وأنت قد عملت لى هذه الضيافة على غير معرفة وضيافتك مقبولة ولو كانت عدسًا فأنا ما آكل إلا من ضيافتك ثم أمره بوضع القصعة فى وسط السماط وأكل منها حتى اكتفى وأما الفلاح فإنه ملأ بطنه من تلك الألوان الفاخرة ثم إن معروفًا غسل يديه وأذن للمماليك فى الأكل فنزلوا على بقية السماط ولما فرغت القصعة ملأها ذهبًا وقال له أوصلها إلى منزلك وتعالى عندى فى المدينة وأنا أكرمك فأخذ القصعة ملآنة ذهبًا وساق الثيران وذهب إلى بلده وهو يظن أنه نسيب الملك وبات معروف تلك الليلة فى أنس وصفاء فلما أصبح الصباح لم يشعر إلا والغبار قد علا وطار وانكشف عن بغال حاملة أحمالاً وأبو السعادات راكب



على بغلة وهو فى صورة مقدم الحملة وقدامه تختروان له أربعة عساكر من الذهب الأحمر الوهاج وهذا التختروان فيه بدلة كنوزية لا مثيل لها من ملابس الملوك وقال له البسها واركب فى التختروان وأمرنا بما تريد فقال له يا أبا السعادات مرادى أن أكتب لك كتابًا تروح به إلى مدينة خيتان الختن وتدخل على عمى الملك ولا تدخل عليه إلا فى صورة ساع أنيس فقال له سمعًا وطاعة فكتب كتابًا وختمه فأخذه أبو السعادات وذهب به حتى دخل على الملك فرآه يقول يا وزيرى إن قلبى على نسيبى وأخاف أن تقتله العرب يا ليتنى كنت أعرف أين ذهب حتى كنت أتبعه بالعسكر فقال الوزير الله تعالى يلطف بك على هذه الغفلة التى أنت فيها وحياة رأسك أن الرجل عرف أننا انتبهنا له فخاف من الفضيحة وهرب وما هو إلا كذاب نصاب وإذا بالساعى داخل فقال له الملك من أنت وما حاجتك فقال له إنا ساع أرسلنى إليك نسيبك وهو مقبل بالحملة وقد أرسل معى كتابًا وها هو فأخذه وقرأه فرأى فيه من بعد مزيد السلام على عمنا الملك العزيز فإنى جئت بالحملة فاطلع وقابلنى بالعسكر فقال الملك سود الله وجهك يا وزير كم تقدح فى عرض نسيبى وتجعله كذابًا نصابًا وقد أتى بالحملة فما أنت إلا خائن ثم أمر الملك بزينة المدينة ودخل على بنته وقال لها لك البشائر أن زوجك عن قريب يجىء بحملته فتعجبت البنت من هذه الحالة وقالت فى نفسها أن هذا شىء عجيب هل كان يهزأ بى ويتمسخر على أو كان يختبرنى حين أخبرنى بأنه فقير ولكن الحمد لله حيث لم يقع فى حقه تقصيرًا هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر التاجر المصرى فإنه لما رأى الزينة سأل عن سبب ذلك فقالوا له إن التاجر معروفًا نسيب الملك قد أتت حملته فقال الله أكبر ما هذه الداهية أنه قد أتانى هاربًا من زوجته وكان فقيرًا فمن أين جاءت له حملة ولكن لعل بنت الملك دبرت له حيلة خوفًا من الفضيحة والملوك لا تعجز عن شىء فالله تعالى يستره ولا يفضحه . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (١٠٠٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن التاجر عليا لما سأل عن الزينة أخبروه بحقيقة الحال فدعا له وقال الله يستره ولا يفضحه وسائر التجار فرحوا وانسروا لأجل أخذ أموالهم ثم إن الملك جمع العسكر

وطلع وكان أبو السعادات قد رجع إلى معروف وأخبره بأنه قد بلغ الرسالة فقال له معروف حملوا ، فحملوا ولبس البدلة الكنوزية وركب فى التختروان وصار أعظم وأهيب من الملك بألف مرة ومشى إلى نصف الطريق وإذا بالملك قابله بالعسكر فلما وصل إليه رآه لابسًا تلك البدلة وراكبًا فى التختروان فرمى روحه عليه وسلم عليه وحياه بالسلام وجميع أكابر الدولة سلموا عليه وبان أن معروفًا صادق ولا كذب عنده ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة الأسد وسعت إليه التجار وقبلوا الأرض بين يديه ثم إن التاجر عليا قال له قد عملت هذه العملة وطلعت بيدك يا شيخ النصابين ولكن تستاهل فالله تعالى يزيدك من فضله فضحك معروف ولما دخل السراية قعد على الكرسى وقال ادخلوا أحمال الذهب فى خزانة عمر الملك وهاتوا أحمال الأقمشة فقدموها له وصاروا يفتحونها حملاً بعد حمل ويخرجون ما فيها حتى فتحوا السبعمائة حمل فنقى أطيبها وقال أدخلوه للملكة لتفرقه على جواريها وخذوا هذا الصندوق الجواهر وادخلوه لها لتفرقه على الجوارى والخدم وصار يعطى التجار الذين لهم عليه دين من الأقمشة فى نظير ديونهم والذى له ألف دينارًا يعطيه قماشًا يساوى ألفين أو أكثر وصار لا يعطى الجواهر إلا بالكبشة من غير عدد فقال له الملك يا ولدى يكفى هذا العطاء لأنه لم يبق من الحملة إلا القليل فقال له عندى كثير واشتهر صدقه وما بقى أحد يقدر أن يكذبه وصار لا يبالى بالعطاء لأن الخادم يحضر له مهما طلب ثم إن الخازندار أتى للملك وقال له يا ملك أن الخزينة امتلأت وصارت لا تسعُ بقية الأحمال وما بقى من الذهب والمعادن أين نضعه فأشار له إلى مكان آخر ولما رأت زوجته هذه الحالة ازداد فرحها وصارت متعجبة وأما التاجر على فإنه صار متعجبًا ويقول فى نفسه يا ترى كيف نصب وكذب حتى ملك هذه الخزائن كلها فإنها لو كانت من عند بنت الملك ما كان يفرقها على الفقراء هذا ما كان من امره (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه تعجب غاية العجب مما رأى من معروف ومن كرمه وسخائه ببذل المال ثم بعد ذلك دخل معروف على زوجته فقابلته وهى مبتسمة ضاحكة فرحانة وقبلت يده وقالت هل كنت تتمسخر على أو كنت تجربنى بقولك أنا فقير وهارب من زوجتى والحمد لله حيث لم يقع منى فى حقك تقصير وأنت حبيبى وما عندى أعز منك سواء كنت غنيًا أو فقيرًا وأريد أن تخبرنى ما قصدت بهذا الكلام قال أردت تجريبك حتى أنظر هل محبتك خالصة أو على شان المال وطمع الدنيا فظهر لى أن محبتك خالصة وحيث إنك صادقة فى المحبة فمرحبًا بك وقد عرفت قيمتك ثم إنه اختلى فى مكان وحده ودعك الخاتم فحضر له أبو السعادات



وقال له لبيك فأطلب ما تريد قال أريد منك بدلة كنوزية لزوجتي وحليًا كنوزيًا مشتملاً على عقد فيه أربعون جوهرة يتيمة قال سمعًا وطاعة ثم أحضر له ما أمره به فحمل البدلة والحلي بعد أن صرف الخادم ثم دخل على زوجته ووضعها بين يديها وقال لها خذى والبسى فمرحبًا بك فلما نظرت إلى ذلك طار عقلها من فرحتها ورأت من جملة الحلي خلخالين من الذهب مرصعين بالجواهر صنعة الكهنة وأساور وحلقًا وحزامًا لا يتقوم بثمنهما أموال فلبست البدلة والحلي ثم قالت يا سيدى مرادى أن أدخرها للمواسم والأعياد قال ألبسيها دائمًا فإن عندى غيرها كثير فلما لبستها ونظرها الجوارى فرحن وقبلن يديه فتركهن واختلى بنفسه ثم إن بعض الجوارى أخبر الملك بذلك فدخل على ابنته فرآها تندهش من رآها هى وجواريها فتعجب من ذلك غاية العجب ثم خرج وأحضر وزيره وقال له يا وزير إنه حصل كذا وكذا فما تقول فى هذا الأمر قال يا ملك الزمان إن هذه الحالة لا تقع من التجار لأن التاجر تعقد عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعها إلا بمكسب فمن أين للتجار مثل هذا الكرم فهذا لابد له من سبب ولكن إن طاوعتنى أبين لك حقيقة الأمر فقال له أطاوعك يا وزير فقال له اجتمع عليه ووادده وتحدث معه وقل له يا نسيبى فى خاطرى أن أروح أنا وأنت والوزير من غير زيادة بستانًا لأجل النزهة فإذا خرجنا إلى البستان نحط سفرة المدام وأغصب عليه واسقه ومتى شرب المدام ضاع عقله وغاب رشده فنسأله عن حقيقة أمره فإنه يخبرنا بأسراره والمدام فضاح ومتى أخبرنا بحقيقة الأمر فإننا نطلع على حالة ونفعل به ما نحب ونختار فإن هذه الحالة التى هو فيها أخشى عليك من عواقبها فربما تطمع نفسه فى الملك فيستميل العسكر إليه بالكرم وبذل الأموال ويعزلك ويأخذ الملك منك فقال له الملك صدقت وباتا متفقين على هذا الأمر فلما أصبح الصباح خرج الملك إلى المقعد وجلس وإذا بالخدامين والسياس دخلوا عليه مكروبين فقال لهم ما الذى أصابكم قالوا يا ملك الزمان أن السياس تمروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التى جاءت بالحملة فلما أصبحنا وجدنا المماليك سرقو الخيل والبغال وفتشنا الاصطبلات فما رأينا خيلا ولا بغالا فقال لهم يا ملاعين ألف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا بهم فقالوا ما عرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا فقال انصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم وأخبروه بالخبر فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيرين فبينما هم جالسون على تلك الحالة وإذا بمعروف قد خرج من الحريم فرآهم مغتمين فقال لهم ما الخبر فأخبروه بما حصل فقال وما قيمتهم حتى تغتموا عليهم امضوا إلى حال سبيلكم وقعد يضحك ولم يغتظ ولم

يغتم من هذا الأمر ثم إنهم تحدثوا ساعة وقال الملك يا نسيبى خاطرى أروح أنا وأنت والوزير بستانًا لأجل النزهة فما تقول قال لا بأس ثم ذهبوا وتوجهوا إلى بستان فيه من كل فاكهة زوجان ودخلوا فى قصر يزيل عن القلوب الحزن وجلسوا يتحدثون والوزير يحكى غريب الحكايات ويأتى بالنكت المضحكات والألفاظ المطربات ومعروف مصغ إلى الحديث حتى طلع الغداء وحطوا سفرة الطعام وباطية المدام وبعد أن أكلوا وغسلوا أيديهم ملأ الوزير الكاس وأعطاه للملك فشربه وملأ الثانى وقال لمعروف هاك كأس الشراب الذى تخضع لهيبته أعناق ذوى الألباب فقال معروف ما هذا يا وزير قال الوزير هذه البكر الشمطاء والعانس العذراء ومهدية السرور إلى السرائر ومازال يرغبه فى الشراب حتى مال إلى ارتشاف ثغر القدح ولم يبق له غيرها مقترح ومازال يملأ له وهو يشرب ويستلذ ويطرب حتى غاب عن صوابه فلما علم أن السكر بلغ به الغاية وتجاوز النهاية قال له يا تاجر معروف والله إنى متعجب من أين وصلت إليك هذه الجواهر التى لا يوجد مثلها عند الملوك الأكاسرة فبالله عليك أن تخبرنى حتى أعرف قدرك وصار يمارسه ويخادعه وهو غائب العقل فقال له معروف أنا لست تاجر ولا من أولاد الملوك وأخبره بحكايته من أولها إلى آخرها فقال له بالله عليك يا سيدى معروف أن تفرجنى على هذا الخاتم حتى ننظر كيف صنعته فقلع الخاتم وهو فى حال سكره وقال خذ واتفرجوا عليه فأخذه الوزير وقلبه وقال هل إذا دعكته يحضر الخادم قال نعم أدعكه يحضر لك وتفرج عليه فدعكه وإذا بقائل يقول لبيك يا سيدى أطلب تعط هل تهرب مدينة أو تعمر مدينة أو تقتل ملكًا فمهما طلبته فإنى أفعله لك من غير خلال فأشار الوزير إلى معروف وقال للخادم احمل هذا الخاسر ثم ارمه فى أوحش الأراضى الخراب فخطفه الخادم وطار به بين السماء والأرض فلما رأى معروف ذلك أيقن بالهلاك وسوء الارتباك فبكى وقال يا أبا السعادات إلى أين أنت رائح بى فقال له إنا رائح أرميك فى الربع الخراب يا قليل الأدب من يملك رصدًا مثل هذا ويعطيه للناس يتفرجون عليه لكن تستاهل ما حل بك وصار لا يخاطبه حتى وصل به إلى الربع الخراب ورماه هناك ورجع وخلاه فى الأرض الموحشة هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الوزير فإنه لما ملك الخاتم قال للملك كيف رأيت أما قلت للملك إنه كذاب نصاب ما كنت تصدقنى فقال له الحق معك يا وزيرى الله يعطيك العافية هات هذا الخاتم حتى اتفرج عليه فامتزج الوزير بالغضب وبصق فى وجهه وقال له يا قليل العقل كيف أعطيه لك وأبقى خدامك بعد أن صرت سيدك ولكن أنا ما بقيت أبقيك ثم دعك الخاتم فحضر



الخادم فقال له احمل هذا وارمه فى المكان الذى رميت فيه نسيبه النصاب فحمله وطار به ولم يزل طائر حتى رماه فى المكان الذى فيه معروف ثم رجع وتركه هناك هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر الوزير فإنه بعد ما شتت معروفا والملك قام وخرج من البستان وأرسل إلى جميع العسكر وعمل ديوانًا وأخبرهم بما فعل مع معروف والملك وأخبرهم بقصة الخاتم وقال لهم إن لم تجعلونى سلطانًا عليكم أمرت خادم الخاتم أن يحملكم جميعًا ويرميكم فى الربع الخراب فتموتوا جوعًا وعطشًا فقالوا له لا تفعل معنا ضرًا فإننا قد رضينا بك سلطانًا علينا ولا نعصى لك أمرًا ثم إنهم اتفقوا على سلطنته عليهم قهرًا عنهم وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من أبى السعادات كل ما أراده فيحضر بين يديه فى الحال ثم إنه جلس على الكرسى وأطاعه العسكر وأرسل إلى بنت الملك يقول لها حضرى روحك فإنى داخل عليكى هذه الليلة لأنى مشتاق إليك فبكت وصعب عليها أبوها وزوجها فأرسلت تقول له مرحبًا بك ولا بأس بذلك وكان ذلك مكر منها فلما رجع له الجواب فرح وانشرح صدره لأنه كان مغرمًا بحبها ثم إنه أمر بوضع الأطعمة بين جميع الناس وقال كلوا هذا الطعام فإنه وليمة الفرح فإنى أريد الدخول على الملكة فى هذه الليلة فقال شيخ الإسلام لا يحل لك الدخول عليها حتى تنقضى عدتها وتكتب كتابك عليها فقال له إنا لا أعرف عدة ولا مدة فلا تكثر على كلامًا فسكت شيخ الإسلام وخاف من شره وقال للعسكر إن هذا كافر ولا دين له فلما جاء المساء دخل عليها فرآها لابسة أفخر ما عندها من الثياب ومزينة بأحسن الزينة فلما رأته قابلته وتبسمت فى وجهه طار عقله وإنما خادعته بالملاطفة حتى تظفر بالخاتم فلما رأى الملاطفة والابتسام هاج عليه الغرام وطلب منها الوصال فلما دنا منها تباعدت عنه وبكت وقالت يا سيدى أما ترى الرجل الناظر إلينا بالله عليك أن تسترنى عن عينه فكيف تواصلنى وهو ينظر إلينا فاغتاظ وقال أين الرجل قالت ما هو فى فص الخاتم يطلع رأسه وينظر إلينا فظن أن خادم الخاتم ينظر إليهما فضحك وقال لا تخافى إن هذا خادم الخاتم وهو تحت طاعتى قالت إنا أخاف من العفاريت فاقلعه وارميه بعيدًا عنى فقلعه ووضعه على المخدة ودنا منها فرفسته برجلها فى قلبه فانقلب عى قفاه مغشيًا عليه وزعقت على أتباعها فأتوها بسرعة فقالت أمسكوه فقبض عليه أربعون جارية وعجلت بأخذ الخاتم من فوق المخدة ودعكته وإذا بأبى السعادات أقبل يقول لبيك يا سيدتى فقالت احمل هذا الكافر وضعه فى السجن وثقل قيوده فأخذه ووضعه فى سجن الغضب ثم قالت له أين رميت أبى وزوجى قال فى الربع الخراب قالت احضرهم فقال سمعًا

وطاعة فطار من أمامها إلى أن وصل إلى الربع الخراب ونزل عليهما فرآهما قاعدين يبكيان ويشكوان لبعضهما فقال لهما لا تخافا قد اتاكما الفرج وأخبرهما بما فعل الوزير وقال لهما أنى قد سجنته بيدى طاعة لها ثم أمرتنى بارجاعكما ففرحا بخبره ثم حملهما وطار بهما فما كان غير ساعة حتى دخل بهما على بنت الملك فقامت وسلمت على أبيها وزوجها واجلستهما وقدمت لهم الطعام والحلو وباتا بقية الليلة وفى ثانى يوم البست أباها بدلة فاخرة وألبست زوجها بدلة فاخرة وقالت يا أبت أقعد أنت على كرسيك ملكًا على ما كنت عليه أولاً واجعل زوجى وزير ميمنة عندك وأخبر عسكرك بما جرى وهات الوزير من السجن واقتله ثم أحرقه فإنه كافر وأراد أن يدخل على سفاحا من غير نكاح وشهد على نفسه أنه كافر وليس له دين يتدين به واستوص بنسيبك الذى جعلته وزير ميمنة عندك فقال سمعًا وطاعة يا بنتى ولكن اعطينى الخاتم أو أعطيه لزوجك فقالت إنه لا يصلح لك ولا له فقال أبوها هذا هو الرأى الصواب يا بنتى ثم أخذ نسيبه وطلع إلى الديوان وكان العسكر قد باتوا فى كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل الوزير ثم اجتمعوا فى الديوان وصاروا يعنفون شيخ الإسلام ويقولون له لماذا لم تمنعه من الدخول على الملكة سفاحًا فقال لهم يا ناس إن الرجل كافر وصار ملكًا لخاتم وأنا وأنتم لا يخرج من أيدينا فى حقه شىء فالله تعالى يجازيه بفعله فاسكتوا أنتم لئلا يقتلكم فبينما العساكر مجتمعون يتحدثون فى هذا الكلام وإذا بالملك دخل عليهم فى الديوان ومعه نسيبه معروف فلما رأته العساكر فرحوا بقدومه وقاموا له على الأقدام وقبلوا الأرض بين يديه ثم جلس على الكرسى وأخبرهم بالقصة فزالت عنهم تلك الغصة وأمر بزينة المدينة وأخرج الوزير من الحبس فلما مر بالعساكر صار يلعنونه ويشتمونه ويوبخونه حتى وصل إلى الملك فلما تمثل بين يديه أمر بقتله أشنع قتلة فقتلوه ثم راح إلى سقر فى أسوأ الأحوال ثم إن الملك جعل معروفا وزير ميمنة عنده وطابت لهم الزوقات وصفت لهم المسرات واستمروا على ذلك خمس سنوات وفى السنة السادسة مات الملك فجعلته بنت الملك سلطانًا مكان أبيها ولم تعطه الخاتم وكانت فى هذه المدة حملت منه ووضعت غلامًا بديع الجمال بارع الحسن والكمال ولم يزل فى حجر الدادات حتى بلغ من العمر خمس سنوات فمرضت أمه مرض الموت فأحضرت معروفًا وقالت له إنا مريضة قال لها سلامتك يا حبيبة قلبى قالت له ربما أموت فلا تحتاج إلى أن أوصيك على ولدك وإنما أوصيك بحفظ الخاتم خوفًا عليك وعلى هذا الغلام فقال ما على من يحفظه بأس فقلعت الخاتم وأعطته له وفى ثانى يوم توفت إلى رحمة الله تعالى وأقام معروف ملكًا



وصار يتعاطى الأحكام فاتفق له فى بعض الأيام أنه نفض المنديل فانفضت العساكر من قدامه إلى أماكنهم ودخل هو قاعة الجلوس وجلس فيها إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فدخل عليه أرباب منادمته من الأكابر على عادتهم وسهرو عنده من أجل البسط والانشراح إلى نصف الليل ثم طلبوا الإجازة بالانصراف فأذن لهم وخرجوا من عنده إلى بيوتهم وبعد ذلك دخلت عليه جارية كانت مقيدة بخدمة فراشه ففرشت له المرتبة وقلعته البدلة والبسته بدلة النوم واضطجع فصارت تكبس أقدامه حتى غلب عليه النوم هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الملك معروف فإنه كان نائمًا فلم يشعر إلا وشيء بجانبه فى الفراش فانتبه مرعوبًا وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم فتح عينه فرأى بجانبه امرأة قبيحة المنظر فقال لها من أنت قالت لا تخف أنا زوجتك فاطمة العرة فنظر فى وجهها فعرفها بمسخة صورتها وطول انيابها وقال من أين دخلت على ومن جاء بك إلى هذه البلاد فقالت له فى أى البلاد أنت فى هذه الساعة قال فى مدينة خيتان الختن وأنت متى فارقتى مصر قالت فى هذه الساعة قال لها وكيف ذلك قالت أعلم أنى لما تشاجرت معك وأغوانى الشيطان على ضررك وأشتكيتك إلى الحكام ففتشوا عليك فما وجدوك وسأل القضاة عنك فما رأوك وبعد أن مضى يومان لحقتنى الندامة وصارت تحدثنى بما جرى لها وهو باهت فيها إلى أن قالت وفى أمس درت طول النهار اسأل فلم يعطنى أحد شيئًا فصرت كلما أقبل على أحد واسأله كسرة يشتمنى ولا يعطينى شيئًا فلما أقبل الليل بت من غير عشاء فأحرقنى الجوع وصعب على ما قاسيت وقعدت أبكى وإذا بشخص تصور قدامى وقال لى يا امرأة لأى شيء تبكين فقلت له أنه كان لى زوج يصرف على ويقضى أغراضى وقد فقد منى ولم أعرف أين راح وقد قاسيت الغلب من بعده فقال ما اسم زوجك قلت اسمه معروف قال إنا أعرفه أعلمى أن زوجك الآن سلطانًا على مدينة وأن شئت أن أوصلك إليه أفعل ذلك فقلت له أنا فى عرضك أن توصلنى إليه فحملنى وطار بى بين السماء والأرض حتى أوصلنى إلى هذا القصر وقال لى أدخلى فى هذه الحجرة ترى زوجك نائمًا على السرير دخلت فرأيتك فى هذه السيادة وأنا ما كان فى أملى أنك تفوتنى وأنا رفيقتك والحمد لله الذى جمعنى عليك فقال لها هل أنا فتك أو أنت التى فتينى وأنت تشكينى من قاض إلى قاض وختمتى ذلك بشكيتى إلى الباب العالى حتى نزلت على أبا طبق من القلعة فهربت قهرًا عنى وصار يحكى لها على ما جرى له إلى أن صار سلطانًا وتزوج بنت الملك وأخبرها بأنها ماتت وخلف منها ولدًا صار عمره سبع سنين فقالت

والذى جرى مقدر من الله تعالى وقد تبت وأنا فى عرضك أنك لا تفوتنى ولم تزل تتواضع له حتى رق قلبه لها وقال لها توبى عن الشر واقعدى عندى وليس لك إلا ما يسرك فإن عملت شيئًا من الشر اقتلك ولا أخاف من أحد فلا يخطر ببالك أنك تشكينى إلى الباب العالى وينزل لى أبو طبق من القلعة فإنى صرت سلطانًا والناس تخاف منى وأنا لا أخاف إلا من الله تعالى فإنى معى خاتم استخدام متى دعكته يظهر لى خادم الخاتم واسمه أبو السعادات ومهما طلبته منه يأتينى به فإن كنت تريدين الذهاب إلى بلدك أعطيك ما يكفيك طول عمرك وأرسلك إلى مكانك بسرعة وإن كنت تريدين القعود عندى فإنى أخلى لك قصرًا وأفرشه قالت إنا أريد الإقامة عندك ثم قبلت يده وتابت عن الشر فأفرد لها قصرًا وحدها وأنعم عليها بجوار وطواشيه وصارت ملكة ثم إن الولد صار يروح عندها وعند أبيه فكرهت الولد لكونه ليس ابنها فلما رأى الولد منها عين الغضب والكراهة نفر منها وكرهها ثم إن معروفًا اشتغل بحب الجوارى الحسان ولم يفكر فى زوجته فاطمة العرة لأنها صارت عجوزًا شمطاء بصورة شوهاء وصاحب المثل يقول الإساءة تقطع أصل المطلوب وتزرع البغضاء فى أرض القلوب ولله در من قال :

احرص على حفظ القلوب من الأذى ... فرجوعها بعد التنافر يعسر

إن القلوب إذا تنافر ودها ... مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ثم إن معروفًا لم يأوها لخصلة حميدة فيها وإنما عمل معها هذا الإكرام ابتغاء مرضاة الله تعالى .

(ثم) إن أختها دنيا زاد قالت لأختها شهر زاد ما أطيب هذه الألفاظ التى هى أشد أخذ للقلوب من سواحر الإلحاظ وما أحسن هذه النكت الغريبة والنوادر العجيبة فقالت شهر زاد وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وأبقانى الملك فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح صبح الملك منشرح الصدر ومنتظر لبقية الحكاية وقال فى نفسه والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم خرج إلى محل حكمه وطلع الوزير على عادته بالكفن تحت إبطه فمكث الملك فى الحكم بين الناس طوال نهاره وبعد ذلك ذهب إلى حريمه ودخل على زوجته شهر زاد بنت الوزير على جرى عادته . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .



الليلة (١٠٠١)
وهي آخر الكتاب

ذهب الملك إلى حريمه ودخل على زوجته شهر زاد بنت الوزير فقالت لها أختها دنيازاد تمى لنا حكاية معروف فقالت حبًا وكرامة إن أذن لى الملك بالحديث فقال لها قد أذنت لك بالحديث لأننى متشوق إلى سماع بقيته .

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك معروفًا صار لا يعتنى بزوجته من أجل النكاح وإنما كان يطعمها احتسابًا لوجه الله تعالى فلما رأته ممتنعًا عن وصالها ومشتغلاً بغيرها بغضته وغلبت عليها الغيرة ووسوس لها إبليس أنها تأخذ الخاتم منه وتقتله وتعمل ملكة مكانه ثم إنها خرجت ذات ليلة من الليالى ومضت من قصرها متوجهة إلى القصر الذى فيه زوجها الملك معروف واتفق بالأمر المقدر والقضاء المسطر أن معروفا كان راقدًا مع محظية من محاظيه ذات حسن وجمال وقد واعتدال ومن حسن تقواه كان يقلع الخاتم من أصبعه إذا أراد أن يجامع احترامًا للأسماء الشريفة التى هى مكتوبًا عليه فلا يلبسه إلا على طهارة وكانت زوجته فاطمة العرة لم تخرج من موضعها إلا بعد أن أحاطت علمًا بأنه إذا جامع يقلع الخاتم ويجعله على المخدة حتى يطهر وكان من عادته أنه متى جامع يأمر المحظية أن تذهب من عنده خوفًا على الخاتم وإذا دخل الحمام يقفل باب القصر حتى يرجع من الحمام ويأخذ الخاتم ويلبسه وبعد ذلك كل من دخل القصر لا حرج عليه وكانت تعرف هذا الأمر كله فخرجت بالليل لأجل أن تدخل عليه فى القصر وهو مستغرق فى النوم وتسرق هذا الخاتم بحيث لا يراها فلما خرجت كان ابن الملك فى هذه الساعة قد دخل بيت الراحة ليقضى حاجة من غير نور فقعد فى الظلام على ملاقى بيت الراحة وترك الباب مفتوحًا عليه فلما خرجت من قصرها رآها مجتهدة فى المشى إلى جهة قصر أبيه فقال فى نفسه يا هل ترى لأى شىء خرجت هذه الكاهنة من قصرها فى جنح الظلام وأراها متوجهة إلى قصر أبى فهذا الأمر لابد له من سبب ثم إنه خرج وراءها وتبع أثرها من حيث لا تراه وكان له سيف قصير من الجوهر وكان لا يخرج إلى ديوان أبيه إلا متقلدًا بذلك السيف لكونه مستعزًا به فإذا رآه أبوه يضحك عليه ويقول ما شاء الله أن سيفك عظيم يا ولدى ولكن ما نزلت به حربًا ولا قطعت به رأسًا فيقول لابد أن أقطع به عنقًا يكون مستحقًا للقطع فيضحك من

كلامه ولما مشى وراء زوجة أبيه سحب السيف من غلافه وتبعها حتى دخلت قصر أبيه فوقف لها على باب القصر وصار ينظر إليها فرآها وهى تفتش وتقول أين وضع الخاتم ففهم أنها دائرة على الخاتم فلم يزل صابرًا عليها حتى لقيته فقالت ها هو والتقطته وأرادت أن تخرج فاختفى خلف الباب فلما خرجت من الباب نظرت إلى الخاتم وقلبته فى يدها وأرادت أن تدعكه فرفع يده بالسيف وضربها على عنقها فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة فانتبه معروف فرأى زوجته مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف فى يده فقال له ما هذا يا ولدى قال يا أبى كم مرة وإنت تقول لى أن سيفك عظيم ولكنك ما نزلت به حربًا ولا قطعت به رأسًا وأنا أقول لك لابد أن أقطع به عنقًا مستحقًا للقطع فها أنا قد قطعت لك عنقًا مستحقًا للقطع وأخبره بخبرها ثم إنه فتش على الخاتم فلم يره ولم يزل يفتش فى أعضائها حتى رأى يدها منطبقة عليه فأخذه من يدها ثم قال له إنت ولدى بلا شك ولا ريب أراحك الله فى الدنيا والآخرة كما أرحتنى من هذه الخبيثة ولم يكن سعيها إلا لهلاكها ثم إن الملك معروفًا زعق على أتباعه فأتوه مسرعين فأخبرهم بما فعلت زوجته فاطمة العرة وأمرهم أن يأخذوها ويحطوها فى مكان إلى الصباح ففعلوا كما أمرهم ثم وكل بها جماعة من الخدام فغسلوها وكفنوها وعملوا لها مشهدًا ودفنوها وما كان مجيئها من مصر إلا لترابطها ثم إن الملك معروفا أرسل يطلب الرجل الحراث الذى كان ضيفه وهو هارب فلما حضر جعله وزير ميمنة وصاحب مشورته ثم علم أن له بنتًا بديعة فى الحسن والجمال كريمة الخصال شريفة النسب رفيعة الحسب فتزوج بها وبعد مدة من الزمان زوج ابنه وأقاموا مدة فى أرغد عيش وصفت لهم الأوقات وطابت المسرات إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت (وكانت) شهر زاد فى هذه المدة قد خلفت من الملك ثلاثة ذكور فلما فرغت من هذه الحكاية قامت على قدميها وقبلت الأرض بين يدى الملك وقالت له يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان إنى جاريتك ولى ألف ليلة وليلة وأنا أحدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدمين فهل لى فى جنابك من طمع حتى أتمنى عليك أمنية فقال لها الملك تمن تعطى يا شهر زاد فصاحت على الدادات والطواشية وقالت لهم هاتوا أولادى فجاءوا لها بهم مسرعين وهم ثلاثة أولاد ذكور واحد منهم يمشى وواحد يحبى وواحد يرضع فلما جاءوا بهم أخذتهم ووضعتهم قدام الملك وقبلت الأرض وقالت يا ملك الزمان إن هؤلاء أولادك وقد تمنيت عليك أن تعتقنى من القتل إكرامًا لهؤلاء الأطفال فإنك إن قتلتنى



يصير هؤلاء الأطفال من غير أم ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء فعند ذلك بكى الملك وضم أولاده إلى صدره وقال يا شهر زاد والله إني قد عفوت عنك من قبل مجيء هؤلاء الأولاد لكوني رأيتك عفيفة تقية وحرة نقية بارك الله فيك وفى أبيك وأمك وأصلك وفرعك وأشهد الله على أنى قد عفوت عنك من كل شيء يضرك فقبلت يديه وقدميه وفرحت فرحًا زائدًا وقالت أطال الله عمرك وزادك هيبة ووقارًا وشاع السرور فى سراية الملك حتى انتشر فى المدينة وكانت ليلة لا تعد من الأعمار ولونها أبيض من وجه النهار وأصبح الملك مسرورًا وبالخير مغمورًا فأرسل إلى جميع العسكر فحضروا وخلعوا على وزيره أبى شهر زاد خلعة سنية جليلة وقال له سترك الله حيث زوجتنى ابنتك الكريمة التى كانت سببًا لتوبتى عن قتل بنات الناس وقد رأيتها حرة نقية عفيفة زكية رزقنى الله منها ثلاثة أولاد ذكورًا والحمد لله على هذه النعمة الجزيلة ثم خلع على جميع الوزراء والأمراء وأرباب الدولة وأمر بزينة المدينة ثلاثين يومًا ولم يكلف أحد من أهل المدينة شيئًا من ماله بل جميع الكلفة والمصاريف من خزانة الملك فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها ودقت الطبول وزمرت الزمور ولعب سائر أرباب الملاعب وأجزل لهم الملك العطايا والمواهب وتصدق على الفقراء والمساكين وعم بإكرامه سائر رعيته وأهل مملكته وأقام هو ودولته فى نعمة وسرور ولذة وحبور حتى أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يفنيه تداول الأوقات ولا يعتريه شيئًا من التغيرات ولا يشغله حال عن حال وتفرد بصفات الكمال والصلاة والسلام على إمام حضرته وخيرته من خليقته سيدنا محمد سيد الأنام وتضرع به إليه فى حسن الختام .

***






تمت بحمد الله

***